

تأليف العلّامة الشيخ

محمّد يوسف الكاندهلوي

الجزء الأول

حقّق نصوصَهُ وشرح غريبَهُ ووضع فهارسَهُ

الشيخ نايف العبّاس و محمّد علي دولة

طبع على نفقة

إدارة إحياء التراث الإسلامي

دار المنارة
جدّة

دار القلم
دمشق

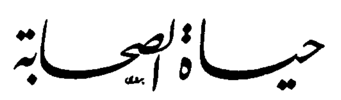
الطّبْعة الثّالِثة

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص. ب. : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص. ب. : ١١٣/٦٥٠١ .

دار المنارة
للنشر والتوزيع
جدة - هاتف: ٦٦٠٣٢٣٨ - ٦٦٠٣٦٥٢ - تلكس: ٤٠٣٠٦٧
ص. ب. : ٢١٤٣١/١٢٥٠

رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ



بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

صدق الله العظيم (سورة الأنفال ٧٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الكتاب

كتبها العلاّمة
السّيّد أبو الحسن علي الحسني النّدوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ السيرة النبويَّة وسِيَرَ الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانيّة والعاطفة الدينيّة، التي لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شُعلة الإيمان وتشعل بها مجامِرَ القلوب، التي يُسرع انطفاؤها وخمودُها في مهبِّ الرياح والعواصف المادية، والتي إذا انطفأت فقدت هذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها، وأصبحت جُثّة هامدة تحملها الحياة على أكتافها.

إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها، وصدَّقتْها قلوبُهم، وما كان قولهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا: ﴿ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنا مُنَادياً يُنَادِي للإيمانِ أَنْ آمنُوا بربّكم فآمَنّا ﴾ ووضعوا أيديَهم في يد الرسول ﷺ، وهانت عليهم نفوسُهم وأموالُهم وعشيرتُهم، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله، وأفضى يقينُها إلى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وعقولهم، وصَدَرَتْ عنهم عجائبُ الإيمان بالغيب، والحبِّ لله والرسول، والرحمة على المؤمنين والشدَّة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآجل على العاجل، والغيب على الشهود، والهداية على الجباية، والحرص على دعوة الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جَوْر الأديان إلى عَدْل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها، والاستهانة بزخارف الدنيا وحُطَامها، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة، وعلوِّ الهمَّة وبُعد النظر في نشر رِفْد الإسلام وخيراته في العالم، وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، وسهولها وحُزُونها، وأغوارها وأنجادها، ونَسُوا في ذلك لذَّاتهم،

وهجروا راحاتهم، وغادروا أوطانهم، وبذلوا مهجهم وحُرَّ أموالهم؛ حتى ألقى الدين بِجِرانه، وأقبلت القلوبُ إلى الله، وهبّت ريحُ الإيمان قويةً عاصفةً، طيبةً مباركةً، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى، ونَفَقَتْ سوق الجنَّة، وانتشرت الهداية في العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ضمَّت وقائعَهم كتبُ التاريخ، وحفظت أخبارَهم دواوينُ الإسلام، وكانت دائماً مادة التجديد والبَعْث الجديد في حياة المسلمين، ولذلك اشتدَّت عنايةُ دعاة الإسلام والمصلحين بهذه الحكايات، واستعانوا بها في إيقاظ همم المسلمين وإلهاب قلوبهم بِجذْوة الإيمان والحماسة الدينية.

ولكن أتى على المسلمين حينٌ من الدهر زَهِدوا فيه في هذا التاريخ وتناسَوه، وانصرف كُتّابُهم ومؤلفوهُم ووعاظُهم ودعاتُهم عنه إلى أخبار الزهَّاد والمشايخ والأولياء المتأخرين، وطفحتْ الكتب والمجاميعُ بحكاياتهم وكراماتهم، وأُولع الناسُ بها ولعاً شديداً، وشغلت مجالسَ الوعظ وحلقاتِ الدروس وصفحاتِ الكُتب.

وكان مِنْ أول من انتبه - على ما نعرف - في هذا العصر إلى فضل أخبار الصحابة وأحوالهم في الدعوة الإسلامية والتربية الدينية، وإلى قيمة هذه الثروة - المطمورة في الأوراق - الإصلاحية والتربوية، وتأثيرها في القلوب، وكان مِنْ أول من أقبل عليها وعُنِي بها وأنصف لها المصلحُ الكبير والداعيةُ المشهور الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله (م ١٣٦٣ هـ)، فقد عكف عليها مطالعةً ومدارسةً وحكاية وتذكيراً، رأيتُ له شغفاً عظيماً بالسيرة النبويّة وأخبار الصحابة - رضي الله عنهم - يتذاكرها مع تلاميذه وأصحابه، وتُقرأ عليه كل ليلة فيسمعها في رغبة ونهامة وإجلال، ويحب إحياءها ونشرها ومذكراتها، وكان ابنُ أخيه المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي صاحب «أوجز المسالك إلى موطَّأ الإمام مالك»[١] ألف كتاباً متوسطاً في «أردو» في أخبار الصحابة رضي الله عنهم سمَّاه «حكايات الصحابة» وسُرَّ به الشيخ سروراً عظيماً، وألزم المشتغلين بالدعوة والرحلات في سبيلها مطالعة هذا الكتاب ومدارسته، وكان - ولا يزال - من أهمِّ الكتب المقررة للدعاة والمتطوِّعين، ومن الكتب التي نالت قبولاً عظيماً ورواجاً كبيراً في الأوساط الدينية.

وورث الشيخُ محمد يوسف والدَه العظيم الشيخَ محمد إلياس، ورثه في حمل أعباء الدعوة وأمانتها، وورثه في ذَوْقه واتجاهه في الشَّغَفِ بالسيرة وأحوال الصحابة،

(١) طبع الكتاب في الهند في ستة أجزاء.

وكان هو الذي يقرأُ له هذه الحكايات والدروس من السيرة وتراجم الصحابة في حياته، وأكبَّ بعد وفاته - مع الاشتغال الشديد بالدعوة - على مطالعة كتب السيرة والتاريخ وطبقات الصحابة، ولا نعرف - فيمن نعرف - أوسع نظراً في أخبارهم، ودقائق أحوالهم، وأكثرَ استحضاراً لها، وأحسنَ استشهاداً بها، وأجملَ اقتباساً منها، وأكثرَ إيراداً لها في الحديث والمحاضرات منه، وتكاد تكون هذه الحكاياتُ التاريخية والقصص الحقُّ مصدر قوة كلامه وتأثيره وسرّ سحره ووقعِه في القلوب، وحَمْل الجماعات الكبيرة على التضحية والإيثار، والاستهانة بالمتاعب والمصاعب، وتكبّد المشاق في سبيل الله. لقد بلغت الدعوةُ في عهده إلى الأقطار العربية، وإلى أمريكا وأوروبا واليابان وجزر المحيط الهندي، ومسَّت الحاجة إلى كتاب كبير يطالعه المشتغلون بالدعوة، والخارجون في الرحلات، ويُدارسونه ويُغذُّون به قلوبَهم وعقولهم، ويُلْبهون به عواطفهم الدينية، ويكون حافزاً لهم على تقليدهم وبذل نفسهم ونفيسِهم في سبيل الدعوة، والتجول في العالم والهجرة والنصرة، وفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، وإذا قرأوا هذه الأخبار تضاءلت نفوسُهم أمامها كما تتضاءل السواقي أمام البحار، وطوالُ الرجال أمام الجبال الشُمّ، فاتهموا يقينهم، واستصغروا أعمالهم، واحتقروا حياتهم، وارتفعت هِمَمُهم، وطَمحَت نفوسُهم، وتحركت عزائمهم.

وأراد الله أن يكون للشيخ محمد يوسف فضلُ التأليف في هذا الموضوع الجليل مع فضل الدعوة إليه، مع أنَّ حياته المشغولة المتنقّلة المزدحمة بالرحلات والضيوف والوفود والدروس أبعدُ شيء من حياة التأليف والكتابة، ولكنه استطاع بتوفيق الله تعالى وعونه وبعلوِّ همته وقوة عزيمته أن يشتغل بالتأليف، ويجمع بين الدعوة والكتابة - وما أصعب الجمع بينها - وقد استطاع بحول الله وقوته أن يشتغل بشرح شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي، فألف كتاب «أماني الأحبار» في مجلدات كبار، واستطاع بحول الله وقوته أن يؤلف كتاب «حياةالصحابة» في ثلاث مجلدات ضخام يجمع فيه ما انتثر وتفرَّق في كتب السِّيَر والتاريخ والطبقات، ويبدأ بأخبار الرسول الأعظم ﷺ، ويُثَنِّي بقصص الصحابة - رضي الله عنهم - ويُعْنَى بجوانب تَخُصُّ الدعوة والتربية، وتهمُّ الدعاةَ والمربِّين بصفة خاصّة، فيكون تذكرة الدعاة وزادَ العاملين، ومدرسة الإيمان واليقين لعامة المسلمين.

وقد جمع هذا الكتاب من أخبار الصحابة رضوان الله عليهم وسيرهم

وقصصهم وحكاياتهم ما يندر وجودُه في كتابٍ واحدٍ، لأنه اقتبس من كتب كثيرة؛ ككتب الحديث والمسانيد وكتب التاريخ وكتب الطبقات، لذلك جاء هذا الكتاب يصوِّرُ ذلك العصر ويمثل حياة الصحابة رضي الله عنهم وخصائصهم وأخلاقهم وخواطرهم، وقد أَسْبغَت هذه الدِّقَّة وهذا الاستقصاء والإكثار من الروايات والقصص على الكتاب تأثيراً لا يكون للكتب التي بُنِيَت على الإجمال والاختصار ومغزى القصة، ويعيش القارىء لأجله في مُحيط الإيمان والدعوة، والبطولة والفضيلة، والإخلاص والزهد.

وإذا صحَّ أنَّ الكتاب صورةٌ نفسيّة للمؤلف وقطعةٌ من قلبه، وأنه يؤثِّر بقدر ما يكتبه المؤلف عن عقيدة واقتناع، وتأثر وانطباع، وبقدر ما يعيش في مادته ومعناه - إذا صحّ هذا فأنا أؤكد أنَّ الكتاب مُؤثِّر وناجح، لأن المؤلف قد كتبه عن عقيدة وحماسة، ولذّة وعاطفة، وقد خالط حبُّ الصحابة لحمه ودمه، واستولى على مشاعره وتفكيره، وقد عاش في أخبارهم وأحاديثهم زمناً طويلاً، ولا يزال يعيش فيها، ويستقي من منابعها، فسح الله في مدته(*)، وبارك في حياته.

لم يكن هذا الكتاب في حاجة إلى تصدير مثلي لجلالة مؤلفه وإخلاصه، فإنّه - على ما أعتقد وأعرف - موهبة إلهيّة وحسنة من حسنات الزمان في قوة الإيمان، وقوة الدعوة والانقطاع إليها والتفاني في سبيلها، لا يوجد أمثاله إلا بعد فترات طويلة، وهو يقود حركة دينية من أقوى الحركات وأوسعها وأعظمها تأثيراً في النفوس، ولكنَّه أراد أن يُكرمني بذلك، وأردت أن يكون لي نصيبٌ في هذا العمل الجليل، فكتبت هذه الكلمة متقرِّباً بها إلى الله، تَقَبَّلَ الله هذا الكتاب ونفع به عباده.

أبو الحسن علي الحسني الندوي
سهارنبور
٢/ رجب/ ١٣٧٨ هـ

(*) توفي المؤلف - رحمه الله تعالى - في لاهور في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ٢/ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وليِّ المؤمنين، وهادي عباده إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فإن الصحابة الكرام رضي الله عنهم هم صَفْوة هذه الأمة، وخيارُها، وخير قرونها؛ بل هم خير أجيال البشرية خلا الأنبياء والمرسلين.

آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، ورسخ هذا الإيمان في قلوبهم رسوخ الجبال الراسيات، فتغيَّر حالهم، وطوَوا صحائف ماضيهم، وأصبحوا وكأنما خلقوا من جديد، وصاروا ولا هَمَّ لهم إلاّ مرضاة الله ورسوله، وإلاّ التطلُّع إلى لقاء الله في الدار الآخرة، والفوز بجنة عرضها السموات والأرض.

وبذلوا في سبيل إيمانهم هذا المُهَجَ والأموال، وتركوا الأهل والأوطان، وتحملوا الشدائد والمحن، وخاضوا الحروب، وانتصروا لله ولرسوله، حتى عزّ بهم الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ثم كانوا بعد رسول الله جند الإسلام الأوفياء، وحَمَلة رايته وحُماته، فحملوه إلى الأمم المجاورة، وبلَّغوهم تعاليمه، ورغَّبوهم فيه، وما زالوا بهم حتى اهتدى بهم خلق عظيم من عباد الله، فأخرجوهم من الظلمات إلى النور، وأسعدوهم بما سعدوا هم به من قبل.

وقد أثنى الله عز وجل عليهم في غير موضع من كتابه الكريم، وما أحسن ما قاله فيهم في سورة الفتح: ﴿ محمدٌ رسولُ الله، والذين معه أشدّاءُ على الكفّار،

رُحَماءُ بينهم، تراهم رُكّعاً سُجَّداً، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سِيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مَثَلُهم في التوراة، ومَثَلُهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شَطْأه فآزَرَه فاستغلظ فاستوى على سُوقه، يُعجب الزُّرّاع ليغيظَ بهم الكفّار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾[١]، وما أعظم ما رتَّب لهم رسول الله ﷺ من فضل حين قال فيهم: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه[٢]»!! ولقد أحسن ابن مسعود القول في وصفهم - وهو أحدهم - حين قال: «من كان منكم متأسِّياً فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، وأقومَها هَدْياً، وأحسنَها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضلهم، واتَّبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

ولقد عُني سلف هذه الأمة بأخبار هؤلاء القوم، فكتبوا فيهم الكتب الكثيرة، وألَّفوا في أسمائهم وطبقاتهم وتراجمهم المؤلفات الواسعة، وسجَّلوا فضائلهم ومآثرهم في كثير من مؤلفاتهم، وترجموا لغير واحدٍ من أئمتهم التراجم المطوّلة.

ثم جاء بأَخِرَةٍ عالم هندي جليل، وداعية موفّق، هو الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي؛ فألف للناس كتاباً نفيساً في أخبار الصحابة وسِيَرهم سمّاه «حياة الصحابة» يُعتبر بحقٍ من أجود ما ألف عن هؤلاء الأبرار قديماً وحديثاً، لنبل مؤلفه، ولسعة معلومات الكتاب وتنوعها وكثرة مصادرها، ثمَّ لما يحدث من أثر كبير في نفوس قارئيه وسامعيه.

وقد جرى فيه المؤلف مجرىً تفرّد فيه بين المؤلفين في السِّيَر والتراجم، فلم يترجم لكل صحابي على حدة ويذكر ما له من أخبار، ولم يقسم كتابه إلى طبقات تنتظم كلٌّ منها عدداً من الصحابة، وإنما ألّفه على أبواب تنتظم حياة الصحابة وسلوكهم وانفعالاتهم وتأثرهم بدينهم، وأخبارهم في الدعوة والجهاد والبذل والعطاء، وأتى في كل باب بالعجب العجاب من القصص والأخبار، والأحاديث

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

(٢) أخرجه مسلم.

والآثار، فباب يعقده لدعوة الصحابة إلى الله ورسوله، وآخر لتحملهم الشدائد في الله، وثالث لجهادهم، ورابع لأخلاقهم وشمائلهم، وخامس لإيمانهم بالغيب وتصديقهم لله ولرسوله في كل ما يخبران به وهكذا. . . وقد جاء الكتاب في تسعة عشر باباً استوعبت أو كادت ألوف النصوص والقصص والأخبار التي حكت سيرة القوم، وجَلَت صحائف حياتهم المباركة.

وميزة هذا الكتاب الكبرى، أنه جمع فأوعى، فقد جمع من أخبار الصحابة ما يندر وجوده في عشرات الكتب التي تعنى في هذا الأمر، وقد التقطها مؤلفها من موسوعات الإسلام الكبرى ومن دواوين السنَّة المشرفَّة، وساق الروايات العديدة لكل خبر، وجاء بالألفاظ المختلفة لكل رواية، لذا فإن القارىء النّهم، والباحث المؤلف، سيجد فيه مادة دسمة وروايات يكمل بعضها بعضاً، وأخباراً قد لا يقف عليها ما لم يطالع هذا الكتاب.

وميزة أخرى لهذا الكتاب لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي أن مؤلِّفَه محبٌّ صادق، بل متيَّم وَلْهان، فهو يحمل في قلبه الحب والتعظيم، والودّ والتبجيل لهؤلاء القوم الذين اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وقد دفعه حبُّه للصحابة لكي يؤلف هذا الكتاب، وقد أراد من تأليفه أن يحقق حاجة في نفسه، وأراد أن يقول للمسلمين في هذا الزمان، أيُّها المسلمون: هؤلاء هُمْ صَحْبُ محمدٍ، وهذه سيرتهم؛ فانسجوا على منوالهم.

ولقد استطاع المؤلف بتوفيق من الله، ثم بفضل حبِّه وإخلاصه، وغايته النبيلة أن يجلو صفحات رائعة من حياة القوم، وأن يظهر للناس ما احتوت من روائع في الإيمان والتصديق، في الحب والاتِّباع، في البذل والعطاء، في الجهاد والنصرة، في البَيْعة والهجرة، في التجرُّد عن الشهوات، في التطلع إلى الدار الآخرة، في الإخلاص والصدق، في الوفاء والاستقامة. . . لذا فإن القارىء لهذا الكتاب سيعيش في عالم الفضائل والمثل العالية، بل إنه سيعيش في آفاق عوال، لا يرقى إليها تعليق أو مقال، يسعد بأصحابها، ويهتدي بهداهم، وينعم بالعيش في رحابهم.

● ● ●

ولقد كنت أخرجت هذا السِّفر منذ سنوات في طبعة محقّقة لاقت قبولاً عظيماً ولله الحمد والمنَّة، وأثنى عليها العلماء والكتّاب والباحثون، واليوم يسعدني أن أقدِّم الطبعة الثانية لهذا الكتاب، بعد أن جرى عليه تعديل في إخراجه، فقد كنت أخرجته في الطبعة السابقة في أربعة مجلدات كبار، وخالفت تقسيم المؤلف لكتابه، واضطررت لذلك نظراً للحرف الطباعي الكبير الذي طبعته به، أمّا في هذه الطبعة، فقد آثرت الرجوع إلى تقسيم المؤلف لكتابه وإلى توزيعه أبواب الكتاب على مجلدات ثلاث، ولقد حافظتْ هذه الطبعة الثانية على جميع التحقيقات العلمية التي كانت في الطبعة الأولى، بل لقد كان المزيد من الدقة العلمية والعناية الفنية في هذه الطبعة.

خطتنا في التحقيق

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب النفيس في الهند ما بين عامي ١٣٧٩ و١٣٨٥ هـ في ثلاث مجلدات ضخام، وهي تحتوي على شرح يسير لبعض الكلمات الغريبة والجمل الغامضة. ولمّا شرح الله صدري لطباعة هذا الكتاب في ديار الشام؛ وجدت بعد أن تصفَّحته وقرأت في مواضع متفرقة منه أنّ طباعته كما هو ليس بالأمر الحسن، بل لا بدَّ من تحقيق نصوصه. فالكتاب عبارة عن ألوف من النصوص المستقاة من أمهات الكتب الإسلامية، وهي تصوِّر بمجموعها حياة رسول الله ﷺ وحياة أصحابه في شتى المجالات[١]. والمصادر التي أخذ المؤلف نصوصه منها كالبداية والنهاية، وكنز العمال، ومجمع الزوائد، وحلية أبي نعيم، ومستدرك الحاكم، وسنن البيهقي، وطبقات ابن سعد، وتفسير ابن كثير وغيرها؛ يكثر فيها التصحيف والخطأ، فهي لم يتهيأ لها وإلى الآن من العلماء من يحقِّقها ويخرجها بصورة صحيحة. والمؤلف رحمه الله تعالى كان همُّه الأول في هذه الطبعة أن يخرج الكتاب للناس، وكان يعلم أن به الكثير من التصحيف؛ لكنه أجَّل تصحيح ذلك لطبعة ثانية، بل ترك هذا الأمر للعرب كي يقوموا به، فالكتاب قد أُلِّف بلغتهم وهم أدرَى بها[٢].

---

(١) الحقيقة أن هذا الكتاب ليس في حياة الصحابة فقط وكما يدل عليه اسمه؛ وإنما هو تصوير ممتاز لحياة الرسول ﷺ وحياة أصحابه رضي الله عنهم، وكان أحرى به أن يسمى «حياة محمد وأصحابه».

(٢) هذا ما قاله لي خليفة المؤلف فضيلة الشيخ إنعام الحسن.

وسأتحدث فيما يلي عن الخطة التي انتهجتها مع أستاذي العلّامة الشيخ نايف العباس في تحقيقنا لهذا الكتاب والتي تتلخص في الأمور التالية:

١ ـ جعلنا همنا الأكبر الرجوع إلى الأصول التي نقل عنها المؤلف رحمه الله، وقد استطعنا ـ ولله الحمد ـ أن نحصل على معظم تلك الأصول، فكنّا نقارن ما في الكتاب بما هو موجود في الأصول، ونتثبَّت من صحة النقل وتمامه، ونضيف الكلام الذي نسيه المؤلف أثناء النقل، وقد وضعنا هذا الكلام بادىء الأمر بين قوسين ثم عدلنا عن ذلك، وهنا ننبه إلى أن كل كلمة أو جملة يجدها القارىء زيادة على ما في الأصل الهندي فهي مزيدة من الأصول. وفيما ينقله المؤلف من كتب الحديث لا سيما الصحيحين عمَّن نقل من تلك الكتب كالبداية والنهاية وغيرها، فقد آثرنا الرجوع فوراً إلى كتب الحديث، وصحَّحنا نصوصها منها. وحين كانت تعترضنا جملة غامضة أو تعبير ضعيف؛ كنّا نشير إلى تعبيرات أقوى وجدناها في الكتب الأخرى التي روت النص. أما الكلمات التي حصل خطأ في نقلها فقد أتينا على تصحيحها وأشرنا لذلك بادىء الأمر في الحاشية ثم تركنا الإشارة لذلك.

٢ ـ بذلنا جهدنا في تخليص الكتاب ممّا به من التصحيفات التي وقعت في مواطن كثيرة منه بفعل النسّاخ الأوائل للأصول التي نقل منها المؤلف، واجتهدنا في تصحيح الكلمات التي اعتراها التصحيف، وساعدنا على ذلك مقارنة الروايات المتعدِّدة للخبر، ولقد كفانا المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ مؤونة البحث الطويل في الكتب حيث أشار لشتًى روايات النص وعيَّن مواضعها في المراجع، ولقد استطعنا ـ ولله الحمد ـ أن نصحِّح الكثير من الكلمات المصحَّفة، وأشرنا لذلك في الحاشية بقولنا: «كذا في الأصل والكنز. وهو تصحيف» لذا استقامت معاني كثير من الجمل والعبارات بعد أن كانت غامضة ومغلقة. بيد أننا قد وقفنا عند عدد من الكلمات والجمل، ولم تسعفنا المراجع بالتعرف على وجهها الصحيح؛ لذا كنا نشير إليها في الحاشية بقولنا: «كذا في الأصل والكنز، أو كذا في الأصل والبداية» وهلمّ جراً.

٣ ـ أتينا في هذه الطبعة على شرح الكثير من الألفاظ الغريبة والجمل الغامضة، وفيما يختص بغريب الحديث النبوي فلقد كان مرجعنا الأول في هذا الأمر «النهاية في غريب الحديث»، ثم شروح كتب الحديث، ثم القاموس المحيط وغيره من المعاجم، وكذلك أتينا على ضبط الكثير من أسماء الأعلام والأماكن

والقبائل وغيرها من الكلمات التي وجدنا أنها تحتاج إلى ضبط، كذلك عزونا في الحاشية الآيات القرآنية لسورها وسجلنا أرقامها، وكان هذا الأمر قد أهمل في المجلد الأول وقسم كبير من المجلد الثاني في الطبعة الهندية.

٤ ـ وضعنا عناوين الموضوعات والنصوص والأخبار في موضعها في صُلْب الكتاب، وبذلك سهَّلنا على القارىء الرجوع إليه، وكشفنا عما فيه، ولم يحتو الكتاب في طبعته الهندية إلاّ على العناوين الرئيسية بينما وضعت العناوين التفصيلية في الفهرس، وبذلك كان يصعب على القارىء معرفة الموضوعات ما لم يرجع إلى الفهرس أو يقرأ جميع ما أمامه في الصحيفة، أما الآن وبعد أن عَنوَنَّا الموضوعات فقد أصبح القارىء يعرف فوراً ومن قراءة العنوان الخبر الذي أمامه والقصة التي سيأتي عليها، وقد دمجنا بعض العناوين، وحذفنا بعضها الآخر، كما زدنا بعض العناوين، وقمنا بوضع العناوين التفصيلية للكتاب ابتداء من أول باب أخلاق الصحابة وشمائلهم ولنهاية الكتاب.

٥ ـ قمنا بتصحيح بعض الألفاظ والجمل التي لا تنسجم مع قواعد اللغة العربية والتي قد ظهر فيها الخطأ واضحاً. بينما أشرنا في الحاشية لبعض المواضع التي تحتمل عدة وجوه وقلنا: «لعلَّ الصواب كذا».

٦ ـ ومن الأمور الهامة التي صنعناها لهذا الكتاب «الفهارس العلمية» فقد جعلنا له فهارس للأعلام والقبائل والوقائع والأحاديث، وليس يخفى على القارىء والباحث في هذا الزمان قيمة الفهارس الفنية، فهي تعين على الاستفادة من الكتاب وتكمِّل الانتفاع به، وتوفر جهد القارىء ووقته، وضرورة الفهارس لهذا الكتاب هامة جداً، ففيه من أخبار الصحابة ما تفرق في مئات الكتب، فحينما يجد القارىء أخبار أي صحابي جملة واحدة بين يديه بفضل الفهارس، يكون بذلك قد حصَّل علماً جيداً في جهد يسير وعمل قليل.

● ● ●

وبعد: فهذه لمحة عن خطتنا التي اتّبعناها في طبعتنا لهذا الكتاب ـ وهي الطبعة الوحيدة المحققة من بين الطبعات التي ظهر بها ـ ونحن لا نزعم أننا قد وفَّينا الكتاب حقَّه من الخدمة التي يستحقها، فقد كان بودِّنا أن نترجم

للأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب ـ وما أكثرهم ـ وأن نعرِّف بمصادر هذا الكتاب وهي أمهات كتب العلوم والثقافة الإسلامية، كذلك كان بودِّنا أن نكثر من شروح الكلمات والجمل، وأن نتناول بعض المواضع من الكتاب بالتعليق؛ لكن هذا الأمر لم يتهيأ لنا وكما نحب في هذه الطبعة ولا في سابقتها، وعسى أن ييسِّر الله سبحانه لنا ذلك في طبعة لاحقة.

ورجاؤنا إلى العلماء الأفاضل وطلاب العلم والباحثين أن يتقبَّلوا هذا الجهد على ما به من هَنَات، ولهم مقدماً جزيل الشكر والامتنان. والله تعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب أمتنا، وأن تثمر قراءته عودة جديدة لهذه الأمة إلى الاقتداء بسلفها الطاهر الزكي ـ محمد وصحبه ـ والسير على خطاهم، والتأثر بأحوالهم وصفاتهم وأعمالهم؛ إنه سبحانه سميع قريب مجيب.

اللهمَّ لك الحمد على ما يسَّرت وأعنت، ولك الشكر على ما وفَّقت وهديت.

اللهمَّ أحينا مسلمين، وتوفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا نادمين.

اللهمَّ تقبَّل منا هذا العمل، وأجزل لنا ولمؤلفه المثوبة، وتغمده برحمتك ورضوانك.

وصلِّ اللهمّ وسلِّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله أولاً وآخراً.

بيروت في: ١٤٠٣/٨/١ هـ
١٩٨٣/٤/١٣ م
محمد علي دولة



تَرجَمَة المؤلّف

العلاّمة الداعية الشيخ: محمد يوسف الكاندهلوي

بقلم الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي

في غربي الولاية الشمالية بمديرية «مظفرنك» في الهند قريتان: اسمهما «جهنجهانة» و«كاندهلة» تسكنهما أسرة علمية ذات شرف ودين، وقد عاش جدُّ هذه الأسرة الكبير الشيخ «محمد أشرف» في عهد «شاهْجِهان» ملك الهند، واتفق العلماء في عصره على تديُّنه وورعه واتِّباعه للسنَّة. وقد أنجبت هذه الأسرة كبار العلماء والشيوخ، منهم الشيخ «إلهي بَخْش» الذي عُرف بفضله وذكائه، وكان من نجباء تلاميذ الشيخ «عبد العزيز بن الشيخ ولّي الله الدهلوي» وخليفة الإمام الشهيد السيد «أحمد البريلوي»، وقد ألف أربعين كتاباً باللغتين العربية والفارسية، وشرح القصيدة الشهيرة «بانت سعاد» وتوفي سنة ١٢١٥ هـ، ومنهم الشيخ أبو الحسن، والشيخ نور الحسن، والشيخ مظفَّر حسن، والشيخ محمد إسماعيل، وأخيراً الشيخ محمد إلياس؛ وكانوا كلهم دعاة إلى الله ومن كبار العلماء في عصرهم.

ولادته:

الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إلياس من هذه الأسرة العريقة، وقد ولد في دهلي في يوم الأربعاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ المصادف ليوم ٢٠ آذار «مارس» ١٩١٧ م، وسمَّاه والده «محمد يوسف».

نشأته:

أدرك الشيخ محمد يوسف كبار الشيوخ والعلماء، وشهد منذ نعومة أظفاره

أسرة عامرة بالعلم والورع، وقد أكرم الله نساء هذه الأسرة إلى جانب رجالها بالورع والدين؛ فترعرع الشيخ محمد يوسف في هذا المحيط العلمي الديني، وفي أحضان الأمهات الصالحات، وبين عطف الشيوخ وعناية العلماء.

الدراسة:

حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وبعدما تلقّى العلوم الابتدائية أتم دراسة الحديث الشريف في مدرسة «مظاهر العلوم» بسهارنبور على كبار شيوخ الحديث، كالشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة الأسبق، والشيخ منظور أحمد خان، والشيخ عبد الرحمن الكامل فوري، وأخيراً الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ابن عمه الكبير الذي أشرف على توجيه الشيخ وتربيته. وقد تخرَّج الشيخ محمد يوسف من مدرسة الحديث في سنة **١٣٥٤** هـ.

اشتغاله بالعلم:

كان الشيخ محمد يوسف ولوعاً بالعلم من أول عمره، فكان يقضي أكثر وقته في دراسة الكتب ومطالعتها، وتاقت نفسه إلى التأليف أيام دراسته للحديث الشريف، فبدأ بتأليف شرح مستفيض على «شرح معاني الآثار للطحاوي» وسمّاه «أماني الأحبار» واستمر في ذلك العمل إلى آخر أيام عمره.

المبايعة والخلافة:

إن البيئة التي ولد وترعرع فيها الشيخ محمد يوسف كان فيها رواج كبير للاتصال بالشيوخ والمبايعة، ولذلك فإن أعضاء الأسرة كلّهم كانوا يتصلون بالشيوخ والموجِّهين، ويأخذون عنهم العلم ويبايعونهم، وقد بايع الشيخ محمد يوسف والده الشيخ محمد إلياس مؤسس «جماعة التبليغ» الذي كان يعتبر من كبار الدعاة إلى الله في عصره، وقد استخلف الشيخ محمد إلياس رحمه الله ولده الشيخ محمد يوسف، وفوّض إليه أمانة الدعوة والتبليغ في **٢١** رجب من سنة **١٣٦٢** هـ وبعدها لبَّى نداء ربه، ومضى إلى الآخرة.

عمل الدعوة والتبليغ:

فوجىء الشيخ محمد يوسف بتحوّل كبير في حياته بعد وفاة والده، فقد نشأ فيه من دافع التبليغ والدعوة ما جعله لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار، وذلك رغم اشتغاله بالعلم والتأليف، وانصرف من كل شيء إلى الدعوة فقط، وتحوَّلت حياته إلى قلق واضطراب يعيش فيهما كل لحة، وأصبح التبليغ شعاره ودثاره، وقد تجشَّم في سبيل ذلك كل مشقَّة وشدَّة، وواجه كل عنت وإرهاق بوجه باسم وقلب خاشع، فاستمر في إلقاء الخطب والرحلات الدعوية. لقد نظَّم اجتماعات ولقاءات كثيرة بادىء ذي بَدْء في مدن الهند وباكستان وقراهما وأريافهما، وألقى فيها خطباً استغرقت ساعات طوالاً، ووجَّه الجماعات إلى خارج «دهلي» وكان يبذل كل وقته بدون كلل أو تعب في عمل الدعوة والتبليغ ما دام في مركز التبليغ بدهلي، إذ لم يكن يستريح في الليل والنهار إلا ساعتين أو ثلاثاً، أما بقية وقته فكان يقضيها في إلقاء الخطب، والكلام في المجالس، وحلقات التعليم، واجتماعات الشورى.

الرحلات الدعوية:

أما الرحلات التي قام بها الشيخ محمد يوسف لتعميم عمل الدعوة، والاجتماعات التي عقدها لنشر فكرة التبليغ في الناس فكثيرة لا يأتي عليها الحصر، إنه في خلال حياته الدَعَويَّة التي تمتد زهاء عشرين سنة عقد (٥٣) حفلاً كبيراً في مختلف مدن الهند الكبرى، وقام برحلات واسعة جداً، وسافر إلى باكستان الغربية والشرقية بعد التقسيم (١٦) مرة، وألقى فيها خطابات هامة في حفلات كبيرة منقطعة النظير، خرجت منها جماعات كثيرة إلى أنحاء بعيدة وأقطار نائية، وذلك عدا الاجتماعات العادية الكثيرة التي لا يمكن إحصاؤها.

الدعوة والتبليغ في الحجاز والأقطار العربية الأخرى:

كان الشيخ محمد يوسف جدُّ حريص على أن يرى عمل الدعوة والتبليغ ينتشر في مهد الإسلام مكة والمدينة، وينال من أهلها إقبالاً وعناية، وكان يعتقد أن هذه الدعوة إذا تأصلت جذورها في هذه الأرض المقدّسة تستطيع أن تنتشر

في العالم كله عن طريق المسلمين الذين يجتمعون فيها لتأدية فريضة الحج كل عام من جميع أنحاء العالم؛ ولذلك بدأ الشيخ محمد يوسف عمله أولاً في ميناء «كراتشي، وبمباي» حيث أقامت جماعات التبليغ تغرس فكرتها في الحجيج الذين يزورون مكة والمدينة، فإذا تشربوا فكرة الدعوة والتبليغ يتمكنون من التأثير في إخوانهم العرب، ويصبحون خير أداة لنشر الدعوة بينهم، ولم يكتف بذلك بل تجوَّل على البواخر في جماعات الحجاج، وأخذهم بالتعليم والتوجيه، ووصل إلى الحجاز، فزار مقرهم، وبعث العلماء فيهم يتناولونهم بالتربية، وأسست جماعات التبليغ، وأقيمت حلقات التعليم في الحرمين الشريفين.

ولمَّا تعدّدت رحلات جماعات التبليغ في الحجاز، وبدأ حجاج الأقطار العربية الأخرى يستأنسون بعمل التبليغ، طولب الشيخ من قبلهم بإرسال بعثات تبليغية، فاستجاب لنداء هاتيك الأقطار، وأرسل جماعات في أقطار عربية مختلفة، وأول الأقطار التي توجهت إليها الجماعات هي مصر، والسودان، والعراق، ولم تمضِ مدة طويلة حتى بدأ هذا العمل ترسخ قواعده في الأقطار العربية، ويستأنس به العامة والخاصة جميعاً، واتصلوا به، حتى خرج في سبيله العلماء مع العامّة، وتوافدوا على مركز «نظام الدين» التبليغيّ لدى الشيخ محمد يوسف في دهلي، كما بدأ الشيخ محمد يوسف بإرسال بعثات تبليغيّة إلى مختلف أنحاء آسيا وأفريقيا وأوربا عدا الأقطار العربية، وقد نفث في أعضاء هذه البعثات بكلامه المخلص الفياض روحاً ضافية، حثتهم على تحمِّل النفقات الباهظة التي تكلفها هذه الرحلات البعيدة.

الحج:

تشرّف الشيخ محمد يوسف بالحج ثلاث مرات: ففي المرة الأولى سافر للحج مع والده الشيخ محمد إلياس سنة ١٣٥٦ هـ، وفي المرة الثانية مع الشيخ حسين أحمد المدني عام ١٣٧٤ هـ، وقد تمكن في هذه الرحلة من عقد اجتماعات التبليغ واللقاء مع طبقة العلماء في شأن الدعوة، أما الحجة الثالثة ـ وهي الأخيرة ـ فقد تشرف بها في سنة ١٣٨٣ هـ قبل وفاته بعام ومعه جماعة كبيرة،

فاستطاع عقد اجتماعات كبيرة في الحجاز، والتجوال في القرى والمدن فيها، واللقاء مع الناس، كما بعث وفوداً كثيرة إلى الأقطار البعيدة، وقد كان عدد الجماعات التي سافرت إلى البلاد الأوربية (٢٦) جماعة، وقد أكرمه الله بإقبال الناس عليه في هذه الرحلة، فكان يستقبل الناس ـ علماءهم وعامتهم ـ من الصباح إلى المساء، ويتحدَّث معهم حول الدعوة بدون انقطاع أو كلل، وقد تمتع بعمرتين سوى الحج، فاعتمرت معه جماعات كثيرة من الأقطار المختلفة.

الوفاة:

قام الشيخ محمد يوسف برحلة طويلة إلى باكستان بعد عودته من الحج بعام، بدأها يوم ١٠ من شوال سنة ١٣٨٤ هـ المصادف لـ ١٢ فبراير ـ شباط ١٩٦٥ م، وانتهت بوفاته ـ رحمه الله ـ في أول إبريل ـ نيسان ـ ١٩٦٥م، وقد زار الشيخ محمد يوسف جميع المدن الكبرى في باكستان الشرقية والغربية كلتيهما وعقد فيها اجتماعات كبرى لا يوجد لها نظير في التاريخ القريب في كثرة الوافدين عليها والحاضرين فيها، وقد لقي الشيخ في هذه الرحلة من التنقلات إلى البلدان المجاورة، والخطابات في الحفلات، والكلام في المجالس، واللقاءات المستمرة مع العامة والخاصة، ما أتعب قلبه وكلَّ خاطره، وأثَّر على صوته المدوِّي المجلجل، وأورثه السعال والحمَّى. لكنه لم يبالِ بشيء من ذلك، واستمر في أداء واجبه رغم كلِّ هذا التعب والمرض، وأخيراً ألقى كلمة في حفل «بلاهور» قبل عودته إلى الهند بيوم على شدة مرضه وتعبه، ولقد اشتد مرضه بعد الانتهاء من إلقاء كلمته، فأسرع به الناس إلى مقرِّه، وما كاد يصل إليه حتى غُشي عليه، وظل يعاني من الشدة والألم طول الليل، وفي اليوم التالي ـ وكان يوم الجمعة ـ نُقل إلى المستشفى، ولكنه قبل أن يصل إليه استأثرت به رحمة الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان رحمه الله يردِّد قبل الوفاة هذه الكلمات «لا إله إلا الله، الحمد لله الذي أنجز وعده، لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، لا شيء قبله ولا شيء بعده» وحينما احتضر كان يردِّد الكلمة الطيبة

والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، وكانت تعلو البسمة على وجهه بعدما توفي.

وقد كان وصوله إلى المستشفى بعد الوفاة، فحاول الأطباء إسعافه، ولكن دون جدوى، واستيقن الناس بالوفاة، وساد الحزن على جميع الناس، وطار الخبر إلى البلد، واجتمع حشد من الناس إلى جنازته، وصلُّوا عليه في لاهور صلاتين، ثم حُمل جثمانه ليلاً إلى دهلي بالطائرة، وصلَّى عليه ما يقارب سبعين ألف مسلم عند شروق الشمس، وقد أمَّ بالناس فضيلة الشيخ المحدِّث محمد زكريا، ودفن بالجانب الغربي من قبر والده الشيخ محمد إلياس في نظام الدين بدهلي.

خَلْقُه وخُلُقُه:

كان الشيخ متوسط القامة، وضيء الوجه، ضخم الجثَّة، أسود اللحية، كثير الشعر، منبسط الوجه، في عينيه بريق وجاذبية، وكان يلفُّ رأسه بغترة، ويستعمل القلنسوة الهندية الساذجة؛ وكان ملبسه العادي: الإزار، والقميص الطويل، وأحياناً كان يلبس السراويل.

إذا رأيته أول مرة حسبته مستغرقاً في الفكر الطويل، وأخذتْك مهابةٌ عظيمة منه؛ ولكن سرعان ما تزول الهيبة ويحلُّ محلَّها الائتلاف والأنس، وكل جليس يعتقد أنه أقرب لديه من الآخرين. كان لا ينطق إلَّا بأمور الدين، ولا يسمع سوى الدين. كان صافي الذهن، مملوء الصدر باليقين والإخلاص. كان واسع العلم والمعرفة وخاصة فيما يختص بالعهد النبوي وعهد الصحابة والتابعين. كان دائم الابتسامة لكن قلبه يحترق هماً. كان يلفُّ كمَّه مرة ويحلُّه أخرى أثناء التكلم، وبعد قليل يتنفس الصُّعَداء؛ وذلك يزيده اضطراباً. من لم يرَ الشيخ عن قريب يصعب عليه إدراك حاله وخُلُقَه، ومن رآه عن قرب وصحبه عرف أنه كان آية من آيات الله في العصر الحاضر، وكان يسهل على الإنسان إدراك خلق النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بعد رؤيته وصحبته رحمه الله.

خصائصه ومميزاته:

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى الشيخ محمد يوسف بخصائص ثمينة جمّة،

ولا شكَّ أنَّ شغفه الزائد بالدعوة إلى الإيمان بالغيب، واتساع الانهماك، وقوة التأثير الذي تمتع به الشيخ محمد يوسف يتعذر نظيره في التاريخ المعاصر، وقد وجد في شخصيته الفذّة خصائص كثيرة علا فيها كعبه؛ فإنَّ قوةَ إيمانه وتوكلَه على الله، وهمتَه العالية وشجاعتَه، وصلاتَه الخاشعة، ودعاءَه الخالص، واطلاعَه الواسع على حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، واتصاله العميق بأحوالهم، واهتمامه البالغ باتباع السنَّة، وفهمَه للقرآن، واستخراجه لنتائج عظيمة من حياة الأنبياء عليهم السلام، وقوة جمعه بين الأعمال المتباينة من التأليف والدعوة، وقلقَه واضطرابَه، وإيمانَه وثقتَه بالله وتوكلَه عليه، وثقتَه بنفسه، ودعوتَه العامة، وحماسَه الخطابي، وصبرَه وعزيمتَه، وجهدَه المتواصل، وتواضعَه، واتصالَه الشديد بالله. ثم شدة إعجاب الناس به؛ كل ذلك نواح لامعة وصفات عظيمة في حياته، يصدّق بها أولئك الآلاف المؤلفة من الناس الذين قضَوا معه بعض الوقت، أو سعدوا برفقته في سفر.

إنه عندما كان يلقي كلمته حول صفات الله وذاته، وضآلة الأسباب، وصدق وعد الله؛ بأسلوبه الخطابي الأخّاذ ـ يحوِّل مستمعيه لمدة من الزمان من عالم المادة إلى عالم يقوم على الإيمان بالغيب وحده، وعندما كان يوجِّه الدعوة إلى الناس ويدعوهم إلى الله؛ يبهرهم بانهماكه الشديد في دعوته، وانصرافه التام إلى عقيدته؛ ولذلك كانت خطاباته وصحبته لهما تأثير عظيم في نفوس المجتمعين والوافدين عليه، فقد كانت تتغير حياتهم من أول يوم، حتى في الشكل والأخلاق والمعاشرة وطريق التفكير والكلام.

أما دعاؤه فكان له تأثير عجيب في النفوس، كان لا يترك الحاضرين إلا وأبكاهم أحرَّ البكاء، وجعلهم يتململون ويضطربون تململ السليم[1]، لا يتمالكون على أنفسهم، ولا يشعرون بما حولهم، ويرتج الجوُّ بصوت آمين.

لم يقتنع الشيخ بما أكرمه الله به من التوفيق والقوة والعزّة؛ بل إن قلقَه المتزايد، واضطرابَه الشديد، وسرعتَه النادرة؛ كل ذلك مكّنه من إنجاز الأعمال

(١) السليم: الملدوغ من حيّة أو عقرب.

في أقل مدة وأسرع وقت، وقد حالفه التوفيق؛ فافتتح إرسال الجماعات إلى أقطار جديدة وبلاد جديدة، وأصبح له العالم كله كوطنه الأصلي.

إنه نفخ في عبادة الحج روحاً جديدة، وجعلها وسيلة للدعوة والتبليغ، وعقد اجتماعات كبيرة حافلة حاشدة من الناس، تضاءلت أمامها المؤتمرات السياسية الكبيرة، وكل هذه الأعمال أنجزها الشيخ محمد يوسف في خلال عشرين عاماً فقط، واهتدى به خلق كثير، أنعم الله عليهم بالورع والتذوُّق في العبادة والعاطفة الجيّاشة عن طريقه رحمه الله.

خواطره وأحاسيسه:

كان الشيخ محمد يوسف يرى أنَّ الحفلات العامة، ودراسة الكتب، لا يغيِّران وحدهما في الوضع، ولا يبعثان دافع الإيمان. والثقة في النفس، لذا كان يرى أنه لا بدَّ من تغيير الباطن، وتزكية الأخلاق والأعمال، وإجلال العلم والعلماء، والثورة الدينية في النظام كله، والتضحية والكفاح، والاتصال بالله، وتحمّل المشاق في سبيله، واحترام الأصول والمبادىء، والاجتماعات الدينية والاتصال بالجماهير، وتشكيل الجماعات، ومطالبة الناس ببذل النفس والمال في سبيل الله، وحلقات التعليم، والشورى والدعاء، وقد مرّ هو نفسه بهذا الطريق، ومهده لكثير من الناس.

مؤلفاته:

وكان له شغف كبير بتأليف الكتب، على الرغم من جميع الأعمال التي كان له فيها سهم كبير، وكان رائدها. ومن الجدير بالذكر في مؤلفاته كتابان: أحدهما «أماني الأحبار» الذي يحتوي على مجلدات ضخمة، وهذا الكتاب دليل على سَعَة اطلاعه على الحديث والآثار، وعمق نظره في الفقه والمعرفة. ثانيهما «حياة الصحابة» وفيه شهادة كافية على تبحُّره في السيرة النبوية، وأحوال الصحابة، ولا شك أنه ذخيرة علمية نادرة، ومرآة لحياة الصحابة الدعوية وسلوكهم وأخلاقهم. إن لهذا الكتاب تأثيراً أي تأثير!!

أهله وأولاده:

خلَّف الشيخ محمد يوسف ولداً نجيباً اسمه «الشيخ محمد هارون» وهو يسير على طريقة والده ويتأسّى به، وزوجته ووالدته التي توفيت بعد وفاته بخمسة أشهر، وكانت رحمها الله لا نظير لها في زمانها في الورع والتقوى.



بين يدي الكتاب

١ ـ الآيات القرآنية في طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ.
٢ ـ الأحاديث في طاعة النبي ﷺ واتّباعه واتّباع خلفائه رضي الله عنهم.
٣ ـ الآيات القرآنية في النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.
٤ ـ قوله تعالى في أصحاب النبي عليه السلام.
٥ ـ ذكر الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في الكتب المتقدِّمة على القرآن.
٦ ـ الأحاديث في صفة النبي ﷺ.
٧ ـ الآثار في صفة الصحابة الكرام رضي الله عنهم.



بين يدي الكتاب

١ ـ الآيات القرآنية في طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ

﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين. الرحمن الرحيم. مٰلكِ يومِ الدين. إياكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نستعين. اهدنا الصِّراطَ المستقيمَ. صراطَ الذين أنْعمتَ عليهم، غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضَّـالين ﴾. قال الله تعالى: ﴿ إنَّ اللهَ ربِّي وربُّكم فاعبدوهُ هذا صراطٌ مستقيمٌ ﴾[١]. وقال الله تعالى: ﴿ قل إنَّني هداني ربِّي إلى صراطٍ مستقيمٍ ؛ ديناً قِيَماً[٢] ملَّة إبراهيمَ حنيفاً[٣] وما كان من المشركين. قُلْ إنَّ صلاتي ونُسُكي[٤] ومحيايَ ومماتي لله ربِّ العالمين. لا شـريكَ له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أولُ المسلمين ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ قل يا أيها الناسُ إنِّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الذي له ملكُ السماواتِ والأرضِ لا إلـه إلا هُوَ يُحيي ويُميت، فآمنوا باللهِ ورسولِه النبيِّ الأميِّ الذي يُؤمن باللهِ وكلماتِه واتَّبعوه لعلكم تهتدون ﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿ وما أَرسلنا من رسول إلا ليُطاعَ بإذنِ الله، ولو أنَّهم إذْ ظلموا أنفسَهُم جاؤوك فاستغفروا اللهَ واستغفرَ لهم الرسولُ لوجدوا اللهَ توّاباً رحيماً ﴾[٧]. وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ ورسولَه ولا تَوَلَّوْا عنهُ وأنتم تسمعون ﴾[٨]. وقال: ﴿ وأَطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم

---

(١) سورة آل عمران: ٥١.
(٢) قيماً: ثابتاً مُقَوِّماً لأمور معاشهم ومعادهم.
(٣) حنيفاً: مائلاً عن الضلال إلى الاستقامة.
(٤) نسكي: عبادتي.
(٥) سورة الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣
(٦) سورة الأعراف: ١٥٨.
(٧) سورة النساء: ٦٤.
(٨) سورة الأنفال: ٢٠.

تُرحمون ﴾[١]. وقال: ﴿ وأَطيعوا الله ورسوله ولا تنـازعوا فتفشلوا[٢] وتذهبَ ريحُكم، واصبروا إنَّ الله مع الصابرين ﴾[٣]. وقال: ﴿ يا أَيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكُم فإن تنازعتُم في شيءٍ فردُّوه إلى اللهِ والرسولِ إنْ كنتم تؤمنون باللهِ واليـومِ الآخر؛ ذلـك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ إنَّما كانَ قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى اللهِ ورسولِه ليحكُمَ بينهم أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا وأُولئك هم المفلحون. ومن يُطِع الله ورسولَه ويخشَ الله ويتَّقْهِ فأولئك هم الفائزون ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ قل أَطيعوا اللهَ وأَطيعوا الرسولَ، فإن تَوَلّوا[٦] فإنَّما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلْتُم، وإن تُطيعوه تَهتدوا وما على الرسولِ إلا البلاغُ المبينُ. وعدَ اللهُ الذين آمنوا منكُم وعملوا الصالحاتِ ليسْتخْلِفنَّهم في الأرض كما استخلَفَ الذينَ من قبلهم، وليُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم، وليُبَدِّلنَّهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونَني لا يُشـركون بي شيئاً، ومن كَفَرَ بعد ذلك فأولئـك هم الفاسقون. وأَقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأَطيعوا الرسولَ لعلَّكم تُرحمون ﴾[٧]. وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا[٨]. يُصْلِحْ لكم أعمالَكم ويغفرْ لكم ذنـوبكم، ومن يُطِعِ اللهَ ورسـولَه فقـد فاز فـوزاً عظيماً ﴾[٩]. وقال: ﴿ يا أَيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكُم واعلموا أنَّ الله يحولُ بين المرءِ وقلبِه وأنَّه إليه تُحشرون ﴾[١٠]. وقال: ﴿ قل أَطيعوا اللهَ والرسولَ فإن تولَوْا فإنَّ اللهَ لايحبُّ الكافرين ﴾[١١] وقال تعالى: ﴿ من يُطِعِ الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ، ومن تولى فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً ﴾[١٢]. وقال تعالى: ﴿ ومن يُطِعِ اللهَ والرسول فأُولئكَ مع الذين أنعَمَ

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٢.
(٢) الفشل: ضعف مع جبن.
(٣) سورة الأنفال: ٤٦.
(٤) سورة النساء: ٥٩.
(٥) سورة النور: ٥١ ـ ٥٢.
(٦) تولَّوا: أعرضوا. وقيل بينهما فرق لأن التولي بالجسم والإعراض بالقلب.
(٧) سورة النور: ٥٤ ـ ٥٦.
(٨) سديداً: ذا السداد القاصد إلى الحق.
(٩) سورة الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.
(١٠) سورة الأنفال: ٢٤.
(١١) سورة آل عمران: ٣٢.
(١٢) سورة النساء: ٨٠.

اللهُ عليهم من النبيِّين والصدِّيقينَ والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقاً. ذلك الفضلُ من الله وكفى بالله عليماً ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ ومن يُطِعِ اللهَ ورسولَه يُدْخِلْهُ جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها وذلك الفوزُ العظيمُ. ومن يَعصِ اللهَ ورسولَه ويتعدَّ حدودَه يدخلْهُ ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مهينٌ ﴾[٢]. وقال تعالى: يسئلونكَ عن الأنفالِ، قُل الأنفالُ للهِ والرّسولِ، فاتقوا اللهَ، وأصلحوا ذاتَ بينكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتُم مؤمنين. إنما المؤمنونَ الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وجلَتْ[٣] قلوبُهم، وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتْهُم إيماناً، وعلى ربهم يتوكلون. الذين يُقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقّاً، لهم درجات عندَ ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ؛ يأمرونَ بالمعروفِ، وينهَونَ عن المنكَرِ، ويقيمون الصلاةَ، ويؤتون الزكاةَ، ويُطيعون اللهَ ورسولَه، أولئك سيرحَمُهُمُ اللهُ إن اللهَ عزيزٌ حكيمٌ ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إن كنتم تحبُّون اللهَ فاتَّبعوني يُحبِبْكُم اللهُ ويغفرْ لكم ذنوبَكُم واللهُ غفورٌ رحيمٌ ﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿ لقد كان لكُم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذكر الله كثيراً ﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿ وما آتاكُم الرسولُ فخُذوهُ وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[٨].

٢ ـ الأحاديث في طاعة النبي ﷺ واتّباعه واتّباع خلفائه رضي الله عنهم

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله، ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:[٩] «كل

(١) سورة النساء: ٦٩ ـ ٧٠.
(٢) سورة النساء: ١٣ ـ ١٤.
(٣) وجلت: فزعت.
(٤) سورة الأنفال: ١ ـ ٤.
(٥) سورة التوبة: ٧١.
(٦) سورة آل عمران: ٣١.
(٧) سورة الأحزاب: ٢١.
(٨) سورة الحشر: ٧.
(٩) الحديث المرفوع هو «ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصفٍ» هذه عبارة جمهرة العلماء في تعريفه وارتضاها النووي.

أُمتي يدخلون الجنة إلا من أَبى، من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أَبى» كذا في «الجامع» (٢/٢٣٣).

وأخرج البخاري أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً. قال بعضهم: إنَّه نائم، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمة والقلب يقظان[١]، فقالوا: مَثَلُه[٢] كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدُبة[٣] وبعث داعياً؛ فمن أَجاب الداعي دخل الدار وأَكل من المأدُبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدُبة. فقالوا: أَوِّلُوها[٤] له يفقَهْها، قال بعضهم: إنَّه نائم، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: الدار الجنة[٥]، والداعي محمد، فمن أَطاع محمداً فقد أَطاع الله[٦]، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فَرْقٌ[٧] بين الناس.

وأخرج الدارمي عن ربيعة الجَرَشي رضي الله عنه بمعناه، كما في «المشكاة» (ص ٢١). وأخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أَتى قوماً فقال: يا قوم، إنِّي رأَيت الجيش بعيني، وإني أَنا النذير العُريان[٨]، فالنَّجاءَ، فالنَّجاءَ[٩] فأَطاعه طائفة من قومه فأَدلجوا[١٠] فانطلقوا على مهلهم

(١) يقال رجل يقظان إذا كان فيه معرفة وفطنة، (وأقول: هذا شأن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم).

(٢) أي بين ربه سبحانه وبين أمته.

(٣) مأدبة: طعام يصنع لدعوة أو عرس. ويقال في لفظها: مأدُبة ومأدَبة بضم الدال وفتحها.

(٤) أوِّلوها: فسروها له يفهمها.

(٥) وصاحبها هو الله سبحانه.

(٦) لأن الوليمة في دار الله وهو الذي يدعو إليها على لسان محمد ﷺ.

(٧) فَرْقٌ: أي فارق فأتباعه حزب الله ومخالفوه حزب الشيطان.

(٨) خص العريان لأنه أبين للعين وأغرب وأشنع عند المبصر، وذلك أن ربيئة القوم وعينهم يكون على مكان عال فإذا رأى العدو قد أقبل نزع ثوبه وألاح به لينذر قومه ويبقى عرياناً.

(٩) النَّجاء، النَّجاء: أي انجوا بأنفسكم، وهو مصْدر منصوب بفعل مضمر أي انجوا النجاء، وتكراره للتأكيد.

(١٠) أدلجوا: يقال أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل، وادّلَجَ بالتشديد إذا سار من آخره.

فنَجَوا، وكذّبت طائفة منهم فأَصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأَهلكهم واجتاحهم؛ فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق».

وأخرج الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي كما أَتى على بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ[1]»؛ حتى إنْ كان منهم من أَتى أمه علانية لكان في أُمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إِسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملَّة، كلُّهم في النار إلا ملَّة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أَنا عليه وأصحابي».

وأخرج الترمذي وأبو داود ـ واللفظ له ـ عن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أَقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت[2] منها العيون ووجلت[3] منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأَنَّ هذه موعظة مودِّع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً؛ فإنَّه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، تمسّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ[4]، وإياكم ومحدَثات الأمور فإنَّ كل مُحْدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

وأَخرج رَزِين عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: سأَلت ربِّي عن اختلاف أَصحابي من بعدي، فأوحى إِليّ: يا محمد، إنَّ أَصحابك عندي بمنزلة النجوم من السماء بعضها أَقوى من بعض ولكلٍّ نور، فمن أَخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى»، وقال: «أَصحابي كالنجوم بأَيهم اقتديتم

---

(١) حَذْو النعل بالنعل: حَذَا النعل بالنعل: أي قدَّر كلَّ واحدة منهما على صاحبتها، ومعنى العبارة أن المسلمين سيفعلون كفعل اليهود اقتداء بهم.

(٢) ذرفت: سالت: يقال ذرفت العين إذا جرى دمعها. (٣) وجلت: فزعت.

(٤) النواجذ من الأسنان: الضواحك وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان.

اهتديتم»، كذا في جمع الفوائد (٢/٢٠١).

وأخرج الترمذي عن حُذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «إنِّي لا أدري قَدْر بقائي فيكم فاقتدوا باللَّذيْن من بعدي - وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - واهتدوا بِهَدْي عمَّار، وما حدَّثكم ابن مسعود فصدِّقوه».

وأخرج أيضاً عن بلال بن الحارث المُزَني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا سنّة من سنّتي قد أُميتت بعدي فإن له من الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً». وأخرج ابن ماجه أيضاً نحوَه عن كَثير ابن عبدالله بن عمرو عن أبيه عن جده.

وأخرج الترمذي أيضاً عن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدين ليأرِز إلى الحجاز كما تأرِز[1] الحيّة إلى جُحْرها، وليَعْقِلَنَّ الدين من الحجاز مَعْقِل الأُرْوِيَّة[2] من رأس الجبل. إنَّ الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء وهم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي».

وأخرج أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، إن قَدَرْتَ أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غُشٌّ لأحد فافعل، ثم قال: يا بني، وذلك من سنَّتي، ومن أَحب سنتي فقد أحبني، ومن أَحبني كان معي في الجنة».

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «من تمسك بسنَّتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد». ورواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه إلا أنه قال: «فله أجر شهيد»، كذا في الترغيب (١/٤٤).

وأخرج الطبراني وأبو نُعَيْم في الحِلية عن أبي هريرة رضي الله عنه:

(١) تأرز: ينضم ويجتمع بعضها إلى بعض.

(٢) أي الأيِّل، وقيل غنم الجبل. والأيِّل: حيوان من ذوات الظلف وللذكور منه قرون متشعبة.

«المتمسك بسنَّتي عند فساد أمتي له أجر شهيد».

وأخرج الحكيم[١] عنه: «المتمسك بسنَّتي عند اختلاف أُمتي كالقابض على الجمر» كذا في كنز العمال (١/٤٧).

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «من رغب عن سَنَّتي فليس مني». وأخرجه ابن عساكر عن ابن عمر وزاد في أوله: «من أخذ بسنتي فهو مني».

وأَخرج الدارقطني عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «من تمسك بالسنَّة دخل الجنَّة».

وأخرج السَّجْزي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «من أَحيا سنَّتي فقد أحبَّني ومن أحبَّني كان معي في الجنة».

٣ ـ الآيات القرآنية في النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

قال الله تعالى: ﴿ ما كان محمدٌ أَبا أَحدٍ من رجالكُم، ولكِنْ رسولَ الله وخاتم النبيِّين، وكان اللهُ بكل شيء عليماً ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ يا أيها النبيُّ إِنَّا أَرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً. لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزِّرُوهُ وتوقِّرُوهُ وتسبِّحوه بُكْرةً وأَصيلاً ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرسلناك بالحقِّ بشيراً ونذيراً ولا تُسأَل عن أصحاب الجحيم ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ إنا أرسلناك بالحقِّ بشيراً ونذيراً ﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿ وإنْ مِنْ أُمةٍ إِلَّا خَلَا فيها نذيرٌ ﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿ وما أَرسلناك إلَّا كافَّة للناس بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾[٨]. وقال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إِلَّا مُبشِّراً

(١) هو الحكيم الترمذي صاحب كتاب نوادر الأصول في الحديث والأخلاق والآداب وهو غير الترمذي صاحب السنن.
(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.
(٣) سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.
(٤) سورة الفتح: ٨ ـ ٩.
(٥) سورة البقرة: ١١٩.
(٦) سورة فاطر: ٢٤.
(٧) سورة فاطر: ٢٤.
(٨) سورة سبأ: ٢٨.

ونذيراً ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودين الحق ليظهِرَهُ على الدين كلِّه ولو كره المشركون ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ ويوم نبعثُ في كل أُمة شهيداً عليهم مِنْ أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء، ونزَّلنا عليك الكتابَ تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكونَ الرسول عليكم شهيداً ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكراً. رسولاً يتلو عليكم آياتِ الله مُبَيِّناتٍ ليُخرجَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور، ومن يؤمنْ بالله ويعملْ صالحاً يُدْخلْهُ جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿ لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتِه، ويزكِّيهم، ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبينٍ ﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتِنا، ويزكِّيكُم، ويعلمُكُم الكتاب والحكمة ويعلمُكُم ما لم تكونوا تعلمون. فاذكروني أذكرْكُم واشكروا لي ولا تكفرونِ ﴾[٨]. وقال تعالى: ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكُم عزيزٌ عليه ما عنِتُّم، حريصٌ عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيمٌ ﴾[٩]. وقال تعالى: ﴿ فبما رَحْمةٍ من الله لِنْتَ لهم، ولو كنتَ فظًّا[١٠]غليظ القلب لانفضُّوا من حولك، فاعْفُ عنهم، واستغفرْ لهم، وشاورْهُم في الأمر، فإذا عزمتَ فتوكَّلْ على الله إنَّ الله يحب المتوكلين ﴾[١١].وقال تعالى: ﴿ إلَّا تنصروهُ فقد نصرهُ الله، إذ أخرجَهُ الذين كفروا ثانيَ اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول

(١) سورة الفرقان: ٥٦.
(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.
(٣) سورة الصف: ٩.
(٤) سورة النحل: ٨٩.
(٥) سورة البقرة: ١٤٢.
(٦) سورة الطلاق: ١٠ ـ ١١.
(٧) سورة آل عمران: ١٦٤.
(٨) سورة البقرة: ١٥١ ـ ١٥٢.
(٩) سورة التوبة: ١٢٨.
(١٠)الفظ: الكريه الخُلُق: مستعار من الفظ أي ماء الكرش وذلك مكروه شربه لا يُتناول إلا في أشد ضرورة.
(١١)سورة آل عمران: ١٥٩.

لصاحبه لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا، فأنزلَ اللهُ سكينَتَه عليه، وأيَّدَهُ بجنودٍ لم تروْها، وجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى، وكلمةُ اللهِ هي العليا، واللهُ عزيزٌ حكيمٌ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ محمدٌ رسولُ اللهِ، والذينَ معهُ أشدّاءُ على الكفارِ رُحماءُ بينهم، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يَبتغون فَضْلاً مِنَ اللهِ ورِضواناً سيماهُم في وجوههم مِن أثَرِ السجودِ، ذلك مثلُهُم في التوراةِ، ومثلُهم في الإنجيلِ كَزرعٍ أخرجَ شَطْأَه[٢] فآزَرَهُ[٣] فاستغلظَ فاستوى على سُوقه، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ[٤] ليغيظَ بهمُ الكفّار، وعد اللهُ الذين آمنوا وعَملوا الصالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾[٥]. وقال اللهُ تعالى: ﴿ الذينَ يتَّبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونَه مكتوباً عندهم في التوراةِ والإنجيلِ، يأمرُهم بالمعروفِ وينهاهُم عن المنكَرِ، ويُحلُّ لهم الطيباتِ ويحرِّمُ عليهم الخبائثَ، ويضعُ عنهم إصْرهُم والأغلالَ التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزَّروه[٦] ونصروهُ واتبعوا النورَ الذي أُنزلَ معه أولئك همُ المفلحون ﴾[٧].

٤ ـ قوله تعالى في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام

﴿ لقد تابَ اللهُ على النبي والمهاجرين والأنصارِ الذين اتَّبعوهُ في ساعةِ العُسْرةِ[٨] من بعد ماكـاد يَزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم، ثم تابَ عليهم إنَّه بهم رؤوفٌ رحيمٌ. وعلى الثلاثةِ الذين خُلِّفُوا؛ حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبتْ، وضاقتْ عليهم أنفسُهُم، وظنُّوا أنْ لا ملـجأَ من اللهِ إلَّا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا إنَّ اللهُ هو التوابُ الرحيمُ ﴾[٩]. وقال تعالى: ﴿ لقد رضيَ اللهُ عن المؤمنين إذْ يُبايعونَك تحت الشجرةِ، فعلمَ ما في قلوبهم، فأنزلَ السكينةَ عليهم وأثابَهم فتحاً قريباً. ومغانمَ كثيرةً يأخذونها وكان اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾[١٠]. وقال تعالى: ﴿ والسابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصارِ

---

(١) سورة التوبة: ٤٠.
(٢) شطء الزرع: فروخ الزرع، وهو ما خرج منه.
(٣) آزره: أعانه وقواه، وأصله من شد الإزار.
(٤) الزُرّاع: جمع زارع.
(٥) سورة الفتح: ٢٩.
(٦) عزروه: أعانوه ونصروه ووقّروه.
(٧) سورة الأعراف: ١٥٧.
(٨) ساعة العسرة: أي غزوة تبوك.
(٩) سورة التوبة: ١١٧ ـ ١١٨.
(١٠) سورة الفتح: ١٨ ـ ١٩.

والذين اتبعوهُم بإحسان، رضي الله عنهم ورَضُوا عنهُ، وأعدّ لهم جنَّاتٍ تجري تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبداً ذلك الفوزُ العظيمُ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ للفقراء المهاجرينَ الذين أُخرِجوا مِنْ ديارِهم وأموالهم يبتغون فَضْلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسولَه، أولئك هُمُ الصادقون. والذين تبوَّؤا الدارَ والإيمان مِنْ قَبْلِهم، يحبُّون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صُدورهم حاجَةً مما أُوتوا، ويُؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة[٢]، ومن يُوقَ شُحَّ[٣] نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ اللهُ نزَّلَ أحسنَ الحديث؛ كتاباً مُتَشابِهاً، مثانِيَ تقشَعِرُّ[٥] منهُ جلود الذين يخشَون ربهم ثم تلينُ جلودُهُم وقلوبُهم إلى ذكر الله، ذلك هُدَى الله يهدي به مَنْ يشاء، ومن يُضْلِلِ اللهُ فما له من هاد ﴾[٦]. وقال تعالى: ﴿ إنَّما يُؤمن بآياتِنا الذين إذا ذُكِّروا بها خَرُّوا سُجَّداً وسَبَّحوا بحمدِ ربِّهم وهُمْ لا يَستكبرون. تتجافى جنُوبُهم عن المضاجعِ يَدْعُون ربهم خَوْفاً وطَمَعاً ومما رزقناهم يُنفقون، فلا تعلم نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أعْيُن جَزَاءً بما كانوا يعملون ﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿ وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائرَ الإثْم والفواحشَ وإذا ما غَضِبوا هم يَغفرون. والذين استجابوا لربِّهم وأقاموا الصلاة وأمرهُم شورى بينهم ومما رزقناهم يُنفقون. والذين إذا أصابهم البَغْيُ هُمْ ينتصرون ﴾[٨]. وقال تعالى: ﴿ مِنَ المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضَى نَحْبه ومنهم من يَنتظر وما بدَّلوا تبديلاً. ليجزيَ الله الصادقين بصدْقهم ويعذِّبَ المنافقين إنْ شاء أو يتوبَ عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾[٩]. وقال تعالى: ﴿ أمَّنْ هُوَ قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحْذَرُ الآخرة ويرجو رحمةَ ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[١٠].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٠.
(٢) الخصاصة: الفقر الذي لم يُسَدّ.
(٣) الشُّحّ: أي البخل مع حرص.
(٤) سورة الحشر: ٨ ـ ٩.
(٥) تقشعرُّ: أي يعلوها قشعريرة.
(٦) سورة الزمر: ٢٣.
(٧) سورة السجدة: ١٥ ـ ١٧.
(٨) سورة الشورى: ٢٦ ـ ٢٩.
(٩) سورة الأحزاب: ٢٣ ـ ٢٤.
(١٠) سورة الزمر: ٩.

٥ ـ ذكر الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في الكتب المتقدمة على القرآن

أخرج أحمد عن عطاء بن يَسَار قال: لقيتُ عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفاتِ رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجلْ. والله إنه لموصوفٌ في التوراة بصفته في القرآن: (يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً، ومبشِّراً، ونذيراً، وحِرزاً للأُمِّيين[1]، أنت عبدي ورسولي، سميتُك المتوكِّل، لا فَظٌّ ولا غليظٌ ولا صخَّابٌ في الأسواق، ولا يدفعُ بالسيئةِ السيئةَ ولكن يعفو ويغفرُ، ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملّة العوجاءَ بأن يقولوا لا إله إلا الله، يفتحُ به أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً). وأخرجه البخاري نحوه عن عبدالله، والبيهقي عن ابن سَلَام، وفي رواية: «حتى يقيم به الملّة العوجاء». وأخرجه ابن إسحاق عن كعب الأحبار بمعناه. وأخرجه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها مختصراً؛ وذكر وَهْب بن مُنَبِّه أنّ الله تعالى أوحى إلى داود في الزبور: «يا داود، إنَّه سيأتي من بعدك نبيٌّ اسمه أحمد ومحمد، صادقاً سيّداً، لا أغضب عليه أبداً ولا يغضبني أبداً، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأمته مرحومة؛ أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء... إلى أن قال: يا داود، إنِّي فضلت محمداً وأمته على الأمم كلِّها». كذا في البداية (٢/٣٢٦).

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (٥/٣٨٦) عن سعيد بن أبي هلال أنَّ عبدالله بن عمرو قال لكعب: أخبرني عن صفة محمد ﷺ وأمته، قال: أجدُهم في كتاب الله تعالى: (إنَّ أحمد وأمته حمَّادون يحمدون الله عز وجل على كل خير وشر، يكبِّرون الله على كل شَرَفٍ[2]، ويسبِّحون الله في كل منزل، نداؤهم في جو السماء، لهم دويٌّ[3] في صلاتهم كدويِّ النحل على

(١) حرزا للأميين: حصناً للعرب الأميين.
(٢) شرف: مكان عالٍ.
(٣) الدوي: أي الصوت ليس بالعالي.

الصخر، يَصُفُّون في الصلاة كصفوف الملائكة، ويَصُفُّون في القتال كصفوفهم في الصلاة. إذا غَزَوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد. إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظلاً - وأشار بيده - كما تظلُّ النسور على وكورها، لا يتأخرون زحفاً أبداً). وأخرجه أيضاً بإسناد آخر عن كعب بنحوه وفيه: «وأمته الحمَّادون يحمدون الله على كل حال ويكبِّرونه على كل شَـرَف، رُعاة الشمس[1]، يصلُّون الصلوات الخمس لوقتهن ولو على كُنَاسة[2]، يأتزرون على أوساطهم ويوضِّئون أطرافهم». وأخرج أيضاً بإسناد آخر عن كعب مطوَّلاً.

٦ - الأحاديث في صفة النبي ﷺ

أخرج يعقوب بن سفيان الفَسَوي الحافظ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وصَّافاً - عن حِلْية رسول الله ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلَّق به، فقال:

كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يتلألأ وجهه تلألؤَ القمر ليلة البدر. أطولَ من المربوع[3] وأقصر من المشذَّب[4]. عظيم الهامة[5]. رَجْل[6] الشعر، إذا تفرقت عقيصته[7] فَرَق، وإلا فلا يجاوز شعرُه شحمةَ أذنيه إذا وفَّره. أزهر اللون. واسع الجبين. أزجُّ الحواجب[8]، سوابغ في غير قَرَن، بينهما عِرْق

(١) رعاة الشمس: يراقبون الشمس من أجل صلواتهم. (٢) كناسة: قمامة.

(٣) المربوع: ما بين الطويل والقصير على حد سواء.

(٤) المشذَّب: الطويل البائن الطول مع نقص لحمه.

(٥) الهامة: الرأس.

(٦) رَجل: بكسر الجيم وسكونها أي كان بين الجعودة والسبوطة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ما فيه تكسّر قليل.

(٧) العقيصة: الشعر المعقوص وهو نحو من المضفور، وأصل العقص اللَّي وإدخال أطراف الشعر في أصوله. وأقول: الصحيح أن العبارة هي: [إن انفرقت عقيقته] أما كلمة عقيصته فهي تصحيف عن عقيقته والرسول عليه السلام لم يكن له عقيصة ومعنى كلمة عقيقة: شعر.

(٨) الزجج: تقوس الحاجبين مع طول، كما في القاموس، أو دقة الحاجبين مع سبوغهما، كما في الفائق.

يُدِرُّه[١] الغضب. أقنى[٢] العِرنين[٣]، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمّ[٤]. كَثُّ اللحية[٥]. أدعج[٦]. سهل الخدين. ضليع الفم[٧]. أشنب[٨]، مُفَلَّجَ[٩] الأسنان. دقيق المَسربة[١٠]. كأن عنقه جيد دُمية[١١] في صفاء الفضة، معتدلَ الخَلْق. بادناً[١٢] متماسكاً[١٣]. سَوَاء البطن والصدر. عريض الصدر. بعيدَ ما بين المنكبين. ضخم الكراديس[١٤]. أنورَ المتجرد[١٥]. موصولَ ما بين اللبة والسُّرَّة بشعر يجري كالخط. عاري الثديَيْن والبطن مما سوى ذلك. أشعرَ الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر. طويلَ الزندين. رَحْبَ الرَّاحة. سبط القصب[١٦]. شَثْن[١٧] الكفَّين والقدمين. سائل الأطراف[١٨]. خُمْصان الأخْمَصَين[١٩]. مسيح[٢٠] القدمين، ينبو عنهما الماءُ. إذا

---

(١) يدرّه: من الإدرار، أي يجعله الغضب ممتلئاً دماً.

(٢) القنا: طول الأنف ودقّة أرنبته وحَدَب في وسطه.

(٣) العرنين: ما صلب من الأنف، أو كله، أو ما تحت مجتمع الحاجبين وهو أوله حيث يكون الشمُّ، وجمعه عرانين.

(٤) الشمم: ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه.

(٥) كث اللحية: أي عظيمها.

(٦) أدعج: أي شديد سواد العين.

(٧) رجل ضليع الفم: عظيمه وواسعه، والعرب تحمد سَعَة الفم وتذم صغره.

(٨) الشَّنَب: رقة الأسنان وماؤها، وقيل رونقها.

(٩) الفلج في الأسنان: تباعد ما بين الثنايا.

(١٠) المسربة: الشعر المستدق ما بين اللبَة والسُرّة.

(١١) الدمية: الصورة المتخذة من نحو رخام أو عاج.

(١٢) بادناً: سميناً سمناً معتدلاً.

(١٣) متماسكاً: التماسك ضد الاسترخاء.

(١٤) الكراديس: أي رؤوس العظام.

(١٥) أنور المتجرد: أي أن الأعضاء التي تجردت عن الشعر فيها نور.

(١٦) سبط القصب: أي مستقيم العظام الفارغة الجوف.

(١٧) شثن الكفَّين: أي غليظ الأصابع والراحة.

(١٨) سائل الأطراف: أي طويلها مع اعتدال واستقامة.

(١٩) الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخُمصان: المبالغ فيه، أي أن ذلك شديد التجافي عن الأرض.

(٢٠) مسيح القدمين: أي أملسهما ليس فيهما تكسر ولا شقاق.

زال زال قَلْعاً[١]. يخطو تكفُّؤاً[٢] ويمشي هوناً. ذَرِيع[٣] المِشية، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صبب[٤]. وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه[٥]، ويبدأ من لقيه بالسلام».

قلت: صفْ لي منطقه، قال: «كان رسولُ الله ﷺ متواصلَ الأحزان. دائمَ الفكرة. ليست له راحة. لا يتكلّم في غير حاجة. طويلَ السكوت. يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه[٦]. يتكلم بجوامع الكلم. كلامه فَصْل[٧] لا فضول ولا تقصير[٨]. دَمِث[٩]. ليس بالجافي ولا المَهين، يعظِّم النِّعمة وإن دقَّت، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه. ولا يقوم لغضبه - إذا تُعرِّض للحق - شيءٌ حتى ينتصر له. وفي رواية: لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تُعرِّض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له. لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفِّه كلِّها، وإذا تعجَّب قَلَبها، وإذا تحدَّث يصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى. وإذا غضب أعرض وأشاح[١٠]. وإذا فرح غضَّ طرفه، جُلُّ ضحكِه التبسُّم، يفترُّ[١١] عن مِثْل حبِّ الغَمام[١٢].

قال الحسن: فكتمتُها الحسنَ بن علي[١٣] زماناً ثم حدَّثته فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألتُه عنه ووجدتُه قد سأل أباه عن مَدْخله ومَخْرجه ومجلسه وشكله فلم يدعْ منه شيئاً.

(١) قلعاً: أي رفع رجله عن الأرض رفعاً بائناً بقوة لا كَمَنْ يمشي اختيالاً ويقارب خطاه تبختراً.

(٢) يخطو تكفؤاً: يتجه إلى الأمام.

(٣) ذريع المشي: أي سريع المشي.

(٤) صبب: أي موضع منحدر.

(٥) يسوق أصحابه: يمشي خلفهم ويقول لهم: خلُّوا ظهري للملائكة. أي إن الملائكة تحرسه.

(٦) الأشداق: جمع شدق أي جوانب الفم.

(٧) كلامه فصل: يتكلم بكلام مفصول عن بعضه البعض «لو عدّه العادُّ لأحصاه».

(٨) لا فضول ولا تقصير: لا يزيد عن الحاجة ولا يقصر عنها.

(٩) دمث: أراد به أنه كان لين الخلق في سهولة، وأصله من الدمث وهو الأرض السهلة الرخوة.

(١٠) أشاح: أي بالغ في الإعراض.

(١١) يفترُّ: أي يضحك.

(١٢) حب الغمام: البَرَد.

(١٣) هكذا في الأصل، ولعله الحسين بن علي.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: «كان دخولُه لنفسه مأذوناً له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ دخولَه ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزَّأ جزءاه بينه وبين الناس فردَّ ذلك على العامة والخاصَّة لا يـدَّخر عنهم شيئاً. وكان من سيرته في جزء الأمّة إيثار أهل الفضل بإذنه وقَسْمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول: «ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته؛ فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة»، لا يُذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيرَهُ، يدخلون عليه رُوّاداً[1] ولا يفترقون إلاَّ عن ذَواق[2] - وفي رواية: ولا يفترقون إلا عن ذوق - ويخرجون أدلّة - يعني على الخير -.

قال: وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: «كان رسول الله ﷺ يخزُن لسانه إلا بما يعنيه. ويؤلِّفهم ولا ينفرهم. ويكرم كريم كل قوم ويولِّيه عليهم. ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بِشْرَه[3] ولا خُلُقَه. يتفقَّد أصحابه، ويسأل الناس عمَّا في الناس، ويحسِّن الحسن ويقوِّيه، ويقبِّح القبيح ويُوَهِّيه[4]. معتدل الأمر غير مختلف. لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا. لكلِّ حال عنده عتاد[5]. ولا يقصِّر عن الحق ولا يجوزه. الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة[6].

قال: فسألته عن مجلسه كيف كان؟ فقال: «كان رسول الله ﷺ

(١) روَّاداً: جمع رائد وهو الذي يرتاد الخير للناس.
(٢) عن ذواق: أي إن النبي عليه السلام كان يطعمهم.
(٣) بشره: بشاشة الوجه.
(٤) يوهِّيه: أي يجعله ضعيفاً واهياً بالمنع والزجر عنه.
(٥) عتاد: عُدة وشيء حاضر معد عنده يصلحه ويناسبه.
(٦) موازرة: معاونة.

لا يجلس ولا يقوم إلا على ذِكْر. ولا يُوطِن الأماكن وينهى عن إيطانها[١]. وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك. يعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه[٢] في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول. قد وسع الناسَ منه بَسطُه وخلقُه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء. مجلسُهُ مجلسُ حلم وحياءٍ وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُؤْبَن[٣] فيه الحرم، ولا تُنثَى فلتاته[٤]. متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقِّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، يؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب».

قال: فسألته عن سيرته في جلسائه فقال: «كان رسول الله ﷺ دائم البِشْر، سهل الخُلُق، لين الجانب، ليس بفظ[٥]، ولا غليظ، ولا سخَّاب[٦]، ولا فحاش، ولا عيّاب، ولا مزَّاح. يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤْيِس منه راجيَه، ولا يخيب فيه. قد ترك نفسه من ثلاث: المراء[٧]، والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيِّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا تكلم سكتوا وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده[٨]. يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه. ويصبر للغريب على الجَفْوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه ليستحلبونه[٩] في

(١) إيطانها: أي اختصاص كل واحد بمجلس معين في المسجد أو غيره.
(٢) قاومه: وقف معه قائماً. (٣) لا تؤبن: أي لاتعاب.
(٤) لا تنثى فلتاته: لا تشاع ولا تذاع زلاته وهفواته، والمراد لا فلتات فيه، فالنفي للفلتات نفسها لا لوصفها من الإذاعة.
(٥) الفظ: سيء الخلق. (٦) سخّاب: صيّاح. (٧) المراء: الجدل.
(٨) لا يتنازعون عنده: أي لا يتكلمون سوية. وتمام العبارة كما في الشمائل: «ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم» ومعنى العبارة الأخيرة أي أن النبي كان يستمع لمن حضر أولاً ثم لمن وليه وهكذا.
(٩) كذا في البداية، وفي الكنز (٤/٣٣): ليستجلبونهم (وأقول: الصحيح ليستجلبونهم كما في الكنز والشمائل).

المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب حاجة فأرْفدوه(١). ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يَجُور(٢) فيقطعه بنهي أو قيام».

قال: فسألته كيف كان سكوته؟ قال: «كان سكوته على أربع: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر؛ فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس، وأما تذكُّره ـ أو قال: تفكُّره ـ ففيما يبقى ويفنى. وجُمع له ﷺ الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه. وجُمعَ له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى، والقيامُ لهم فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ﷺ.

وقد روى هذا الحديث بطوله الترمذي في الشمائل عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألتُ خالي.. فذكَره، وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب. وقد رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم بإسناده عن الحسن قال: سألتُ خالي هند بن أبي هالة.. فذكره، كذا ذكر الحافظ ابن كثير في البداية (٦/٣٣) قلت: وساق إسناد هذا الحديث الحاكم في المستدرك (٣/٦٤٠) ثم قال... فذكر الحديث بطوله. وأخرجه أيضاً الرُوياني والطبراني وابن عساكر كما في كنز العمال (٤/٣٢) والبغوي كما في الإصابة (٣/٦١١)، وفيها ذكر في الكنز في آخره: وجُمع له الحذر في أربع: أخْذُه بالحسنى ليُقْتَدَى به، وتَرْكُ القبيح ليُتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلَح أمته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة. وهكذا ذكره في المجمع (٨/٢٧٥) عن الطبراني.

٧ ـ الآثار في صفة الصحابة الكرام رضي الله عنهم

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السُدِّي في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمّة أُخْرِجَتْ للناس﴾(٣) قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو شاء الله لقال: «أنتم» فكنَّا كلُّنا ولكن قال: «كنتم» خاصّة في أصحاب محمد ﷺ ومَنْ صنع مثل صنيعهم، كانوا خيرَ أمّة أُخرجَتْ للنَّاس). وعند ابن جرير عن قَتَادة رضي الله عنه قال: ذُكرَ لنا أن عمر بن الخطاب رضي

(١) أرفدوه: أعينوه، وفي الكنز. (٤/٣٣): فأرشدوه.
(٢) يجور: يميل عن الحق.
(٣) سورة آل عمران: ١١٠.

الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿ كنتم خيرَ أُمّة أُخرجتْ للناس ﴾ - الآية، ثم قال: (يا أَيُّها الناس، من سرَّه أَن يكون من تِلْكم الآية فليؤدّ شرط الله منها). كذا في كنز العمال (١/٢٣٨).

وأَخرج أبو نُعيم في الحلية (١/٣٧٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إنَّ الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه. ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار اللهُ له أصحاباً، فجعلَهم أَنصارَ دينه ووزراءَ نبيِّه ﷺ، فما رآه المؤمنون حسناً فهو حسنٌ وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيحٌ). وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه بمعناه ولم يذكُر: (فما رآه المؤمنون - إلى آخره) وأخرجه الطَّيالسي (ص ٣٣) أيضاً نحو حديث أبي نُعيم.

وأَخرج أبو نُعيم أَيضاً عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: (من كان مُستنّاً فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أَصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمّة، أبرَّها قلوباً، وأَعمقها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ ونقل دينه، فتشبَّهوا بأَخلاقهم وطرائقهم؛ فهم أَصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم واللهِ ربِّ الكعبة) كذا في الحلية (١/٣٠٥). وأَخرج أَيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أنتم أَكثرُ صياماً وأَكثرُ صلاةً وأَكثرُ اجتهاداً من أَصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم!! قالوا: لِمَ يا أبا عبد الرحمن، قال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأَرغب في الآخرة) كذا في الحلية (١/١٣٦). وأخرج أيضاً عن أَبي وائل قال: سمع عبد الله رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال عبدالله: (أولئك أَصحاب الجابية[1]، اشترط خمسُ مائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يُقتلوا، فحلقوا رؤوسهم ولقُوا العدو فقُتلوا إلاَّ مخبرٌ عنهم) كذا في حلية الأولياء (١/١٣٥).

(١) الجابية: قرية في حوران - من بلاد الشام - بين جاسم ونوى، كانت مركزاً للجيوش الإسلامية في عهد عمر، وكان عمر رضي الله عنه يأتي إليها إذا قدم الشام ويخطب بها، وهي الآن خَرِبة عندها تل كبير وعين ماء. وحادث الجابية هذا وقع أثناء فتوح بلاد الشام وكان ابن مسعود في جملة من حضر المعارك في بلاد الشام.

وأَخرج أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: أَين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فأَراه قبرَ النبي ﷺ وأَبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: (عن هؤلاء تسأَل) كذا في الحلية (١/٣٠٧).

وأَخرج ابن أَبي الدنيا عن أَبي أَراكة يقول: صليتُ مع علي رضي الله عنه صلاة الفجر، فلما انفَتَلَ عن يمينه مكث كأَنَّ عليه كآبةً، حتى إذا كانت الشمس على حائطِ المسجد قِيدَ رُمْح صلَّى ركعتين ثم قَلَب يده فقال: (والله لقد رأَيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يُشبههم!! لقد كانوا يُصبحون صُفْراً شُعْثاً غُبْراً بين أعينهم كأَمثال رُكَب المِعزى[1]، قد باتوا لله سُجّداً وقياماً، يتلُون كتاب الله، يتراوحون[2] بين جباههم وأقدامهم، فإذا أُصبحوا فذكروا الله مادُوا[3] كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم، والله لكأَنّ القومَ باتوا غافلين!!) ثم نهض فما رُئِيَ بعد ذلك مفترًّاً يضحك حتى قتله ابن مُلْجَم عدوُّ الله الفاسق، كذا في البداية (٨/٦). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١/٧٦) والدينَوَرِي والعسكري وابن عساكر كما في الكنز (٨/٢١٩).

وأَخرج أبو نعيم (١/٨٤) أَيضاً عن أبي صالح قال: دخل ضرار ابن ضمرة الكِناني على معاوية فقال له: صِفْ لي علياً، فقال: أَوَتُعْفيني يا أمير المؤمنين؟ قال لا أُعفيك، قال: (أما إذْ لا بدَّ؛ فإنَّه كان ـ والله ـ بعيد المدى، شديد القوى، يقول فَصْلاً ويحكم عدلاً، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطِق الحكمةُ من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنسُ بالليل وظلمته، كان ـ والله ـ غزير العَبْرة[4]، طويل الفكرة، يقلِّبُ كفّه ويخاطب نفسه، يُعجبه من اللباس ما قَصُر. ومن الطعام ما جَشُب[5]، كان ـ والله ـ كأَحدنا يُدنينا إذا أتيناه، ويُجيبنا إذا سأَلناه، وكان مع تقرُّبه إلينا وقربهِ منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فَعَنْ مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعَظِّمُ أهل الدين، ويُحبُّ

(١) رُكَب: جمع رُكْبة، ويقال: فلان بين عينيه مثل ركبة العنز من أثر السجود.
(٢) وفي الكنز (٨/٢١٩): يراوحون.
(٣) مادوا: أي تحركوا.
(٤) العبرة: الدمعة.
(٥) ما جشب: ما غلظ وخشن من الطعام.

المساكين، لا يطمعُ القويُّ في باطله، ولا ييأسُ الضعيف من عدله، فأشْهدُ بالله لقد رأيتُه في بعض مواقفه ـ وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ـ يميلُ في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ[١] تململ السليم[٢]، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا. يتضرع إليه ثم يقول للدنيا: إليَّ تَغَرَّرْتِ؟! إليَّ تشوَّفتِ[٣]؟! هيهات هيهات، غُرِّي غيري، قد بَتَّتُّكَ[٤] ثلاثاً. فعمرُك قصيرٌ، ومجلسُك حقيرٌ، وخطرُك يسير، آه، آه، من قلة الزاد وبعد السفر ووحشةِ الطريق!!) فوَكَفَتْ دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها[٥] بكمه ـ وقد اختنق القوم بالبكاء ـ فقال: (كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وَجْدُك[٦] عليه يا ضرار؟) قال: «وَجْد مَنْ ذُبح واحدها في حِجْرها، لا ترقأ[٧] دمعتها، ولا يسكن حزنها) ثم قام فخرج. وأخرجه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/٤٤) عن الحِرمازي ـ رجل من همْدان ـ عن ضِرار الصُدَائي بمعناه.

وأخرج أبو نُعيم عن قتادة قال: سُئل ابن عمر رضي الله عنهما هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: (نعم والإيمانُ في قلوبهم أعظمُ من الجبال) كذا في الحلية (١/٣١١). وأخرج هنَّاد عن سعيد بن عمر القرشي أنَّ عمر رضي الله عنه رأى رُفْقة[٨] من أهل اليمن رحالهم الأَدَمُ[٩] فقال: (من أحبَّ أن ينظر إلى شَبَهٍ كانوا بأصحاب رسول الله ﷺ فلينظر إلى هؤلاء) كذا في كنز العمال (٧/١٦٣).

وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/٢٦٤) عن أبي سعيد المَقْبُري قال: لما طُعن[١٠] أبو عبيدة رضي الله عنه قال: يا معاذُ صلِّ بالناس، فصلى معاذ

(١) يتململ: يضطرب ويتقلب.
(٢) السليم: الملسوع.
(٣) تشوف إليه: اطّلع.
(٤) بتتك ثلاثاً: طلقتك طلاقاً باتاً.
(٥) نشف الثوب العرق كسمع ونصر: شربه.
(٦) وجدك: حزنك.
(٧) لا ترقأ: لا تسكن ولا تنقطع.
(٨) الرفقة: الجماعة ترافقهم في سفرك بضم الراء وكسرها والجمع (رفاق).
(٩) الأدم: الجلد.
(١٠) طُعِن: أصيب بالطاعون، وذلك في طاعون عَمَواس ١٨ هـ، وعَمَواس قرية بين الرملة وبيت المقدس.

بالناس، ثم مات أبو عبيدة بن الجراح، فقام معاذ في الناس فقال: (يا أيّها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فإن عبدالله لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له. ثم قال: إنكم أيها الناس، قد فُجعتم برجل - والله - ما أزعم أني رأيت من عباد الله عبداً قطُّ أقل غِمْراً[١]، ولا أبرأ صدراً، ولا أبعد غائلة[٢]، ولا أشد حباً للعاقبة، ولا أنصح للعامة منه، فترحَّموا عليه ثم أَصْحِروا[٣] للصلاة عليه، فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً). فاجتمع الناس وأُخرج أبو عبيدة رضي الله عنه وتقدَّم معاذ رضي الله عنه فصلّى عليه، حتى إذا أُتي به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو ابن العاص والضحَّاك بن قيس، فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشنّوا عليه التراب، فقال معاذ بن جبل: (يا أبا عبيدة، لأُثنِيَنَّ عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقني بها من الله مَقْتٌ: كنتَ - والله - ما علمتُ من الذاكرين الله كثيراً، ومن الذين يمشون على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواماً، وكنت والله من المُخبتين[٤]، المتواضعين، الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويُبغضون الخائنين المتكبرين).

وأخرج الطبراني عن رِبْعي بن حِرَاش قال استأذن عبدالله ابن عباس على معاوية رضي الله عنهم وقد عَلِقت عنده بطون قريش[٥] وسعيد ابن العاص جالس عن يمينه، فلما رآه معاوية مقبلاً قال: يا سعيد، والله لأُلقِيَنَّ على ابن عباس مسائل يعيَى بجوابها، فقال له سعيد: ليس مثل ابن عباس يعيى بمسائلك، فلما جلس قال له معاوية: ما تقول في أبي بكر؟ قال: (رحم الله أبا بكر، كان - والله - للقرآن تالياً، وعن المَيْل نائياً، وعن الفحشاء

(١) الغمر: الحقد والضغن.
(٢) غائلة: أمراً داهياً منكراً، والمعنى أن أبا عبيدة رضي الله عنه كان بعيداً عن إيقاع الغوائل بالناس.
(٣) أصحروا: أخرجوا إلى الصحراء.
(٤) أخبت: خشع وتواضع.
(٥) علقت عنده بطون قريش: جلسوا عنده ولازموا مجلسه.

ساهياً، وعن المنكر ناهياً، وبدينه عارفاً، ومن الله خائفاً، وبالليل قائماً، وبالنهار صائماً، ومن دنياه سالماً، وعلى عدل البرية عازماً، وبالمعروف آمراً وإليه صائراً، وفي الأحوال شاكراً، ولله في الغدو والرواح[١] ذاكراً، ولنفسه بالمصالح قاهراً. فاق أصحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً وبرّاً وحِياطة وزهادة وكفاءة، فأعقبَ الله مَنْ ثَلَبه[٢] اللعائن إلى يوم القيامة).

قال معاوية: فما تقول في عمر بن الخطاب؟ قال: (رحم الله أبا حفص، كان ـ والله ـ حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحلَّ الإيمان، ومعاذَ الضعفاء، ومعقلَ الحنفاء، للخَلْق حصناً، وللناس عوناً، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الله الدين وفتح الديار، وذُكِر الله في الأقطار والمناهل وعلى التلال وفي الضواحي والبقاع، وعند الخَنى[٣] وقوراً، وفي الشّدة والرخاء شكوراً، ولله في كل وقت وأوان ذكوراً، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة).

قال معاوية رضي الله عنه: فما تقول في عثمان بن عفان؟ قال: (رحم الله أبا عمرو، كان ـ والله ـ أكرم الحَفَدة، وأوصلَ البَرَرَة، وأصبرَ الغزاة، هجّاداً بالأسحار، كثيرَ الدموع عند ذكر الله، دائمَ الفكر فيما يعنيه الليلَ والنهارَ، ناهضاً إلى كل مكرمة، يسعى إلى كل منجية، فرّاراً من كل مُوبقة، وصاحب الجيش والبئر[٤]، وخَتَن[٥] المصطفى على ابنتيه، فأعقب الله من سبَّه الندامة إلى يوم القيامة).

قال معاوية: فما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: (رحم الله أبا الحسن كان ـ والله ـ علمَ الهدى، وكهفَ التقى، ومحل الحجى[٦]، وطَوْدَ

(١) الغدُو: البُكْرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. الرواح: العشيُّ أو من الزوال إلى الليل.
(٢) ثلبه: ألحق به العيب وتنقّصه.
(٣) الخنى: الفحش في القول.
(٤) صاحب الجيش: إشارة إلى تجهيز عثمان رضي الله عنه جيش العُسْرة في غزوة تبوك بالكثير من ماله. صاحب البئر: إشارة إلى شراء عثمان رضي الله عنه بئر رومة من صاحبها اليهودي ـ وكانت بئراً عظيمة ـ وجعْلِها للمسلمين.
(٥) الختن: الصهر. (٦) الحجى: العقل.

البهاء[١]، ونور السُّرَى[٢] في ظلم الدُّجَى[٣]، داعياً إلى المَحَجَّة العظمى، عالماً بما في الصحف الأُولى، وقائماً بالتأويل والذكرى، متعلِّقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجَوْر والأَذى. وحائداً[٤] عن طرقات الرَّدَى، وخيرَ من آمن واتقى، وسيِّدَ من تقمَّص[٥] وارتدى، وأَفضلَ من حجَّ وسعى، وأسمحَ من عدل وسوَّى، وأَخطبَ أَهل الدنيا إلا الأنبياء والنبي المصطفى، وصاحب القبلتين، فهل يوازيه موحِّدٌ؟! وزوج خير النساء، وأَبو السبطين، لم تَرَ عيني مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء، من لعنه فعليه لعنةُ الله والعباد إلى يوم القيامة).

قال: فما تقول في طلحةَ والزبير؟ قال: (رحمة الله عليهما، كانا ـ والله ـ عفيفَين، برّين، مسلمَين، طاهرَين، متطهِّرَين، شهيدَين، عالَمين، زَلاَّ زلَّة والله غافرٌ لهما إن شاء الله بالنُّصرة القديمة والصُّحبة القديمة والأفعال الجميلة).

قال معاوية: فما تقول في العبَّاس؟ قال: (رحم الله أَبا الفضل كان ـ والله ـ صِنوَ[٦] أَبي رسول الله ﷺ، وقرَّةَ عين صفيِّ الله، كهف الأقوام، وسيِّد الأعمام، وقد عَلَا بصراً بالأمور ونظراً بالعواقب. قد زانَه[٧] علمٌ، قد تلاشت الأَحساب عند ذكر فضيلته، وتباعدت الأَسباب عند فخر عشيرته، ولم لا يكون كذلك! وقد ساسه[٨] أكرم من دبَّ وهب عبدُ المطلب، أفخر من مشى من قريش وركب؟!)... فذكر الحديث. قال الهيثمي (٩/ ١٦٠): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم.

---

(١) البهاء: الحسن والظرف. (٢) السُّرَى: السير ليلاً.
(٣) الدُّجَى: جمع دُجية أي الظلمة أو هي مع غيم.
(٤) حائداً: مائلاً. (٥) تقمَّص: لبس القميص.
(٦) صِنْو: شجرٌ صنوان من أصل واحد وكل واحد صِنْوٌ، ومن المجاز: هو شقيقه وصنوه قال الشاعر:

أتتركني وأنت أخي وصِنوي ... فيا للناس للأمر العجيب

(٧) زانه: جمَّله، من الزينة. (٨) ساسه: رباه وتعهده.



الباب الأوّل

بَابُ
الدَّعوَة إلىٰ الله وَإلىٰ رَسُوله

كيف كانت الدعوةُ إلى الله وإلى رسوله ﷺ أحَبَّ إلىٰ النبي عليه السلام وإلى الصحابة رضي الله عنهم من كل شيء!! وكيف كانوا حـريصين عـلى أَن يهتديَ النـاس ويدخلوا في دين الله وينْغَمسوا في رحمة الله!! وكيف كان سعيهم في ذلك لإيصال الخلق إلى الحق!!



بَابُ

الدَّعوَة إلىٰ الله وَإلىٰ رَسُوله

حب الدعوة والشغف بها

﴿ حرص النبي ﷺ على إيمان جميع الناس ﴾

أخرج الطبراني عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ ﴾[1] ونحوِ هذا من القرآن قال: (إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويبايعوه على الهدى، فأخبره الله عز وجل أنّه لا يؤمن إلاَّ من سبق له من الله السعادةُ في الذِّكْر الأول، ولا يضلُّ إلاَّ من سبق له من الله الشقاء في الذِّكْر الأول، ثم قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ لعلَّك باخعٌ نفسَك ألاَّ يكونوا مؤمنين. إنْ نَشَأْ نُنَزِّل عليهم من السماءِ آيةً فظلَّت أعناقُهُمْ لَهَا خَاضِعين ﴾[2]). قال الهيثمي (٧/ ٨٥) رجاله وُثِّقوا إلاَّ أَنَّ عليَّ بن أَبي طلحة قيل لم يسمع من ابن عباس. انتهى.

﴿ عرضه ﷺ الدعوة علىٰ قومه عند وفاة أبي طالب ﴾

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال لمّا مرض أَبو طالب دخل عليه رَهْط من قريش فيهم أَبو جهل فقالوا: إنَّ ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثتَ إليه فنهيتَه. فبعث إليه فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أَبي طالب قَدْرُ مجلس رجلٍ، قال: فخشي أبو جهل ـ لعنهُ الله ـ إنْ جلس إلى جنب أبي طالب أَنْ يكون أَرقَّ له عليه؛ فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجدْ رسول الله ﷺ مجلساً قربَ عمِّه فجلس عند الباب، فقال له أَبو طالب: أيْ ابن أخي، ما بال قومك

---

(١) سورة هود: ١٠٥.

(٢) سورة الشعراء: ٣ ـ ٤.

يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول. وتكلَّم رسول الله ﷺ فقال: «يا عمّ إنِّي أريدهم على كلمة واحدة يقولونها؛ تَدينُ لهم بها العرب وتُؤدِّي إليهم بها العجمُ الجزيةَ» ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة!! نعمْ وأبيكَ عشراً، فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأيُّ كلمة هي يا ابن أخي؟ قال ﷺ: «لا إله إلا الله»، فقاموا فَزِعين ينفِضُون ثيابهم وهم يقولون: «أَجعَلَ الآلهَةَ إلٰهاً واحداً إنَّ هذا لَشيءٌ عُجَاب»[١]، قال: ونزلت من هذا الموضع - إلى قوله: «بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ»[٢]. وهكذا رواه الإمام أحمد والنَّسائي وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم في تفاسيرهم، ورواه الترمذي وقال: حسن، كذا في التفسير لابن كثير (٤/٢٨)؛ وأخرجه البيهقي (٩/١٨٨) أيضاً والحاكم (٢/٤٣٢) بمعناه وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح. إهـ.

﴿ عرضه ﷺ الكلمة على أبي طالب عند وفاته ﴾

وعند ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما - كما في البداية (٣/١٢٣) - قال: لمّا مَشوا إلى أبي طالب وكلّموه وهم أشراف قومه: عُتبةُ ابن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأُميةُ بن خَلَف، وأبو سفيان ابن حَرب، في رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنَّك منَّا حيث قد علمتَ، وقد حضرك ما ترى، وتخوَّفنا عليك، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادْعه فخذْ لنا منه وخذْ له منّا ليكفَّ عنا ولنكفَّ عنه ولْيدَعْنا وديننا ولْنَدَعْه ودينه.

فبعث إليه أبو طالب فجاءه، فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتَدين لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: نعم وأبيكِ وعشر كلمات، قال: «تقولون: لا إله إلا الله، وتخلَعون ما تعبدون من دونه» فصفَّقوا بأيديهم، ثم قالوا: يا محمد، أتريد أنْ تجعلَ

(١) سورة ص: ٥. (٢) سورة ص: ٨.

الآلهة إلهاً واحداً؟ إنَّ أمرك لعجبٌ!! قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنَّه - والله - ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تريدون، فانطلِقوا وامضُوا على دين آبائكم حتى يحكُمَ الله بينكم وبينه، ثم تفرَّقوا.

قال: فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً[١]، قال: فطمع رسول الله ﷺ فيه، فجعل يقول له: أَيْ عم، فأنت فقُلْها أستحلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة» فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافةُ السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنَّ قريش أني إنما قلتها جَزَعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلَّا لأسرَّكَ بها.. فذكر الحديث. وفيه راوٍ مبهم لا يُعرف حالُه.

وعند البخاري عن ابن المسيِّب عن أبيه أنَّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «أيْ عم، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلِّمانه حتى قال آخر ما كلَّمهم به: على ملَّةِ عبد المطلب؛ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك» فنزلت: ﴿ ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أنْ يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُربى مِنْ بعدِ ما تبيَّنَ لهم أنَّهم أصحابُ الجحيم ﴾[٢] ونزلت ﴿ إنَّك لا تهدي مَن أحْبَبْتَ ﴾[٣]، ورواه مسلم. وأخرجاه أيضاً من طريق آخرَ عنه بنَحْوِه وقال فيه: فلم يزلْ رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: على ملَّة عبد المطَّلب، وأبى أن يقول: «لا إله إلا الله» فقال النبي ﷺ: «أمَا لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزلَ الله - يعني بعد ذلك - فذكرَ الآيتين.

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والنَّسائي والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضرتْ وفاةُ أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال: «يا عمَّاه! قُلْ: لا إله إلا اللهُ أشهدْ لك بها يوم القيامة»، فقال: لولا أنْ تعيِّرني

---

(١) الشطط: التجاوز عن الحد. (٢) سورة التوبة: ١١٣. (٣) سورة القصص: ٥٦.

قريش يقولون: ما حمله عليه إلاَّ فزعُ الموت لأقررتُ بها عينك، ولا أقولها إلا لأُقرَّ بها عينك[١]؛ فأنزل الله عز وجل ﴿ إنك لا تهدي مَنْ أحببتَ ولكنَّ الله يهدي مَنْ يشاءُ وهُوَ أعلمُ بالمهتدين ﴾[٢]، كذا في البداية (٣/١٢٤).

﴿ إنكاره ﷺ أن تترك الدعوة إلى الله ﴾

وأخرج الطبراني والبخاري في التاريخ عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب... فذكر الحديث كما سيأتي في باب تحمُّل الشدائد وفيه: فقال له أبو طالب: يا ابن أخي، والله ما علمتُ إنْ كنت لي لمطاعاً[٣]، وقد جاء قومك يزعمون أنَّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم فإنْ رأيت أن تكفَّ عنهم. فحلَّق ببصره[٤] إلى السماء فقال: «والله ما أنا بأقدرَ أنْ أدعَ ما بُعثتُ به مِنْ أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار». وعند البيهقي أنَّ أبا طالب قال له ﷺ: يا ابن أخي، إنَّ قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا، فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك ولا تحمِّلْني مِنَ الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفُفْ عن قومك ما يكرهون من قولك، فظنَّ رسول الله ﷺ أنْ قد بَدَا[٥] لعمه فيه، وأنَّه خاذلُه ومسلمُه وضَعفُ عن القيام معه، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمّ، لو وُضعت الشمسُ في يميني والقمرُ في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يُظهرَهُ اللهُ أو أهلِكَ في طلبه»؛ ثم استعبر[٦] رسول الله ﷺ فبكى ـ فذكر الحديث كما سيأتي.

وأخرج عبد بن حُمَيد في مسنده عن ابن أبي شيبة بإسناده عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما قال: اجتمع[٧] قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا

---

(١) لأقرّ بها عينك: أي لأعطيك ما تشتهي.
(٢) سورة القصص: ٥٦.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) حلّق ببصره: رفعه.
(٥) بدا: فعل والاسم منه البداء؛ يريد: ظهر له رأي، سُمي الرأي بداء لأنه شيء يبدو بعدما خفي.
(٦) استعبر: استفعل من العَبرة وهي تحلُّب الدمع.
(٧) يصح هذا التعبير إذا قصد بقريش الحيّ، وإذا قصد به القبيلة فالصحيح اجتمعت.

وعاب ديننا، فليُكلمْهُ، ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غيرَ عُتبة ابن ربيعة؛ فقالوا: إئتهِ يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنتَ تزعم أنَّ هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك!! إنَّا ـ والله ـ ما رأينا سَخْلة[1] قط أشأم على قومه منك، فرقتَ جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وعبتَ ديننا، وفضحتَنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أنَّ في قريش ساحراً وأنَّ في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثلَ صيحة الحبلى أنْ يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى!!. أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإنْ كان إنما بك الباه[2] فاختر أيَّ نساء قريش شئت فلنزوجكَ عشراً.

فقال رسول الله ﷺ: «فَرغت؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، حٓمٓ. تنزيلٌ من الرحمن الرحيم. كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُه قرآناً عربياً لقوم يعلمون[3]. ـ إلى أنْ بلغ ـ فإن أعرضوا فقل أنذرتكُم صاعقةَ مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود»[4]، فقال عتبة: حسْبُك!! ما عندك غير هذا؟ قال: «لا»؛ فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءَكَ؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلِّمونه إلا كلّمته، قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم، ثم قال: لا والذي نَصَبَها بَنِيَّة[5] ما فهمتُ شيئاً ممَّا قال غير أنَّه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود!! قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟! قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة.

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم وزاد: وإن كنتَ إنما بك الرئاسة

(١) السخل: المولود المحبب إلى أبويه. والمعنى: ما رأينا إنساناً يحبه أبواه وقومه أشأم على قومه منك.
(٢) الباه: الرغبة الكبيرة في الزواج. (٣) سورة فصلت: ١ ـ ٣.
(٤) سورة فصلت: ١٣.
(٥) البَنِيَّة: الكعبة. ويقال في القسم: لا ورب هذه البنيّة، وعتبة هنا يقسم بالله الذي نصب الكعبة بيتاً للعبادة.

عقدنا ألويتنا لك فكنتَ رأساً ما بقيت. وعنده: أنَّه لما قال: «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» أمسك عتبة على فيهِ وناشده الرَّحِم أن يكفَّ عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش، ما نرى عتبة إلا صبأ[1] إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه. فأتَوه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة، ما جئنا إلا أنك صبوْتَ إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب وأقسم بالله لا يُكلِّم محمداً أبداً، وقال لقد علمتُم أني من أكثر قريش مالاً ولكنِّي أتيته ـ وقصَّ عليهم القصة ـ فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كِهانة، قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم. حٰمٓ. تنزيل من الرحمن الرحيم ـ حتى بلغ ـ فإنْ أعرضوا فقُلْ أنذرتُكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود»؛ فأمسكت بفيهِ وناشدته الرَّحِم أنْ يكفَّ، وقد علمتم أنَّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب!! فخفت أن ينزل عليكم العذاب، كذا في البداية (٣/٦٢). وأخرجه أبو يَعْلَى عن جابر رضي الله عنه مثل حديث عبد بن حُمَيد. وأخرجه أبو نُعيم في الدلائل (ص ٧٥) بنحوه، قال الهيثمي (٦/٢٠): وفيه الأجلحُ الكِندي وثَّقه ابن مَعِين وغيره وضعفَّه النَّسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج أبو نُعيم في دلائل النبوة (ص ٧٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن قريشاً اجتمعت لرسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، فقال عتبة بن ربيعة لهم: دعوني حتى أقومَ إليه أُكلمه فإني عسى أن أكون أرفقَ به منكم، فقام عتبة حتى جلس إليه فقال: يا ابن أخي، أراكَ أوسطنا بيتاً، وأفضلنا مكاناً، وقد أدخلت على قومك ما لم يُدخل رجل على قومه مثله!! فإنْ كنت تطلب بهذا الحديث مالاً فذلك لك على قومك أنْ يُجمع لك حتى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت تطلب شَرَفاً فنحن نشرِّفك حتى لا يكون

---

(١) صبأ: أي أسلم، وكان يقال للرجل إذا أسلم في عهد النبي عليه السلام «صابىء» والجمع «صُباة». ومعنى صبأ أي، صبح ... ١٠٥

أحد من قومك أشرف منك ولا نقطع أمراً دونك. وإن كان هذا عن ملمٍّ[١] يصيبك فلا تقدر على النزوع منه بذلنا لك خزائننا حتى نُعْذَر في طلب الطبِّ لذلك منك. وإن كنت تريد ملكاً ملَّكناك.

فقال رسول الله ﷺ: «أَفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: فقرأ عليه رسول الله ﷺ حَم السَّجْدة، حتى مرَّ بالسجدة، فسجد رسول الله ﷺ وعتبة مُلْقٍ يده خَلْف ظهره حتى فرغ من قراءتها، ثم قام عتبة ما يدري ما يرجع به إلى نادي قومه، فلما رأوه مقبلاً قالوا: لقد رجع إليكم بوجه غير ما قام من عندكم، فجلس إليهم فقال: يا معشر قريش، قد كلمته بالذي أمرتموني به حتى إذا فرغت كلمني بكلام لا والله ما سمعت أذناي مثله قط وما دريت ما أقول له!! يا معشر قريش، فأطيعوني اليوم واعصوني فيما بعده واتركوا الرجل واعتزلوه، فوالله ما هو بتارك ما هُو عليه، وخلُّوا بينه وبين سائر العرب، فإن يظهر عليكم يكن شرفه شرفكم وعزه عزكم، وإن يظهروا عليه تكونوا قد كُفيتموه بغيركم. قالوا: صبأت يا أبا الوليد. وهكذا ذكره ابن إسحاق بطوله كما ذكر في البداية (٣/٦٣)، وأخرجه البيهقي أيضاً من حديث عمر مختصراً، قال ابن كثير في البداية (٣/٦٤): وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

﴿ إصراره ﷺ على الجهاد بما بعثه الله من الدعوة إلى الله ﴾

وأخرج البخاري عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي في هذا الباب في الأخلاق المُفضية إلى هداية الناس، وفيه: فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعي في نفر من قومه من خُزاعة ـ وكانوا عَيْبَةَ نصح رسول الله ﷺ[٢] من أهل تِهامة[٣] ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد[٤]

(١) ملم: أي مسُّ الجن وأذاهم.

(٢) عيبة نصح رسول الله: موضع النصح له والأمانة على سره.

(٣) تهامة: وهي من ذات عرق إلى البحر وجدّة، وقيل تهامة ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكة، وما وراء ذلك من المغرب فهو غَوْر.

(٤) أعداد: جمع عِدّ ـ بالكسر: ماء لا ينقطع.

مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل(١)، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكنَّا جئنا معتمرين، وإن نَهكَتْهُم(٢) الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا مادَدْتهم(٣) مدة ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جَمُّوا(٤)، وإن هم أبَوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي(٥)، ولينفذنَّ أمر الله».

وعند الطبراني عن المِسْور ومروان مرفوعاً: «يا ويح قريش!! لقد أكلتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلُّوا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن الله أظهرني عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يقبلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله لا أزال أُجاهدهم على الذي بعثني الله حتى يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة» كذا في كنز العمال (٢/٢٨٧). وهكذا أخرجه ابن إسحاق من طريق الزُّهْري، وفي حديثه: «فما تظن قريش؟! فوالله لا أزال أُجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهرَه الله أو تنفرد هذه السالفة»، كذا في البداية (٤/١٦٥).

﴿ أمره ﷺ علياً في غزوة خيبر بالدعوة إلى الإسلام ﴾

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطِيَنَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب اللّه ورسولَه ويحبه اللّهُ ورسولُه» قال: فبات الناس يدوكون(٦) ليلتهم أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوا على النبي ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها،

(١) العوذ: جمع عائذ وهي الناقة إذا وضعت وبعدما وضعت أياماً حتى يقوى ولدها. والمطافيل: جمع مطفل وهي الناقة القريبة العهد بالنتاج مع طفلها؛ أي جاؤوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم.

(٢) نهكتهم: أتعبتهم كثيراً.

(٣) ماددتهم: عقدتُ معهم هدنة نترك فيها الحرب لمدة معينة.

(٤) جمّوا: أي استراحوا.

(٥) سالفتي: أي صفحة العنق، وكنَّى بانفرادها عن الموت.

(٦) يدوكون: أي يخوضون ويموجون تلك الليلة فيمن يدفعها إليه، يقال: وقع الناس في دوكة ودوكة، أي في خوض واختلاط.

فقال: «أين عليّ بن أبي طالب»؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسل إليه فأتى فبصّق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال رسول الله ﷺ: «انفُذ على رِسْلَك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهُم إلى الإسلام؛ وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه؛ فوالله لئن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم»[١]. وأخرجه أيضاً مسلم (٢/ ٢٧٩) نحوه.

﴿ صبره عليه السلام في دعوة الحَكَم بن كَيْسان إلى الإسلام ﴾

وأخرج ابن سعد (٤/ ١٣٧) عن المقداد بن عمرو قال: أنا أسرت الحَكَم بن كَيْسان، فأراد أميرنا ضرب عنقه، فقلت: دَعْهُ نَقْـدَمْ به على رسول الله ﷺ، فقدمنا، فجعل رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأطال، فقال عمر: علام تكلِّم هذا يارسول الله؟ والله لايسلم هذا آخر الأبد، دَعْني أضربْ عنقه وَيَقْدَم إلى أُمه الهاوية[٢]، فجعل النبي ﷺ لايُقبل على عمر حتى أسلم الحكم، فقال عمر: فما هو إلاَّ أن رأيته قد أسلم حتى أخذني ما تقدَّم وما تأخَّر، وقلت: كيف أردُّ على النبي ﷺ أمراً هو أعلم به مني؟! ثم أقول: إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله، فقال عمر: فأسلم والله فحسن إسلامه وجاهد في الله حتى قتل شهيداً ببئر معونة[٣] ورسول الله ﷺ راضٍ عنه ودخل الجنان.

وعنده أيضاً (٤/ ١٣٨) عن الزهري قال: قال الحكم: وما الإسلام؟ قال: «تعبد الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فقال: قد أسلمت، فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال: «لو أطعتكم فيه آنفاً فقتلتُه دخل النار».

---

(١) حمر النَّعَم: الإبل الحمراء اللون، وكان العرب يعتبرونها من أنفس الأموال.

(٢) أمه: المراد مرجعه الذي يأوي إليه كما يأوي الطفل إلى أمه. الهاوية: أصلها المكان المنخفض كثيراً، والمراد هنا نار جهنم.

(٣) مكان في نجد استشهد فيه سبعون من المسلمين (كما في البخاري) في صفر من السنة الرابعة=

﴿ قصة إسلام وَحْشيّ بن حرب ﴾

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلىّ وحشيٍّ بن حرب قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد، كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقَ أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهاناً؛ وأنا صنعت ذلك؟! فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ إلاَّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، فأولئك يُبدِّلُ الله سيئاتِهم حسناتٍ، وكان اللهُ غفوراً رحيماً ﴾[١]. فقال وحشي: يا محمد، هذا شرط شديد «إلَّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» فلعلِّي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إنَّ اللهَ لا يـغفرُ أن يُشركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[٢]، فقال وحشي: يا محمد، هذا أرى بعد مشيئة، فلا أدري هل يغفر لي أم لا فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ يا عبادِيَ الذينَ أسرفوا على أنفسِهم لا تَـقنطوا من رحمةِ اللهِ، إنَّ اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً إنَّهُ هو الغفورُ الرحيمُ ﴾[٣]، قال وحشي: هذا نعم، فأسلم؛ فقال الناس: يا رسول الله، إنا أصبنا ما أصاب[٤] وحشي، قال: «هي للمسلمين عامّة». قال الهيثمي (٧/ ١٠٠): وفيه أَبْيَنُ بن سفيان ضعَّفه الذهبي.

وعند البخاري (٢/ ٧١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنَوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسنٌ لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿ والذين لا يـدعون مع الله إلٰهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا

= للهجرة نتيجة غدر بطون «رِعل، وذَكوان وعُصَيَّة» من قبيلة بني «سُلَيم» وكان قد قادهم إلى هذا الغدر «عـامر بن الطُّفيَـل» من بني عامر، وقد حزن الرسول عليه السلام على أصحابه الشهداء أشدَّ الحزن، ومكث نحو شهر يدعو على الغادرين.

(١) سورة الفرقان: ٧٠.
(٢) سورة النساء: ٤٨.
(٣) سورة الزمر: ٥٣.
(٤) أصبنا ما أصاب: فعلنا مثل فعله.

بالحق، ولا يزنون ﴾(١)، ونزل: ﴿ قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾. وأخرجه أيضاً مسلم (٧٦/١) وأبو داود (٢٣٨/٢) والنَّسائي، كما في العيني (١٢١/٩) وأخرجه البيهقي (٨٩/٩) بنحوه.

﴿ بكاء فاطمة على تغير لونه ﷺ من أجل المجاهدة على ما بعثه الله ﴾

وأخرج الطبراني وأبو نُعيم في الحلية والحاكم عن أبي ثعلبة الخُشَني قال: قدم رسول الله ﷺ من غزَاة له، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم من سفر أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين يُثَني(٢) بفاطمة ثم أزواجه - فقدم من سفره مرة فأتى فاطمة فبدأ بها قبل بيوت أزواجه، فاستقبلته على باب البيت فاطمة فجعلت تقبل وجهه - وفي لفظ: فاه - وعينيه وتبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قالت: أراك يا رسول الله، قد شحب(٣) لونك، واخلولقت(٤) ثيابك، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا فاطمة لا تبك فإنَّ الله بعث أباك بأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَر ولا وَبَر ولا شَعَر(٥) إلا أدخله الله به عزاً أو ذُلاً حتى يبلغَ حيث يبلغ الليل» كذا في كنز العمال (٧٧/١). وقال الهيثمي (٢٦٢/٨): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن سِنان أبو فَرْوة وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير - انتهى، وقال الحاكم (١٥٥/٣): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وتعقَّبه الذهبي فقال: يزيد بن سنان هو الرّهاوي ضعفَّه أحمد وغيره، وعُقبة (أي شيخه) نَكِرة لا تعرف - انتهى، وذكر عُقْبة في اللسان فقال: قال البخاري في صحته نظر، وذكره ابن حِبَّان في الثقات. انتهى.

﴿ حديث تميم الداريّ في انتشار دعوة الإسلام ﴾

وأخرج أحمد والطبراني عن تميم الداريِّ رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) سورة الفرقان: ٦٨.
(٢) كذا في الأصل، وعند الحاكم: ثنّى بفاطمة.
(٣) شحب: أي تغير.
(٤) اخلولقت: بليت.
(٥) بيت مدر ولا وبر ولا شعر: يريد أهل القرى والأمصار، وأهل الأخبية.

رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل، عزّاً يعز الله به الإسلام وأهله وذلّاً يذل الله به الكفر»، وكان تميم الداري يقول: عرفت ذلك من أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزّ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذلَّ والصَّغَار والجزية. كذا في المجمع (٦/١٤) و(٨/٢٦٢). قال الهيثمي (٦/١٤): رجال أحمد رجال الصحيح. انتهى. وأخرج الطبراني نحوه عن المقداد أيضاً.

﴿ حرص عمر على رجوع المرتدين إلى الإسلام ﴾

وأخرج عبد الرزاق عن أنس رضي الله عنه قال؛ بعثني أبو موسى بفتح تُسْتَرَ[١] إلى عمر، فسألني عمر - وكان ستة نفر من بكر بن وائل قد ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين - فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قوم قد ارتدُّوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين ما سبيلهم إلاَّ القتل، فقال عمر: لأن أكون أخذتُهم سِلْماً أحبّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء[٢]، قلت: يا أمير المؤمنين، وما كنت صانعاً بهم لو أخذتهم، قال لي: كنت عارضاً عليهم الباب الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه، فإن فعلوا ذلك قبلت منهم وإلا استودعتهم السجن. كذا في الكنز (١/٧٩). وأخرجه البيهقي (٨/٢٠٧) أيضاً بمعناه.

وعند مالك والشافعي وعبد الرزاق وأبي عُبَيد في الغريب والبيهقي (ص ٢٠٧) عن عبد الرحمن القاريِّ قال: قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل من قِبَل أبي موسى رضي الله عنه، فسأله عن الناس فأخبره، ثم قال: هل كان فيكم من مُغَرِّبَة خبر[٣]؟ فقال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه. قال فما فعلتم به؟ قال: قرَّبناه فضربنا عنقه، قال عمر: فهلاّ

(١) تستر- بضم التاء الأولى وسكون السين وفتح التاء الأخرى - أعظم مدينة بخوزستان، وهو تعريب شوستر.

(٢) الصفراء: الذهب، البيضاء: الفضة.

(٣) أي هل من خبر جديد جاء من بلد بعيد.

حبستموه ثلاثاً، وأطعمتموه كل يوم رغيفاً، واستتبتموه؛ لعله يتوب ويراجع أمر الله؟! اللهمَّ، إنِّي لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض إذا[١] بلغني!!.

وعند مُسَدّد وابن عبد الحكم عن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جدِّه قال: كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه يسأله عن رجل أسلم ثم كفر، ثم أسلم ثم كفر، حتى فعل ذلك مراراً، أَيَقبلُ منه الإسلام؟ فكتب إليه عمر أن اقبل منه الإسلام ما قبل الله منهم، اعرض عليه الإسلام فإن قبل فاتركه وإلا فاضرب عنقه، كذا في الكنز (١/ ٧٩).

﴿ بكاء عمر على مجاهدة راهب ﴾

وأخرج البيهقي وابن المنذر والحاكم عن أبي عمران الجوني قال: مرّ عمر رضي الله عنه براهب فوقف ونودي بالراهب فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطَّلَع فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وترْكِ الدنيا، فلما رآه عمر بكى، فقيل له: إنه نصراني، فقال عمر: قد علمت ولكني رحمته، ذكرت قول الله عز وجل: ﴿ عاملةٌ ناصبةٌ تَصْلَى ناراً حاميةً ﴾[٢] رحمتُ نَصبَه[٣] واجتهاده وهو في النار، كذا في كنز العمال (١/ ١٧٥).

الدعوة للأفراد والأشخاص

﴿ دعوة النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ﴾

أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ ـ وكان له صديقاً في الجاهلية ـ فلقيه فقال: يا أبا القاسم، فُقدْتَ من مجالس قومك واتَّهموك بالعيب لآبائها وأُمهاتها، فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله أدعوك إلى الله»، فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشَبَيْن[٤] أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر؛ ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة ابن

---

(١) لعل الصواب: إذ بلغني. (٢) سورة الغاشية: ٣ ـ ٤.
(٣) نصِبَ: تَعِبَ.
(٤) الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة، والأخشب: كل جبل خشن غليظ.

عبيدالله والزبير بـن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بـن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سَلَمة ابن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا رضي الله عنهم، كذا في البداية (٣/ ٢٩).

وذكر ابن إسحاق أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لقي رسول الله ﷺ فقال: أحقٌّ ما تقول قريش يا محمـد من تَرْكِك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى، إنّي رسول الله ونبيُّه، بعثني لأُبلِّغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شـريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته» وقرأ عليه القرآن، فلم يقرَّ ولم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدِّق. قال ابن إسحاق: حدَّثني محمد ابن عبد الرحمن بن عبدالله بن الحُصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلَّا كانت عنده كَبْوة[1] وتردّد ونظر إلَّا أبا بكر، ما عَكَم عنه حين ذكرته ولا تردد فيه» ـ عكم: أي تلبَّث.

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله: «فلم يقر ولم ينكر» مُنْكَرٌ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البَعْثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله؟! ولهذا بمجرد ما ذكر له أنَّ الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ولا عَكَم. وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه في حديث ما كـان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله؛ فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟» مرَّتين؛ فما أُوذي بعدها. وهذا كالنص على أنَّه أول من أسلم، كذا في البداية (٣/ ٢٦ و٢٧).

---

(١) الكبوة: التردد والتوقف.

﴿ دعوته ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

أخرج الطبراني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام»، فجعل الله دعوة رسوله ﷺ لعمر بـن الخطاب، فبنى عليه الإسلام وهدم به الأوثان. قال الهيثمي (٦١/٩): رجاله رجال الصحيح غير مجالِد بن سعيد وقد وُثِّق ـ انتهى. وعند الطبراني من حديث ثَوْبان ـ فذكر الحديث كما سيأتي في باب تحمّل الصحابة الشدائد في سعيد بـن زيد وزوجته فاطمة أخت عمر، وفيه: وأخذ رسول الله ﷺ بضَبْعَيه[1] وهزه وقال: «ما الذي تريد؟ وما الذي جئت؟» فقال له عمر: اعرض عليَّ الذي تدعو إليه، فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله»، فأسلم عمر مكانه وقال: اخرج. وعند أبي نعيم في الحلية (٤١/١) عن أَسْلَمَ قال: قال لنا عمر رضي الله عنه: أتحبُّون أن أعلمكم أول إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشد الناس عداوة إلى رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ في دار عند الصَّفا، فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع قميصي ثم قال: «أسلم يا ابن الخطاب، اللَّهمَّ اهدِه»، قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّك رسول الله، قال: فكبَّر المسلمون تكبيرة سُمعت في طرق مكة ـ فذكر الحديث. وأخرجه البزار أيضاً بسياقٍ آخر كما سيأتي.

﴿ دعوته ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

أخرج المدائني عن عمرو بن عثمان قال: قال عثمان دخلت على خالتي أعودها ـ أَرْوَى بنت عبد المطلب ـ فدخل رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليه ـ وقد ظهر من شأنه يومئذ شيء ـ، فأقبل عليَّ فقال: «مالك يا عثمان؟» قلت: أعجب منك ومن مكانك فينا وما يقال عليك، قال عثمان: فقال: «لا إله إلا الله» ـ فالله يعلم لقد اقشعررت ـ ثم قال: «وفي السماءِ رزقُكم وما تُوعدونَ. فوَرَبِّ السماءِ والأرضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مثلَ ما أنَّكم تَنْطِقُونَ»[2]، ثم قام

(١) ضَبْعاه: مثنى مفرده: ضَبْع، والجمع أضباع. ويراد به وسط العضد، أو العضد كلها.
(٢) سورة الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣.

فخرج فخرجت خلفه وأدركته فأسلمت، كذا في الاستيعاب (٤/٢٢٥).

﴿ دعوته ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴾

ذكر ابن إسحاق أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء وهما - أي النبي ﷺ وخديجة رضي الله عنها - يصلِّيان، فقال علي: يا محمد، ما هذا؟ قال: «دين الله الذي اصطفَى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللاَّت والعُزَّى»[١]، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أُحدِّث به أبا طالب؛ فكره رسول الله ﷺ أن يفشيَ عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي، إذ لم تسلم فاكتم، فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إنَّ الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللاَّت والعزَّى، وتبرأ من الأنداد»، ففعل عليٌّ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم عليٌّ إسلامَه ولم يظهره. كذا في البداية (٣/٢٤).

وعند أحمد وغيره عن حَبَّة العُرَني قال: رأيت علياً يضحك على المنبر، ولم أره ضحك ضحكاً أكثر منه حتى بدت نواجذه، ثم قال: ذكرت قول أبي طالب، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصلِّي ببطن نَخْلة[٢] فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال: ما بالذي تصنعان بأس ولكن لا تعلوني استي[٣] أبداً، فضحك تعجباً لقول أبيه ثم قال: اللَّهمَّ لا أعترف عبداً من هذه الأمة عَبَدَكَ قبلي غير نبيك - ثلاث مرات - لقد صلّيت قبل أن يصلِّي الناس سبعاً. قال الهيثمي

---

(١) اللات: صنم كان بالطائف عند ثقيف وكان معظَّماً عندهم وعند قريش والعرب جميعاً، وقد هُدم بأمر رسول الله في السنة التاسعة للهجرة بعد إسلام أهل الطائف.
العُزَّى: صنم كان لقريش في مكان يقال له نَخْلة، وكان من أعظم الأصنام عند قريش يزورونه ويهدون له ويتقربون عنده بالذبح.

(٢) بطن نخلة: مكان في مكة. (٣) است الرجل: مقعدته.

(١٠٢/٩): رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن. انتهى.

﴿ دعوته ﷺ لعمرو بن عَبَسة رضي الله عنه ﴾

أخرج أحمد (١١٢/٤) عن شدّاد بن عبدالله قال: قال أبو أمامة: يا عمرو بن عَبَسَةَ، بأيِّ شيء تَدَّعي أنك رُبْعُ[١] الإسلام؟ قال: إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان شيئاً، ثم سمعت عن رجل يخبِّر أخباراً بمكَّة ويحدِّث أحاديث، فركبت راحلتي حتى قدمت مكة فإذا أنا برسول الله ﷺ مستَخْفِياً، وإذا قومه عليه جُرَآء[٢]، فتلطَّفت له فدخلت عليه فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا نبي الله»، فقلت: وما نبي الله؟ قال: «رسول الله» قال: قلت: آلله أرسلك؟ قال: «نعم» قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «بأن يوحَّد الله ولا يشرك به شيء، وكسر الأوثان، وصلة الرحم»، فقلت له: من معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبد» - أو عبد وحر - وإذا معه أبو بكر ابن أبي قُحافة وبلال مولى أبي بكر، قلت: إنِّي متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فالحق بي»، قال فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت.

فخرج رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة، فجعلت أتخبَّر الأخبار حتى جاءَ رَكَبَة[٣] من يثرب، فقلت: ما هذا المكِّي الذي أتاكم؟ قالوا: أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحِيل بينهم وبينه، وتركْنا الناسَ إليه سراعاً، قال عمرو بن عبسة: فركبت راحلتي حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله، أتعرفني؟ قال: «نعم، ألستَ أنت الذي أتيتني بمكة؟» قال قلت: بلى، فقلت: يا رسول الله، علمني مِمّا علمك الله وأجهل - فذكر

---

(١) الرُّبْعُ: جزء من أربعة، وَرَبعَ القوم: صار رابعهم، وعمرو بن عبسة إنما قال عن نفسه: إنَّه رُبْعُ الإسلام لأنه حين دخل على رسول الله ﷺ وجد عنده اثنين وهما: أبو بكر ومولاه بلال، وصار عمرو رابع القوم.

(٢) جرآء: بوزن علماء، جمع جريء: أي متسلِّطين عليه، غير هائبين له.

(٣) رَكَبَة: ركبان الإبل وهم مادون العشرة.

الحديث بطوله. وهكذا أخرجه ابن سعد (٤/١٥٨) عن عمرو بن عبسة مطوّلاً. وأخرجه أيضاً أحمد (٤/١١١) عن أبي أُمامة عن عمرو بن عبسة ـ فذكر الحديث وفيه: قلت: بماذا أرسلك؟ فقال: «بأن تُوصل الأرحام، وتُحقَن الدماء، وتُؤمَن السبل، وتُكسر الأوثان، ويُعبد اللهُ وحده لا يشرك به شيء». قلت نِعْمَ ما أرسلك به وأُشهدُك أني قد آمنت بك وصدَّقتك، أفأمكث معك أم ما ترى؟ فقال: «قد ترى كراهة الناس لما جئتُ به فامكث في أهلك، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجي فائتني». وأخرجه أيضاً مسلم والطبراني وأبو نُعيم كما في الإصابة (٣/٦) وابن عبد البَرِّ في الاستيعاب (٢/٥٠٠) من طريق أبي أُمامة بطوله، وأبو نُعيم في دلائل النبوة (ص ٨٦).

﴿ دعوته ﷺ لخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه ﴾

أخرج البَيْهقي عن جعفر بن محمد بن خالد بن الزُبير عن أبيه ـ أو عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ـ قال: كان إسلام خالد بن سعيد ابن العاص قديماً وكان أول إخوته أسلم. وكان بَدْء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وُقِفَ به على شفير النار[١]... فذكر من سَعَتها ما الله أعلم به ـ ويرى في النوم كأنَّ أباه يدفعه فيها، ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيه[٢] لئلَّا يقع، ففزع من نومه فقال: أحلف بالله إنَّ هذه لرؤيا حق. فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له، فقال: أُريد بك خيرٌ، هذا رسول الله ﷺ فاتْبَعْهُ فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام، والإسلام يحجُزُك أن تدخل فيها، وأبوك واقع فيها، فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجْياد[٣]، فقال: يا محمد، إلامَ تدعو؟ قال: «أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا يبصر، ولا ينفع ولا يدري مَنْ عَبَدَه ممن لا يعبده!!». قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامه.

وتغيّب خالد وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأُتي به. فأنَّبه[٤]

---

(١) شفير النار: أي جانبها وحرفها.
(٢) الحَقْو: بالفتح موضع الإزار، والخصر.
(٣) أجياد: موضع بمكة.
(٤) التأنيب: المبالغة في التعنيف والتوبيخ.

وضربه بِمَقْرعة(١) في يده حتى كسرها على رأسه، وقال: والله لأمنعنَّك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويكون معه؛ كذا في البداية (٣/٣٢). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٢٤٨) من طريق الواقدي عن جعفر بن محمد ابن خالد بن الزبير عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان - فذكره وفي حديثه: وأرسل أبوه في طلبه من بقي من ولده ممن لم يسلم ورافعاً مولاه فوجدوه، فأتوا به أباه - أبا أُحَيْحة - فأنَّبه وبكَّته(٢) وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، ثم قال: أتبعتَ محمداً وأنت ترى خلافَه قومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيبه من مضى من آبائهم؟ فقال خالد: قد صدق - والله - واتبعته، فغضب أبوه - أبو أحيحة - ونال منه(٣) وشتمه، ثم قال: اذهب يا لُكَعُ(٤)! حيث شئت والله لأمنعنَّك القوت، قال خالد: فإن منعتني فإنَّ الله عزَّ وجل يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلّمه أحدُ منكم إلا صنعت به ما صنعت به، فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺفكان يلزمه، ويكون معه. وأخرجه ابن سعد (٤/٩٤) عن الواقدي عن جعفر بن محمد عن محمد بن عبدالله نحوه مطوّلاً. وهكذا ذكره في الاستيعاب (١/٤٠١) من طريق الواقدي وزاد: وتغيّب عن أبيه في نواحي مكّة حتى خرج أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فكان خالد أول من هاجر إليها. وأخرج الحاكم (٣/٣٤٩) أيضاً عن خالد بن سعيد أنَّ سعيد ابن العاص بن أمية مرض فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة ببطن مكة أبداً، فقال خالد بن سعيد عند ذلك: اللَّهمّ لا ترفعه، فتوفي في مرضه ذلك. وهكذا أخرجه ابن سعد (٤/٩٥).

﴿ دعوته ﷺ لِضماد رضي الله عنه ﴾

أخرج مسلم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم ضِمَاد

---

(١) المقرعة: السوط وكل ما قرعت به، والجمع: مقارع.
(٢) بكّته: أي وبخه. (٣) نال منه: أي من ابنه (خالد).
(٤) لُكَع: هولغة: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم، والمرأة لَكاع كقطام؛ وأكثر مجيئه في النداء وهو اللئيم.

مكة ـ وهو رجل من أَزْدِشَنوءَة ـ وكان يرقي[١] من هذه الرياح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إنَّ محمداً مجنون فقال: أين هذا الرجل؟ لعلَّ الله أن يشفيَه على يديَّ، فلقيت محمداً فقلت: إني أرقي من هذه الرياح وإنَّ الله يشفي على يديَّ من شاء فهلمَّ؛ فقال محمد: «إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهدِه الله فلا مضلَّ له ومن يُضْلِلْ فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ـ ثلاث مرات ـ، فقال: **والله لقد سمعتُ قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات، فهلُمَّ يَدك أبايِعْك على الإسلام.** فبايعه رسولُ الله ﷺ؛ فقال له: وعلى قومك، فقال: وعلى قومي. فبعث النبي ﷺ جيشاً فمرُّوا بقوم ضِمَاد، فقال: صاحب الجيش للسريَّة: هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مَطْهَرَة[٢]، فقال: ردُّها عليهم فإنهم قوم ضِمَاد. وفي رواية: فقال له ضماد: **أعِدْ عليّ كلماتُك هؤلاء، فلقد بلغنَ قاموس البحر**[٣]. كذا في البداية (٣/٣٦).

وأخرجه أيضاً النَّسائي والبَغَوي ومُسَدِّد في مسنده كما في الإصابة (٢/٢١٠). وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوّة (ص ٧٧) من طريق الواقدي، قال: حدّثني محمد بن سُلَيط عن أبيه عن عبد الرحمن العدوي قال: قال ضِمَاد: قدمت مكة معتمراً فجلست مجلساً فيه أبو جهل وعتبة بن ربيعة وأُميّة ابن خَلَف، فقال أبو جهل: هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا، وسفَّه أحلامنا، وأضلَّ من مات منا، وعاب آلهتنا؛ فقال أُمية: الرجل مجنون غير شكٍّ. قال ضماد: فوقعتْ في نفسي كلمتُه وقلت: إني رجل أعالج من الريح، فقمت من ذلك المجلس وأطلب رسول الله ﷺ فلم أُصادفه[٤] ذلك اليوم حتى كان الغد، فجئته فوجدته جالساً خلف المَقَام يصلِّي، فجلست حتى فرغ ثم

(١) الرُّقْية: ما يقرأ من الكلام للمرضى ولغيرهم تعوّذاً من الأذى وطلباً للبرء.

(٢) المطهرة بفتح الميم وكسرها: وعاء من الجلد يوضع فيه الماء ويقال لها أيضاً إداوة.

(٣) قاموس البحر: وسطه ومعظمه، أي بلغت غاية البلاغة.

(٤) لم أصادفه: أي فلم أجده.

جلست إليه فقلت: يا ابن عبدالمطلب، فأقبل عليّ فقال: ما تشاء؟ فقلت: إنِّي أعالج من الريح، فإن أحببت عالجتك ولا تُكبِرنَّ ما بك فقد عالجت من كان به أشدّ مما بك فبرأ، وسمعت قومك يذكرون فيك خصالاً سيئة: من تسفيه أحلامهم، وتفريق جماعتهم، وتضليل من مات منهم، وعيب آلهتهم، فقلت: ما فعل هذا إلاَّ رجل به جِنَّة[1].

فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله». قال ضماد: فسمعت كلاماً لم أسمع كلاماً قطُّ أحسن منه فاستعدته الكلام فأعاد عليّ، فقلت: إلامَ تدعو؟ قال: «إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتخلع الأوثان من رقبتك، وتشهد أنِّي رسول الله». فقلت: فماذا لي إن فعلت؟ قال: «لك الجنة»، قلت: فإنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأخلع الأوثان من رقبتي وأبرأ منها، وأشهد أنَّك عبد الله ورسوله. فأقمت مع رسول الله ﷺ حتى عُلِّمت سوراً كثيرة من القرآن، ثم رجعت إلى قومي. قال عبدالله بن عبد الرحمن العدوي: فبعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه في سريّة وأصابوا عشرين بعيراً بموضع واستاقوها، وبلغ عليَّ ابن أبي طالب أنَّهم قوم ضِمَاد فقال: ردّوها إليهم، فرُدَّت.

﴿ دعوته ﷺ لحُصَين والد عمران رضي الله عنهما ﴾

أخرج ابن خُزَيْمَةَ عن عِمران بن خالد بن طُلَيق بن محمد بن عمران ابن حصين قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده: أن قريشاً جاءت إلى الحُصَين - وكانت تعظِّمه - فقالوا له: كلِّم لنا هذا الرجل فإنَّه يذكر آلهتنا ويسبُّهم، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ، فقال: «أوسعوا للشيخ - وعمران وأصحابه متوافرون - فقال حُصَين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة[2] وخيراً؟ فقال: «يا حُصَين،

(١) الجنّة: الجنون، قال تعالى: «أم به جنّة»، والجنّ أيضاً.

(٢) حصَينة: عاقلاً متحصناً بدين آبائه وأجداده ومعتقداتهم.

إنَّ أبي وأباك في النار؛ يا حصين، كم تعبد من إله؟» قال: سبعاً في الأرض وواحداً في السماء، قال: «فإذا أصابك الضرُّ من تدعو؟» قال: الذي في السماء، قال: «فإذا هلك المال من تدعو؟» قال: الذي في السماء، قال: «فيستجيب لك وحده وتشركهم معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟» قال: ولا واحدة من هاتين؛ قال: **وعلمت أنِّي لم أكلم مثله**، قال: «يا حُصَين، أسلم تسلم»، قال: إنَّ لي قوماً وعشيرةً فماذا أقول؟ قال: «قل: اللَّهمَّ، أستهديك لأرشد أمري وزدني علماً ينفعني»، فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عِمْران فقبَّل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى، وقال: «بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلمّا أسلم قضَى حقَّه فدخلني من ذلك الرِّقَّة». فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: «قوموا فشيِّعوه[١] إلى منزله»، فلما خرج من سُدَّة الباب رأته قريش فقالوا: صبأ!! وتفرقوا عنه. كذا في الإصابة (١/٣٣٧).

﴿ دعوته ﷺ لرجل لم يسمَّ ﴾

أخرج أحمد عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من قومه أنه أتى رسول الله ﷺ - أو قال: شهدت رسول الله ﷺ - وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله؟ - أو قال أنت محمد - ؟ فقال: «نعم»، قال: ما تدعو؟ قال: «أدعو الله عز وجل وحده، مَنْ إذا كان لك ضُرٌّ فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام[٢] فدعوته أنبتَ لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأضللتَ[٣] فدعوته ردَّ عليك». فأسلم الرجل ثم قال: أوصني يا رسول الله، فقال: «لا تسبنَّ شيئاً» - أو قال: «أحداً»، شكَّ الحَكَم - قال: فما سببتُ بعيراً ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (٨/٧٢): وفيه الحكم بن فُضَيل وثَّقه أبو داود وغيره وضعَّفه أبو زُرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. إ هـ.

﴿ دعوته ﷺ لمعاوية بن حَيْدة رضي الله عنه ﴾

أخرج ابن عبد البرّ في الاستيعاب - وصحّحه - عن معاوية بن حَيْدة

(١) شيِّعوه: كونوا في وداعه حتى يصل إلى منزله.
(٢) عام: أي جدب ومجاعة وقحط.
(٣) أضللت: أي ضاعت منك دابتك.

القُشَيري قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد الأنامل ـ وطبَّق بين كفَّيه إحداهما على الأخرى ـ أن لا آتيك ولا آتي دينك!! فقد أتيتك امرأً لا أعقـل شيئاً إلا ما علمني الله، وإنِّي أسألك بوجه الله العظيم بِم بعثك ربُّنا إلينا؟ قال: «بدين الإسلام»، قال: وما دين الإسلام؟ قال: «أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخلَّيت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكلُّ مسلم على كلِّ مسلم محرَّم، أخوان نصيران، لا يقبل الله ممَّن أشرك بعد ما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين. ما لي أمسك بحُجَزِكم عنِ النَّار؟! ألاَ وإنَّ ربي داعيّ وإنَّه سائلي هل بلَّغت عبادي؟ فأقول: ربِّ قد بلَّغت. ألاَ فليبلِّغْ شاهُدكم غائِبَكم. ألاَ ثم إنَّكم تُدعَون مُفْدَمةً أفواهُكم بالفِدام[1]، ثم إنَّ أول شيء ينبىء عن أحدكم لَفَخِذُه وكفُّه». قال: قلت: يا رسول الله، هذا ديننا؟ قال: «هذا دينك وأينما تُحْسِنْ يَكْفِك» ـ وذكر تمام الحديث.

فهذا هو الحديث الصحيح بالإسناد الثابت المعروف، وإنما هو لمعاوية ابن حيدة لا لحكيم أبي معاوية، وقد أخرج قبله حديث حكيم هذا أنه قال: يا رسول الله؟ ربنا بِمَ أرسلك؟ قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكلُّ مسلم على كلِّ مسلم محرَّم، هذا دينك وأينما تكن يكفك»، هكذا ذكره ابن أبي خيثمة، وعلى هذا الإسناد عوَّل فيه وهو إسناد ضعيف، كذا في الاستيعاب (١/٣٢٣). وقال الحافظ في الإصابة (١/٣٥٠): ولكن يحتمل أن يكون هذا آخر ولا بُعد في أن يتوارد اثنان على سؤال واحد، ولا سيما مع تباين المخرِّج، وقد ذكره ابن أبي عاصم في الوحدان، وأخرج الحديث عن عبد الوهاب بن نجدة وهو الحوطي شيخ ابن أبي خيثمة فيه. انتهى.

---

(١) وفي مجمع البحار (٢/٦٣): إنكم مدعوون يوم القيامة مفدمة أفواهكم بالفدام وهو ما يشد على فم إبريق وكوز من خرقة لتصفية الشراب أي يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم ـ ذكره في الفدم.

﴿ دعوته ﷺ لعديٍّ بن حاتم رضي الله عنه ﴾

أخرج أحمد عن عديٍّ بن حاتم قال: لمَّا بلغني خروج[١] رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم - وفي رواية: حتى قدمت على قيصر - قال: فكرهت مكاني ذلك أشدّ من كراهتي لخروجه، قال: قلت: والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرني وإن كان صادقاً علمت، قال: فقدمت فأتيته. فلما قدمت قال الناس: عديُّ ابن حاتم، عدي بن حاتم!! قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عديُّ بن حاتم، أسلم تسلم - ثلاثاً - قال: قلت: إنِّي على دين. قال: **«أنا أعلم بدينك منك»** فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: «نعم، ألستَ من الرَّكوسِيَّة[٢] وأنت تأكل مِرْباع[٣] قومك؟» قلت: بلى، قال: «هذا لا يحل لك في دينك»، قال: فلم يَعْدُ أن قالها فتواضعتُ لها، فقال: «أما إنِّي أعلم الذي يمنعك من الإسلام. تقول: إنَّما أتَّبعه ضَعَفَةُ الناس ومن لا قوة لهم وقد رمتهم العرب. أتعرفُ الحيرة[٤]؟» قلت: لم أرها وقد سمعت بها. قال: «فوالذي نفسي بيده ليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظَّعينة[٥] من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وَلَيُفْتَحَنَّ كنوز كسرى بن هُرْمُز»، قال: قلت: كسرى بن هُرْمُز؟ قال: «نعم كسرى بن هرمز، ولَيُبذَلَنَّ المال حتى لا يقبله أحد».

قال عديُّ بن حاتم: فهذه الظعينة تأتي من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده لتكوننَّ الثالثة، لأن رسول الله ﷺ قد قالها، كذا في البداية (٥/٦٦) وأخرجه البغوي أيضاً في معجمه بمعناه، كما في الإصابة (٢/٤٦٨).

وأخرج أحمد أيضاً عن عديٍّ بن حاتم قال: جاءت خيل رسول

---

(١) خروج رسول الله: هو إرساله ﷺ رسولاً من قبل رب العالمين، وقد يكون المراد: بعثه عليه السلام سرية من أصحابه لغزو قبيلة طيِّء قبيلة عدي.

(٢) الركوسية: دين بين النصارى والصابئين. (٣) المرباع: ربع الغنيمة.

(٤) الحيرة: بلد قديم بظهر الكوفة.

(٥) الظعينة: هي المرأة في الهودج ثم قيل للمرأة وحدها.

الله ﷺ وأنا بعقرب فأخذوا عمَّتي وناساً فلما أتَوا بهم رسول الله ﷺ قال: فصُفُّوا له. قالت: يا رسول الله، بانَ الوافد[(١)]، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خِدْمة، فَمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك، فقال: «ومن وافدك؟» قالت: عديُّ بن حاتم، قال: «الذي فرَّ من الله ورسوله؟» قالت: فَمُنَّ عليَّ، فلما رجعَ ورجُلٌ إلى جنبه نرى أنه علي ـ قال: سَلِيه حُمْلاناً[(٢)]، قال: فسألْته فأمَر لها. قال عديّ: فأتتني فقالت: لقد فعلتَ فعلةً ما كان أبوك يفعلها وقالت: إيته راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه، قال: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان ـ أو صبي ـ، ـ فذكر قربهم منه ـ، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر. فقال له: «يا عديُّ ابن حاتم، ما أفرَّك؟! أفرَّك أن يقال: لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله؟!. ما أفرك؟ أفرك أن يقال: الله أكبر، فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟!» قال: فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال: «إنَّ المغضوب عليهم اليهود، وإنَّ الضالين النَّصارى.

قال: ثم سألوه:[(٣)] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فلكم أيُّها الناس أن ترضخوا[(٤)] من الفضل، ارتضخ امرؤ بصاع، ببعض صاع، بقبضة، ببعض قبضة» ـ قال شعبة:[(٥)] «وأكثر علمي أنه قال «بتمرة، بشقِّ تمرة» وإنَّ أحدكم لاقي الله فقائل ما أقول: ألم أجعلكَ سميعاً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالاً وولداً؟ فماذا قدَّمت؟ فينظر من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فلا يجد شيئاً، فما يتَّقي النار إلا بوجهه، فاتقوا النَّارولو بشقِّ تمرة، فإن لم تجدوه فبكلمة ليِّنة، إني لا أخشى عليكم الفاقة؛ لينصرنَّكم الله وليعطينَّكم ـ أو ليفتحنَّ عليكم ـ حتى تسير الظَّعينة بين الحيرة ويثرب، أو أكثر. ما تخاف السَرَق على ظعينتها». وقد رواه الترمذي وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك. وأخرج البيهقي شيئاً منه من آخره، وهكذا

---

(١) في المسند: نأى، ومعناه كمعنى (بان): أي بَعُدَ، والوافد معناها هنا: المعين.

(٢) حملاناً: دابة للركوب.

(٣) سألوه: طلب منه بعضهم عطاءً.

(٤) ترضخوا: أن تعطوا.

(٥) شعبة هذا: هو أحد الرواة.

أخرجه البخاري مختصراً كما في البداية (٥/٦٥).

﴿ دعوته ﷺ لذي الجَوْشَن الضبابي رضي الله عنه ﴾

أخرج الطبراني عن ذي الجَوْشَن الضبابي قال: أتيت النبي ﷺ بعد أن فرغ من أهل بدر بابن فرس لي يقال لها «القَرْحاء»، فقلت: يا محمد، قد جئتك بابن القرحاء لتتخذه، قال: «لا حاجة لي فيه وإن أردتَ أقيضك[١] بها[٢] المختارة من دروع بدر فعلتُ». فقلت: ما كنت لأقيضه اليوم بغُرة[٣]، قال: «لا حاجة لي فيه» ثم قال: «يا ذا الجوشن، ألاَ تسلم فتكون من أول أهل هذا الأمر؟» فقلت: لا، قال: «لِمَ؟» قال: قلتُ رأيتُ قومك قد وَلِعوا بك. قال: «فكيف بلغك عن مصارعهم ببدر؟» قلت: قد بلغني، قال: «فإنا نُهدي[٤] لك»، قلت: إن تغلب على الكعبة وتقطنها[٥]، قال: «لعلك إن عشت ترى ذلك»، ثم قال: «يا بلال، خذ حقيبة الرجل فزوده من العجوة»[٦]، فلما أدبرت قال: «أما إنَّه من خير فرسان بني عامر». قال: فوالله إنِّي بأهلي بالغور إذ أقبل راكب، فقلت: ما فعل الناس؟ قال: والله قد غلب محمد على الكعبة وقطنها، فقلت: هَبِلَتْني[٧] أمي ولو أسلمت يومئذ ثم أسأله الحير لأقطعنيها!!.

وفي رواية: فقال له النبي ﷺ: «ما يمنعك من ذلك؟» قال: رأيت قومك قد كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك فأنظر ماذا تصنع؟ فإن ظهرتَ عليهم آمنت بك واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتبعك. قال الهيثمي (٦/١٦٢): رواه عبدالله ابن أحمد وأبوه - ولم يسق المتن - والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح، وروى أبو داود بعضه. انتهى.

﴿ دعوته ﷺ لبشير بن الخَصاصِيَة رضي الله عنه ﴾

أخرج ابن عساكر عن بشير بن الخَصاصِيَة قال: أتيت رسول الله ﷺ

---

(١) أقيضك: أبدلك به وأعوضك عنه.
(٢) لعل الصحيح: به.
(٣) في المسند: بعُدة: أي الأسلحة. ومعنى غرة الخيول: خيارها.
(٤) هَدَى: بمعنى بيَّن، لغة أهل الغور.
(٥) تقطنها: أي تسكنها.
(٦) العجوة: نوع من تمر المدينة.
(٧) هبلتني: أي فقدتني.

فدعاني إلى الإسلام، ثم قال لي: «ما اسمك»؟ قلت نذير، قال: «بل أنت بشير» فأنزلني بالصُّفَّة[١]، فكان إذا أتته هديّة أشركنا فيها وإذا أتته صدقة صرفها إلينا، فخرج ذات ليلة فتبعته فأتى البقيع[٢] فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا بكم لاحقون، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. لقد أصبتم خيراً بجيلاً[٣]، وسبقتم شرّاً طويلاً». ثم التفت إليَّ فقال: «من هذا؟» فقلت: بشير، فقال: «أما ترضَى أن أخذ الله سمعَك وقلبَك وبصرك إلى الإسلام من بين ربيعة الفَرَس الذين يقولون: أن لولاهم لائتفكت[٤] الأرض بأهلها»، قلت: بلى، يا رسول الله، قال: «ما جاء بك؟» قلت: خفتُ أن تُنكب أو تصيبك هامةٌ من هوامِّ الأرض. وعنده أيضاً والطبراني والبيهقي: «يا بشير، ألَا تحمد الله الذي أخذ بناصيتك إلى الإسلام من بين ربيعة؛ قوم يرَون أن لولاهم لائتفكتِ الأرضُ بمن عليها». كذا في المنتخب (٥/١٤٦).

﴿ دعوته ﷺ لرجل لم يسمَّ ﴾

أخرج أبو يَعْلى عن حرب بن سُريج قال: حدثني رجل من بلْعَدَوِيَّة، قال: حدثني جدِّي قال: انطلقت إلى المدينة فنزلت عند الوادي، فإذا رجلان بينهما عنز واحدة وإذا المشتري يقول للبائع: أحسن مبايعتي، قال: فقلت في نفسي: هذا الهاشمي الذي قد أضلَّ الناس أهو هو؟ قال: فنظرت فإذا رجل حسن الجسم، عظيم الجبهة، دقيق الأنف، دقيق الحاجبين، وإذا من ثُغْرة[٥] نحره إلى سُرّته مثل الخيط الأسود شعر أسود، وإذا هو بين طِمْرين[٦] قال: فدنا منا فقال: السلام عليكم، فرددنا عليه، فلم ألبث أن دعا المشتري فقال: يا رسول الله، قل له: يحسن مبايعتي، فمدَّ يده وقال: «أموالكم

---

(١) الصفّة: موضع مُظَلَّلٌ في مسجد النبي عليه السلام بالمدينة كان يسكنه فقراء المهاجرين إلى المدينة ممن لم يكن لهم منزل يسكنونه ولا عشائر، وكان أهل الصفّة يتعلمون القرآن ويخرجون في كل غزوة، وكان رسول الله ﷺ يدعوهم بالليل إذا تعشّى فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله ﷺ، حتى جاء الله بالغنى، ومن أهل الصفة الصحابي المشهور أبو هريرة.

(٢) البقيع: مقبرة أهل المدينة.

(٣) بجيلاً: أي واسعاً.

(٤) لائتفكت: انقلبت.

(٥) ثغرة النحر: هي نقرة النحر فوق الصدر.

(٦) الطمر: الثوب الخَلَق.

تملكون، إنِّي أرجو أن ألقى الله عز وجل يوم القيامة لا يطلبني أحد منكم بشيء ظلمته في مال ولا في دم ولا عرض إلاّ بحقه. رحم الله امرأ سهل البيع، سهل الشراء، سهل الأخذ، سهل العطاء، سهل القضاء، سهل التقاضي»، ثم مضى.

فقلت: والله لأقضينَّ[1] هذا فإنه حسن القول، فتبعته فقلت: يا محمد، فالتفت إليَّ بجميعه فقال: «ما تشاء؟» فقلت: أنت الذي أضللتَ الناس وأهلكتَهم وصدَدتهم عمَّا كان يعبد آباؤهم؟ قال: «ذاك الله». قال: ما تدعو إليه؟ قال: «أدعو عباد الله إلى الله» قال: قلت: ما تقول؟ قال: «اشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي محمد رسول الله، وتؤمن بما أنزله عليَّ، وتكفر باللاَّت والعُزَّى، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة». قال: قلت: وما الزكاة؟ قال: «يردّ غنينا على فقيرنا»؛ قال: قلت: نِعمَ الشيء تدعو إليه. قال: **فلقد كان وما في الأرض أحد يتنفس أبغض إليّ منه، فما برح حتى كان أحب إليّ من ولدي ووالديَّ ومن الناس أجمعين.** قال: فقلت: قد عرفتُ؛ قال: «قد عرفتَ؟» قلت نعم؛ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي محمد رسول الله، وتؤمن بما أُنزل عليّ»، قال؛ قلت: نعم، يارسول الله، إنِّي أرد ماءً عليه كثير من الناس فأدعوهم إلى ما دعوتني إليه، فإنِّي أرجو أن يتَّبعوك، قال: نعم، فادعهم»؛ فأسلم أهل ذلك الماء رجالهم ونساؤهم، فمسح رسول الله ﷺ رأسه. قال الهيثمي (٩/١٨) وفيه: راوٍ لم يسمَّ، وبقية رجاله وُثِّقوا. انتهى.

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك أنَ النبي ﷺ دخل على رجل من بني النجار يعوده، فقال له رسول الله ﷺ: «يا خِال[2]، قل: (لا إله إلا الله)»، فقال: خالٌ أنا أو عمٌّ؟ فقال النبي ﷺ: «لا، بل خال»؛ فقال: «قل: (لا إله إلا الله)»، قال: هو خيرٌ لي؟ قال: «نعم». قال الهيثمي (٥/٣٠٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

---

(١) لأقضينَّ هذا: لأمضينَّ إليه.

(٢) كان النبي عليه السلام يقول عن بني النجار الخزوجيين إنهم أخواله لأن (سلمى) أمَّ جده عبد المطلب كانت منهم، وهذا من لطفه وبرِّه، وصلة رحمه ﷺ.

وأخرج البخاري وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطِعْ أبا القاسم؛ فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار». كذا في جمع الفوائد (١/ ١٢٤).

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أنس أنَّ النبي ﷺ قال لرجل: «أسلم تسلم»، قال: إنِّي أجدني كارهاً، قال: «وإن كنت كارهاً». قال الهيثمي (٥/ ٣٠٥): رجالها رجال الصحيح.

﴿ دعوته ﷺ لأبي قحافة رضي الله عنه ﴾

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما كان يوم الفتح قال رسول الله ﷺ لأبي قُحافة: «أسلم تسلم». قال الهيثمي (٥/ ٣٠٥): رجاله رجال الصحيح. انتهى. وعند ابن سعد (٥/ ٤٥١): عن أسماء قالت: لما دخل رسول الله ﷺ مكة واطمأنَّ وجلس في المسجد أتاه أبو بكر بأبي قحافة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا أبا بكر، ألَا تركتَ الشيخ حتى أكون أنا الذي أمشي إليه؟» قال يا رسول الله، هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه. فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ووضع يده على قلبه ثم قال: «يا أبا قحافة، أسلم تسلم»؛ قال: فأسلم وشهد شهادة الحق. قال: وأُدخل عليه ورأسه ولحيته كأنَّها ثُغَامة[1]، فقال رسول الله ﷺ: «غيِّروا هذا الشيب وجنِّبوه السواد».

دعوته ﷺ لأفراد المشركين ممَّن لم يسلم

﴿ دعوته عليه السلام لأبي جهل ﴾

أخرج البيهقي عن المغيرة بن شعبة قال: إنَّ أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة[2] مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «يا أبا الحَكَم، هَلُمَّ إلى الله وإلى

(١) الثُغامة: نبت أبيض الزهر والثمر. (٢) أزقة: جمع زقاق أي السكَّة.

رسوله، أدعوك إلى الله»، فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت مُنتهٍ عن سب آلهتنا؟! هل تريد إلاَّ أن نشهد أنَّك قد بلّغت؟! فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أنِّي أعلم أنَّ ما تقول حقٌّ لاتبعتك.

فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ، ولكن يمنعني شيء: أنَّ بني قُصَيّ[1] قالوا: فينا الحجابة[2] فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السِّقاية[3]، فقلنا نعم؛ ثمَّ قالوا: فينا النَّدوة[4]، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللِّواء[5]، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكَّت الرُّكَب[6] قالوا: منا نبي، والله لا أفعل!!. كذا في البداية (٣/٦٤).

وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة بنحوه، كما في الكنز (٧/١٢٩) وفي حديثه: «يا أبا الحَكَم هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله».

﴿ دعوته عليه السلام للوليد بن المغيرة ﴾

وأخرج إسحاق بن راهَوَيْه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الوليد ابن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمّ، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكَهُ، فإنَّك أتيت محمداً لتعرِضَ ما قِبَلَه، قال: قد عَلِمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنَّك مُنكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه

---

(١) قصي: هو الجدُّ الرابع لرسول الله ﷺ، وهو الذي وضع أسس أمجاد قريش بعد أن جمع شملها، ووحَّد صفوفها، وانتزع السيادة لها مـن خزاعة، فنصبته ملكاً على مكة، فكان قصي «أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه: الحجابة، والسِّقاية، والرِّفادة، والنَّدوة، واللواء، فحاز شرف مكة كله» الطبري (٢/٢٥٨) ط دار المعارف بمصر.

(٢) الحجابة: أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحدٌ إلا بإذنه.

(٣) السِّقاية: سقاية الحجيج في موسم الحج، وهي وظيفة هامة نظراً لقلَّة المياه في مكة.

(٤) الندوة: الاجتماع للمشورة والرأي بدار الندوة التي أسسها قصي وكانت بمثابة مجلس شورى لقريش.

(٥) اللواء: راية الحرب وكان قصي يحملها أو يسلمها لمن يختار.

(٦) تحاكت الركب: اصطكَّت ببعضها. والمعنى حتى إذا تساوينا في إطعام الطعام مع بني قصي.

ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة[١]، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ[٢] أسفله، وإنه لَيَعلُو ولا يُعلى، وإنه ليحطِم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكَّر قال: إنْ هذا إلا سحر يُؤثر، يأثره[٣] عن غيره، فنزلت: «ذَرْني ومَنْ خَلَقْتُ وحيداً. وجعلتُ له مالاً ممدوداً. وبنين شهوداً»[٤] - الآيات. هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبدالله بن محمد الصنعاني بمكة عن إسحاق. وقد رواه حمَّاد بن زيد عن أيوب عن عِكرمة - مرسلاً - فيه أنّه قرأ عليه: «إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربَى، وينهى عن الفَحْشاءِ والمنكرِ والبَغْي، يَعِظُكُم لعلَّكُم تَذكَّرون»[٥]. كذا في البداية (٣/ ٦٠). وأخرجه ابن جرير عن عكرمة كما في التفسير لابن كثير (٤/ ٤٤٣).

دعوته صلى الله عليه وسلم الاثنين

﴿ دعوته عليه السلام لأبي سفيان وهند ﴾

أخرج ابن عساكر عن معاوية رضي الله عنه قال: خرج أبو سفيان إلى بادية له مُردِفاً هنداً[٦]، وخرجت أسير أمامها وأنا غلام على حمارة لي إذ سمعنا[٧] رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: انزل يا معاوية حتى يركب محمد، فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة، ثم التفت إلينا فقال: «يا أبا سفيان بن حرب، ويا هند بنت عتُبة، والله لتموتنَّ ثم لتبعثنَّ، ثم ليدخلنَّ المحسن الجنة والمسيء النار، وأنا أقول لكم بحقٍّ وإنَّكم لأولُ من أُنذرتم»، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ حمٓ تنزيلٌ من الرحمن الرحيم ﴾[٨] - حتى بلغ - قالتا أتَيْنا طائعين»[٩]، فقال له أبو سفيان: أفَرَغْت يا محمد؟ قال:

(١) طلاوة: أي رونقاً وحسناً.
(٢) مغدق: أي كثير غزير.
(٣) أثَرَ الحديث: ذكره عن غيره.
(٤) سورة المدثر: ١١ - ١٣.
(٥) سورة النحل (٩٠).
(٦) أردفها: أركبها وراءه.
(٧) في الهيثمي: إذ لحقنا.
(٨) سورة فصلت: ١ - ٢.
(٩) سورة فصلت: ١١.

نعم، ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها، وأقبلت هند على أبي سفيان فقالت: ألهذا الساحر أنزلتَ ابني؟ **قال: لا والله ما هو بساحر، ولا كذَّاب**؛ كذا في الكنز (٧/ ٩٤). وأخرجه الطبراني أيضاً مثله. قال الهيثمي (٦/ ٢٠): حُمَيد بن مُنْهب لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

﴿ دعوته عليه السلام لعثمان وطلحة ﴾

وأخرج ابن سعد (٣/ ٥٥) عن يزيد بن رومان قال: خرج عثمان ابن عفان وطلحة بن عُبيدالله رضي الله عنهما على إثر الزبير بن العوام رضي الله عنه، فدخلا على رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله. فآمَنَا وصدّقا، فقال عثمان: يا رسول الله، قدمتُ حديثاً من الشام، فلما كنا بين مَعَان والزرقاء فنحن كالنيام إذا منادٍ ينادينا أيُّها النيام، هُبوا فإن أحمدَ قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك. وكان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

﴿ دعوته عليه السلام لعمار وصهيب ﴾

وأخرج ابن سعد (٣/ ٢٤٧) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: لقيت صهيب بن سنان رضي الله عنه على باب دار الأرقم ورسول الله فيها فقلت له: ما تريد، قال لي: ما تريد أنت، فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمعَ كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مُسْتَخْفُون؛ فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً. رضي الله عنهم.

﴿ دعوته عليه السلام لأسعد بن زُرَارة وذَكْوان بن عبد قيس ﴾

وأخرج ابن سعد (٣/ ٦٠٨) عن خُبَيب بن عبد الرحمن قال: خرج أسعد بن زُرَارة وذَكْوان بن عبد قيس إلى مكة يتنافران[1] إلى عُتبة بن ربيعة،

---

(١) يتنافران: يتحاكمان.

فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، فأسلما ولم يقربا عتبة بن ربيعة، ورجعا إلى المدينة؛ فكانا أول من قدم بالإسلام بالمدينة.

عرضه ﷺ الدعوة على الجماعة

﴿ مخاصمة رؤساء قريش النبي ﷺ في دعوته لهم وما أجابهم ﴾

أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان ابن حرب، ورجلاً من بني عبد الدار، وأبا البَخْتري أخا بني الأسد، والأسود ابن عبد المطَّلب بن أسد، وزَمْعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل ابن هشام، وعبدالله بن أبي أُمية، وأميةَ بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيها ومُنَبِّها ابني الحجَّاج السَّهْمِيَيْن، اجتمعوا ـ أو من اجتمع منهم ـ بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه أنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنَّه قد بَدَا لهم في أمره بَدَاء[1] ـ وكان عليهم حريصاً يحب رُشدهم ويَعزُّ عليه عَنَتُهم[2] ـ حتى جلس إليهم. فقالوا: يا محمد، إنَّا قد بعثنا إليك لنُعذِر[3] فيك، وإنَّا ـ والله ـ ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك!! لقد شتمتَ الآباء، وعبتَ الدين، وسفَّهت الأحلام[4]، وشتمتَ الآلهة، وفرّقتَ الجماعة، فما بقي من قبيح إلاَّ وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإنْ كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وإنْ كنت إنَّما تطلب الشرف فينا سوَّدْناك علينا. وإنْ كنت تريد ملكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رَئِيّاً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمُّون التابع من الجنِّ «الرئيّ» ـ فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطبِّ حتى نبرئك منه أو نُعذر فيك.

---

(١) بداء: أي ظهر لهم في أمره رأي جديد. (٣) لنعذر: لنصبح أصحاب عذر.
(٢) عنتهم: أي مشقتهم وفسادهم وهلاكهم. (٤) الأحلام: العقول.

فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أنْ أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلَّغتكم رسالاتِ ربي، ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم من الدنيا والآخرة، وإنْ تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» - أوْ كما قال رسول الله ﷺ.

فقالوا: يا محمد، فإنْ كنت غير قابل منَّا ما عرضنا عليك فقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من الناس أضيقَ بلاداً، ولا أقلَّ مالاً، ولا أشدَّ عيشاً منا؛ فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فلْيُسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادَنا، وليُفَجِّر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعثْ لنا من مضى من آبائنا، وليكنْ فيمن يبعث لنا منهم قصيٌّ بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً؛ فنسألهم عمّا تقول أحقٌّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك وصدَّقوك صدَّقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله وأنَّه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بهذا بُعثت، إنَّما جئتكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم؛ فإن تقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فَسَلْ ربك أن يبعث مَلَكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وتسأله فيجعل لك جناتٍ وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي - فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه - حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربَّه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكنَّ الله بعثني بشيراً ونذيراً؛ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإنْ تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أنَّ ربك إن شاء فعل ذلك، فإنَّا لن

نُؤمن لك إلا أن تفعل. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله إنْ شاء فعل بكم ذلك». فقالوا: يا محمد، أمَا علم ربك أنَّا سنجلس معك ونسألك عمَّا سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب؟ فيقدم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنَّه إنَّما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له «الرحمن» وإنَّا ـ والله ـ لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد!! أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تُهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً[1].

فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبدالله بن أبي أُمية ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطَّلب ـ فقال: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أُموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أنْ تُعجِّل لهم ما تُخوِّفهم به من العذاب؛ فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّماً، ثم ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنَّك كما تقول، وايْمُ الله لو فعلتَ ذلك لظننتُ أنِّي لا أُصدقك. ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسفاً[2] لما فاتَه ممَّا كان طمع فيه من قومه حين دَعوه، ولَمَا رأى من مباعدتهم إيَّاه. وهكذا رواه زياد بن عبدالله البَكَّائي عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فذكر مثله سواء؛ كذا في التفسير لابن كثير (٣/٦٢) والبداية (٣/٥٠).

﴿ دعوته ﷺ لأبي الحَيْسم وفتية من بني عبد الأشهل ﴾

وأخرج أبو نُعيم عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل قال: لَمَّا قدم

---

(١) قبيلًا: أصل القبيل: الجماعة من صنف واحد. والمراد: تأتي بهم جماعة بعد جماعة.
(٢) أسفاً: أي متلهفاً حزيناً.

أبو الحَيْسم أنس بن رافع[1] مكة ـ ومعه فتيةٌ من بني عبد الأشهل فيهم إياس ابن مُعاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ـ سمع رسول الله ﷺ بهم، فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: «هل لكم إلى خير مما جئتم له؟» فقالوا: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، ونزَّل عليَّ الكتاب». ثم ذكر الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال إياس بن معاذ ـ وكان غلاماً حَدَثاً ـ: **أيْ قوم، هذا ـ والله ـ خير مما جئتم له.** فأخذ أبو الحيسم أنس بن رافع حفنة من البطحاء[2] وضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة «بُعاث» بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أنْ هَلَك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَنْ حضره من قومي عند موته: أنَّهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل[3] الله، ويكبِّره، ويسبِّحه، حتى مات، فما يشكُّون أنْ قد مات مسلماً، **لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع**؛ كذا في كنز العمال (١١/٧). وأخرجه أيضاً أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، كما قال الهيثمي (٦/٣٦). وأسنده أيضاً ابن إسحاق في المغازي عن محمود بن لبيد بنحوه، رواه جماعة عن ابن إسحاق وهو من صحيح حديثه كما قال في الإصابة (٩١/١).

عرضه ﷺ الدعوة على المجامع

﴿ دعوته عليه السلام لعشيرته الأقربين وبطون قريش عند نزول الآية ﴾

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[4]؛ خرج النبي ﷺ حتى علا المَرْوة ثم قال: «يا آل فِهر» فجاءته قريش، فقال أبو لهب بن عبدالمطلب: هذه فهر عندك فقُلْ. فقال: «يا آل غالب»، فرجع بنو محارب وبنو الحارث ابنا فهر، فقال: «يا آل لؤي بن غالب»،

(١) في المجمع: أبو الحيسر أنس بن نافع. والصحيح: أبو الحيسر، وقد ورد في أكثر المراجع.
(٢) البطحاء: مسيل واسع بمكة فيه دقاق الحصى.
(٣) يقول: لا إله إلا الله.
(٤) سورة الشعراء: ٢١٤.

فرجع بنو تَيْم الأدرم بن غالب، فقال: «يا آل كعب بن لؤي»، فرجع بنو عامر ابن لُؤي، فقال: «يا آل مُرَّة بن كعب»، فرجع بنو عَدِيّ بن كعب وبنو سَهْم وبنو جُمَح ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي، فقال: «يا آل كلاب بن مرة»، فرجع بنو مخزوم ابن يقظة بن مُرَّة وبنو تَيْم بن مرة، فقال: «يا آل قصي»، فرجع بنو زُهْرة ابن كلاب، فقال: «يا آل عبد مناف»! فرجع بنو عبد الدار بن قُصَي وبنو أسد ابن عبد العُزَّى بن قصي وبنو عبد بن قصي. فقال أبو لهب: هذه بنو عبد مناف عندك فقل. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين وأنتُم الأقربون من قريش، وإني لا أملك لكم من الله حظاً ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا: «لا إله إلا الله» فأشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم العرب وتذلُّ لكم بها العجم». فقال أبو لهب: تبًّا لك فلهذا دعوتنا؟! فأنزل الله: ﴿ تبَّت يدا أبي لهب ﴾[1]، يقول: خَسرتْ يدا أبي لهب. كذا في الكنز (١/ ٢٧٧).

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله: «وأنذر عشيرتك الأقربين» أتى النبي ﷺ الصَّفَا[2] فصعد عليه، ثم نادى: «يا صباحاه»[3]، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بسفح[4] هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»،

---

(١) سورة المسد: ١.

(٢) الصفا والمروة: جبلان صغيران قريبان من الكعبة قال الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما ومن تطوَّع خيراً فإنَّ الله شاكر عليم﴾ البقرة ١٥٨.

(٣) هذه كلمة يقولها المستغيث: وأصلها إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأنَّ القائل يا صباحاه: قد غشينا العدو؛ وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار عاودوه؛ فكأنه يريد بقوله: «يا صباحاه» قد جاء وقت الصباح فتأهَّبوا للقتال.

(٤) سفح الجبل: أي أصله وأسفله.

فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم أمَا دعوتَنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عز وجل: ﴿ تبَّت يدا أبي لهب وتب ﴾، وأخرجه الشيخان نحوه كما في البداية (٣/٣٨).

عرضه ﷺ الدعوة في مواسم الحج وعلى قبائل العرب

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على بني عامر وبني محارب ﴾

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٠١) عن عبدالله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما قال: أقام رسول الله ﷺ ثلاث سنين من نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا عشر سنين يوافي الموسم، يتَّبع الحاجَّ في منازلهم: بعُكاظ، ومَجَنَّة، وذي المجاز[١]، يدعوهم إلى أنْ يمنعوه حتى يبلِّغَ رسالة ربه عزَّ وجل ولهم الجنّة، فلا يجد أحداً ينصره،، حتى إنَّه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلةً قبيلةً، حتى انتهى إلى بني عامر بن صَعْصَعَة فلم يلق من أحد من الأذى قط ما لقي منهم، حتى خرج من عندهم وإنَّهم ليرمونه من ورائه، حتى انتهى إلى بني مُحارب بن خَصَفَة، فوجد فيهم شيخاً ابن مائة سنة وعشرين سنة، فكلّمه رسول الله ﷺ ودعاه إلى الإسلام وأنْ يمنعه حتى يبلِّغ رسالة ربه، فقال الشيخ: أيُّها الرجل، قومك أعلم بنبأك، واللهِ لا يؤوب بك رجل إلى أهله إلا آب بشرٍّ ما يؤوب به أهل الموسم، فأغنِ عنا نفسك، وإنَّ أبا لهب لقائم يسمع كلام المحاربي. ثم وقف أبو لهب على المحاربي فقال: لو كان أهل الموسم كلُّهم مثلك لترك هذا الدينَ الذي هو عليه، إنَّه صابيءٌ كذابٌ. قال المحاربي: أنت ـ والله ـ أعرف به، هو ابن أخيك ولحمتك، ثم قال المحاربي. لعلَّ به ـ يا أبا عتبة ـ لَمَماً[٢]؟ فإنَّ معنا رجلاً من الحي يهتدي لعلاجه. فلم يرجع[٣] أبو لهب بشيء، غير أنه إذا رآه وقف على حيٍّ من أحياء العرب صاح به أبو لهب إنَّه صابيء كذاب؛ وفي إسناده الواقدي.

---

(١) عكاظ: سوق بين مكة والطائف. مَجَنة وذو المجاز: سوقان في منطقة مكة، وكان العرب يجتمعون بها يتبايعون ويتفاخرون وينشدون الأشعار ويلقون الخطب، ثم يذهبون إلى مكة للحج. وانظر (ص ٢٤٥) من هذا الكتاب.

(٢) اللمم: الطرف من الجنون.

(٣) فلم يرجع: لم يردّ.

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على بني عبس ﴾

وأخرج أبو نعيم (ص ١٠٢) أيضاً من طريق الواقدي عن عبدالله ابن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال: جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى - ونحن نازلون بالجَمْرة الأولى التي تلي مسجد الخَيْف وهو على راحلته مُرْدِفاً خلفه زيد بن حارثة - فدعانا، فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا، قال: وقد كنّا سمعنا به وبدعائه في الموسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له. وكان معنا مَيْسرة بن مسروق العبسي، فقال: **أحلف بالله لو صدَّقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحُل به وسط رحالنا لكان الرأي، فأحلف بالله ليظهرنَّ أمره حتى يبلغ كلَّ مبلغ.** فقال له القوم. دَعْنا عنك لا تعرِّضنا لما لا قِبَلَ لنا به، فطمع رسول الله ﷺ في مَيْسرة فكلَّمه. فقال مَيْسرة: **ما أحسن كلامك وأنوره! ولكنَّ قومي يخالفونني، وإنَّما الرجل بقومه فإن لم يعضدوه[1] فالعِداء[2] أبعد.**

فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين إلى أهليهم. فقال لهم ميسرة: ميلوا بنا إلى فَدَك فإنَّ بها يهودَ نسائلهم عن هذا **الرجل**. فمالوا إلى يهود فأخرجوا سِفْراً[3] لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ: النبي الأمي العربي، يركب الجمل، ويجتزىء[4] بالكِسْرة، وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد[5] ولا بالسبط[6]، في عينه حُمْرة، مُشَرَّب[7] اللون. فإنْ كان **هذا** هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه، **فإنَّا نحسده فلا نتبعه، ولنا منه في مواطن بلاء عظيم** ولا يبقى أحد من العرب إلا اتَّبعه أو قاتله، فكونوا ممّن يتّبعه. فقال مَيْسرة: ياقوم، إنّ هذا الأمر بيِّنٌ، قال القوم: نرجع إلى الموسم فنلقاه. فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه

(١) لم يعضدوه: لم ينصروه.
(٢) وفي رواية: فالعِدى: جمع عدو، ومعنى الجملة: فإن لم ينصره قومه فالأعداء أبعد من أن ينصروه.
(٣) السِفر: الكتاب.
(٤) يجتزىء: يكتفي.
(٥) الجعد من الشعر: خلاف المسترسل.
(٦) السبط: هو ضد الجعد، سبط الشعر أي استرسل.
(٧) مشرّب: يخالط بياضه حُمرة: وفي البداية «مشرق» أي منير ومضيء.

أحد منهم. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وحجَّ حِجّة الوداع لقيه مَيْسرة فعرفه. فقال يا رسول الله، والله ما زلت حريصاً على اتِّباعك من يوم أنختَ بنا[١] حتى كان ما كان، وأبى الله إلاَّ ما ترى من تأخير إسلامي، وقد مات عامة النَّفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا نبي الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل من مات على غير دين الإِسلام فهو في النار». فقال: الحمد لله الذي أنقذني، فأسلم فحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر رضي الله عنه مكان. وذكره في البداية (٣/١٤٥) عن الواقدي بإسناده مثله.

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على كِنْدة ﴾

وأخرج أبو نُعيم في الدلائل (ص ١٠٣) أيضاً من طريق الواقدي حدثني محمد بن عبدالله بن كَثِير بن الصَّلْت عن ابن رومان وعبدالله بن أبي بكر وغيرهما رضي الله عنهم قالوا: جاء رسول الله ﷺ كِندة في منازلهم بعُكاظ، فلم يأتِ حيّاً من العرب كان ألين منهم، فلمَّا رأى لينهم وقوة جَبْههم[٢] له جعل يكلمهم ويقول: «أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له، وأن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، فإنْ أظهرْ فأنتم بالخيار». فقال عامتهم ما أحسن هذا القول!! ولكنَّا نعبد ما كان يعبد آباؤنا. قال أصغر القوم: يا قوم، اسبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تُسبقوا إليه، فوالله إنَّ أهل الكتاب ليُحدِّثون أنَّ نبياً يخرج من الحَرَم قد أظلَّ[٣] زمانُه. وكان في القوم إنسان أعور فقال: أمسكوا[٤] عليَّ، أخرجته عشيرته وتؤوونه؟! أنتم تحملون حرب العرب قاطبة؟! لا، ثم لا. فانصرف عنهم حزيناً، فانصرف القوم إلى قومهم فخبروهم. فقال رجلٌ من اليهود: والله إنَّكم مخطئون بخطئكم[٥]، لو سبقتم إلى هذا الرجل لسدتُم العرب، ونحن نجد صفته في كتابنا. فوصفهُ القوم الذين رأوه كل ذلك يصدقونه بما يصف من صفته، ثم قال: نجد مخرجه بمكة ودار هجرته يثرب. فأجمع القوم ليوافوه في الموسم قابل، فحبسهم سيد لهم

(١) أنخت بنا: وقفت علينا.
(٢) قوة جبههم: قوة منطقهم.
(٣) أظلّ زمانه: اقترب زمانه.
(٤) أمسكوا علي: اسكتوا حتى أتكلم.
(٥) كذا في الأصل والدلائل، ولعل الصواب: إنكم مخطئون بحظكم. أي فاتكم الحظ.

عن حج تلك السنة فلم يواف أحد منهم. فمات اليهوديُّ فسُمِعَ عند موته يُصدِّق بمحمد ﷺ ويؤمن به.

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على بني كعب ﴾

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٠٠) عن عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عُكاظ، فقال: «مِمَّن القوم؟» قلنا من بني عامر بن صَعْصَعة. قال: «من أيِّ بني عامر؟» قلنا: بنو كعب بن ربيعة. قال: «كيف المَنَعَةُ فيكم؟»[١] قلنا: لا يُرام ما قِبَلنا[٢]، ولا يُصطلى بنارنا[٣]. قال: فقال لهم: «إنِّي رسول الله، فإنْ أتيتكم تمنعوني حتى أُبلِّغ رسالة ربي؟ ولم أُكره أحداً منكم على شيء». قالوا: ومِنْ أيِّ قريش أنت؟ قال: «من بني عبدالمطلب». قالوا: فأين أنت من بني عبد مناف؟ قال: «هم أول من كذَّبني وطردني». قالوا: ولكنَّا لا نطردك ولا نؤمن بك، ونمنعك حتى تبلغ رسالة ربك. قال: فنزل إليهم والقوم يتسوقون[٤] إذ أتاهم بُجْرة بن قيس القُشَيري فقال، من هذا الذي أراه عندكم؟ أُنْكِرُه. قالوا: محمد بن عبدالله القرشي. قال: ما لكم ولهْ؟ قالوا: زعم لنا أنَّه رسول الله، يطلب إلينا أنْ نمنعه حتى يبلِّغَ رسالة ربه. قال: فماذا رددتم عليه؟ قالوا: قلنا في الرَّحب والسَّعة، نُخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع به أنفسنا. قال بُجْرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشرَّ من شيء ترجعون به، بدأتم لتنابذ الناس، وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به، لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به، تعمدون إلى رَهيق[٥] قوم قد طرده قومه وكذَّبوه فتؤوونه وتنصرونه، فبئس الرأي رأيتم!! ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: قُم فالحق بقومك، فوالله لولا أنَّك عند قومي لضربت عنقك. قال: فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها، فغمز الخبيثُ بُجْرة شاكلتها[٦] فقمصت[٧] برسول الله ﷺ فألقته. وعند بني عامر

---

(١) كيف المنعة فيكم: كيف قوة حمايتكم لمن يطلبها؟

(٢ - ٣) كناية عن المَنَعَة والقوة اللّتين يتمتعون بهما.

(٤) يتسوّقون: أي يبيعون ويشترون.

(٥) الرَّهَقْ: السفه.

(٦) شاكلتها: خاصرتها.

(٧) قمصت: أي وثبت ونفرت.

يومئذ ضُبَاعة بنت عامر بن قُرط ـ كانت من النسوة اللاَّتي أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة ـ جاءت زائرة إلى بني عمها، فقالت: يا آل عامر، ـ ولا عامر لي ـ أيُصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحدٌ منكم؟ فقام ثلاثة نفر من بني عمِّها إلى بُجرة واثنين أعاناه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علَوا وجوههم لطماً، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهم بارك على هؤلاء، والعن هؤلاء». قال: فأسلم الثلاثة الذين نصروه فقتلوا شهداء؛ وهلك الآخرون لعناً. واسم الاثنين اللَّذين نصرا بُجْرة ابن فِراس: حزن بن عبدالله، ومعاوية بن عبادة، وأما الثلاثة الذين نصروا رسول الله ﷺ فغِطريف، وغَطَفان، ابنا سهل، وعُروة بن عبدالله. وأخرجه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه عن أبيه به، كما في البداية (٣/١٤١).

وعند ابن إسحاق عن الزُّهْري أنَّه أتى بني عامر بن صَعْصَعة، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم ـ يقال له بَحيرة[١] ابن فِراس ـ: **والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب**، ثم قال له: أرأيت إنْ نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء». قال: فقال له: أفنهدُف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبَوا عليه. فلما صَدَر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكون في ذلك الموسم. فلمَّا قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: **يا بني عامر، هل لها من تَلافٍ؟ هل لذُنابَاها**

(١) وفي سيرة ابن هشام والطبري «بَيْحَرَة».

من مَطْلب[١]؟ والذي نفسُ فلان بيده ما تقوَّلها إسماعيلي قط[٢]، وإنَّها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟. كذا في البداية (٣/ ١٣٩).

وذكره الحافظ أبو نعيم (ص ١٠٠) عن ابن إسحاق عن الزُّهْري من قوله: فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم. إلى آخره.

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن الزهري: أنَّه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُلَيح، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم نفسه، فأبَوا عليه.

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على بني كَلْب ﴾

وعن محمد بن عبد الرحمن بن حُصَين: أنَّه أتى كَلْباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبدالله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنَّه ليقول: يا بني عبدالله، إنَّ الله قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على بني حنيفة ﴾

وعن عبدالله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة[٣] في منازلهم، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يك أحدٌ من العرب أقبحَ رداً عليه منهم. كذا في البداية (٣/ ١٣٩).

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على بكر ﴾

وأخرج الحافظ أبو نُعَيم عن العباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا أرى لي عندك ولا عند أخيك مَنَعَة، فهل أنت مخرجي إلى السوق غداً حتى نقرَّ في منازل قبائل الناس»، وكانت مجمع العرب. قال فقلت: هذه كِنْدة ولِفُّها[٤] وهي أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه

---

(١) وفي الدلائل: هل لذناباها من تطلب. وهذا مثل يُضرب لِما فات، وأصله من «ذنابى الطائر» إذا أفلت من الحبالة فطلبت الأخذ به.

(٢) ما ادّعى النبوة كاذباً أحدٌ من بني إسماعيل عليه السلام.

(٣) بنو حنيفة: هم أهل اليمامة وأصحاب مسيلمة الكذاب.

(٤) لفُّها: من اجتمع حولها.

منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صَعْصَعة، فاختر لنفسك؟ قال فبدأ بكِنْدة فأتاهم فقال: «مِمَّن القوم؟» قالوا: من أهل اليمن. قال: «من أيِّ اليمن؟» قالوا من كِنْدة قال: «من أيِّ كِنْدة؟» قالوا: من بني عمرو ابن معاوية، قال: «فهل لكم إلى خير؟» قالوا: وما هو؟ قال: «تشهدون أنْ لا إله إلا الله، وتقيمون الصلاة، وتؤمنون بما جاء من عند الله». قال عبدالله ابن الأجلح: وحدَّثني أبي عن أشياخ قومه أنَّ كندة قالت له: إن ظفرتَ تجعلْ لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الملك لله يجعله حيث يشاء». فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به. وقال الكلبي: فقالوا: أجئتنا لتصدَّنا عن آلهتنا وننابذ العرب، الحِق بقومك فلا حاجة لنا بك.

فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: «مِمَّن القوم؟» قالوا: من بكر بن وائل. فقال: «من أيِّ بكر بن وائل؟» قالوا: من بني قيس بن ثعلبة. قال: «كيف العدد؟» قالوا: كثير مثل الثرى. قال: «فكيف المنعة؟» قالوا: لا مَنَعة، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نُجير عليهم. قال: «فتجعلون لله عليكم إنْ هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهَم أنْ تسبِّحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّروه أربعاً وثلاثين». قالوا: ومن أنت؟ قال: «أنا رسول الله». ثم انطلق فلمّا ولَّى عنهم قال الكلبي: وكان عمَّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مرَّ أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا في الذروة منا، فعن أيِّ شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: زعم أنه «رسول الله»، قال: ألَا لا ترفعوا برأسه قولاً[1]، فإنَّه مجنون يهذي من أُمِّ رأسه. قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر. كذا في البداية (٣/ ١٤٠).

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على قبائل بمنى ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عبَّاد رضي الله عنه قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنىً، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: «يا بني فلان، إنِّي رسول الله إليكم، آمركم أنْ تعبدوا الله،

(١) لعل الصواب لا ترفعوا رأساً بقوله.

ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدِّقوا بي، وتمنعوني حتى أُبَيِّن عن الله ما بعثني به». قال: وخلفه رجل أحول وضيء[1]، له غديرتان[2]، عليه حُلَّة عدنيّة. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا اللاَّت والعُزَّى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه. قال: فقلت لأبي: يا أبت، من هذا الرجل الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب. كذا في البداية (٣/١٣٨). وأخرجه أيضاً عبدالله بن أحمد والطبراني عن ربيعة بمعناه، قال الهيثمي. (٦/٣٦) وفيه: حسين بن عبدالله بن عبيدالله وهو ضعيف ووثَّقه ابن مَعِين في رواية. انتهى. قلت: وفي رواية ابن إسحاق رجل لم يُسمَّ.

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على الجماعة بمنى ﴾

وأخرج الطبراني عن مُدْرِك قال: حججت مع أبي، فلمّا نزلنا منىً إذا نحن بجماعة فقلت لأبي: ما هذه الجماعة؟ قال: هذا الصابىء، فإذا رسول الله ﷺ يقول: «يا أيُّها الناس، قولوا: لا إله إلاَّ الله تفلحوا». قال الهيثمي (٦/٢١): ورجاله ثقات.

وأخرج البخاري في التاريخ وأبو زُرعة والبغوي وابن أبي عاصم والطبراني عن الحارث بن الحارث الغامدي رضي الله عنه قال: قلت لأبي ونحن بمنىً: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء اجتمعوا على صابىء لهم. قال: فتشرَّفتُ[3]، فإذا برسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله، وهم يردون عليه الحديث. كذا في الإصابة (١/٢٧٥).

وأخرج الواقدي عن حسّانَ بن ثابت رضي الله عنه قال: حججت

---

(١) الوضيء: النظيف الحسن.
(٢) الغديرة: الذؤابة، جمعها: غدائر.
(٣) تشرفت: نظرت من علو.

والنبي ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام وأصحابه يُعذّبون، فوقفت على عمرَ يعذبِ جارية بني عمرو بن المؤَمَّل، ثم ثبت على زِنِّيرة فيفعل بها ذلك؛ كذا في الإصابة (٤/٣١٢).

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على بني شَيْبان ﴾

وأخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ٩٦) عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أنْ يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منىً حتى دفَعْنا[١] إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم ـ وكان أبو بكر مقدَّماً في كل حين[٢] وكان رجلاً نسّابة[٣] ـ فقال: ممَّن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأيُّ ربيعة أنتم؟ . . . فذكر الحديث بطوله؛ وفيه قال: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينةُ والوقارُ، وإذا مشايخُ لهم أقدار وهيئات، فتقدَّم: أبو بكر فسلم ـ قال علي: وكان مقدَّماً في كل حين[٤] ـ فقال لهم أبو بكر: ممَّن القوم؟ قالوا: نحن بنو شَيْبان بـن ثعلبة. فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأُمي ليس بعد هؤلاء من عزٍّ في قومهم، وكان في القوم: مفروق بن عمرو، وهانىء ابن قَبيصة، والمثنَّى بن حارثة، والنعمان بن شَريك. وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره. وكان أدنىٰ القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنَّا لنزيد على الألف ولن يُغلب ألف من قلة. قال: فكيف المنَعة فيكم؟ قال: علينا الجُهد ولكل قوم جَدّ[٥]. قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوِّكم؟ قال مفروق: إنَّا أشدُّ ما نكون غضباً حين نَلْقى، وإنَّا أشدُّ ما نكون لقاءً إذا غضبنا، وإنا لنؤثر الجياد[٦] على الأولاد، والسلاح على اللِقَاح[٧]، والنصرُ من عند الله، يُديلنا مرة ويُديل

(١) دفعنا إلى: انتهينا إلى.
(٢) في البداية: في كل خير.
(٣) نسّابة: يعرف أنساب القبائل معرفة جيدة.
(٤) في البداية: في كل خير.
(٥) علينا الجُهد: علينا بذل الطاقة، ولكل قوم جَدّ: لكل قوم حظ.
(٦) الجياد: جمع جواد، وهو فرس سريع.
(٧) اللقاح: جمع لقحة (بكسر اللام وفتحها): الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

علينا مرة ؛لعلك أخو قريش؟ قال أبو بكر: إنْ كان بلغكم أنَّه رسول الله ﷺ، فها هوذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنَّهُ يذكر ذلك.

ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال: إلامَ تدعو يا أخا قريش؟ فتقدّم رسول الله ﷺ فجلس، وقام أبو بكر يظلِّله بثوبه. فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله وحده، وأني رسول الله، وأنْ تؤووني، وتمنعوني، وتنصروني حتى أؤدي عن الله تعالى ما أمرني به، فإنَّ قريشاً قد تظاهرت على أمر الله[1]، وكذَّبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد». قال له: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: «قل تعَالوْا أتْلُ ما حَرَّمَ ربُّكم عليكم، ألاَّ تُشْركوا بهِ شيئاً، وبالوالدين إحساناً - إلى قوله تعالى - فتفرَّق بكم عن سبيله، ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون»[2]. فقال له مفروق: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ **فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعَرفناه**، فتلا رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يأمُر بالعدلِ والإحسان - إلى قوله تعالى - لعلَّكم تَذَكَّرون»[3]. فقال له مفروق: دعوتَ - والله - يا قرشي إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفِكَ[4] قوم كذَّبوك وظاهروا عليك.

وكأنه أحبَّ أنْ يَشركه في الكلام هانىء بن قبيصة فقال: وهذا هانىء ابن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانىء: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وصدَّقت قولك، وإني أرى أنَّ تركَنا ديننا واتِّباعنا إياك على دينك لمجلس جلستَه إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعونا إليه - زلّةٌ في الرأي، وطَيْشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة، وإنَّما تكون الزلَّة مع العَجَلة، وإنَّ مِنْ ورائنا قوماً نكره أنْ نعقد عليهم عقداً. ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر.

وكأنَّه أحب أنْ يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى

---

(١) تظاهرت: تعاونت على حرب دين الله.
(٢) سورة الأنعام: ١٥١ - ١٥٣.
(٣) سورة النحل: ٩٠.
(٤) أفك: كذب.

شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك، واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به، والجواب هو جواب هانىء ابن قبيصة، إنَّما نزلنا بين صِيرَين[١]: أحدهما اليمامة، والأخرىٰ السَّماوة[٢]. فقال له رسول الله ﷺ: وما هذان الصِّيران؟ فقال له: أما أحدهما فطُفوف[٣] البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أنْ لا نُحدث حدثاً، ولا نؤويَ مُحدِثاً[٤]. **ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مِمَّا تكرهه الملوك**، فأمَّا ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأمَّا ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإنْ أردتَ أنْ ننصرك مِمَّا يلي العرب فعَلْنا.

فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم الردَّ إذْ أفصحتم بالصدق، إنه **لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه**». ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يد أبي بكر، ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ. قال علي رضي الله عنه: وكان صدُقاً صُبُراً ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ. كذا في دلائل النبوة لأبي نُعيم. وقال في البداية (١٤٢/٣): رواه أبو نُعيم والحاكم والبَيْهقي، والسِّياق لأبي نُعيم ـ فذكر الحديث وفيه بعد قوله: «إنَّه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه» ثم قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم؟ إن لم تلبثوا إلَّا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم، ويُفرِشَكم بناتِهم[٥]، أتسبِّحون الله وتقدِّسونه؟» فقال له النعمان بن شريك: اللَّهمَّ وإنَّ ذلك لك يا أخا قريش، فتلا رسول الله ﷺ: «إنَّا أرسلناكَ شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً»[٦] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر رضي الله عنه. قال علي رضي الله عنه: ثم التفت

(١) الصِّيرُ: الماء الذي يحضره الناس.
(٢) هكذا في البداية، وفي الدلائل: السمامة. قلت في البداية: والآخر السماوة وهو الأصح.
(٣) الطفوف: جمع طف، وهو ما أشرف من الأرض.
(٤) محدثاً: قاتلاً.
(٥) يفرشكم: يصبحن لكم أزواجاً أو سراري.
(٦) سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

إلينا رسول الله ﷺ فقال: «يا عليُّ أيَّةُ أخلاقٍ للعرب كانت في الجاهلية - ما أشرفها؟! - بها يتحاجزون[١] في الحياة الدنيا». قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج؛ فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ؛ قال علي: وكانوا صُدَقاء صُبَراء، فسُرَّ رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر بأنسابهم. قال فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: «احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة[٢] بأهل فارس، قتلوا ملوكهم، واستباحوا[٣] عسكرهم، وبي نُصروا». قال ابن كثير في البداية (١٤٥/٣): هذا حديث غريب جداً، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة، ومحاسن الأخلاق، ومكارم الشِّيَم، وفصاحة العرب.

وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنَّهم لما تحاربوا هُمْ وفارس والتقَوْا معهم بقُراقِر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فنُصروا على فـارس بذلك[٤]، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام. انتهى. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٥٦/٧): أخرج الحاكم وأبو نُعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكر شيئاً من هذا الحديث.

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة على الأوس والخزرج ﴾

وأخرج أبو نُعيم في الدلائل (ص ١٠٥) من طريق الواقدي عن إسحاق بن حباب عن يحيى بن يعلى قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً - وهو يذكر الأنصار وفضلهم وسابقتهم - ثم قال: إنّه ليس بمؤمن من لم يحبَّ الأنصار ويعرف لهم حقوقهم، هم - والله - ربَّوا الإسلام كما يُربى الفَلُوُّ[٥] في غنائهم بأسيافهم وطول ألسنتهم وسخاء أنفسهم. لقد كان رسول

(١) يتحاجزون: يمنعون بعض الناس من بعض ويفصلون بينهم بهذه الأخلاق.
(٢) أبناء ربيعة: هم القبيلة التي منها بنو شيبان.
(٣) استباحوا: استأصلوا.
(٤) وهذه الواقعة هي واقعة ذي قار المشهورة في التاريخ.
(٥) الفَلُوُّ: المهر الصغير.

الله ﷺ يخرج في المواسم فيدعو القبائل، ما أحدٌ من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه. فقد كان يأتي القبائل بمجنَّة وعُكاظ وبمنى حتى يستقبل القبائل يعود إليهم سنة بعد سنة، حتى إنَّ القبائل منهم من قال: **ما آن لك أنْ تيأس منا؟** من طول ما يعرض نفسه عليهم، حتى أراد الله عزّ وجلّ ما أراد بهذا الحيِّ من الأنصار فأعرض[1] عليهم الإسلام، فاستجابوا وأسرعوا وآوَوا ونصروا وواسوا - فجزاهم الله خيراً - قدمنا عليهم، فنزلنا معهم في منازلهم، ولقد تشاحُّوا[2] فينا، حتى إن كانوا ليقترعون علينا، ثم كنَّا في أموالهم أحقَّ بها منهم طيبة بذلك أنفسهم؛ ثم بذلوا مهج أنفسهم دون نبيهم ﷺ وعليهم أجمعين.

وأخرج أبو نُعيم أيضاً في الدلائل (ص ١٠٥) عن أمِّ سعد بنت سعد ابن الربيع رضي الله عنها قالت: أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله عزّ وجلّ فيُؤذى ويُشتم، حتى أراد الله عزّ وجلّ بهذا الحيِّ من الأنصار ما أراد من الكرامة، فانتهى رسول الله ﷺ إلى نفر منهم عند العقبة[3] وهم يحلِقون رؤوسهم. قلت: من هم يا أمَّه؟ قالت: ستة نفر أو سبعة، منهم من بني النجار ثلاثة: أسعد بن زُرارة وابنا عفراء، ولم تُسمِّ لي من بقي. قالت: فجلس رسول الله ﷺ إليهم، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، فقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله، فوافَوا قابل[4] وهي العقبة الأولى؛ ثم كانت العقبة الآخرة. قلت لأمِّ سعد: وكم كان رسول الله ﷺ أقام بمكة؟ قالت: أما سمعت قول أبي صِرْمَة قيسِ بن أبي أنس؟ قلت: لا أدري ما قال، فأنشدتني قوله:

ثَوَى في قريشٍ بِضْعَ عشْرَةَ حَجَّة ... يُذكِّرُ لو لاقَى صديقاً مواتيا

وذكر الأبيات كما سيأتي في باب النُصرة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج أبو نُعيم أيضاً في الدلائل (ص ١٠٥) عن عقيل بن أبي طالب

---

(١) كذا في الأصل وفي الدلائل ولعل الصواب فعرض.
(٢) تشاحُّوا: أي أراد كل منهم أن يستأثر بنا.
(٣) العقبة: موضع في مِنى.
(٤) قابل: السنة المقبلة التالية.

رضي الله عنه، والزُّهري رضي الله عنه قال: لمَّا اشتد المشركون على رسول الله ﷺ قال لعمِّه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «يا عم، إنَّ الله عزّ وجلّ ناصر دينه بقوم يهون عليهم رَغْمُ[١] قريش عزاً في ذات الله تعالى، فامضِ بي إلى عُكاظ، فأرني منازل أحياء العرب حتى أدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، وأن يمنعوني ويؤووني حتى أُبلِّغ عن الله عزّ وجلّ ما أرسلني به»، قال: فقال العباس: يا ابن أخي، امضِ إلى عُكاظ فأنا ماضٍ معك حتى أدلَّك على منازل الأحياء. فبدأ رسول الله ﷺ بثقيف، ثم استقرى[٢] القبائل في سنته. فلما كان العام المقبل ـ وذلك حين أمر الله تعالى أن يعلن الدعاء ـ لقي الستة نفرٍ الخزرجيين والأوسيين: أسعد بن زُرارة، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعبدالله ابن رواحة، وسعد بن الربيع، والنعمان بن حارثة، وعُبادة بن الصامت. فلقيهم النبي ﷺ في أيام مِنىً عند جَمرة العقَبَة ليلاً، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وإلى عبادته، والموازرة[٣] على دينه الذي بعث به أنبياءه ورسله، فسألوه أنْ يَعرِض عليهم ما أُوحي إليه، فقرأ رسول الله ﷺ سورة إبراهيم: «وإذ قال ابراهيمُ ربِّ اجعلْ هذا البلد آمناً»[٤]. ـ إلى آخر السورة، فرقَّ القوم وأخبتوا حين سمعوا وأجابوه.

فمرَّ العباس بن عبد المطلب وهو يكلِّمهم ويكلِّمونه، فعرف صوت النبي ﷺ فقال: ابن أخي، من هؤلاء الذين عندك؟ قال: يا عمّ، سكان يثرب: الأوس والخزرج قد دعوتهم إلى ما دعوت إليه مَنْ قبلَهم من الأحياء فأجابوني وصدقوني، وذكروا أنَّهم يخرجونني إلى بلادهم. فنزل العباس بن عبد المطلب وعقل راحلته ثم قال لهم: يا معشر الأوس والخزرج، هذا ابن أخي ـ وهو أحبُّ الناس إليّ ـ فإن كنتم صدَّقتموه وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم

---

(١) رغمُ: إذلالُ.
(٢) استقرى القبائل: تتَّبعها يخرج من قبيلة إلى أخرى.
(٣) الموازرة: كما في الدلائل: مشتقة من وَزَر بمعنى عاون، واشتقوا منها الوزير: أي المعين. وفي الأصل (المؤازرة).
(٤) سورة إبراهيم آية ٣٥.

فإني أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئنُّ به نفسي ولا تخذلوه ولا تغرُّوه؛ فإنَّ جيرانكم اليهودُ، واليهودُ له عدوٌ، ولا آمن مكرهم عليه. فقال أسعد ابن زرارة - وشقَّ عليه قول العباس حين اتَّهم عليه سعداً وأصحابه - قال: يا رسول الله ائذن لنا فلنجبْهُ غير مُخْشِنين بصدرك ولا متعرِّضين لشيء مما تكره إلا تصديقاً لإجابتنا إياك، وإيماناً بك. فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه غيرَ مُتَّهمين». فقال أسعد بن زُرارة - وأقبل على رسول الله ﷺ بوجهه - فقال: يا رسول الله. إنَّ لكل دعوة سبيلاً، إنْ لينٌ وإنْ شدةٌ، وقد دعوتَ اليوم إلى دعوة متجهِّمة للناس متوعِّرة عليهم، دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام القريب والبعيد وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا ونحن جماعة في دار عز وَمَنَعة لا يطمع فيها أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلاَّ من عزم الله على رشده والتمس الخير في عواقبها وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا وصدورنا، وأيدينا، إيماناً بما جئت به، وتصديقاً بمعرفة ثبتت في قلوبنا، نبايعك على ذلك ونبايع ربَّنا وربَّك، يد الله فوق أيدينا، ودماؤنا دون دمك، وأيدينا دون يدك، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا، فإنْ نفي بذلك فلِلَّهِ نَفي، وإنْ نغدر فبالله نغدر ونحن به أشقياء، هذا الصدق منا يا رسول الله: والله المستعان.

ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه فقال: وأما أنت أيُّها المعترض لنا بالقول دون النبي ﷺ - والله أعلم ما أردت بذلك؟ - ذكرتَ أنَّه ابنُ أخيك وأحبُّ الناس إليك، فنحن قد قطعنا القريب إلينا والبعيد وذا الرحم، ونشهد أنه رسول الله، الله أرسله من عنده، ليس بكذاب، وأنَّ ما جاء به لا يشبه كلام البشر، وأما ما ذكرت أنَّك لا تطمئن إلينا في أمره حتى تأخذ مواثيقنا فهذه خصلة لا نردّها على أحد أرادها لرسول الله ﷺ، فخذ ما شئت، ثم التفت إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، خذ لنفسك ما شئت، واشترط لربك ما شئت. فذكر الحديث بطوله في بَيْعهم.

وستأتي أحاديث البَيْعة في البيعة على النُّصْرة، وأحاديث الباب في باب النُّصْرة في ابتداء أمر الأنصار إن شاء الله تعالى.

عرضه ﷺ الدعوة في السوق

﴿ عرضه عليه السلام الدعوة في سوق ذي المجاز ﴾

أخرج أحمد عن ربيعة بن عبَّاد من بني الدِّيل - وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجاز وهو يقول: «يا أيَّها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين يقول: إنَّه صابىء كاذب، يتَّبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب. وأخرجه البيهقي بنحوه. كذا في البداية (٣/٤١) وقال الهيثمي (٦/٢٢): رواه أحمد وابنه والطبراني في الكبير بنحوه والأوسط باختصار بأسانيد، وأحد أسانيد عبدالله بن أحمد ثقات الرجال. انتهى. وعَزَاه الحافظ في الفتح (٧/١٥٦) إلى البيهقي وأحمد، وقال: صحَّحه ابن حبان. انتهى. قال الهيثمي (٦/٢٢): وفي رواية: ورسول الله ﷺ يفرّ منه وهو يتبعه. وفي رواية: والناس منقصفون[1] عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت. انتهى. وقد تقدم له طريق في عرضه ﷺ الدعوة على القبائل.

وأخرج الطبراني عن طارق بن عبدالله قال: إنِّي بسوق ذي المجاز إذْ مرّ رجل شاب عليه حُلَّة من بُرد أحمر وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تُفلِحوا»، ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه وساقيه يقول: يا أيُّها الناس، إنَّه كذاب فلا تطيعوه. فقلت: من هذا؟ قال: غلام بني هاشم الذي يزعم أنّه «رسول الله» وهذا عمه عبد العُزَّى. فذكر الحديث. قال الهيثمي (٦/٢٣) وفيه: أبو حباب الكلبي وهو مدلِّس، وقد وثَّقه ابن حِبَّان. وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

(١) منقصفون: أي متتابعون ومتزاحمون حتى يقصف بعضهم بعضاً، من القصف: الكسر والدفع الشديد لفرط الزحام.

وأخرج أحمد عن رجلٍ من بني مالك بن كِنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخلَّلها يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». قال: وأبو جهل يَحثي عليه التراب ويقول: لا يُغوينَّكم[1] هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللَّات والعُزَّى؛ وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ. قلت: انْعَتْ لنا رسول الله ﷺ. قال: بين بُردين أحمرين، مربوعٌ، كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشَّعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشَّعَر. قال الهيثمي (٦/ ٢١): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه البيهقي أيضاً بمعناه إلَّا أنه لم يذكر نعته ﷺ كما في البداية (٣/ ١٣٩)، وقال: كذا قال في هذا السياق أبو جهل. وقد يكون وهماً، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا وتارة يكون ذا، وأنهما كانا يتناوبان على أذاته ﷺ. انتهى. وقد تقدَّم عرضه ﷺ الدعوة في سوق عكاظ في عرضه الدعوة على القبائل (ص ٩٥).

عرضه ﷺ الدعوة على عشيرته الأقربين

﴿ ما قاله عليه السلام لفاطمة وصفيّة وغيرهما ﴾

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا نزلت «وأنذر عشيرتك الأقربين» قام رسول الله ﷺ فقال: «يا فاطمة ابنة محمد، يا صفية ابنة عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم». انفرد بإخراجه مسلم..

﴿ جمعه عليه السلام عشيرته وأهل بيته على الطعام للدعوة إلى الله ﴾

وأخرج أحمد أيضاً عن علي رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: «وأنذر عشيرتك الأقربين» جمع النبي ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا. قال: وقال لهم: «من يضمن عني دَيْني ومواعيدي، ويكون معي في الجنة، يكون خليفتي في أهلي؟» فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحراً من يقوم بهذا؟ قال: ثم قال الآخر ـ ثلاثاً ـ قال: فعرض ذلك

(١) في البداية (لا يغرنَّكم).

على أهل بيته، فقال علي رضي الله عنه: أنا.

وأخرج أحمد أيضاً عن علي رضي الله عنه قال: جمع رسول الله ﷺ ـ أو دعا رسول الله ﷺ ـ بني عبد المطلب وهم رَهْط، وكلُّهم يأكل الجَذَعة(١) ويشرب الفَرَق(٢). فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمسّ. ثم دعا بغُمَر(٣) فشربوا حتى روُوا وبقي الشراب كأنه لم يُمسّ أو لم يُشرب، وقال: «يا بني عبد المطلب، إني بُعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامّة فقد رأيتم من هذه الآية(٤) ما رأيتم، فأيُّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟» قال: فلم يقم إليه أحد. قال: فقمت إليه ـ وكنت أصغر القوم ـ قال: فقال: اجلس، ثم قال ـ ثلاث مرات ـ كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي. كذا في التفسير لابن كثير (٣/ ٣٥٠).

وأخرج البزّار عن علي رضي الله عنه قال: لمّا نزلت «وأنذر عشيرتك الأقربين» قال رسول الله ﷺ: «يا علي، اصنع رِجْل شاة بصاع من طعام(٥)، واجمع لي بني هاشم» ـ وهم يومئذ أربعون رجلاً، أو أربعون غير رجل ـ قال: فدعا رسول الله ﷺ بالطعام، فوضعه بينهم. فأكلوا حتى شبعوا، وإنَّ منهم من يأكل الجذعة بإدامها؛ ثم تناول القدح فشربوا منه حتى رُووا ـ يعني من اللَّبن ـ، فقال بعضهم: ما رأينا كالسِّحر ـ يروون أنه أبو لهب الذي قاله ـ فقال: «يا علي، اصنع رجل شاة بصاع من طعام، وأعدد قَعْباً(٦) من لبن. قال: ففعلت. فأكلوا كما أكلوا في اليوم الأول، وشربوا كما شربوا في المرة

---

(١) أصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شاباً فتياً، فهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة، ومن البقر والمعز ما دخل في السنة الثانية؛ وقيل: البقر في الثالثة، ومن الضأن ما تمّت له السنة؛ وقيل: أقل منها، ومنهم من يخالف بعض هذا في التقدير.

(٢) الفَرَق بالتحريك: مكيال يسع ستة عشر رطلاً وهي اثنا عشر مدّاً أو ثلاثة آصعُ عند أهل الحجاز؛ وقيل: الفَرَق: خمسة أقساط، والقسط: نصف صاع.

(٣) بضم الغين وفتح الميم: القدح الصغير.

(٤) المراد البركة التي حصلت في طعام النبي ﷺ وشرابه.

(٥) الصاع: مكيال يسع نحو ٤ كغ. والطعام هنا: المراد به القمح.

(٦) القعب: القدح الضخم.

الأولى، وفضل كما فضل في المرة الأولى. فقال: ما رأينا كاليوم في السحر. فقال: «يا علي، اصنع رجل شاة بصاع من طعام، وأعدد قعباً من لبن» ففعلت. فقال: «يا علي اجمع لي بني هاشم»، فجمعتهم فأكلوا وشربوا، فبدرهم رسول الله ﷺ فقال: «أيكم يقضي عني دَيْني؟» قال: فسكتُّ وسكت القوم. فأعاد رسول الله ﷺ المنطق، فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: «أنت يا علي، أنت يا علي!!» قال الهيثمي (٨/٣٠٢): رواه البزَّار واللفظ له؛ وأحمد باختصار، والطبراني في الأوسط باختصار أيضاً، ورجال أحمد وأحد إسنادي البزّار رجال الصحيح غير شَرِيكٍ، وهو ثقة. انتهى.

وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم بمعناه وفي حديثه: فقال: «أيُّكم يقضي عني دَيْني، ويكون خليفتي في أهلي؟» قال: فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله. قال: وسكتُّ أنا لسنِّ العباس، ثم قالها مرة أُخرى فسكت العباس، فلمَّا رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال: وإنِّي يومئذ لأسوأهم هيئة، وإني لأعمش العينين، ضخم البطن، خَمْش الساقين[٢]. كذا في التفسير لابن كثير (٣/٣٥١). وأخرجه البيهقي في الدلائل وابن جرير بأبسط من هذا السياق بزيادات أُخر بإسناد ضعيف، كما في التفسير لابن كثير (٣/٣٥٠)؛ والبداية (٣/٣٩). وقد تقدّم الحديث بسياق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في عرض الدعوة على المجامع (ص ٩٠).

عرضه ﷺ الدعوة في السفر

﴿ دعوته عليه السلام في سفر الهجرة ﴾

أخرج أحمد (٤/٧٤) عن ابن سعد رضي الله عنهما ـ وسعد الذي دل رسول الله ﷺ على طريق رَكوبَة[٣] ـ قال ابن سعد: حدَّثني أبي أنَّ رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر رضي الله عنه ـ وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة، وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ـ فقال له سعد: هذا الغائر من رَكوبة وبه لِصَّان من أسلَم يقال لهما: المُهانان، فإن شئت أخذنا عليهما. فقال رسول الله ﷺ: «خُذْ بنا عليهما». قال سعد:

(٢) خمش الساقين: مخدوش الساقين.
(٣) طريق ركوبة: ثنية معروفة بين مكة المعظَّمة والمدينة المنوَّرة عند العَرْج، سلكها النبي ﷺ.

فخرجنا حتى أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه: هذا اليماني. فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام، فأسلما. ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان. فقال: «بل أنتما المكرمان». وأمرهما أن يَقدَما عليه المدينة. فذكر الحديث. قال الهيثمي: (٥٨/٦): رواه عبدالله بن أحمد. وابن سعد اسمه: عبدالله، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

﴿ دعوته عليه السلام للأعرابي في سفر ﴾

وأخرج الحاكم أبو عبدالله النَّيْسابوري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟» قال: ما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله». قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة». فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطىء الوادي، فأقبلت تَخُدُّ الأرض خدًّا فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال. ثم إنها رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال: إن يتَّبعوني أتيتك بهم وإلَّا رجعت إليك وكنت معك. وهذا إسناد جيِّد ولم يُخرِّجوه ولا رواه الإمام أحمد. كذا في البداية (١٢٥/٦). وقال الهيثمي (٢٩٢/٨): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يَعْلَى أيضاً والبزار. انتهى.

﴿ دعوته عليه السلام لبُرَيدة بن الحُصَيب ومن معه في سفر الهجرة ﴾

وأخرج ابن سعد (٢٤٢/٤) عن عاصم الأسلمي قال: لمّا هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة فانتهى إلى الغَمِيم[1] أتاه بُرَيْدة ابن الحُصَيْب، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه ـ وكانوا زُهاء ثمانين بيتاً ـ، فصلّى رسول الله ﷺ العشاء فصلّوا خلفه.

مشيه ﷺ على القدمين للدعوة

﴿ خروجه عليه السلام ماشياً إلى الطائف ﴾

أخرج الطبراني عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: لَمَّا توفي أبو

(١) بفتح معجمة وكسر ميم: وادٍ بمرحلتين من مكة المعظمة.

طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدمية يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فانصرف، فأتى ظلَّ شجرة فصلَّى ركعتين ثم قال: «اللّهم إنِّي أشكو إليك ضعف قوتي، وهواني على الناس، أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى مَنْ تكلني؟ إلى عدو يتجهمني[١] أم إلى قريب ملَّكتَه أمري؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أُبالي، غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة ـ أن ينزل بي غضبُك، أو يحل بي سخطُك، لك العُتبَى[٢] حتى ترضى ولا قوة إلا بالله». قال الهيثمي (٦/٣٥) وفيه: ابن إسحاق وهو مدلِّس ثقة، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وسيأتي الحديث من طريق الزُّهري وغيره مطوّلاً في تحمُّل الشدائد والأذايا في الدعوة إلى الله.

الدعوة إلى الله تعالى في القتال

﴿ ما قاتل عليه السلام قوماً حتى دعاهم ﴾

أخرج عبد الرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى دعاهم. وكذلك رواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه؛ ورواه أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه. كذا في نصب الراية (٢/٢٧٨). وقال الهيثمي (٥/٣٠٤): رواه أحمد وأبو يَعْلَى والطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن النجار كما في كنز العمال (٢/٢٩٨)؛ والبيهقي في سننه (٩/١٠٧).

﴿ أمره عليه السلام البعوث بتأليف الناس ودعوتهم ﴾

وأخرج ابن مَنْده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائذ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث بَعْثاً قال: «تألَّفوا الناس ولا تُغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيتِ مَدَر ولا وَبَر[٣] إلَّا تأتوني بهم

(١) يتجهمني: أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه. (٢) العتبىٰ: الرضى

(٣) بيت المَدَر: بيت مبني من طين ولبن، ويطلق هذا اللفظ أيضاً على المدن والقرى لأن بنيانها غالباً ما يكون من المدر. وأهل المدر هم الحضر، وأهل الوبر البدو.

مسلمين أحبّ إليّ من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم». كذا في الكنز (٢/٢٩٤). وأخرجه أيضاً ابن شاهين والبغوي كما في الإصابة (٣/١٥٢)، والترمذي (١/١٩٥).

﴿ أمره عليه السلام أمير السرية بالدعوة ﴾

وأخرج أبو داود (ص ٣٥٨) واللفظ له؛ ومسلم (٢/٨٢) وابن ماجه (ص ٢١٠) والبيهقي (٩/١٨٤) عن بُرَيدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سَرِيّة أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصّة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: «إذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى أحد ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أنّ لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنَّهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي كان يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبَوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، فإنّكم لا تدرون ما يحكم الله فيهم، ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم اقضوا فيهم بعدُ ما شئتم». قال الترمذي: حديث بريدة حديث حسن صحيح. وأخرجه أيضاً أحمد والشافعي والدارمي والطحاوي وابن حِبّان وابن الجارود وابن أبي شيبة وغيرهم كما في كنز العمال (٢/٢٩٧).

﴿ أمره عليه السلام علياً بأن لا يقاتل قوماً حتى يدعوهم إلى الإسلام ﴾

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى قوم يقاتلهم، ثم بعث إليه رجلاً فقال: «لا تدعه من خلفه وقل له: لا تقاتلهم حتى

تدعوهم». قال الهيثمي (٥/٣٠٥): رجاله رجال الصحيح غير عثمان ابن يحيى القرقساني وهو ثقة. إهـ.

وأخرج ابن راهَوِيه عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه وجهاً ثم قال لرجل: «الحق ولا تَدْعُه من خلفه، فقل: إن النبي ﷺ يأمرك أن تنتظره، وقل له: لا تقاتل قوماً حتى تدعوهم». كذا في كنز العمال (٢/٢٩٧). وعند عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له حين بعثه: «لا تقاتل قوماً حتى تدعوهم»؛ كذا في نصب الراية (٢/٣٧٨). وقد تقدَّم (ص ٦٢) في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عند البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: «انفُذ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه، **فوالله، لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم**».

﴿ أمره عليه السلام فروة القطيعي بالدعوة في القتال ﴾

وأخرج ابن سعد وأحمد وأبو داود والترمذي (٢/١٥٤) وحسَّنه، والطبراني والحاكم عن فَروة بن مُسَيك القطيعي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فقال: «بلى»؛ ثم بدا لي فقلت: يا رسول الله، لا، بل هم أهل سبأ، هم أعزُّ وأشدُّ قوة. فأمرني رسول الله ﷺ وأذن لي في قتال سبأ. فلما خرجت من عنده أنزل الله في سبأ ما أنزل. فقال رسول الله ﷺ: «ما فعل القطيعي؟» فأرسل إلى منزلي فوجدني قد سرت فردَّني. فلما أتيت رسول الله ﷺ وجدته قاعداً وحوله أصحابه فقال: «ادعُ القوم، فمن أجاب منهم فاقبل ومن أبى فلا تعجل عليه حتى يُحدَث إليّ». فقال رجل من القوم يا رسول الله، ما سبأ أرض أو امرأة؟ قال: «ليست بأرض ولا امرأة، ولكن رجل ولد عشرة من العرب. فأما ستة فتيامنوا[١] وأما أربعة فتشاءموا[٢]. فأما

---

(١) تيامنوا: أقاموا في اليمن.

(٢) تشاءموا: أقاموا في الشام.

الذين تشاءموا: فلَخْم، وجُذام، وغسّان، وعامِلة. وأما الذين تيامنوا: فالأزْد، وكِنْدة، وحِمْيَر، والأشعريون، والأنْمار، ومَذْحج». فقال: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: «هم الذين منهم: خَثْعَم، وَبِجيلة». كذا في كنز العمال (١/ ٢٦٠).

وعند أحمد أيضاً وعبد بن حُمَيد عن فروة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أقاتل بمُقبل قومي مُدبرهم؟ قال رسول الله ﷺ: **«نعم، فقاتلْ بمقبل قومك مدبرهم»، فلما ولَّيت دعاني فقال: لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام»**. فقلت: يا رسول الله، أرأيت بسبأ؟ أوادٍ هو أم جبل أو ما هو؟ قال: «لا، بل هو رجل من العرب وُلد له عشرة» ـ فذكر الحديث. وهذا إسناد حسن وإن كان فيه أبو حباب الكلبي وقد تكلَّموا فيه، لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العبقري عن أسباط ابن نصر عن يحيى بن هانىء المرادي عن عمه أو عن أبيه ـ شك أسباطُ ـ. قال: قدم فروة بن مُسَيك على رسول الله ﷺ ـ فذكره؛ كذا في التفسير لابن كثير (٣/ ٥٣١).

﴿ أمره عليه السلام خالد بن سعيد بالدعوة حين بعثه إلى اليمن ﴾

وأخرج الطبراني عن خالد بن سعيد رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال: **«من لقيت من العرب فسمعت فيهم الأذان فلا تعرِض لهم، ومن لم تسمع فيهم الأذان فادعهُم إلى الإسلام»**. قال الهيثمي (٥/ ٣٠٧) وفيه: يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني وهو ضعيف.

﴿ ردّه عليه السلام الذين سبُوا في القتال بغير الدعوة إلى مأمنهم ﴾

وأخرج البيهقي (٩/ ١٠٧) عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ بأسارى من اللاَّت والعزَّى[1]، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«هل دعوتموهم إلى الإسلام؟»** فقالوا: لا. فقال لهم: **«هل دعوكم إلى الإسلام؟»** فقالوا: لا. قال: **«خلُّوا سبيلهم حتى يبلغوا مأمنهم»** ثم قرأ

(١) المراد: القوم الذين كانوا يقيمون عند هذين الصنمين.

رسول الله ﷺ هاتين الآيتين: «إنَّا أرسلناكَ شاهداً، ومُبشِّراً، ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنِه وسراجاً مُنيراً»(١). «وأُوحيَ إليّ هذا القرآن لأُنذِرَكُم به ومَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُم لَتَشْهدونَ أنَّ معَ اللهِ آلهةً أُخْرى»(٢) إلى آخر الآية. قال البيهقي: رَوْح بن مسافر ضعيف. وعند الحارث من طريق الواقدي كما في الكنز (٢/٢٩٧)، قال: بعث النبي ﷺ إلى اللاَّت والعزَّى بَعْثاً، فأغاروا علي حيٍّ من العرب فسبَوا مقاتلتهم وذريتهم، فقالوا يا رسول الله أغاروا علينا بغير دُعَاء، فسأل النبي ﷺ أهل السَّرِيَة فصدَّقوهم. قال النبي ﷺ: **«ردّوهم إلى مأمنهم ثم ادعوهم»**.

إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله

﴿ بعثه عليه السلام مصعباً إلى المدينة ﴾

أخرج أبو نعيم في الحلية (١/١٠٧) عن عُروة بن الزبير رضي الله عنهما: أنَّ الأنصار لما سمعوا من رسول الله ﷺ قوله، وأيقنوا واطمأنَّت أنفسهم إلى دعوته، فصدَّقوه وآمنوا به ـ كانوا من أسباب الخير، وواعدوه الموسم من العام القابل فرجعوا إلى قومهم ـ بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلِك فيدعو الناس إلى كتاب الله فإنه أدنى أن يُتبع. فبعث إليهم رسول الله ﷺ مُصْعَب بن عُمير رضي الله عنه أخا بني عبد الدار، فنزل في بني غَنْم على أسعد بن زُرارة يحدِّثهم ويقصُّ عليهم القرآن. فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدي الله على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس ولا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو ابن الجَموح، وكُسرت أصنامهم. ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المُقرىء.

وأخرجه الطبراني عن عروة رضي الله عنه مطوَّلاً، فذكر عرضه ﷺ الدعوة على الأنصار كما سيأتي في ابتداء أمر الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ وفيه: فرجعوا إلى قومهم فدعَوْهم سرّاً، وأخبروهم برسول الله ﷺ والذي

(١) سورة الأحزاب: ٤٦ ـ ٤٧. (٢) سورة الأنعام: ١٩.

بعثه الله به (ودعا عليه بالقرآن)[١] حتى قلّ دار من دور الأنصار إلاَّ أسلم فيها ناس لا محالة. ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلِك، فيدعو الناس بكتاب الله، فإنَّه أدنى أن يُتبع. فبعث إليهم رسول الله ﷺ مُصْعب بن عمير أخا بني عبد الدار. فنزل في بني غَنْم على أسعد بن زرارة، فجعل يدعو الناس، ويفشو الإسلام، ويكثر أهله، وهم في ذلك مستخْفون، بدعائهم. ثم ذكر دعوة مصعب لسعد بن معاذ وإسلامه وإسلام بني عبد الأشهل كما سيأتي في دعوة مصعب. ثم قال: ثم إنَّ بني النجار أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة، فانتقل مصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ، فلم يزل يدعو ويهدي (الله)[٢] على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلاَّ أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم؛ وأسلم عمرو ابن الجموح، وكُسرت أصنامهم. فكان المسلمون أعزَّ أهلها، وصلح أمرهم. ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المُقرىء. قال الهيثمي (٤٢/٦) وفيه: ابن لَهيعة وفيه ضعف، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وهكذا أخرجه أبو نُعيم في الدلائل (ص ١٠٨) بطوله، وقد أخرجه أبو نُعيم في الحلية (١٠٧/١) عن الزُّهري بمعنى حديث عروة عنده مختصراً، وفي حديثه: أنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ مُعاذ بن عَفْراء ورافع بن مالك أنِ ابعث إلينا رجلاً من قِبَلِكَ فليدعُ الناس بكتاب الله، فإنه قَمِنٌ - أي حقيق - أن يُتبع. فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه - فذكر مثله.

﴿ بعثه عليه السلام أبا أمامة إلى قومه باهلة ﴾

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله عزَّ وجلّ، وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتهم

---

(١) كذا في الأصل، وفي الحلية (وتلوا عليهم القرآن)، وفي الدلائل: (ودعاهم إليه بالقرآن)

(٢) من الحلية والدلائل.

وقد سقَوا إبلهم وحلبوها وشربوا. فلما رأوني قالوا: مرحباً بالصُّدَيّ ابن عَجْلان. قالوا: بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل. قلت: لا، ولكن آمنت بالله ورسوله، وبعثني رسول الله ﷺ إليكم أعرض عليكم الإسلام وشرائعه. فبينا نحن كذلك إذ جاؤوا بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها فأكلوا بها. قالوا: هَلُمَّ يا صُديّ، قلت ويحكم!! إنما أتيتكم من عند من يُحرِّم هذا[1] عليكم إلا ما ذكَّيتُم كما أنزل الله. قالوا: وما قال؟ قلت: نزلت هذه الآية: «حُـرِّمت عليكم الميتةُ والـدَّمُ ولحمُ الخنزيـر ـ إلى قولـه ـ وأن تستقسموا بالأزلام»[2]، فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبَون. قلت لهم: ويحكم، إيتوني بشَرْبة من ماء فإنّي شديد العطش، قال: وعليَّ عِمامةٌ. قالوا: لا. ولكن ندعك تموت عطشاً. قال: فاعتممت وضربت برأسي في العمامة ونمت في الرمضاء في حرٍّ شديد، فأتاني آتٍ في منامي بقدح زجاج لم يَرَ الناس أحسن منه، وفيه شراب لم يَرَ الناس آلف منه، فأمكنني منها فشربتها، فحيث فرغت من شرابي استيقظت، **ولا والله ما عطشت ولا عرفت عطشاً بعد تيك الشربة**. قال الهيثمي (٩/٣٨٧) وفيه: بشير بن شريح وهو ضعيف ـ إ هـ. وأخرجه ابن عساكر أيضاً بطوله مثله كما في كنز العمال (٧/٩٤). وأخرجه أبو يعلى مختصراً وزاد في آخره: ثم قال لهم رجل منهم: أتاكم رجل من سَرَاة قومكم فلم تتحفوه؟ فأتَوني بلبن. فقلت: لا حاجـة لي به، وأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم. ورواه البيهقي في الدلائل وزاد فيه: أنه أرسله إلى قومه باهلة، كذا في الإصابة (٢/١٨٢). وأخرجه الطبراني أيضاً بسياق أبي يَعْلَى وغيره. قال الهيثمي (٩/٣٨٧): رواه الطبراني بإسنادين؛ وإسناد الأولى حسن، فيها: أبو غالب وقد وُثِّق ـ انتهى. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٦٤١). وقال الذهبي: وَصَدَقَةُ ضعَّفه ابن مَعِين.

﴿ بعثه عليه السلام رجلاً إلى بني سعد ﴾

وأخرج ابن أبي عاصم عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: بينما

---

(١) هو الدم كما في رواية أبي يعلى من الإصابة في ترجمة أبي أمامة.

(٢) سورة المائدة: ٣.

أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان رضي الله عنه إذ أخذ رجل من بني ليث بيدي، فقال: ألاَ أبشِّرك؟ قلت: بلى. قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك فجعلت أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه فقلتَ أنت: إنك لتدعونا إلى خير وتأمر به، وإنه ليدعو إلى الخير؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «اللهم اغفر للأحنف». فكان الأحنف يقول: **فما شيء من عملي أرْجَى عندي من ذلك** - يعني دعوة النبي ﷺ - تفرَّد به علي بن زيد وفيه ضعف، كذا في الإصابة (١/ ١٠٠). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٤) بنحوه.

وأخرجه أيضاً أحمد والطبراني وفي حديثهما: إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك من بني سعد أدعوهم إلى الإسلام فقلتَ: والله، ما قال إلَّا خيراً. - أو لا أسمع إلَّا حسناً - فإني رجعت وأخبرت النبي ﷺ مقالتك، فقال: «اللَّهم اغفر للأحنف». قال: فما أنا لشيء أرْجَى مني لها. قال الهيثمي (١٠/ ٢): رجال أحمد رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو حسن الحديث.

﴿ بعثه عليه السلام رجلًا إلى رجل من عظماء الجاهلية ﴾

وأخرج أبو يَعْلَى عن أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلًا من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى، فقال: إيش ربُّك الذي تدعوني؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضّة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره. فأعاده النبي ﷺ الثانية. فقال مثل ذلك. فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله إليه الثالثة، فقال مثل ذلك. فأتى النبي ﷺفأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قد أنزل على صاحبك صاعقة فأحرقته» فنزلت هذه الآية: ﴿ ويرسلُ الصواعِقَ فيُصيبُ بها من يشاء وهم يُجادلـون في الله وهُوَ شـديدُ المِحَـال ﴾[1]. قال الهيثمي (٧/ ٤٢): رواه أبو يعلى والبزّار بنحوه إلَّا أنه قال: إلى رجل من فراعنة العرب، وقال الصحابي فيه: يا رسول الله، إنَّه أعتَى من ذلك. وقال: فرجع إليه الثالثة، قال: فأعاد عليه ذلك الكلام. فبينا هو يكلمه إذ بعث الله

---

(١) الرعد: آية ١٣ ومعنى المحال: القوة.

سحابةً حِيالَ رأسه، فرعدت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بِقِحف رأسه. وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط، وقال: فرعدت وأبرقت. ورجال البزّار رجال الصحيح، غير ديلم بن غزوان وهو ثقة. وفي رجال أبي يَعْلَى والطبراني: علي بن أبي شارة، وهو ضعيف - انتهى. وقد تقدّم حديث خالد ابن سعيد رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال: من لقيت من العرب فسمعت فيهم الأذان فلا تعرِض لهم، ومن لم تسمع فيهم الأذان فادعهُم إلى الإسلام. - في الدعوة إلى الله تعالى في القتال (ص ١١٥)، وسيأتي بَعْثُه ﷺ عمرو بن مرّة الجُهَني إلى قومه.

إرساله ﷺ السرايا للدعوة إلى الله تعالى

﴿ بعثه عليه السلام عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل للدعوة ﴾

أخرج الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقال: «تجهَّز فإنّي باعثك في سريّة» - فذكر الحديث، وفيه: فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل[١]. فلما دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصْبَغ بن عمرو الكلبي رضي الله عنه وكان نصرانياً وكان رأسَهم. فكتب عبدالرحمن - مع رجل من جهينة، يقال له: رافع بن مَكِيث - إلى النبي ﷺ يخبره، فكتب إليه النبي ﷺ أن تزوَّج ابنة الأصبغ، فتزوَّجها؛ وهي تُماضِر التي ولدت له بعد ذلك أبا سَلَمة بن عبدالرحمن. كذا في الإصابة (١/١٠٨).

﴿ بعثه عليه السلام عمرو بن العاص إلى بَلِيّ يستنفرهم إلى الإسلام ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن التميمي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام، وذلك أن أُم العاص بن وائل كانت من بني بَلِيٍّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يتألّفهم بذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلاسل - وبه سُمِّيت تلك الغزوة ذات السلاسل - قال: فلمّا كان عليه وخاف؛ بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين

(١) دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء.

فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - فذكر الحديث كما سيأتي في باب الإمارة. كذا في البداية (٤/٢٧٣).

﴿ بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى اليمن ﴾

وأخرج البيهقي عن البَرَاء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث خالد ابن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالدِ بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً إلَّا رجلاً كان مِمَّن مع خالد فأحب أن يَعقِب[1] مع علي فليَعقبْ معه. قال البراء: فكنت فيمن عَقَب مع علي. فلما دَنوْنا من القوم خرجوا إلينا، ثم تقدَّم فصلَّى بنا علي، ثم صفَّنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت هَمْدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «السلام على هَمْدان. السلام على هَمْدان». ورواه البخاري مختصراً. كذا في البداية (٥/١٠٥).

﴿ بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى نجران ﴾

وذكر ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوَهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالدٌ حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون: «أيها الناس، أسلموا تسلموا» فأسلم الناس؛ ودخلوا فيما دُعُوا إليه. فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتابَ الله وسنة نبيه ﷺ كما أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا. ثم كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ

﴿ كتاب خالد إلى رسول الله ﷺ ﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد النبي رسول الله من خالد ابن

(١) يعقب: يتخلف.

الوليد: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: يا رسول الله ـ صلى الله عليك ـ فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أُقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلتُ منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإني قدمتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركباناً: يا بني الحارث، أسلموا تسلموا. فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ. والسلام عليك ـ يا رسول الله ـ ورحمة الله وبركاته».

﴿ كتاب الرسول عليه السلام إلى خالد ﴾

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي رسول الله إلى خالد ابن الوليد: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإنَّ كتابك جاءني مع رسولك يخبر أنَّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشِّرهم وأنذرهم وأَقْبِلْ، ولْيُقْبِلْ معك وفدهم. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

﴿ رجوع خالد إلى النبي عليه السلام مع وفد بني الحارث ﴾

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ورآهم قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟» قيل: يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب. فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلَّموا عليه. وقالوا: نشهد أنَّك رسول الله وأنه لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله». ثم قال: «أنتم الذين إذا زُجروا استقدَموا». فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة. قال

يزيد بـن عبد المَدَان[١]: نـعـم يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجِروا[٢] استَقْدَموا ـ قالها أربع مرات ـ فقال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم». فقال يزيد ابن عبد المَدَان: أما ـ والله ـ ما حمِدناك ولا حمِدنا خالداً. قال: «فمن حمِدتم؟» قالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «صدقتم». ثم قال: «بِمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نك نغلب أحداً. قال: «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم». قالوا: كنا نغلب من قاتلنا ـ يا رسول الله ـ أنَّا كنَّا نجتمع ولا نتفرَّق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «صدقتم». ثم أمَّر عليهم قيس بن الحصين. كذا في البداية (٥/٩٨). وقد أسندها الواقدي من طريق عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث كما في الإصابة (٣/٦٦٠).

الدعوة إلى الفرائض

﴿ دعوته عليه السلام جريراً إلى الشهادتين والإيمان والفرائض ﴾

أخرج البيهقي عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: «يا جرير، لأيِّ شيء جئت؟» قلت: أسلم على يديك يا رسول الله. قال: فألقى عليَّ كساءً ثم أقبل على أصحابه فقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». ثم قال: «يا جرير، أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، وأن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتصلِّي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة»، ففعلت ذلك. فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسَّم في وجهي. كذا في البداية (٥/٧٨). وأخرجه أيضاً الطبراني وأبو نُعيم عن جرير بنحوه كما في كنز العمال (٧/١٩).

﴿ تعليمه عليه السلام معاذاً كيف يدعو إلى فرائض الإسلام في اليمن ﴾

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ـ حين بعثه إلى اليمن ـ «إنَّك ستأتي قوماً

---

(١) المدان: اسم لصنم. (٢) زُجروا: سيقوا.

أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». وقد أخرجه بقية الجماعة. كذا في البداية (٥/١٠٠).

﴿ دعوته عليه السلام حَوْشَب ذي ظُلَيم إلى فرائض الإسلام ﴾

وأخرج أبو نعيم عن حَوْشَب ذي ظُلَيْم قال: لما أن أظهر الله محمداً ﷺ انتدَبتُ[١] إليه من الناس في أربعين فارساً مع عبد شر. فقدموا عليه المدينة بكتابي فقال (عبد شر)[٢]: أيُّكم محمد؟ قالوا: هذا. قال: ما الذي جئتنا به؟ فإن يك حقاً اتَّبعناك. قال: «تقيموا الصلاة، وتعطوا الزكاة، وتحقنوا الدماء، وتأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر». فقال عبد شر: إنَّ هذا لحسن؛ مدّ يدك أبايعك. فقال النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: عبد شر، قال: «لا، بل أنت عبد خير». (فبايعه على الإسلام)[٣] وكتب معه الجواب (إلى)[٤] حَوْشَب ذي ظُلَيم فآمن. كذا في كنز العمال (٥/٣٢٥). وأخرجه أيضاً ابن منده وابن عساكر كما في الكنز أيضاً (١/٨٤). وأخرجه أيضاً ابن السَّكَن بنحوه كما في الإصابة (١/٣٨٢).

﴿ دعوته عليه السلام وفد عبد القيس إلى فرائض الإسلام ﴾

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، فقال: مرحباً بالقوم غير خزايا[٥] ولا ندامى[٦]. فقالوا: يا رسول الله، إنّ بيننا وبينك المشركين من مُضَر، وإنَّا لا نصل إليك إلَّا في الشهر الحرام، فحدِّثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو

---

(١) انتدبتُ إليه: أي أجبت إليه، يقال: ندبته فانتدب أي دعوته وبغيته فأجاب. وفي الإصابة: أرسلت إليه أربعين فارساً.

(٢-٣) من الإصابة.

(٤) من الإصابة وفي الأصل: على.

(٥) خزايا: جمع خزيان، وهو المستحيي.

(٦) ندامى: أي نادمين.

(إليه)[١] مَنْ وراءنا. قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من الغنائم الخُمس. وأنهاكم عن أربع: ما يُنتبذ في الدُّبَّاء، والنَّقير، والحنتَم، والمزفّت[٢]. وعند الطيالسي بنحوه بزيادات منها في آخره: فاحفظوهنَّ وادعوا إليهنَّ مَنْ وراءكم. كذا في البداية (٥/٤٦).

﴿ حديث علقمة في حقيقة الإيمان والدعوة إلى الإيمان والفرائض ﴾

وأخرج الحاكم عن علقمة بن الحارث رضي الله عنه يقول: قدمت على رسول الله ﷺ - وأنا سابع سبعة من قومي - فسلَّمنا على رسول الله ﷺ، فردَّ علينا؛ فكلَّمناه فأعجبه كلامنا. وقال: «ما أنتم؟» قلنا: مؤمنون. قال: «لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟» قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس أمرتَنا بها، وخمس أمرَتْنا بها رسلك، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها إلى الآن إلا أن تنهانا يا رسول الله. قال: «وما الخمس التي أمرتكم بها؟» قلنا: أمرتَنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره. قال: «وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟» قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، ونقيم الصلاة المكتوبة، ونؤدي الزكاة المفروضة، ونصوم شهر رمضان، ونحجّ البيت إن استطعنا إليه السبيل. قال: «وما الخصال التي تخلَّقتم بها في الجاهلية؟» قلنا: الشكر عند الرَّخاء[٣]، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمرّ القضاء، وترك الشماتة[٤] بالمصيبة إذا حلَّت بالأعداء. فقال رسول الله ﷺ: «فقهاء أُدباء، كادوا أن يكونوا أنبياء من خصال ما أشرفها!» وتبسَّم إلينا. ثم قال: «وأنا أوصيكم بخمس خصال ليكمل الله لكم خصال الخير: لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافَسُوا فيما غدا عنه تزولون، واتقوا الله الذي إليه تحشرون وعليه تقدَمون، وارغبوا فيما إليه تصيرون وفيه تخلدون». كذا في الكنز (١/٦٩) <٧٤/١>. وأخرجه أيضاً أبو سعيد النَّيسابوري في

(١) إليه: من البخاري وفي الأصل به.
(٢) أسماء لأوانٍ كان العرب يصنعون بها النبيذ.
(٣) الرخاء: سَعَة العيش.
(٤) الشماتة: فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه.

شرف المصطفى عن علقمة بن الحارث رضي الله عنه. وأخرجه العسكري والرشاطي وابن عساكر عن سويد بن الحارث ـ فذكر الحديث بطوله؛ وهذا أشهر كما في الإصابة (٢/٩٨). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/٢٧٩) عن سويد بن الحارث رضي الله عنه قال: وفدتُ على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي، فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سَمْتِنا وزيِّنا. فقال: «ما أنتم؟» قلنا: مؤمنين[1]. فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «إنَّ لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟» قال سويد: فقلنا خمس عشرة خصلة: خمس منها أمَرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمَرَتْنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلَّقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلاَّ أن تكره منها شيئاً ـ فذكره بمعناه إلاَّ أنه ذكر: والبعث بعد الموت ـ بدل: القدر خيره وشره. وذكر: والصبر عند شماتة الأعداء ـ بدل: وترك الشماتة.

وقد تقدم حديث رجل من بَلْعَدَوِيَّة عن جده ـ فذكر الحديث، وفيه: قال: ما تدعو إليه؟ قال: «أدعو عباد الله إلى الله». قال قلت: ما تقول؟ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي محمد رسول الله، وتؤمن بما أنزله عليّ، وتكفر باللاَّت والعزَّى، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة»... ـ في دعوته ﷺ لرجل لم يسمَّ (ص ٨١ ـ ٨٢).

إرساله ﷺ الكتب مع أصحابه إلى ملوك الآفاق وغيرهم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الدخول في الإسلام

﴿ تحريضه ﷺ أصحابه على أداء دعوته، وعدم الاختلاف في ذلك، وبعثهم إلى الآفاق ﴾

أخرج الطبراني عن المِسْوَر بن مَخْرمة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقال: «إنَّ الله بعثني رحمة للناس كافة، فأدُّوا عني ـ رحمكم الله ـ ولا تختلفوا كما اختلف الحواريّون على عيسى عليه السلام، فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه. فأما من بَعُدَ مكانه فكرهه، فشكا

(١) هكذا في الأصل: ولعلها مؤمنون.

عيسى بن مريم ذلك إلى الله عزّ وجلّ، فأصبحوا وكلُّ رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذين وُجِّه إليهم. فقال لهم عيسى: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فافعلوا». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: نحن ـ يا رسول الله ـ نؤدي إليك فابعثنا حيث شئت. فبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن حُذَافة رضي الله عنه إلى كسرى، وبعث سَلِيط بن عمرو رضي الله عنه إلى هَوْذَة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى المنذر ابن ساوَى صاحب هَجَر، وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى جَيْفَر وعبَّاد ابنَي الجُلَنْدى مَلِكَي عُمَان، وبعث دِحْيَة الكلبي رضي الله عنه إلى قيصر، وبعث شُجاع بن وَهْب الأسديّ رضي الله عنه إلى المُنذر بن الحارث بن أبي شِمْر الغسَّاني، وبعث عمرو بن أُمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النجاشي. فرجعوا جميعاً قبل وفاة رسول الله ﷺ غير العلاء بن الحضرمي، فإنّ رسول الله ﷺ توفي وهو بالبحرين. قال الهيثمي وفيه: محمد بن إسماعيل بن عيّاش وهو ضعيف. كذا في المجمع (٥/٣٠٦).

قال الحافظ في الفتح (٨/٨٩) ـ وزاد أصحاب السِّيَر: أنه بعث المهاجر ابن أبي أُمية إلى الحارث بن عبد كُلال، وجريراً رضي الله عنهما إلى ذي الكَلاع، والسائب رضي الله عنه إلى مُسَيْلَمة، وحاطب بن أبي بَلْتعة رضي الله عنه إلى المُقَوقس ـ إهـ.

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى، وقيصر، وإلى النَّجاشي، وإلى كلِّ جبَّار عنيد يدعوهم إلى الله عز وجل، وليس بالنجاشي الذي صلَّى عليه. كذا في البداية (٤/٢٦٢).

وأخرجه أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: كتب رسول الله ﷺ قبل أن يموت إلى كسرى وقيصر وإلى كلِّ جبار. قال الهيثمي (٥/٣٠٥) وفيه: ابن لَهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

﴿ كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ﴾

أخرج البيهقي عن ابن إسحاق قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو ابن

أمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم، وكتب معه كتاباً.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدّوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيِّبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإنِّي رسول الله. وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرَّهم ودَعِ التجبُّر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل؛ وقد بلَّغتُ ونَصحتُ فاقَبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى».

﴿ كتاب النجاشي إلى النبي ﷺ ﴾

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحَم ابن أبجر: سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلاّ هو الذي هداني إلى الإسلام. فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرتَ من أمر عيسى، فوربِّ السماء والأرض إنَّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت. وقد عرفنا ما بَعثت به إلينا؛ وقَرَينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدَّقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وقد بعثت إليك ـ يا نبي الله ـ بأريحا بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق». كذا في البداية (٣/٨٣).

﴿ كتابه ﷺ إلى قيصر ملك الروم ﴾

أخرج البزّار عن دِحْيَة الكلبي رضي الله عنه أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر، فقدمت عليه فأعطيته الكتاب وعنده ابن أخ له

أحمر أزرق[١] سبط الرأس. فلما قرأ الكتاب كان فيه:

«من محمد رسول الله إلى هرقل صاحب الروم»

قال: فنخر[٢] ابن أخيه نخرة وقال: لا يُقرأ هذا اليوم. فقال له قيصر: لِمَ؟ قال: إنّه بدأ بنفسه وكتب «صاحب الروم» ولم يكتب «ملك الروم». فقال قيصر: لتقرأنَّه. فلما قرأ الكتاب وخرجوا من عنده أدخلني عليه وأرسل إلى الأسقُف ـ وهو صاحب أمرهم ـ فأخبروه وأخبره وأقرأه الكتاب. فقال له الأسقف: **هذا الذي كنا ننتظر وبشَّرنا به عيسى عليه السلام**. قال له قيصر: كيف تأمرني؟ قال له الأسقف: **أمَّا أنا فمصدّقه ومتبعه**. فقال له قيصر: **أمّا أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي**. ثم خرجنا من عنده، فأرسل قيصر إلى أبي سفيان وهو يومئذ عنده قال: حدثني عن هذا الذي خرج بأرضكم ما هو؟ قال: شاب. قال: فكيف حَسَبُه فيكم؟ قال: هو في حسب منا لا يفضل عليه أحد. قال: هذه آية النبوة. قال: كيف صدقه؟ قال: ما كذب قط. قال: هذه آية النبوة. قال: أرأيت من خرج من أصحابكم إليه هل يرجع إليكم؟ قال: لا. قال هذه آية النبوة. قال: هل ينكُث أحياناً إذا قاتل هو في أصحابه؟ قال: قد قاتله قوم فهزمهم وهزموه. قال: هذه آية النبوة. قال ثم دعاني فقال: **أبلغ صاحبك أني أعلم أنه نبي ولكن لا أترك ملكي**.

قال: وأما الأسقُف فإنَّه كانوا يجتمعون إليه في كل أحد، فيخرج إليهم ويحدِّثهم ويذكِّرهم، فلما كان يوم الأحد لم يخرج إليهم وقعد إلى يوم الأحد الآخر، فكنت أدخل إليه فيكلمني ويسألني. فلما جاء الأحد الآخر انتظروه ليخرج إليهم، فلم يخرج إليهم واعتلَّ عليهم بالمرض وفعل ذلك مراراً. وبعثوا إليه لتخرجنَّ إلينا أو لندخلنَّ عليك فنقتلك، فإنا قد أنكرناك منذ قدم هذا العربي. فقال الأسقف: خذ هذا الكتاب واذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه السلام، وأخبره أنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأني قد آمنت به، وصدَّقته، واتبعته، وأنهم قد أنكروا عليّ ذلك، فبلِّغه ما ترى. ثم

---

(١) أي أحمر الوجه أزرق العينين. (٢) مد الصوت والنفس في خياشيمه.

خرج إليهم فقتلوه ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (٨/٢٣٦، ٢٣٧) وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف. انتهى.

وأخرجه أيضاً الطبراني من حديث دِحْية رضي الله عنه مختصراً، وفيه: يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني وهو ضعيف كما قال الهيثمي (٥/٣٠٦). وهكذا أخرجه أبو نعيم في الدلائل (ص ١٢١) بمعناه مختصراً. وأخرجه أيضاً عبدان بن محمد المِرْوَزي عن عبدالله بن شدّاد نحوه وأتم منه. وأخرج عبدان عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن هرقل قال لدحية رضي الله عنه: ويحك! إنِّي ـ والله ـ لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مرسل وأنه للذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتَّبعته؛ فاذهب إلى ضغاطر الأسقُف فاذكر له أمر صاحبكم فهو أعظم في الروم مني وأجوز قولاً[١]. فجاءه دِحْية فأخبره. فقال له: **صاحبك ـ والله ـ نبي مرسل، نعرفه بصفته واسمه.** ثم دخل فألقى ثيابه ولبس ثياباً بيضاء، وخرج على الروم فشهد شهادة الحق فوثبوا عليه فقتلوه. وهكذا ذكره يحيى بن سعيد الأموي في المغازي والطبري عن ابن إسحاق؛ كذا في الإصابة (٢/٢١٦).

وأخرج عبدالله بن أحمد وأبو يَعْلَى عن سعيد بن أبي راشد قال: رأيت التنوخي ـ رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ ـ بحمص وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفناء ـ أو قَرُب ـ فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟ قال: بلى. وقدم رسول الله ﷺ تبوك وبعث دِحْية الكلبي إلى هرقل، فلمّا أن جاء كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم غلّق عليه وعليهم الدار. قال: نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إليّ يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب لتؤخذنَّ[٢] ما تحت قدميّ؛ فهلمّ

(١) أجوز قولاً: أي أنفذ قولاً.

(٢) من هامش البداية، وفي المجمع: لتأخذن، قلت: لعلّها ليأخذنّ ـ يعني هذا النبي ـ.

نتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا. فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟! فلمّا ظنَّ أنَّهم إن خرجوا أفسدوا عليه رفاقهم وملكه، قال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم.

ثم دعا رجلاً من عرب «تُجيب» كان على نصارى العرب قال: أُدعُ لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه. فجاءني فدفع إلي هرقل كتاباً باني[١] فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما صَغِيتَ من حديثه فاحفظ منه ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليّ بشيء؟ وانظر إذا قرأ كتابي هل يذكر الليل؟ وانظر في ظهره هل به من شيء يريبك؟ فانطلقتُ بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين أصحابه على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: ها هوذا. فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه. فناولته كتابي فوضعه في حِجْره ثم قال: «ممَّن أنت؟» قلت: أنا أحد تنوخ. فقال: «هل لك في الحنيفية ملّة أبيكم إبراهيم؟» قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم. قال: «إنَّك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين. يا أخا تنوخ إني كتبت بكتابي إلى النجاشي[٢] فخرقها والله مُخرِّقهُ ومُخَرِّقُ ملكه. وكتبت إلى صاحبكم بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير». قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها، وأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي. ثم إنَّه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره فقلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية. فإذا في كتاب صاحبي[٣]: يدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتقين. فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله!! فأين الليل

---

(١) باني: تذكير بانِيَة، وجمعها: البواني وهي أضلاع الصدر ـ أقرب الموارد. وقيل الأكتاف والقوائم. وهذه الكلمة «باني» ليست موجودة في البداية.

(٢) وفي ابن عساكر ١١٣/١ أن هذا النجاشي غير النجاشي المعروف الذي أسلم، وللتفصيل راجعه.

(٣) أي في كتاب هرقل المرسل إلى رسول الله ﷺ هذه الجملة الاستفهامية. يدعوني إلى جنة الخ.

إذا جاء النهار؟» فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي. فلما فرغ من قراءة كتابي قال: «إنَّ لك حقاً وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوَّزناك بها، إنا سَفْر[١] مُرْمِلون»[٢]. قال: فناداه رجل من طائفة الناس أنا أجوزه، ففتح رَحْله، فإذا هو يأتي بحلَّة صَفورية فوضعها في حِجْري، فقلت: من صاحب الحلّة؟ قيل: عثمان. ثم قال رسول الله ﷺ «من ينزل هذا الرجل؟» فقال فتى من الأنصار: أنا. فقام الأنصاري وقمت معه. فلما خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله ﷺ فقال: «يا أخا تنوخ»، فأقبلت أهوي حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت فيه بين يديه، فحلَّ حبوته عن ظهره فقال: «ها هنا امضِ[٣] لما أُمرت به»، فجُلْتُ[٤] في ظهره، فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحجمة. قال الهيثمي (٨/٢٣٥، ٢٣٦) رجال أبي يعلى ثقات، ورجال عبدالله بن أحمد كذلك. انتهى. وأخرجه أيضاً الإمام أحمد كما في البداية (٥/١٥)، وقال: هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به، تفرّد به الإمام أحمد. انتهى. وأخرجه أيضاً يعقوب بن سفيان، كما في البداية أيضاً (٦/٢٧).

﴿ خبر أبي سفيان مع هرقل ملك الروم ﴾

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره: أنَّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ـ وكانوا تجّاراً بالشام ـ في المدة[٥] التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتَوه وهم بإيلياء[٦]. فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيُّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، قال: أدنُوه مني وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذِّبوه، فوالله

(١) سَفْر: جمع مسافر، أي مسافرون.
(٢) مرملون: من نفد زادهم.
(٣) امض: انظر.
(٤) جلت: نظرت.
(٥) هذه المدة هي صلح الحديبية الذي جرى في اخر سنة ٦ هـ، والذي كان من شروطه وقف الحرب ١٠ سنوات بين المسلمين وقريش.
(٦) إيلياء: مدينة القدس.

لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبتُ عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال فهل كان من آبائه من مَلِكٍ؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس اتَّبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سَخْطة[1] لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟: قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها - قال: ولم يُمكنِّي كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة - قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سِجَال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصِّلَة.

فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلتُ رجل يتأسَّى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من مَلِك، فذكرت أن لا، فلو كان من آبائه من مَلِك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أنَّ ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنَّهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتمّ. وسألتك: أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشتُه القلوبَ. وسألتك: هل

---

(١) سخطة: كراهية الشيء وعدم الرضاء به.

يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بمَ يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، **فإن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه[١] لتجشَّمت[٢] لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.**

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دِحْيَة رضي الله عنه إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فإذا فيه.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتّبَع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتِكَ الله أجرك مرتين. فإن تولَّيت فإنّ عليك إثم الأريسيِّين[٣]. و ﴿يا أهل الكتاب تعالَوا إلى كلمةٍ سَوَاء بيننا وبينكم: أن لا نعبد إلا الله، ولا نشركَ به شيئاً، ولا يتَّخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنا مُسلمون﴾[٤]».

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصَّخَب، وارتفعت الأصوات وأُخرجنا. فقلت لأصحابي ـ حين خرجنا ـ: لقد أمِرَ[٥] أمر ابن أبي كبشة[٦]، إنه يخافه مَلِكُ بني الأصفر[٧]!!. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

---

(١) أخلص إليه: أي أصل إليه، يقال: خلص فلان إلى فلان أي وصل إليه.

(٢) لتجشّمت: لتكلفت.

(٣) الأريسيُّون: الخدم والخَوَل والأكّارون، وقيل: فرقة تعرف بالأريسة أتباع عبد الله بن أريس، قتلوا نبياً جاءهم.

(٤) سورة آل عمران: ٦٤ وأول الآية: قل يا أهل الكتاب...

(٥) أمِرَ الأمر: عظم واشتد.

(٦) أبو كبشة: هو زوج حليمة السعدية، وكان مشركو قريش يطلقون على رسول الله ﷺ «ابن أبي كبشة» سخرية.

(٧) بنو الأصفر: هم الروم كما سماهم العرب.

قال: وكان ابن الناطور صاحبَ إيلياء وهرقلَ[١] أُسْقُفَ على نصارى الشام يحدِّث أنّ هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حزّاء[٢] ينظر في النجوم. فقال لهم حين سألوه: إني رأيت حين نظرت في النجوم مَلِكَ الخِتان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمم؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود ولا يهمنَّك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم أُتِيَ هرقل برجل أرسل به ملك غسّان فخبَّرهم عن خبر رسول الله ﷺ. فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدَّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال هم يختتنون. فقال هرقل: هذا مَلِك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره في العلم ـ وسار هرقل إلى حمص فلم يَرِم[٣] بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وهو نبي. فأذن هرقل لعظماء الروم في دَسْكرة[٤] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت، ثم اطَّلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبَّت لكم ملككم، فتتابعوا لهذا النبي؟ فحاصوا[٥] حَيْصة حُمُرِ الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقت. فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردُّوهم عليَّ. وقال: إنِّي إنَّما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم على دينكم: فقد رأيت، فسجدوا له ورَضُوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل. وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة في صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها؛ وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما. كذا في البداية (٤/٢٦٦). وأخرجه أيضاً ابن إسحاق عن

(١) صاحب إيلياءَ وهرقلَ: أي أمير إيلياء وصاحب هرقل: أي صديقه ومن أتباعه.

(٢) الحزاء والحازي الذي يحزر الأشياء ويقدرها بظنه، ويقال للذي ينظر في النجوم حزّاء لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره.

(٣) لم يرِم: لم يبرح منها أو يصلها.

(٤) دسكرة: بناء على هيئة القصر، فيه منازل وبيوت للخدم والحشم.

(٥) حاصوا: أي جالوا جولة يطلبون الفرار.

الزُّهْري بطوله كما ذكر في البداية (٤/٢٦٢). وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١١٩) من طريق الزُّهْري بنحوه مطولاً، والبيهقي (٩/١٧٨) بهذا الإسناد بنحوه مطوّلاً.

﴿ كتابه ﷺ إلى كسرى ملك فارس ﴾

أخرج البخاري من حديث اللَّيث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله ابن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزّقه، . قال: فحسبت أنَّ ابن المسيِّب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزقوا كلَّ مُمزَّق.

وقال عبدالله بن وَهْب عن يونس عن الزُّهْري: حدثني عبد الرحمن ابن عبد القاري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وتشهَّد، ثم قال: أما بعد: فإنِّي أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا عليَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى ابن مريم. فقال المهاجرون: يا رسول الله، إنّا لا نختلف عليك في شيء أبداً، فمُرنا وابعثنا. فبعث شجاع بن وَهْب إلى كسرى. فأمر كسرى بإيوانه[1] أن يُزيَّن، ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجاع بن وَهْب. فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يُقبض منه. فقال شجاع بن وهب: لا، حتى أدفعه أنا إليك كما أمر رسول الله ﷺ. فقال كسرى: ادْنه، فدنا فناوله الكتاب، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه:

﴿ من محمد بن عبدالله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس ﴾

قال: فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب ومزَّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر بشجاع بن وَهْب فأُخرج. فلمّا رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال: والله، ما أبالي على أي الطريقين أكون إذْ أدّيت كتاب رسول الله ﷺ. قال: ولما ذهب عن كسرى سَوْرَة غضبه[2] بعث

---

(١) الإيوان: المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان. (٢) سورة غضبه: حدة غضبه.

إلى شجاع ليدخل عليه، فالتُمس فلم يوجد، فطُلب إلى الحيرة فَسَبَق. فلما قدم شجاع على النبي ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «مزّق كسرى ملكه». كذا في البداية (٤/ ٢٦٩).

وأخرج أبو سعيد النَّيْسابوري في كتاب شَرَف المصطفى من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: لمَّا قُدِّم كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقرأه ومزَّقه كتب إلى باذان[1] ـ وهو عامله باليمن ـ أنِ ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلَين جَلْدين[2] من عندك فلْيأتياني به. فبعث باذان قهرمانه[3] ـ وهو أبانوه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ـ وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له «جد جميرة» وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن يتوجَّه معهما إلى كسرى، وقال لقهرمانه: انظر إلى الرجل وما هو وكلِّمه وائتني بخبره. فخرجا حتى قدما الطائف، فوجدا رجالاً من قريش تجّاراً فسألاهم عنه. فقالوا: هو بيثرب واستبشروا. فقالوا: قد نَصب له[4] كسرى. كُفيتم الرجل!! فخرجا حتى قدما المدينة، فكلّمه أبانوه، فقال: إنَّ كسرى كتب إلى باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني لتنطلق معي. فقال: «ارجعا حتى تأتياني غداً». فلما غدَوا عليه أخبرهما رسول الله ﷺ بأن الله قتل كسرى وسلّط عليه ابنه «شيرَوَيْه» في ليلة كذا من شهر كذا. فقالا: أتدري ما تقول؟ أنكتب بهذا إلى باذان؟ قال: «نعم». وقولا له: «إن أسلمتَ أعطيتُك ما تحت يديك» ثم أعطى «جد جميرة» مِنْطَقَة[5] كانت أُهديت له فيها ذهب وفضة. فقدما على باذان فأخبراه. فقال: **والله ما هذا بكلام ملك ولننظرن ما قال**. فلم يلبث أن قدم عليه كتاب «شيرَوَيْه»: أما بعد: فإنِّي قتلت كسرى غضباً لفارس لما كان يستحلُّ

---

(١) هكذا في الإصابة، وفي هامش البداية (٤/ ٢٦٩): «في ابن جرير: اختلاف في الأسماء فإنه سمَّى باذام: باذان، وأبا ذويه: نابويه، وخرخرة: خرخسرة ـ إلى غير ذلك، فراجعه في السنة السادسة».

(٢) جلدَين: أي قويين.

(٣) القهرمان: كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس.

(٤) نَصِب له: أظهر له الشر.

(٥) مِنْطَقة: ما يُشد به وسط الرجل.

من قتل أشرافها؛ فخُذْ لي الطاعة ممن قِبَلك ولا تُهَجِّنِ[١] الرجل الذي كتب لك كسرى بسببه بشيء. فلما قرأه قال: **إن هذا الرجل لنبي مرسل**، فأسلم وأسلمت الأبناء من آل فارس من كان منهم باليمن جميعاً. وهكذا حكاه أبو نعيم الأصبهاني في الدلائل عن ابن إسحاق بلا إسناد، لكن سماه خرخسرة ووافق على تسمية رفيقه أبانوه. كذا في الإصابة (١/٢٥٩).

وأخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في دلائل النبوة عن ابن إسحاق قال: بعث النبي ﷺ عبدالله بن حُذافة رضي الله عنه إلى كسرى بكتابه يدعوه إلى الإسلام. فلما قرأه شقَّق كتابه ثم كتب إلى عامله على اليمن باذان ـ فذكر بمعناه ـ وفيه: ثم قدما المدينة فكلَّمه بابويه: إن شاهنشاه كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليه من يأتيه بك. فإن أجبتَ كتبتُ معك ما ينفعك عنده، وإن أبيتَ فإنه مهلكك ومهلك قومك ومخرِّب بلادك. فقال لهما: ارجعا حتى تأتياني غداً ـ فذكر نحوه. وأخرج ابن أبي الدنيا عن سعيد المقبري مختصراً جداً. كذا في الإصابة (١/١٦٩).

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن زيد بن أبي حبيب قال: وبعث عبدالله بن حذافة رضي الله عنه إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه:

> **«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأدعوك بدعاء الله، فإنِّي أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فإن تُسْلِم تَسْلَم، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك»**.

قال: فلما قرأه شقَّه وقال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي. قال: ثم كتب كسرى إلى باذام ـ فذكر ما تقدَّم عن ابن إسحاق، وفيه: ودخلا على رسول

(١) تُهَجِّن: تقبح وتعيب.

الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال: «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا: أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله ﷺ: «ولكنَّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي». كذا في البداية (٤/٢٦٩).

وأخرج الطبراني عن أبي بَكْـرة رضي الله عنه قال: لما بُعث رسول الله ﷺ بعث كسرى إلى عامله على أرض اليمن ومن يليه من العرب - وكان يقال له بادام[١] - إنه بلغني أنه خرج رجل قِبلك يزعم أنه نبي فقل له: فلْيكفَّ عن ذلك أو لأبعثنَّ إليه من يقتله أو يقتل قومه. قال: فجاء رسول بادام إلى النبي ﷺ فقال له هذا. فقال رسول الله ﷺ: «لو كان شيء فعلته من قبلي كففت ولكن الله عز وجل بعثني». فأقام الرسول عنده، فقال له رسول الله ﷺ: **إن ربي قتل كسرى ولا كسرى بعد اليوم؛ وقتل قيصر ولا قيصر بعد اليوم**. قال فكتب قوله في الساعة التي حدَّثه واليوم الذي حدَّثه والشهر الذي حدَّثه فيه. ثم رجع إلى بادام فإذا كسرى قد مات، وإذا قيصر قد قتل. وقال الهيثمي (٨/٢٨٧): ورجاله رجال الصحيح غير كثير بن زياد وهو ثقة؛ وعند أحمد طرَفٌ منه، وكذلك البزار. انتهى.

وأخرج البزّار عن دِحْية الكلبي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر -فذكر الحديث كما تقدّم في كتابه ﷺ إلى قيصر (ص ١٢٨)؛ وفي آخره: ثم خرج دِحْية إلى النبي ﷺ وعنده رُسُلُ عمالِ كسرى على صنعاء، بعثهم إليه وكتب إلى صاحب صنعاء يتوعّده يقول: لتكفينِّي رجلًا خرج من أرضك يدعوني إلى دينه، أو أؤدي الجزية، أو لأقتلنّك، أو لأفعلنَّ بك. فبعث صاحب صنعاء إلى رسول الله ﷺ خمسة وعشرين رجلًا فوجدهم دحية عند رسول الله ﷺ. فلما قرأ صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة، فلما مضت خمس عشرة ليلة تعرَّضوا له. فلما رآهم دعاهم فقال: «اذهبوا إلى صاحبكم[٢] فقولوا له: إنَّ ربِّي قتل ربه[٣] الليلة». فانطلقوا

(١) كذا في مجمع الزوائد: وقد تقدم ما فيه آنفاً (ص١٣٧).
(٢) المراد: بادام.
(٣) ربَّه: أي سيده كسرى.

فأخبروه بالذي صنع. فقال: احصُوا هذه الليلة. قال: أخبروني كيف رأيتموه؟ قالوا: **ما رأينا ملكاً أهنأ منه يمشي فيهم لا يخاف شيئاً، مبتذلاً لا يُحرس، ولا يرفعون أصواتهم عنده**. قال دحية: ثم جاء الخبر أن كسرى قُتل تلك الليلة. قال الهيثمي (٥/ ٣٠٩) وفيه: إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه وكلاهما ضعيف. انتهى.

﴿ كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية ﴾

أخرج البيهقي عن عبدالله بن عبد القارىء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بَلْتَعة رضي الله عنه إلى المُقَوْقِس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه، فقَبَّل الكتاب، وأكرم حاطباً وأحسن نُزُله[1]، وسَرَّحه إلى النبي ﷺ، وأهدى له مع حاطب كِسوة وبغلة بِسَرْجها وجاريتين: إحداهما أُمّ إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد ابن قيس العبدي.

وأخرج البيهقي أيضاً عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية، قال: فجئته بكتاب رسول الله ﷺ، فأنزلني في منزله وأقمت عنده، ثم بعث إليّ وقد جمع بطارِقَته وقال: إنِّي سائلك عن كلام فأحبُّ أن تفهم عني، قال قلت: هَلُمَّ؛ قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ قلت: بل هو رسول الله. قال: فما له حيث كان هكذا لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال قلت: عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى. قلت: فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألَّا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا؟! فقال لي: **أنت حكيم قد جاء من عند حكيم**. هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك ببَذْرَقة[2] يبذرقونك إلى مأمنك. قال: فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوارٍ منهن أُم ابراهيم ابن

---

(١) النُزُل: ما يهيأ للضيف.

(٢) البذرقة: فارسي معرّب؛ قال ابن بري: البذرقة: الخُفارَة (الحرس).

رسول الله ﷺ، وواحدةً وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بطُرَف من طُرَفهم[١]. كذا في البداية (٤/٢٧٢). وأخرج حديث حاطب أيضاً ابن شاهين كما في الإصابة (١/٣٠٠).

﴿ كتابه ﷺ إلى أهل نجران ﴾

أخرج البيهقي عن يونس بن بُكَير عن سَلَمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده - قال يونس: وكان نصرانياً فأسلم - إنَّ رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه: طَسَ سليمان[٢]:

«باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران: سَلْم[٣] أنتم، فإنِّي أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد؛ فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب. والسلام».

فلما أتى الأسقُفَ الكتابُ وقرأه فَظِعَ به وذعر به ذعراً شديداً، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شُرَحبيل بن وَدَاعة - وكان من هَمْدان ولم يكن أحد يُدعى إذا نزلت مُعْضلة[٤] قبله، لا الأيهم[٥] ولا السيد ولا العاقب[٦] - فدفع الأسقفُ كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه. فقال الأسقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمتَ ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النّبوة، فما يُؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل. ليس لي في أمر النبوة رأي، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرتُ عليك فيه برأي واجتهدت لك، فقال له الأسقف: تنحَّ فاجلس، فتنحَّى شرحبيل

(١) الطرف: التحف من الهدايا.
(٢) يريد السورة التي فيها الآية الكريمة: «إنّه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» (سورة النمل).
(٣) هو الظاهر كما في الوثائق السياسية في عدة مكاتيب؛ وفي الأصول: أسلم.
(٤) المعضلة: المسألة الصعبة أو الخطة الضيقة المخارج.
(٥) الأيهم: الجريء الذي لا يستطاع دفعه.
(٦) السيد والعاقب: من رؤساء النصارى وأصحاب مراتبهم. والعاقب: يتلو السيد.

فجلس ناحية. فبعث الأسقفُ إلى رجل من أهل نجران يقال له عبدالله ابن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حِمْير، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال مثل قول شرحبيل، فقال الأسقفُ: تنحَّ فاجلس، فتنحَّى عبدالله فجلس ناحية. فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبَّار ابن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل وعبدالله، فأمره الأسقفُ فتنحَّى فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضُرب به ورُفعت النيران والمسوح[١] في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع. فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورُفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل. فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيه. فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمْداني وعبدالله بن شرحبيل الأصبحي وجبَّار بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ. فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حُلُلاً لهم يجرونها من حِبَرة[٢] وخواتيم الذهب. ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلَّموا عليه فلم يردَّ عليهم، وتصدَّوا[٣] لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب. فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم ـ فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا: يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلَّمنا عليه فلم يردَّ سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا؟ فما الرأي منكما؟ أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب ـ وهو في القوم ـ ما ترى يا أبا الحسن في

(١) المسوح: جمع مِسْح بالكسر، وهو: البساط من شعر.
(٢) الحِبَرَة: نوع من برود اليمن. (٣) تصدَّوا: أي تعرضوا.

هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم هذه ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه. ففعلوا فسلَّموا عليه فردَّ سلامهم، ثم قال: «والذي بعثني بالحق لقد أتَوني المرة الأولى وإنَّ إبليس لمعهم». ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى؟ فإنَّا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرُّنا - إن كنت نبياً - أن نسمع ما تقول فيه. فقال رسول الله ﷺ: «ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى». فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية: «إنَّ مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم - إلى قوله - الكاذبين»[1] فأبَوا أن يقرُّوا بذلك.

فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خَميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة. فقال شرحبيل لصاحبيه: لقد علمتما أنَّ الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يَرِدوا ولم يصدُرُوا إلَّا عن رأيي، وإنِّي - والله - أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل مبعوثاً فكنَّا أول العرب طعناً في عينيه وردّاً عليه أمره لا يذهب لنا من صدوره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة[2]؛ وإنا لأدنى العرب منهم جواراً. ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعنّاه لا يبقى منا على وجه الأرض شَعَر ولا ظِفْر إلَّا هلك. فقال صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: أرى أن أكلِّمه[3]، فإنِّي أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً. فقالا له: أنت وذاك. قال: فتلقَّى شرحبيلُ رسولَ الله ﷺ. فقال له: إنِّي قد رأيت خيراً من ملاعنتك. فقال: وما هو؟ فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمتَ فينا فهو جائز. فقال رسول الله ﷺ: «لعل وراءك أحداً يُثَرِّبُ[4] عليك». فقال شرحبيل: سل صاحبيَّ، فسألهما فقالا: ما يَرِدُ

(١) سورة آل عمران: ٥٩ - ٦١.

(٢) الجائحة: هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها، وكل مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة جائحة، والجمع: جوائح.

(٣) الصحيح أحكمه كما في ابن كثير.

(٤) يثرب عليك: يلومك.

الوادي ولا يصدُر إلَّا عن رأي شرحبيل. فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتوه: فكتب لهم هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران: ـ إن كان عليهم حكمه ـ في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم، وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة: في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة».

وذكر تمام الشروط. كذا في التفسير لابن كثير (١/٣٦٩). وزاد في البداية (٥/٥٥) بعد قوله ـ وذكر تمام الشروط: إلى أن شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة، وكتب. حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقُفِّ أخ له من أُمِّه وهو ابن عمِّه من النسب يقال له بِشْر بن معاوية وكنيته أبو علقمة. فدفع الوفدُ كتابَ رسول الله ﷺ إلى الأسقُفِّ، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كَبَت[1] ببشر ناقتُه، فَتَعَّسَ[2] بشر غير أنه لا يكني[3] عن رسول الله ﷺ. فقال له الأسقُف عند ذلك: قد ـ والله ـ تعَسْتَ نبياً مرسلاً. فقال له بِشْر: لا جَرَم ـ والله ـ لا أحلُّ عنها عقداً حتى آتي رسول الله ﷺ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثَنى الأسقف ناقته عليه فقال له: افهم عني إنَّما قلت هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يروا أنَّا أخذنا حقه أو رضينا بصوته أو بخعنا[4] لهذا الرجل بما لم تبخع به العرب، ونحن أعزهم وأجمعهم داراً. فقال له بشر: لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بشر ناقته ـ وهو مولِّي الأسقف ظهره ـ وارتجز يقول:

إليكَ تغدو قَلِقاً وضينها[5] معترضاً في بطنها جنينُها
مخالفاً دين النصارى دينُها

حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك. قال:

---

(١) كبت: انكبت على وجهها.
(٢) تعّس: دعا عليه بالهلاك.
(٣) أي دعا بالهلاك على الرسول ﷺ باسمه الصريح.
(٤) بخعنا: أقررنا مقهورين.
(٥) الوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يُشدُّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج.

ودخل الوفد نجران. فأتى الراهبَ ابن أبي شمر الزبيدي وهو في رأس صومعته. فقال له: إنَّ نبياً بُعث بتهامة ـ فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله ﷺ وأنه عرض عليهم الملاعنة فأبَوا، وأنَّ بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم ـ فقال الراهب: أنزلوني، وإلاَّ ألقيت نفسي من هذه الصومعة. قال: فأنزلوه، فأخذ معه هدية وذهب إلى رسول الله ﷺ، منها هذا البُرْد الذي يلبسه الخلفاء، وقَعْبُ[1]، وعصا. فأقام مدّة عند رسول الله ﷺ يسمع الوحي، ثم رجع إلى قومه ولم يُقدِّر له الإسلام، ووعد أنه سيعود فلم يُقدَّر له حتى توفي رسول الله ﷺ. وأن الأسقُف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه، فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه، وكتب للأسقفِّ هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده.

﴿ كتابه عليه السلام إلى الأسقف أبي الحارث ﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي للأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ورهبانهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير: جوار الله ورسوله، لا يُغيِر أسقفٌ من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، ولا يغيّر حق من حقوقهم؛ ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك. جوار الله ورسوله أبداً ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين».

وكتب المغيرة بن شعبة: انتهى ما في البداية (٥/٥٥).

﴿ كتابه ﷺ إلى بكر بن وائل ﴾

أخرج أحمد عن مَرْثَد بن ظبيان رضي الله عنه قال: جاءنا كتاب من رسول الله ﷺ، فما وجدنا له قارئاً يقرأ علينا حتى قرأه رجل من ضَبِيعة: «من رسول الله ﷺ إلى بكر بن وائل: أسلموا تسلموا» قال الهيثمي (٥/٣٠٥): رجاله رجال الصحيح ـ انتهى. وأخرجه أيضاً البزّار وأبو يَعْلَى والطبراني في

(١) القعب: القدح الضخم الغليظ.

الصغير عن أنس رضي الله عنه بمعناه، قال الهيثمي (٥/٣٠٥): رجال الأوَّلين رجال الصحيح.

﴿ كتابه ﷺ الى بني جذامة ﴾

أخرج الطبراني عن عُمير بن مقبل الجُذامي عن أبيه قال: وفد رِفاعة ابن زيد الجُذامي على رسول الله ﷺ، فكتب له كتاباً، وفيه:

«من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد: إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله؛ فمن آمن ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين».

فلما قدم على قومه أجابوه ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (٥/٣١٠): رواه الطبراني متصلاً هكذا، ومنقطعاً مختصراً عن ابن إسحاق، وفي المتصل جماعة لم أعرفهم، وإسنادهما إلى ابن إسحاق جيد. انتهى.

وأخرجه الأمويُّ في المغازي من طريق ابن إسحاق من رواية عُمير ابن معبد بن فلان الجذامي عن أبيه نحوه، كما في الإصابة (٣/٤٤١).

قصصه ﷺ في الأخلاق والأعمال المفضية إلى هداية الناس

﴿ إسلام زيد بن سُعْنة الحبر الإسرائيلي رضي الله عنه ﴾

أخرج الطبراني عن عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا أراد هُدَى زيد بن سُعْنَة قال زيد بن سُعْنَة: ما من علامات النبوة شيء إلاّ وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلاّ اثنتين لم أخبُرهما منه: يسبق حلمُه جهلَه، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً. قال زيد ابن سُعْنة: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحُجُرات[1] ـ ومعه علي بن أبي طالب ـ فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، لي نفر في قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدَّثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق

(١) الحجرات: جمع حجرة وهي غرف زوجات النبي عليه السلام وكانت بجانب المسجد النبوي في المدينة.

رَغَداً[١]. وقد أصابتهم سَنَة[٢] وشدّة وقحط من الغيث، فأنا أخشى ـ يا رسول الله ـ أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً؛ فإن رأيتَ أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلتَ. فنظر إلى رجل إلى جانبه ـ أُراه علياً ـ فقال: يا رسول الله ما بقي منه شيء. قال زيد بن سُعْنة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً في حائط بني فلان إلى أجل معلوم، إلى أجل كذا وكذا. قال: «لا تُسمِّ حائط بني فلان»[٣] قلت: نعم، فبايَعَني، فأطلقت هِمْياني[٤] فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاه الرجل[٥] وقال: «اعدل عليهم وأغثهم».

قال زيد بن سُعْنة: فلما كان قبل مَحِلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلمّا صلّى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته، فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت له: يا محمد، ألاَ تقضيني حقِّي؟ فوالله، ما عُلِمْتُم بني عبد المطلب إلاَّ مُطْلاً، ولقد كان بمخالطتكم علم[٦]. ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفِلك المستدير[٧]، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فَوْته[٨] لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إليَّ في سكون وتُؤدة. فقال: «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن

---

(١) رغداً: أي واسعاً. (٢) سنة: جدب.

(٣) حائط: بستان، والبيع هنا، بيع سَلَم، والرسول عليه السلام طلب من زيد أن لا يُسمي بستاناً معيناً.

(٤) الهميان: كيس تجعل فيه النفقة ويُشد على الوسط.

(٥) فأعطاه الرجل: أي أن النبي عليه السلام أعطى المال للرجل الذي استغاثه. وفي الأصل: فأعطاني الرجل. وهو خطأ.

(٦) الأصح: ولقد كان لي بمخالطتكم علم.

(٧) لعل المشبه به هنا فَلْكَة المِغزل وهي القسم المستدير منه الذي يدور بسرعة وجمعها فِلَك.

(٨) الذي يبدو لي أن الذي يحاذر عمر فوته هو: عدم إيمان زيد بالرسول عليه السلام.

اتباعه. اذهب به يا عمـر، فأعطه حقَّه وزِدْه عشرين صاعاً من تمر مكان ما رُعْته»[١].

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقِّي وزادني عشرين صاعاً من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟! قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُعتك. قال: قلت: وتعرفني يا عمر؟! قال: لا. قلت: أنا زيد ابن سُعْنة. قال: الحَبْرُ؟ قلت: الحَبْرُ. قال: فما دعاك إلى أن فعلتَ برسول الله ما فعلت، وقلت لـه ما قلت؟! قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوّة شيء إلَّا وقد عرفت في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أخبُرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. وقد اختبرتهما، فأشهدك ـ يا عمر ـ أنِّي قد رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وأشهدك أنَّ شطر مالي ـ فإني أكثرها مالاً ـ صدقةٌ على أُمة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم فإنَّك لا تسعهم، قلت: أو علىٰ بعضهم. فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وآمن به وصدَّقه وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة؛ ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر. رحم الله زيداً. قال الهيثمي (٨/٢٤٠): رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وروى ابن ماجه منه طرفاً. انتهى.

وأخرجه أيضاً ابن حِبَّان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ وغيرهم كما في الإصابة (١/٥٦٦) وقال: ورجال الإسناد مُوَثَّقون، وقد صرّح الوليد فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن أبي السَرِي الراوي له عن الوليد. وثَّقه ابن مَعِين، وليَّنه أبو حاتم. وقال ابن عدي: محمد كثير الغلط. والله أعلم. ووجدت لقصَّته شاهداً من وجه آخر لكن لم يُسمَّ فيه، قال ابن سعد: حدثنا يزيد، حدثنا جرير بن حازم، حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهودياً قال: ما كان بقي شيء من نَعْت محمد ﷺ في التوراة إلَّا رأيته؛ إلا الحلم... فذكر القصة. انتهى. وأخرجه أبو نُعَيم في الدلائل (ص ٢٣).

---

(١) رعته: أفزعته.

قصة صلح الحديبية(١)

﴿ ذكر ما كان من قريش وصدهم رسول الله ﷺ عن زيارة البيت ﴾

أخرج البخاري عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان(٢) قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إنَّ خالد ابن الوليد بالغَمِيم(٣) في خيل لقريش طَليعة(٤)، فخذوا ذات اليمين». فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقَتَرَة الجيش(٥)، فانطلق يركض نذيراً لقريش. وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثَنِيَّة التي هبط عليهم منها بركت به راحلته. فقال الناس: حَلّ، حَلّ(٦)، فألحَّت. فقالوا: خلأت القَصْواء(٧)!! خلأت القَصْواء، فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني(٨) خُطَّة(٩) يعظِّمون فيها حُرُماتِ الله إلا أعطيتهم إياها» ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَد قليل الماء.. يتبرضه تبرضاً(١٠)؛ فلم يُلْبِثْه الناس حتى نزحوه(١١). وشُكيَ إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سَهْماً من كِنَانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله، ما زال يجيش(١٢) لهم بالريّ حتى صَدَروا عنه.

---

(١) الحُدَيْبِيَةَ: قرية متوسطة ليست بالكبيرة: سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، بينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل. (عن معجم البلدان).

(٢) هو مروان بن الحكم.

(٣) الغميم: موضع بين رابغ والجحفة.

(٤) طليعة الجيش: أي مقدمة الجيش.

(٥) قترة الجيش: غبرة الجيش.

(٦) حَلْ، حَلْ: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

(٧) خلأت: حرنت. الخلاء للنوق كالإلحاح للجمال، والحِران للدواب. يقال: خلأت الناقة، وألحَّ الجمل، وحرن الفرس. والقصواء: لقب ناقة رسول الله ﷺ.

(٨) هناك لغة بحذف النون في الأفعال الخمسة بغير ناصب ولا جازم وستكرر هذه اللغة في الصفحات المقبلة.

(٩) خطة: خصلة.

(١٠) الثَمْدُ والثَمَدُ: الماء القليل الذي لا مادة له. ومعنى يتبرضه: يأخذه قليلاً قليلاً.

(١١) أي أنفدوه. ومعنى لم يلبثه: أي لم يجعلوه يلبث أو يقيم.

(١٢) يجيش: يفور.

﴿ خبر بُدَيْل معه عليه السلام ﴾

فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن ورْقاء الخُزاعي في نفر من قومه من خُزاعة ـ وكانوا عَيْبة[١] نُصْح رسول الله ﷺ من أهل تِهامة ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي[٢] نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل[٣]، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين؛ وإنَّ قريشاً قد نَهَكتهم[٤] الحرب وأضرَّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم[٥] مدة ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا[٦]، وإن هم أبَوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[٧] ولينفذنَّ أمر الله[٨]». قال بُدَيل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنَّا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هاتِ ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال رسول الله ﷺ.

﴿ خبر عروة بن مسعود معه عليه السلام ﴾

فقام عُروة بن مسعود فقال: أيْ قوم، ألستم[٩] بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: ألست بالولد؟؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا. قال:

(١) عيبة نصح: أي أنهم كانوا موضع النصح له والأمانة على سره.
(٢) هما فخذان من قريش.
(٣) يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنَّى بذلك عن النساء ومعهنّ الأطفال؛ والمراد: أنهم خرجوا معهم نساؤهم وأولادهم لإرادة طول المُقام وليكون أدعى إلى عدم الفرار ـ كذا في الفتح (٥/٢١٣).
(٤) نهكتهم: أي أبلغت فيهم حتى أضعفتهم.
(٥) ماددتهم: جعلت بيني وبينهم مدة.
(٦) جَمّوا: أي استراحوا.
(٧) السالفة: صفحة العنق.
(٨) أي ليُمضينَّ الله أمره في نصر دينه.
(٩) من مسند الإمام أحمد، وفي الأصول: ألست؟. قلت: الأصح ألستم بالوالد، لأن أمْ عروة قرشية من بني عبد شمس، فكأنه يعتبر القرشيين آباء له، وعروة هذا من زعماء ثقيف بالطائف.

ألستم تعلمون أني استنفرت[١] أهل عُكَاظ، فلما بلَّحوا[٢] عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني. قالوا: بلى. قال: فإنَّ هذا عرضٍ لكم خُطَّة رشدٍ[٣] اقبلوها ودعوني آتيه[٤]. فقالوا ائته. فأتاه، فجعل يكلِّم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبُدَيل. فقال عُروة عند ذلك: أيْ محمد، أرأيت إن استأصلتَ أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح[٥] أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني ـ والله ـ لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً[٦] من الناس خليقاً أن يفرُّوا وَيَدعُوك. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصَصْ بَظْر[٧] اللَّات، أنحنُ نفرُّ عنه وندعه؟! قال: من ذا؟ قال: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. قال وجعل يكلِّم النبي ﷺ فكلَّما تكلم أخذ بلحيته ـ والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر[٨] ـ فكلَّما أهوى عُروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عُروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة!! فقال: أيْ غُدَر[٩]!! ألست أسعَى في غَدْرَتك؟ ـ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء» ـ ثم إنَّ عروة جعل يَرْمُق[١٠] أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه. قال ـ فوالله ـ ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا

---

(١) استنفرت: أي دعوتهم إلى نصركم.
(٢) بلَّحوا: أي أبَوا كأنهم قد أعيوا عن الخروج معه وإعانته.
(٣) خطة رشد: خصلة خير وصلاح وإنصاف.
(٤) الأصح أن يقال: آتِهِ ولعل آتيه لغة من لغات العرب، وستتكرر لغة آتيه.
(٥) اجتاح: أي أهلك أصله بالكلية.
(٦) أشواباً: أي الأخلاط من أنواع شتى. وفي سيرة ابن هشام: أوشاب.
(٧) البظر: الهَنَة التي تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان.
(٨) المغفر: زَرَد من حديد يوضع على الرأس ولا تظهر منه إلا العيون.
(٩) أي غدر: يا غادر، وكان عروة بن مسعود عمًّا للمغيرة بن شعبة الثَقَفي.
(١٠) يرمق: ينظر إليهم.

أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون[١] إليه النظر تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: **أيْ قوم، واللهِ لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيت مَلِكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمد محمداً.** والله إنْ تنخم نخامة إلاَّ وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له؛ وإنه قد عرض عليكم خُطة رشد فاقبلوها.

﴿ خبر رجل من بني كِنانة معه عليه السلام ﴾

فقال رجل من بني كِنانة دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظِّمون البُدْن[٢] فابعثوها له» فبُعثت له واستقبله الناس يُلَبُّون[٣]. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، **ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت!!** فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْن قد قُلِّدَت وأشْعِرَت[٤]، فما أرى أن يُصدُّوا عن البيت. فقام رجل منهم ـ يقال له مِكْرَز بن حفص ـ فقال: دعوني آتيه. قالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ: «هذا مِكْرَز وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

﴿ خبر سُهيل بن عمرو معه عليه السلام وشروط صلح الحديبية ﴾

قال مَعْمر: فأخبرني أيوب عن عِكرمة: أنه لما جاء سُهَيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لقد سُهِّل لكم من أمركم». قال معمر: قال الزُّهْري في حديثه: فجاء سهيل فقال: هاتِ فاكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ

(١) يحِدُّون: ينظرون بقوة.
(٢) البُدْن: جمع بَدَنة. وهي ناقة أو جمل ينحرها الحاجُّ في مكة المكرمة.
(٣) يلبون: يقولون: لبيك اللهم لبيك.
(٤) قلدت: عُلِّقَ في عنقها شيء علامة على أنها هَدْيٌ. أشعرت: طُعنت في سنامها الأيمن حتى يسيل منه دمٌ ليُعلم أنها هديٌ.

الكاتب، فقال النبي ﷺ: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلّا باسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: اكتب: «باسمك اللَّهم»، ثم قال: «هذا ما قاضَى عليه محمد رسول الله». فقال سهيل: والله لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله. فقال رسول الله ﷺ: «والله إنِّي لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبدالله». ـ قال الزُهري: وذلك لقوله لا يسألوني خطَّة يعظِّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ـ. فقال له النبي ﷺ: «على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به». قال سهيل: والله لا تتحدَّث العرب أنا أُخِذنا ضَغْطة، ولكنَّ ذلك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منَّا رجل وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!.

﴿ قصة أبي جَنْدل رضي الله عنه ﴾

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه يرسُف[1] في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: هذا يا محمد ـ أول من أُقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: إنَّا لم نَقْضِ الكتاب بَعْدُ». قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مِكْرَز: بلى قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ألا تَرَوْن ما قد لقيت ـ وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً في الله ـ فقال عمر: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ألستَ نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نُعطي الدَّنِيّة في ديننا إذن؟ قال:

---

(١) يرسف: يمشي مشي المقيَّد.

«إنِّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري». قلت: أولستَ كنت تحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتيه ومُطَّوِّفٌ به». قال فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قال قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: **أيُّها الرجل، إنَّه لرسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغَرْزه**[١]**، فوالله إنَّه على الحق**. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ فقلت: لا. قال: فإنك آتيه ومُطَّوِّفٌ به. قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً[٢]. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات[٣]. فلمَّا لم يقم منهم أحد دخل على أمِّ سَلَمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أمُّ سلمة: يا نبي الله، أتحبُّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلِّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه. فلمَّا رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كان بعضهم يقتل بعضاً غمَّاً. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الَّذينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمْ المؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ - حتى بلغ - بِعِصَم الكوافر ﴾[٤] فطلَّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية.

---

(١) غَرْزه: بفتح الغين المعجمة وسكون الراء، والمراد به: التمسك بأمره وترك المخالفة له كالذي يمسك بركاب الفارس فلا يفارقه.

(٢) فعملت لذلك أعمالاً: جاء في سيرة ابن هشام مجلد (٣١٧/٢): في تفسير هذه الجملة. قال ابن إسحاق: فكان عمر يقول: «مازلت أتصدّق وأصوم وأصلِّي وأُعتق مِنَ الذي صنعت يومئذٍ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوتُ أن يكون خيراً».

(٣) وليس ذلك عصياناً منهم رضي الله عنهم، ولكنه ذهول وكَرْب شديد أصاب المسلمين فأدهشهم.

(٤) سورة الممتحنة: آية ١٠.

﴿ خبر أبي بصير مع الرجلين اللذين أرسلا في طلبه ﴾

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رضي الله عنه ـ رجل من قريش وهو مسلم ـ فأرسلوا في طلبه رجلَين، فقالوا: العَهْدَ الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة[١] فنزلوا يأكلون من تمر لهم. فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنِّي لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً!! فاستلّه الآخر فقال: أجل ـ والله ـ إنه لجيدٌ، لقد جرّبت به ثم جرّبت. فقال أبو بصير: أرني أنظرْ إليه. فأمكنه منه، فضربه حتى بَرَد[٢]، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذُعْراً»[٣]. فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل ـ والله ـ صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد ـ والله ـ أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبي ﷺ: «**ويْلُ أُمِّهِ مِسْعَر حرب**[٤]**! لو كان له أحد**». فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سِيف البحر[٥].

﴿ لحوق أبي جندل بأبي بصير واعتراضهما لعير قريش ﴾

قال: وينفلت[٦] منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلاَّ لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعِيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلاَّ اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده[٧] بالله والرّحِم لمّا[٨] أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن. فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وهو الذي كَفَّ أيدِيهُم عنكُم وأيدِيكُم عنهم ببَطْن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم ـ حتى بلغ ـ الحميَّة حَمِيَّة

---

(١) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة ويقال لها اليوم: أبيار علي.

(٢) برد: مات.

(٣) ذعراً: فزعاً.

(٤) سَعَر النار والحرب: هيجها وألهبها.

(٥) سيف البحر: أي الساحل.

(٦) ينفلت: يتخلص.

(٧) تناشده: تسأله وتطلبه.

(٨) لمّا: هنا بمعنى إلا: أي إلا بعثتَ للعصابة تأمرهم بالرجوع للمدينة آمنين من ردِّهم إلى قريش.

الجاهلية»(١) وكانت حميّتهم أنَّهم لم يقروا أنَّه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت. قال ابن كثير في البداية (٤/١٧٧): هذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري. انتهى. وأخرجه البيهقي (٩/٢١٨) أيضاً بطوله.

﴿ إرساله ﷺ عثمان إلى مكة بعد النزول بالحديبية ﴾

وأخرج ابن عساكر وابن أبي شَيْبة عن عُروة رضي الله عنه في نزول النبي ﷺ بالحديبية قال: وفزعت قريش لنزوله عليهم، وأحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إليهم. فقال: يا رسول الله، إنِّي لألعنهم وليس أحد بمكة من بني كعب يغضب لي إن أُوذيت، فأرسِلْ عثمان فإنَّ عشيرته بها وإنهُ يُبَلِّغ لك ما أردت. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فأرسله إلى قريش، وقال: «أخبرهم أنَّا لم نأتِ لقتال وإنما جئنا عُمَّاراً وادعهم إلى الإسلام». وأمره أن يأتي رجالاً بمكة من المؤمنين ونساءً مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشِّرهم بالفتح، ويخبرهم أنَّ الله جلَّ ثناؤه يوشك أنْ يُظْهر دينه بمكة حتى لا يُستخفى فيها بالإيمان تثبيتاً يُثبِّتهم. قال: فانطلق عثمان فمرّ على قريش ببلدح(٢). فقالت قريش: أين؟ قال بعثني رسول الله ﷺ إليكم لأدعوَكم إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، ونخبركم أنَّا لم نأتِ لقتال أحد وإنما جئنا عُمَّاراً. فدعاهم عثمان كما أمره ﷺ، فقالوا: قد سمعنا ما تقول فانفُذْ لحاجتك. وقام إليه أبَانُ ابن سعيد بن العاص فرحب به وأسْرَج فرسه، فحمل عثمانَ على الفرس فأجاره، وردفه أبَانُ حتى جاء مكة. ثم إنَّ قريشاً بعثوا بُدَيل بن ورقاء الخزاعي وأخا بني كنانة ثم جاء عروة بن مسعود الثقفي ـ فذكر الحديث؛ كما في كنز العمال (٥/٢٨٨). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة من وجه آخر بطوله ـ عن عروة، كما في كنز العمال أيضاً (٥/٢٩٠). وأخرجه البيهقي (٩/٢٢١) عن موسى بن عقبة بنحوه.

---

(١) سورة الفتح: آية ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) بلدح: اسم موضع بالحجاز قرب مكة المكرمة.

﴿ قول عمر في صلح الحديبية ﴾

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: لقد صالح رسول الله ﷺ أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئاً، لو أنَّ نبي الله ﷺ أمَّر عليَّ أميراً فصنع الذي صنع نبيُّ الله ما سمعت ولا أطعت، وكان الذي جعل لهم أنَّ من لحق من الكفَّار بالمسلمين ردُّوه، ومن لحق بالكفَّار لم يردُّوه!!. كذا في كنز العمال (٥/٢٨٦) وقال: سنده صحيح.

﴿ قول أبي بكر في صلح الحديبية ﴾

وأخرج ابن عساكر عن الواقدي قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: **ما كان فَتْح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قَصُرَ رأيهم عمَّا كان بين محمد وربه، والعباد يَعْجَلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يُبلِغ الأمور ما أراد.** لقد نظرتُ إلى سُهيل بن عمرو في حِجّة الوداع قائماً عند المنحر يقرِّب إلى رسول الله ﷺ بُدْنه ورسول الله ﷺ نحرها بيده، ودعا الحلَّاق فحلق رأسه؛ وأنظر إلى سهيل يلتقط من شَعَره وأراه يضعه على عينيه، وأذكر إباءه أن يُقرَّ يوم الحديبية بأن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ويأبى أن يكتب: محمد رسول الله ﷺ، فحمدت الله الذي هداه للإسلام. كذا في كنز العمال (٥/٢٨٦).

﴿ قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه ﴾

أخرج ابن إسحاق عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون ـ والله ـ إنِّي أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً، وإنِّي لقد رأيت أمراً فما تَرَون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نَلحَق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنَّا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلَّا خير. قالوا: إنَّ هذا

لرأي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأَدَمُ[١]، فجمعنا له أدَماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه. فوالله إنَّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلتُ رأتْ قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلتُ رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحباً بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدَماً كثيراً. قال ثم قرّبته إليه فأعجبه واشتهاه. ثم قلت له: أيها الملك، إنِّي قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدوٍّ لنا؛ فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره؛ فلو انشقَّت الأرض لدخلت فيها فَرَقاً[٢]. ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتُكَه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر[٣] الذي كان يأتي موسى فتقتله؟! قال قلت: أيهاالملك، أكذاك هو؟! قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتَّبعه فإنه ـ والله ـ لَعَلى الحقِّ، وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده. قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام. ثم خرجت على أصحابي وقد حال[٤] رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة. فقلت: أين يا أباسليمان؟ فقال: والله، لقد استقام المِيسَم[٥]، وإنَّ الرجل لنبي، اذهب ـ والله ـ أسلم فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلاَّ لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على النبي ﷺ فتقدّم، خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت

---

(١) الأدَم: الجلد.

(٢) فرقاً: خوفاً.

(٣) الناموس الأكبر: هو جبريل عليه السلام.

(٤) حال: تغير.

(٥) الميسم: هو الحديدة التي توسم بها الإبل والمعنى هنا: إن هذا الأمر قد صحَّ ونجح.

فقلت: يا رسول الله، إنِّي أبايعك على أن تغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ولا أذكر ما تأخَّر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو، بايع فإنَّ الإسلام يجبُّ[١] ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها». قال: فبايعته ثم انصرفت. كذا في البداية (٤/ ١٤٢). وأخرجه أيضاً أحمد والطبراني عن عمرو نحوه ـ مطوّلاً. قال الهيثمي (٩/ ٣٥١): ورجالهما ثقات. انتهى.

وأخرج البيهقي من طريق الواقدي بأبسط منه وأحسن، وفي حديثه: ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة[٢]، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً، وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين. قال: فنظرت فإذا خالد بن الوليد. قال قلت: أين تريد؟ قال: محمداً، دخل الناس في الإسلام فلم يبقَ أحد به طعم[٣]، والله، لو أقمت لأخذ[٤] برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبُع في مغارتها. قلت: وأنا ـ والله ـ قد أردت محمداً وأردت الإسلام. فخرج عثمان بن طلحة فرحَّب بي، فنزلنا جميعاً في المنزل. ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة، فما أنسَى قول رجل لقيناه ببئر أبي عتبة يصيح: يا رباح، يا رباح، يا رباح[٥]!! فتفاءلنا بقوله وسرَّنا، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد، وولَّى مدبراً إلى المسجد سريعاً. فظننت أنه بشَّر رسول الله ﷺ بقدومنا، فكان كما ظننت. وأنخنا بالحرَّة فلبسنا من صالح ثيابنا، ثم نُوديَ بالعصر فانطلقنا حتى اطَّلعنا عليه وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا، فتقدَّم خالد ابن الوليد فبايع، ثم تقدَّم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدَّمت، فوالله، ما هو إلَّا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طَرْفي حياء منه. قال: فبايعته على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر. فقال: «إن الإسلام يجبّ ما كان قبله، والهجرة تجبّ ما كان قبلها». قال: فوالله، ما عَدَلَ بي رسول

---

(١) يجب: أي يهدم. (٢) الهدة: اسم موضع بالحجاز بين مكة والطائف.
(٣) أي إن الرجال العقلاء قد أسلموا.
(٤) في الأصل: لآخذ، والصواب ما أثبتنا لأن جواب لو يجب أن يكون فعلاً ماضياً.
(٥) اسمٌ لعبد.

الله ﷺ وبخالد بـن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حَزَبه[١] منذ أسلمنا. كذا في البداية (٤/٢٣٧).

قصة إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه

أخرج الواقدي عن خالد رضي الله عنه قال: لمّا أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضرني رُشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلَّها على محمد ﷺ، فليس في موطن أشهده إلَّا أنصرفُ وأنا أرى في نفسي أني مُوضِعٌ[٢] في غير شيء وأنَّ محمداً سيظهر. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعُسْفان، فقمت بإزائه وتعرَّضت له. فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نُغير عليهم ثم لم يُعزم لنا ـ وكانت فيه خِيرة ـ، فاطَّلع على ما في أنفسنا من الهمِّ به. فصلَّى بأصحابه صلاة العصر: صلاة الخوف. فوقع ذلك منَّا موقعاً، وقلت: الرجل ممنوع، فاعتزَلَنا وعَدَل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين. فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرواح[٣] قلت في نفسي: أيُّ شيء بقي؟ أين أذهب؟: إلى النجاشي؛ فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون!! فأخرج إلى هرقل، فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيمُ في عجم، أفأقيم في داري بمن بقي؟. فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكّة في عمرة القضيّة[٤]، فغيَّبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضيّة، فطلبني فلم يجدني، فكتب إليَّ كتاباً فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك[٥]! ومثل الإسلام جهله أحد؟!

(١) حزبه: أهمه.

(٢) مُوضِع: اسم فاعل من أوضع، والمعنى أني عامل في غير فائدة.

(٣) الأصح: بالراح وهذا مثل يضرب في المنع، تقول: دافعته بالراح فاندفع.

(٤) عمرة القضية: عمرة كانت في ذي القعدة سنة سبع وكانت مكان العمرة التي صُدَّ الرسول عليه السلام عنها سنة ست، والقضية: تعني معاهدة الحديبية.

(٥) عقلك عقلك: إن عقلك كبير.

وقد سألني رسول الله ﷺ عنك، وقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به. فقال: «مثله جهل الإسلام؟! ولو كان جعل نكايته وجِدَّه مع المسلمين كان خيراً له، ولقدّمناه على غيره» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة».

قال: فلما جاءني كتابه نشطت[١] للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كأنِّي في بلاد ضيِّقة مجدبة، فخرجت في بلاد خضراء واسعة، فقلت: إنَّ هذه لرؤيا. فلما أن قدمت المدينة قلت: لأذكرنّها لأبي بكر[٢] فقال: مَخْرجُك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشرك.

قال: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت: من أصاحب إلى رسول الله ﷺ؟ فلقيت صفوان بن أُمية، فقلت: يا أبا وَهْب، أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن كأضراس[٣]، وقد ظهر محمد على العرب والعجم. فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإنَّ شرف محمد لنا شرف. فأبى أشدَّ الإباء، فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً، فافترقنا. وقلت: هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببدر. فلقيت عِكْرمة بن أبي جهلٍ، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أُمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أُمية. قلت: فاكتم عليَّ. قال: لا أذكره، فخرجت إلى منزلي فأمرت براحلتي فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان ابن طلحة. فقلت: إنَّ هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو. ثم ذكرت من قُتل من آبائه فكرهت أن أذكره. ثم قلت: وما عليَّ؟ وأنا راحل من ساعتي. فذكرت له ما صار الأمرُ إليه، فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جُحْرٍ لو صُبَّ فيه ذَنُوبٌ[٤] من ماء لخرج، وقلت له نحواً ممّا قلت لصاحبيَّ، فأسرع الإجابة. وقلت له: إني غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو وهذه راحلتي بفجٍّ

---

(١) نشطت: خففت وأسرعت.

(٢) كان أبو بكر رضي الله عنه يعبِّر الرؤيا.

(٣) كأضراس: أي أصبحنا قلَّة، ويضرب المثل للقلة بالأضراس لقلتها.

(٤) الذنوب: الدَّلْوُ الملأى ماءً، وتؤنث وتذكر.

مَنَاخة. قال: فاتعدت[1] أنا وهو يأجُجَ[2] إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه. قال: فأدلجنا سَحَراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج. فغدونا حتى انتهينا إلى الهدّة، فنجد عمرو بن العاص بها. قال: مرحباً بالقوم، فقلنا: وبك. فقال إلى أين مسيركم؟ فقلنا: وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ. قال: وذاك الذي أقدمني. فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرَّة ركابنا. فأُخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرَّ بنا. فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ، فلقيني أخي فقال: أسرع فإنَّ رسول الله ﷺ قد أُخبر بك فسُرَّ بقدومك وهو ينتظركم. فأسرعنا المشي فاطَّلعت عليه فما زال يتبسَّم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد عليّ السلام بوجه طَلْق. فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «تعال» ثم قال ﷺ: «الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يُسلمك إلاَّ إلى خير». قلت: يا رسول الله، إنِّي قد رأيتُ ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق، فادعُ الله أن يغفرها لي. فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام يجبّ ما كان قبله». قلت: يا رسول الله على ذلك. قال: «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع[3] فيه من صدٍّ عن سبيل الله». قال خالد: وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ. قال: وكان قدومنا في صفر سنة ثمان؛ قال: والله ما كان رسول الله ﷺ يَعْدِل بي أحداً من أصحابه فيما حَزَبه. كذا في البداية (٢٣٨/٤). وأخرجه أيضاً ابن عساكر نحوه ـ مطولاً، كما في كنز العمال (٣٠/٧).

قصة فتح مكة زادها الله تشريفاً

﴿ خروجه عليه السلام لفتح مكة ونزوله بمرِّ الظهران ﴾

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم مضى رسول الله ﷺ واستعمل على المدينة أبا رُهْم كلثوم بنَ الحُصين الغِفاري، وخرج

(١) اتعد القوم: وعد بعضهم بعضاً.
(٢) يأجج: موضع على ثلاثة أميال من مكة المكرمة.
(٣) يقال أوضع البعير: جعله يسرع في سيره.

لعشر مَضَين من رمضان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكُدَيْد ـ ماء بين عُسْفان وأَمج ـ أفطر، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران[١] في عشرة آلاف من المسلمين، وألف من مُزينة وسُلَيم، وفي كل القبائل عدد وسلاح، وأوعبَ[٢] مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلف منهم أحد.

﴿ تجسس رؤساء قريش الأخبار ﴾

فلمّا نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران ـ وقد عُمِّيت[٣] الأخبار على قريش، فلم يأتهم عن رسول الله ﷺ خبر ولم يدروا ما هو فاعل. ـ خرج في تلك الليلة: أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزام وبُـدَيل بن وَرْقـاء يتجسَّسُون، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به؟ وقد كان العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه تَلقّى رسول الله ﷺ في بعض الطريق، وقد كان أبو سفيان بنُ الحارث بن عبد المطَّلب وعبدالله بنُ أبي أُمية بنِ المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ فيما بين المدينة ومكة والتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سَلَمة فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك[٤]، وابن عمتك وصِهرك[٥]. قال: «لا حاجة لي بهما. أما ابن عمي فهتك عرضي[٦] بمكة، وأما ابن عمتي وصِهْري فهو الذي قال لي بمكة ما قال»[٧]. فلما خرج إليهما بذلك ـ ومع أبي سفيان بُنَيٌّ له ـ فقال. والله لتأذننَّ لي أو لآخذنَّ بيدي بُنَيِّي هذا ثم لنذهبنَّ بالأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا فأسلما.

﴿ ترغيب العباس قريشاً أن يستأمنوه ﷺ ﴾

فلما نزل رسول الله ﷺ بمَرِّ الظهران قال العباس: واصباح قريش!!

---

(١) مر الظهران: مكان، واسمه الآن: وادي فاطمة. (٢) أوعبوا: أي خرجوا جميعهم. (٣) عُمِّيت: خفيت.

(٤) هو أبو سفيان بن الحارث، وكان أبوه الحارث بن عبد المطلب أكبر أعمام النبي عليه السلام وقد مات في الجاهلية.

(٥) هو عبد الله بن أبي أمية ابن عمة الرسول عاتكة وأخو أم سلمة زوجته عليه السلام، ويقال في اللغة العربية لأهل بيت الزوجين جميعاً هم أصهار.

(٦) كان أبو سفيان بن الحارث يهجو رسول الله ﷺ وكان حسان بن ثابت يرد عليه.

(٧) انظر صفحة ٨٩ من هذا الكتاب ففيها ما قاله عبدالله بن أبي أمية للنبي ﷺ.

والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكَّة عَنْوَةً قبل أن يستأمنوه إنَّه لهلاك قريش آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاءِ فخرجت عليها حتى جئت الأرَاك، فقلت لعلِّي ألقَى بعض الحطَّابة[١] أو صاحب لَبَن أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، فيستأمنوه قبل أن يدخلها عَنْوَة.

﴿ خبر أبي سفيان مع العباس وعمر رضي الله عنهم ﴾

قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كاليوم قط نيراناً ولا عسكر!! قال يقول بديل: هذه - والله - نيران خُزاعة حَمَشَتها[٢] الحرب. قال يقول أبو سفيان: خزاعة - والله - أذلّ وألأم من أن تكون هذه نيرانَها وعسكرَها. قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم. فقال: مالك - فداك أبي وأمي - فقلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله!. قال: فما الحيلة - فداك أبي وأمي - قال قلت: لئن ظفر بك ليضرِبَن عنقك، فاركب معي هذه البغلة حتى آتيَ بك رسول الله ﷺ فأستأمنَه لك. قال: فركب خلفي ورجع صاحباه وحَرَّكْتُ به. فكلَّما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمرَ بنِ الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إليَّ. فلما رأى أبا سفيان على عَجُز البغلة قال: أبو سفيان، عدو الله!! الحمد لله الذي أمكن الله منك بغير عَقْد ولا عَهْد[٣]. ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة الرجل البطيء، فاقتحمتُ[٤] عن البغلة. فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدَعْني فلأضربْ عنقه. فقلت: يا رسول الله، إني أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله، لا يناجيه الليلة رجل

(١) الحطابة: الذين يحتطبون.
(٢) حمشتها: أحرقتها.
(٣) بغير عقد: أي أمان من الرسول عليه السلام.
(٤) اقتحمت: نزلت.

دوني، قال: فلمَّا أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، أمَا ـ والله ـ إن لو كان من رجال بني عديٍّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنك عرفت أنَّه من رجال بني عبد مناف. فقال: **مهلاً يا عباس!! والله، لإسلامك يوم أسلمتَ أحبُّ إليَّ من إسلام أبي لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أنَّ إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب**. فقال رسول الله ﷺ: «اذهب به إلى رَحْلك يا عبَّاس، فإذا أصبحت فائتني به»، فذهبت به إلى رَحْلي فبات عندي. فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ.

﴿ شهادة أبي سفيان بكمال خلقه عليه السلام ودخوله في الإسلام ﴾

فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أكرمك وأحلمك وأوصلك!! لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً. قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنِّي رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!! هذه ـ والله ـ كان في النفس منها شيء حتى الآن. قال العباس: ويحك يا أبا سفيان، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يُضرب عُنُقك. قال: فشهد شهادة الحق وأسلم.

﴿ الذين جعلهم رسول الله ﷺ آمنين يوم الفتح ﴾

قلت: يا رسول لله، إنَّ أبا سفيان يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: «نعم. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن». فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عبَّاس، احبسه بالوادي عند خَطْم الجبل[١] حتى تمر به جنود الله فيراها». قال فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه. قال: ومرَّت به القبائل على راياتها، فكلَّما مرّت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ فيقول[٢]: بنو سُلَيم. فيقول: ما لي ولسُلَيم؟ قال ثم تمر القبيلة

---

(١) خطم الجبل: أنف الجبل، وهو قطعة منه ممدودة وليست عالية يضيق بها الطريق.

(٢) الأصح: فأقول.

فيقول؛ من هؤلاء؟ فأقول مُزَيْنة. فيقول: ما لي ولمزينة؟ حتى نفدت[١] القبائل - يعني جاوزت - لا تمر قبيلة إلاَّ قال: من هؤلاء؟ فأقول: بنو فلان، فيقول: ما لي ولبني فلان؟ حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخضراء[٢] فيها المهاجرون والأنصار لا يُرى منهم سوَى الحَدَق[٣] قال: سبحان الله!! من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقةٌ، - والله - يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابنِ أخيك الغداة عظيماً!!. قلت: يا أبا سفيان، إنّها النبوّة. قال: فنعم إذاً. قلت: التجيء إلى قومك. قال: فخرج حتى جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَل[٤] لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه امرأته هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الدَّسِم الأحمش[٥] فبئس طليعة[٦] قوم. قال: ويحكم، لا تغرَّنَّكُم هذه من أنفسكم فإنه قد جاء بما لا قِبَل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: ويحك، وما تغني عنا دارك؟! قال: ومن أغلق بابه فهو آمن. ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. قال الهيثمي (١٦٧/٦): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

﴿ صفة دخوله عليه السلام مكة ﴾

وأخرجه أيضاً البيهقي بطوله كما في البداية (٢٩١/٤)، وأخرجه ابن عساكر أيضاً من طريق الواقدي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في كنز العمال (٢٩٥/٥) - فذكر نحو ما تقدَّم من رواية الطبراني، وفي سياقه: ثم قال رسول الله ﷺ للعباس بعد ما خرج: «احبسه بمضيق الوادي إلى خَطْم

---

(١) الأصح. نفذت بالذال وهذا التعبير ينسجم مع جملة «يعني جاوزت».
(٢) قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.
(٣) الحدق: جمع حَدَقَة: العين.
(٤) أي لا طاقة.
(٥) في النهاية: «الحميت الأحمش» قالتها في معرض الذم، وفي النهاية أيضاً في موضع آخر: قالت يوم الفتح لأبي سفيان: اقتلوا هذا الدَّسِم الأحمش أي الأسود الدنيء.
(٦) الطليعة: الذي يحرس القوم.

الجبل حتى تمرَّ به جنود الله فيراها». قال العباس: فعدلت به في مضيق الوادي إلى خَطْم الجبل، فلمّا حبست أبا سفيان قال: غَدْراً يا بني هاشم؟! فقال العباس: إنَّ أهل النبوّة لا يغدرون، ولكن لي إليك حاجة. فقال أبو سفيان: فهلّا بدأت بها أولاً؟ فقلت: إنَّ لي إليك حاجة فكان أفرغ لروعي. قال العباس: لم أكن أراك تذهب هذا المذهب. وعبأ[1] رسول الله ﷺ أصحابه، ومرَّت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها. فكان أول من قدَّم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في بني سُلَيم وهم ألف، فيهم لواء يحمله عباس بن مِرداس، ولواء يحمله خُفَاف بن نُدبة، وراية يحملها الحجّاج ابن عِلَاط. قال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال العباس: خالد بن الوليد. قال: الغلام، قال: نعم. فلما حاذى خالد[2] بالعباس وإلى جنبه أبو سفيان كبَّروا ثلاثاً ثم مَضَوا، ثم مرَّ على إثره الزبير بن العوّام في خمس مائة منهم مهاجرون وأفناء[3] الناس ومعه راية سوداء. فلما حاذى أبا سفيان كبَّر ثلاثاً وكبَّر أصحابه، فقال: من هذا؟ قال: الزبير بن العوام. قال: ابن اختك. قال: نعم. ومرَّت نفر من غِفار في ثلاث مائة يحمل رايتهم أبو ذرٍ الغفاري ويقال إيماء بن رَحْضَة: فلما حاذَوه كبَّروا ثلاثاً. قال: يا أبا الفضل، من هؤلاء؟ قال: بنو غِفار. قال: وما لي ولبني غفار. ثم مضت أسْلَم في أربع مائة فيها لواءان: يحمل أحدهما بُرَيدة بن الحُصَيب، والآخر ناجِية بن الأعجم: فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: أسلَم. قال: يا أبا الفضل: مالي ولأسْلَم. ما كان بيننا وبينها تِرَة[4] قط. قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام. ثم مرَّت بنو كعب بن عمرو في خمس مائة يحمل رايتهم بِشر بن شيبان. قال: من هؤلاء؟ قال: هم كعب بن عمرو[5]. قال: نعم، هؤلاء حلفاء محمد؛ فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً. ثم مرّت مُزَينة في ألف فيها ثلاثة

---

(١) عبأ: جهز.

(٢) الأصح: حاذى خالد العباس بدون باء لأن حاذى تتعدى بنفسها.

(٣) أفناء الناس: من اجتمع من قبائل شتّى.

(٤) ترة: ثأر.

(٥) هم خزاعة.

ألوية وفيها مائة فرس، يحمل ألويتها: النعمان بن مقرِّن، وبلال بن الحارث وعبدالله بن عمرو؛ فلما حاذَوه كبَّروا. فقال: من هؤلاء؟ قال: مُزَينة. قال: يا أبا الفضل، مالي ولُمزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها[١]. ثم مرت جُهَينة في ثمان مائة مع قادتها فيها أربعة ألوية: لواء مع أبي زُرعة معْبد بن خالد، ولواء مع سُويد بن صخر، ولواء مع رافع بن مكيث، ولواء مع عبدالله ابن بدر؛ فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً. ثم مرَّت كِنَانة: بنو ليث، وضمرة، وسعد ابن بكر، في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي؛ فلما حاذَوْه كبّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو بكر. قال: نعم، أهل شؤم والله، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم[٢]، أما ـ والله ـ ما شُووِرتُ فيه ولا علمته، ولقد كنت له كارهاً حيث بلغني، ولكنه أمر حُمَّ[٣]. قال العباس: قد خارَ الله لك في غزْوة محمد ﷺ لكم ودخلتم في الإسلام كافة.

قال الواقدي: حدثني عبدالله بن عامر عن أبي عمرو بنِ حماس قال: مرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون يحمل لواءها الصَّعْب بن جُثامة؛ فلما مرَّ كبَّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو ليث. ثم مرت أشجَع وهم آخر من مرَّ وهم في ثلاث مائة معهم لواء يحمله مَعْقِل بن سنان، ولواء مع نُعَيم بن مسعود. فقال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ﷺ. فقال العباس: أدخل اللَّهُ الإسلامَ قلوبَهم، فهذا من فضل الله. فسكت؛ ثم قال: ما مضى بعد محمد؟ قال العباس: لم يمضِ بعد. لو رأيت الكتيبة التي فيها محمد ﷺ رأيت الحديد والخيل والرجال وما ليس لأحد به طاقة!! قال: أظن ـ والله ـ يا أبا الفضل!! ومن له بهؤلاء طاقة؟! فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء طلع سواد وغبرة من سنابك الخيل[٤]، وجعل الناس يمرُّون

(١) شواهقها: جبالها، والقعقعة: حكاية صوت السلاح.

(٢) بعد صلح الحديبية تحالفت خزاعة مع النبي ﷺ وتحالف بنو بكر مع قريش، ثم اعتدى بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا حلفهم مع النبي ﷺ، فكان هذا الأمر هو السبب المباشر لفتح مكة سنة ثمانٍ للهجرة.

(٣) حُمَّ: قُدِّر.

(٤) سنابك جمع سُنْبُك، وهو طرف الحافر.

كل ذلك يقول: ما مرَّ محمد؟ فيقول العباس: لا، حتى مرَّ يسير على ناقته القصواء بين أبي بكر وأُسيَد بن حُضَير وهو يحدّثهما. فقال العباس: هذا رسول الله في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، فيها الرايات والألوية، مع كل بطل من الأنصار راية ولواء في الحديد لا يُرى فيه إلا الحَدَق، ولعمر بن الخطاب فيها زَجَل[١]، وعليه الحديد بصوت عال وهو يزَعها[٢]، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟ قال: عمر ابن الخطاب، قال: لقد أمِرَ أمْرُ بني عديٍّ بعد ـ والله ـ قلّة وذلّة. فقال العباس يا أبا سفيان، **إن الله يرفع ما يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام**. وقال: في الكتيبة ألفا درع. وأعطى رسول الله ﷺ رايته سعد بن عبادة فهو أمام الكتيبة. فلمّا مرَّ سعد براية النبي ﷺ نادى يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً. فأقبل رسول الله ﷺ حتى إذا حاذى بأبي[٣] سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرتَ بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مرَّ بنا، فقال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً، وإني أنْشُدكَ الله في قومك، فأنت ابرُّ الناس وأوصلُ الناس. قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسول الله، ما نأمن سعداً أن يكون منه في قريش صَوْلة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزَّ الله فيه قريشاً». قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فعزله وجعل اللواء إلى قيس. ورأى رسول الله ﷺ أنّ اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه، فأبى سعد أن يسلّم اللواء إلاَّ بالأمارة من النبي ﷺ. فأرسل رسول الله ﷺ إليه بعمامته فعرفها سعد، فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

وأخرجه الطبراني عن أبي ليلى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ، فقال: إن أبا سفيان في الأرَاك فدخلنا فأخذناه، فجعل المسلمون يَحْوُونه[٤]

---

(١) زجل: صوت رفيع عالٍ.

(٢) أي يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب.

(٣) الأصح: حاذى أبا سفيان.

(٤) يحوونه: يحوطونه.

بجفون سيوفهم حتى جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «ويحك يا أبا سفيان! قد جئتكم بالدنيا والآخرة، فأسلموا تسلموا»، وكان العباس له صديقاً. فقال له العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب الصوت[١]. فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي بمكة «من أغلق بابه فهو آمن. ومن ألقى سلاحه فهو آمن. ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن». ثم بعث معه العباس حتى جلسا على عقبة الثنيّة. فأقبلت بنو سليم فقال: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: هذه بنو سُلَيم. فقال: وما أنا وسُلَيم. ثم أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المهاجرين. فقال: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: علي ابن أبي طالب في المهاجرين. ثم أقبل رسول الله ﷺ في الأنصار فقال: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الموت الأحمر! هذا رسول الله ﷺ في الأنصار. فقال أبو سفيان: لقد رأيت ملك كسرى وقيصر فما رأيت مثل ملك ابن أخيك!! فقال العباس: **إنما هي النبوة**. قال الهيثمي (٦/ ١٧٠): رواه الطبراني، وفيه: حرب بن الحسن الطّحان وهو ضعيف وقد وُثِّق. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه مرسلاً قال: ثم خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً: من المهاجرين، والأنصار، وأسْلَم، وغِفار، وجُهينة، وبني سُلَيم، وقادوا الخيول حتى نزلوا بمرِّ الظهران ولم تعلم بهم قريش،، وبعثوا بحكيم بن حِزام وأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ وقالوا: خذ لنا منه جواراً أو آذنوه[٢] بالحرب. فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام فلقيا بُدَيل بن ورقاء فاسْتَصْحَبَاه، حتى إذا كانا بالأراك من مكة ـ وذلك عشاء ـ رأوا الفساطيط[٣] والعسكر، وسمعوا صهيل الخيل، فراعهم وفزعوا منه وقالوا: هؤلاء بنو كعب حاشتها الحرب. فقال بُديل: هؤلاء أكبر من بني كعب!! ما بلغ تأليبها[٤] هذا، أفتنتجع هوازن أرضنا؟ والله ما نعرف هذا أيضاً، إنَّ هذا لمثل حاج الناس[٥]. وكان رسول الله ﷺ قد بعث بين

(١) الصوت: الصيت.
(٢) آذنوه: أعلموه.
(٣) الفساطيط: جمع فسطاط وهو ضرب من الأبنية في السفر.
(٤) تأليبها: أي جمعها.
(٥) أي إنه يشبه جموع الحجاج.

يديه خيلاً تقبض العيون[١]، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضي. فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل وأتوا بهم خائفين القتل. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي سفيان فوجأ[٢] في عنقه، والتزمه القوم وخرجوا به ليدخلوه على رسول الله ﷺ فخاف القتل ـ وكان العباس بن عبد المطَّلب رضي الله عنه خالصة[٣] له في الجاهلية ـ فصاح بأعلى صوته: ألاَ تأمروا لي إلى عباس؟ فأتاه عباس فدفع عنه، وسأل رسول الله ﷺ أن يقبضه إليه ومشى في القوم مكانه. فركب به عباس تحت الليل فسار به في عسكر القوم حتى أبصروه أجمع، وقد كان عمر قد قال لأبي سفيان حين وجأ عنقه: والله لا تدنو من رسول الله ﷺ حتى تموت. فاستغاث بعباس فقال: إني مقتول، فمنعه من الناس أن ينتهبوه[٤]. فلما رأى كثرة الناس وطاعتهم قال: لم أرَ كالليلة جمعاً لقوم. فخلَّصه العباس من أيديهم وقال: إنك مقتول إن لم تسلم وتشهد أن محمداً رسول الله. فجعل يريد يقول الذي يأمره العباس فلا ينطلق لسانه فبات مع عباس. وأما حَكيم بن حِزَام وبُدَيل بن ورقاء فدخلا على رسول الله ﷺ فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة. فلما نُودي بالصلاة صلاة الصبح تحيَّن القوم[٥]، ففزع أبو سفيان فقال: يا عباس، ماذا تريدون؟ قال: هم المسلمون يتيسرون بحضور رسول الله ﷺ، فخرج به عباس. فلما أبصرهم أبو سفيان قال: يا عباس، أما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟ فقال عباس: لو نهاهم عن الطعام والشراب لأطاعوه. قال عباس: فكلِّمه في قومك هل عنده من عفو عنهم. فأتى العباس بأبي سفيان حتى أدخله على النبي ﷺ، فقال عباس: يا رسول الله، هذا أبو سفيان، فقال أبو سفيان: **يا محمد، إني قد استنصرت إلهي واستنصرتَ إلهك، فوالله ما رأيتك إلا قد ظهرت عليّ!! فلو كان إلهي محقّاً وإلهك مبطلاً لظهرتُ عليك!!** فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(١) تقبض العيون، تمسك الجواسيس.
(٢) وجأ: طعن.
(٣) خالصة له: صديقاً خاصاً لأبي سفيان.
(٤) ينتهبوه: يتناولوه بكلامهم.
(٥) تحين القوم للصلاة: خرجوا لها في وقتها

فقال عباس: يا رسول الله، إني أحب أن تأذن لي آتي قومك فأنذرهم ما نزل وأدعوهم إلى الله ورسوله. فأذن له، فقال عباس: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ بيِّن لي من ذلك أماناً يطمئنون إليه. قال رسول الله ﷺ: «تقول لهم: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله فهو آمن. ومن جلس عند الكعبة فوضع سلاحه فهو آمن. ومن أغلق عليه بابه فهو آمن. فقال عباس: يا رسول الله، أبو سفيان ابن عمنا وأحبَّ أن يرجع معي، فلو اختصصته بمعروف. فقال النبي ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن». فجعل أبو سفيان يستفقه ودار أبي سفيان بأعلى مكة، ومن دخل دار حكيم بن حزام وكف يده فهو آمن، ودار حكيم بأسفل مكة. وحمل النبي ﷺ عباساً على بغلته البيضاء التي كان أهداها إليه دِحْية الكلبي رضي الله عنه. فانطلق عباس بأبي سفيان قد أردفه، فلما سار عباس بعث النبي ﷺ في إثره فقال: أدركوا عباساً فردوه عليّ، وحدَّثهم بالذي خاف عليه، فأدركه الرسول، فكره عباس الرجوع وقال: أيرهب رسول الله ﷺ أن يرجع أبو سفيان راغباً في قلّة الناس فيكفر بعد إسلامه؟ فقال: احبسه فحبسه. فقال أبو سفيان: أغدراً يا بني هاشم؟! فقال عباس: إنا لسنا نغدر، ولكن لي إليك بعض الحاجة. قال: وما هي؟ أقضيها لك. قال: تُفادها حين يقدم عليك خالد بن الوليد والزبير بن العوام. فوقف عباس بالمضيق دون الأراك من مرّ[١]، وقد وعى أبو سفيان منه حديثه. ثم بعث رسول الله ﷺ الخيل بعضها على إثر بعض، وقسم رسول الله ﷺ الخيل شطرين: فبعث الزبير، وردفه خيل بالجيش من أسْلَم وغفار وقضاعة. فقال أبو سفيان: رسول الله ﷺ هذا يا عباس؟ قال: لا ولكن خالد بن الوليد. وبعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة رضي الله عنه بين يديه في كتيبة الأنصار. فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الحرمة. ثم دخل رسول الله ﷺ في كتيبة الإيمان: المهاجرين والأنصار. فلما رأى أبو سفيان وجوهاً كثيرة لا يعرفها فقال: يا رسول الله، أكثرت أو اخترت هذه الوجوه على قومك؟ فقال رسول الله ﷺ:

(١) مرّ: هو مرّ الظهران.

«أنت فعلتَ ذلك وقومُك، إنَّ هؤلاء صدّقوني إذ كذبتموني، ونصروني إذ أخرجتموني» ـ ومع النبي ﷺ يومئذ الأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس، وعُيينة بن حصن بن بدر الفَزاري ـ . فلما أبصرهم حول النبي ﷺ قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: هذه كتيبة النبي ﷺ ومع هذه الموت الأحمر!! هؤلاء المهاجرون والأنصار. قال: امض يا عباس، فلم أرَ كاليوم جنوداً قطُّ ولا جماعة. فسار الزبير في الناس حتى وقف بالحَجُون[1]، واندفع خالد حتى دخل من أسفل مكة فلقيه أوباش بني بكر فقاتلوهم، فهزمهم الله عزّ وجل، وقُتلوا بالحَزْوَرة[2] حتى دخلوا الدور، وارتفع طائفة منهم على الخيل على الخَنْدَمة[3]، واتبعه المسلمون، فدخل النبي ﷺ في أخريات الناس، ونادى منادٍ: من أغلق عليه داره وكف يده فإنه آمن، ونادى أبو سفيان بمكة: أسلموا تسلمو، وكفَّهم الله عز وجل عن عباس. وأقبلت هند بنت عتبة فأخذت بلحية أبي سفيان ثم نادت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. قال: فأرسلي لحيتي، فأقسم بالله إن أنت لم تسلمي لتضربنَّ عنقك. ويلكِ جاء بالحق فادخلي أريكتك، ـ أحسَبُهُ قال ـ: واسكتي. قال الهيثمي (٦/١٧٣): رواه الطبراني مرسلاً وفيه: ابن لِهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عائذ في مغازي عروة بطوله كما في الفتح (٨/٤)، وأخرجه البخاري عن عروة مختصراً؛ والبيهقي (٩/١١٩) كذلك.

﴿ إسلام سهيل بن عمرو وشهادته بدمائة أخلاقه ﷺ ﴾

وأخرج الواقدي وابن عساكر وابن سعد عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه قال: لمَّا دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر اقتحمت بيتي، وأغلقت عليَّ بابي، وأرسلت ابني عبدالله بن سهيل أنِ اطلبْ لي جِواراً من محمد ﷺ؛ فإني لا آمن أن أُقتل. فذهب عبدالله بن سهيل فقال: يا رسول الله، أبي تُؤمنه؟ قال: نعم، هو آمن بأمان الله فليظهرْ. ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «من

(١) الحجون: الجبل المشرف مما يلي شعب الجزارين بمكة المكرمة.
(٢) الحزورة: موضع بمكة عند باب الحناطين.
(٣) الخندمة: جبل معروف عند مكة المكرمة.

لقي منكم سهيلاً فلا يشدّ إليه النظر، فليخرج، فلعمري إنَّ سهيلاً له عقل، وشرف وما مثل سهيل جهل الإسلام، والقدر أيّ ما كان يوضع فيه إنه لم يكن له بنافع»[١]. فخرج عبدالله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ، فقال سهيل: **كان - والله - براً صغيراً وكبيراً**. فكان سهيل يقبل ويدبر، وخرج إلى حُنَين مع رسول الله ﷺ وهو على شركه حتى أسلم بالجِعْرانة[٢]، فأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ من غنائم حُنَين مائة من الإبل. كذا في كنز العمال (**٥/٢٩٤**)؛ وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (**٣/٢٨١**) مثله.

﴿ قوله عليه السلام لأهل مكة يوم الفتح ﴾

وأخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لمَّا كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان بن أمية وإلى أبي سفيان ابن حرب وإلى الحارث بن هشام - قال عمر: فقلت: قد أمكن الله منهم لأعرفنَّهم بما صنعوا - حتى قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: لا تَثْريبَ[٣] عليكم اليومَ، يغفِرُ اللهُ لكم، وهو أرحمُ الراحمينَ». قال عمر: فافتضحت حياء من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر مني، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال. كذا في الكنز (**٥ / ٢٩٢**).

وعند ابن زنجويه في كتاب الأموال من طريق ابن أبي حسين: قال: لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال: «ماذا تقولون؟» فقال سهيل بن عمرو: نقول ونظنُّ خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قَدرْتَ. فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تَثْريبَ عليكم اليومَ». كذا في الإصابة (**٢/٩٣**).

وأخرجه البيهقي (**٩/١١٨**) من طريق القاسم بن سلام بن مسكين عن أبيه، عن ثابت البُناني عن عبدالله بن رَبَاح عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) معنى هذه العبارة: لا ينفع أي فعل في رد قدر الله.
(٢) الجعرانة: موضع قريب من مكة وهي في الحلّ، وميقات للإحرام؛ وهي بتسكين العين والتخفيف وقد تكسر العين وتشد الراء.
(٣) لا تثريب: لا توبيخ ولا تقريع.

ـ فذكر الحديث، وفيه: قال: ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: «ما تقولون؟ وما تظنون؟» قالوا نقول: ابن أخ، وابن عم حليم رحيم. قال: وقالوا ذلك ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «أقول كما قال يوسف: لا تَثْرِيبَ عليكم اليومَ، يغفرُ الله لكم، وهو أرحمُ الراحمينَ». قال: فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور، فدخلوا في الإسلام. قال البيهقي: وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصَّة: أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: «ما ترون أني صانع بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم!! قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1]. انتهى.

قصة إسلام عِكْرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

﴿ أمان عكرمة حين استأمنت له زوجته أم حكيم ﴾

أخرج الواقدي وابن عساكر عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لمَّا كان يوم الفتح أسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عِكْرمة ابن أبي جهل، ثم قالت أمُّ حكيم: يا رسول الله، قد هرب عِكْرمة منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فآمنْه، فقال رسول الله ﷺ: «هو آمن». فخرجَتْ في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها[2]، فجعلت تمنِّيه حتى قدمت على حيّ من عَكّ، فاستعانتهم عليه فأوثقوه رباطاً، وأدركت عِكرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة، فركب البحر، فجعل نوتيُّ السفينة يقول له: أخلِص. قال: أي شيء أقول؟ قال: قل لا إله إلا الله. قال عكرمة: ما هربت إلاّ من هذا، فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر فجعلت تليح إليه وتقول: **يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس، وأبرِّ الناس، وخير الناس؛** لا تُهلك نفسك. فوقف لها حتى أدركته، فقالت: إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ. قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم. أنا كلمته فآمنك.

---

(١) الطلقاء: جمع طليق، وهو الأسير إذا أطلق سبيله، والطُلقاء هم الذين خلّى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقّهم.

(٢) راودها عن نفسها: طلب منها أن تمكنه من نفسها، فيفعل بها الفاحشة.

فرجع معها، وقالت ما لقيتُ من غلامك الرومي؟! وخبَّرته خبره، فقتله عكرمة وهو يومئذ لم يسلم(١).

﴿ إسلام عكرمة وشهادته بكمال برِّه عليه السلام ﴾

فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكم عِكْرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبُّوا أباه، فإنَّ سبَّ الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت». قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها فتأبى عليه وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة. فيقول: إنَّ أمراً منعك مني لأمرٌ كبير. فلما رأى النبي ﷺ عِكرمة وثب إليه وما على النبي ﷺ رداء فرحاً بعِكْرمة. ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه زوجتُه متَنَقِّبَة فقال: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنك آمنتني. فقال رسول الله ﷺ «صَدَقَتْ، فأنت آمن». قال عكرمة: فإلامَ تدعو يا محمد؟ قال: «أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتفعل وتفعل» حتى عدَّ خصال الإسلام. فقال عكرمة: والله، ما دعوت إلاَّ إلى الحق وأمر حسن جميل، قد كنت ـ والله ـ فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً، وأبرُّنا براً. ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ. ثم قال: يا رسول الله، علِّمني خيرَ شيء أقوله. فقال: تقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله». فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ: تقول: «أشهد الله، وأشهد من حضر أني مسلم مجاهد مهاجر». فقال عكرمة ذلك.

﴿ دعاؤه ﷺ لعكرمة ﴾

فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلاَّ أعطيتُكَه». قال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتُكَها، أو مسير أوْضَعْتُ فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير

(١) من الحاكم (٣/٢٤١).

سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له ما نال[١] مني من عرض في وجهي أو أنا غائب عنه». فقال عكرمة: رضيتُ يا رسول الله. ثم قال عكرمة: أما ـ والله ـ يا رسول الله لا أدعُ نفقة كنت أنفقتها في صدٍّ عن سبيل الله إلاَّ أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدٍّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله. ثم اجتهد في القتال حتى قُتل شهيداً. فردَّ رسول الله ﷺ امرأته بذلك النكاح الأول. قال الواقدي عن رجاله؛ وقال سهيل بن عمرو يوم حُنين: لا يختبرهما محمد وأصحابه[٢]. قال يقول له عكرمة: إن هذا ليس يقول إنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شيء، إنْ أُديل عليه اليوم فإنَّ له العاقبة غداً. قال يقول سهيل: والله إنَّ عهدك بخلافه لحديث، قال: يا أبا يزيد، إنَّا كنَّا ـ والله ـ نوضع في غير شيء وعقولنا عقولنا، نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع. كذا في كنز العمال (٧/٧٥).

وأخرجه أيضاً الحاكم (٣/٢٤١) من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، ولكنه اقتصر فيه إلى قوله: فلمَّا بلغ باب رسول الله ﷺ استبشر، ووثب له رسول الله ﷺ قائماً على رجليه فرحاً بقدومه. ثم أخرج عن عروة ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قال عكرمة بن أبي جهل: لمَّا انتهيت إلى رسول الله ﷺ قلت: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنَّك آمنْتني. فقال رسول الله ﷺ: «أنت آمن». فقلت: أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبدالله ورسوله، **وأنت أبرُّ الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس**. قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطىء رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لي كل عداوة عاديتكَها، أو مَرْكب أوضعت فيه أُريد فيه إظهار الشرك. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، أو مَرْكب أوضع فيه يريد أن يصدَّ عن سبيلك». قلت: يا رسول الله، مُرني بخير ما تعلم فأعلمهُ. قال: «قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتجاهد في سبيله». ثم قال عكرمة: أما ـ والله ـ

(١) يقال: نال من عرض فلان: أي سبّه.
(٢) كذا في الأصل وفي كنز العمال.

يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصدِّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله.

﴿ اجتهاد عكرمة في القتال واستشهاده رضي الله عنه ﴾

ثم اجتهد في القتال حتى قتل يوم أَجْنَادِين[١] شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وقد كان رسول الله ﷺ استعمله عام حجته على هوازن يُصدِّقها[٢]، فتوفي رسول الله ﷺ وعكرمة يومئذ بتَبالة[٣]. وقد أخرج الطبراني أيضاً عن عروة رضي الله عنه قصَّة إسلامه مختصراً كما في المجمع (٦/١٧٤).

قصة إسلام صفوان بن أمية رضي الله عنه

﴿ أمان صفوان حين استأمن له عُمَير بن وَهْب ﴾

أخرج الواقدي وابن عساكر عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما كان يوم الفتح أسلمت امرأة صفوان بن أُمية - البَغوم بنت المعدَّل من كِنَانة - وأما صفوان بن أُمية فهرب حتى أتى الشِّعْب وجعل يقول لغلامه يَسار - وليس معه غيره -: ويحك، انظر من ترى؟ قال: هذا عمير بن وَهْب قال صفوان: ما أصنع بعمير؟! والله، ما جاء إلَّا يريد قتلي، قد ظاهر[٤] محمداً عليّ، فلحقه فقال: يا عمير، ما كفاك ما صنعت بي؟! حمَّلْتني دَيْنك، وعيالك، ثم جئت تريد قتلي!! قال: أبا وَهْب، جُعِلتُ فداك، جئتك من عند أبرِّ الناس وأوصل الناس، وقد كان عُمَير قال: لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، سيد قومي خرج هارباً ليقذف نفسه في البحر وخاف أن لا تؤمِّنه، فآمِنْه فداك أبي وأمِّي. فقال رسول الله ﷺ: «قد آمنته» فخرج في أثره فقال: إن رسول الله ﷺ قد آمنك.

---

(١) أجنادين: بلد في فلسطين بين الرَّملة وبيت جبرين. هذا وهناك رواية تذكر أن عكرمة قتل شهيداً يوم اليرموك، وهي أقوى من رواية مقتله في أجنادين، وقد ذكرها الطبري في تاريخه.

(٢) يصدقها: يأخذ صدقاتها.

(٣) تبالة: بلد باليمن معروف.

(٤) ظاهر: عاون.

﴿ إرساله ﷺ عمامته إلى صفوان علامة أمنه ﴾

فقال صفوان: لا والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها. فقال رسول الله ﷺ: «خُذْ عِمامتي»، فرجع عمير إليه بها وهو البُرد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذ معتجراً به[1] بُرْد حِبرَة. فخرج عمير في طلبه الثانية حتى جاء بالبُرْد فقال: **أبا وَهْب، جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبرِّ الناس، وأحلم الناس. مجده مجدك وعزُّه عزك، وملكه ملكك،** ابن أمك وأبيك! وأُذكِّرُكَ اللهَ في نفسك. قال له: أخاف أنْ أُقتل. قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام، فإن يَسرُّكَ، وإلا سيَّرك شهرين، فهو أوفى الناس وأبرهم وقد بعث إليك ببُرْده الذي دخل به مُعتَجراً، فعرفه. قال: نعم. فأخرجه فقال: نعم، هو، هو. فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يصلِّي بالناس العصر في المسجد، فوقفا. فقال صفوان: كم يصلُّون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات. قال: يصلِّي بهم محمد؟ قال: نعم. فلما سلَّم صاح صفوان: يا محمد، إنَّ عُمَير بن وَهْب جاءني ببُرْدك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيتُ أمراً وإلاَّ سيَّرتني شهرين؟ قال: «انزل أبا وَهْب». قال: لا والله حتى تُبيِّن لي. قال: «بل لك تسيّر أربعة أشهر»، فنزل صفوان.

﴿ خروج صفوان معه عليه السلام إلى هوازن وإسلامه ﴾

وخرج رسول الله ﷺ قِبَل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر، وأرسل إليه يستعيره سلاحَه فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها[2]. فقال صفوان طَوْعاً أو كَرْهاً؟ فقال رسول الله ﷺ: عارية رادَّة[3] فأعاره، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين فشهد حنيناً والطائف، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى

---

(١) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها على رأسه، ويرد طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

(٢) من ابن سعد (١٠٨/٢)، وفي الكنز: بأداتها. قلت: معنى بأدائها: أي بشرط إرجاعها لصاحبها، ومعنى بأداتها، بما يتبعها (ملاحق الدروع).

(٣) رادَّة: مردودة.

الجِعِرَّانة. فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها ـ ومعه صفوان ابن أمية ـ فجعل صفوان بن أمية ينظر إلى شِعْب[1] ملاء نَعَماً وشاءً ورِعاء، فأدام النظر إليه ورسول الله ﷺ يرمقه فقال: «أبا وَهْب، يعجبك هذه الشِّعْب»؟ قال: نعم. قال: «هُو لك وما فيه». فقال صفوان عند ذلك: **ما طابت نفسُ أحد بمثل هذا إلا نفس نبي**؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه. كذا في الكنز (٥/٢٩٤). وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها مختصراً؛ كما في البداية (٤/٣٠٨).

وأخرج الإمام أحمد (٦/٤٦٥) عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدراعاً، فقال: أغَصْباً يا محمد؟ قال: «بل عارية مضمونة» قال: فضاع بعضها، فعرض عليه رسول الله ﷺ أنْ يضمنها له. قال: أنا اليوم ـ يا رسول الله ـ في الإسلام أرْغَبُ. انتهى.

قصة إسلام حُوَيطب بن عبد العزى رضي الله عنه

﴿ دعوة أبي ذر لحويطب ودخوله في الإسلام ﴾

أخرج الحاكم (٣/٤٩٣) عن المنذر بن جَهْم قال: قال حوَيطب ابن عبد العُزَّى: لَمَّا دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح خفت خوفاً شديداً، فخرجت من بيتي وفرَّقت عيالي في مواضع يأمنون فيها، فانتهيت إلى حائط عوف فكنت فيه، فإذا أنا بأبي ذرٍّ الغفازي وكانت بيني وبينه خُلَّة ـ والخُلة أبداً مانعةٌ ـ فلما رأيته هربت منه. فقال: أبا محمد، فقلت: لبيك، قال: ما لك؟ قلت: الخوف، قال: لا خوف عليك، أنت آمن بأمان الله عز وجل. فرجعت إليه فسلَّمت عليه، فقال: اذهب إلى منزلك، قلت: هل لي سبيل إلى منزلي؟ والله ما أُراني أصل إلى بيتي حيّاً حتى أُلفى فأقتلَ أو يُدخل عليَّ منزلي فأُقتل، وإنَّ عيالي لفي مواضع شتى. قال: فاجمع عيالك في موضع وأنا

---

(١) إلى شعب الخ: الشِعب: الطريق في الجبل، أو الناحية من الأرض ومعنى مُلاء: ملآن جداً. والنَّعم: الإبل. والشاء: الغنم. والرعاء: الرعيان.

أبلغ معك إلى منزلك، فبلغ معي وجعل ينادي عليَّ: إنَّ حويطباً آمن فلا يُهج. ثم انصرف أبو ذرٍّ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: أُوليس قد أمن الناسُ كلهم إلاَّ من أمرت بقتلهم؟ قال: فاطمأننتُ ورددتُ عيالي إلى منازلهم وعاد إليَّ أبو ذرٍّ، فقال لي: يا أبا محمد، حتى متى؟! وإلى متى؟! قد سُبقت في المواطن كلِّها، وفاتك خير كثير وبقي خير كثير، فأْتِ رسول الله ﷺ فأسلم تسلم، **ورسول الله ﷺ أبرُّ الناس، وأوصل الناس، وأحلم الناس**، شرفه شرفك، وعزُّه عزك. قال قلت: فأنا أخرج معك فآتيه، فخرجت معه حتى أتيت رسول الله ﷺ بالبطحاء وعنده أبو بكر وعمر، فوقفت على رأسه وسألت أبا ذر: كيف يقال إذا سُلِّم عليه؟ قال: قل: السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، فقلتها، فقال: «وعليك السلام حُوَيطب». فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك». قال: وسُرّ رسول الله بإسلامي، واستقرضني مالاً فأقرضته أربعين ألف درهم، وشهدت معه حُنَيناً والطائف وأعطاني من غنائم حُنَين مائة بعير.

وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات من طريق المنذر بن جَهْم وغيره عن حويطب نحوه؛ كما في الإصابة (١/٣٦٤). وأخرج الحاكم أيضاً (٣/٤٩٢) عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة الأشهلي عن أبيه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم قال حويطب: ما كان في قريش أحد من كبرائها الذين بَقُوا على دين قومهم إلى أن فُتحت مكة أكرهَ لما فُتحت عليه مني، ولكنَّ المقادير!!. ولقد شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عِبَراً، فرأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض، فقلت: **هذا رجل ممنوع**، ولم أذكر ما رأيت لأحدٍ، فانهزمنا راجعين إلى مكة، فأقمنا بمكَّة وقريش تُسلم رجلاً رجلاً. فلمَّا كان يوم الحديبية حضرت وشهدت الصلح ومشيت فيه حتى تمَّ، وكل ذلك يزيد الإسلامَ ويأبى الله عز وجل إلا ما يريد. فلما كتبنا صلح الحديبية كنت آخر شهوده، وقلت: لا ترى قريش من محمد إلا ما يسؤوها، قد رضيت إن دافعته بالرماح. ولمَّا قدم رسول الله ﷺ لعمرة القضاء وخرجت

قريش من مكة، كنت فيمن تخلَّف بمكة أنا وسهيل بن عمرو لأن نُخرج رسول الله ﷺ إذا مضى الوقت، فلما انقضت الثلاث أقبلتُ أنا وسُهيل ابن عمرو فقلنا: قد مضى شرطُك فاخرج من بلدنا، فصاح: «يا بلال لا تَغِبِ الشمس وواحدٌ من المسلمين بمكة ممَّن قدم معنا».

قصة إسلام الحارث بن هشام رضي الله عنه

أخرج الحاكم (٣/٢٧٧) عن عبد الله بن عكرمة قال: لما كان يوم الفتح دخل الحارث بن هشام وعبدالله بن أبي ربيعة على أمِّ هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها فاستجارا بها، فقالا: نحن في جوارك، فأجارتهما. فدخل عليهما علي بن أبي طالب فنظر إليهما، فشهر[١] عليهما السيف، فتفلَّت عليهما، واعتنقْته وقالت: تصنع بي هذا من بين الناس؟! لَتَبدأنَّ بي قبلهما. فقال: تُجيرين المشركين، فخرج. قالت أمُّ هانىء: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من ابن أمي عليٍّ؟! ما كدت أفلت منه!! أجرت حَمَوَين[٢] لي من المشركين فانفلت عليهما ليقتلهما. فقال رسول الله ﷺ: «ما كان ذلك له، قد أجرنا من أجرتِ، وآمنَّا من آمنتِ». فرجعت إليهما فأخبرتهما فانصرفا إلى منازلهما. فقيل لرسول الله ﷺ: الحارث بن هشام وعبدالله بن أبي ربيعة جالسان في ناديهما متنضِّلين[٣] في المِلاء المزعفرة[٤]. فقال رسول الله ﷺ: «لا سبيل إليهما قد آمنَّاهما». قال الحارث بن هشام: وجعلت أستحيي أن يراني رسول الله ﷺ، وأذكر رؤيته إياي في كل موطن من المشركين، ثم أذكر برَّه ورحمته فألقاه وهو داخل المسجد فتلقَّاني بالبشر، ووقف حتى جئته فسلَّمت عليه وشهدت شهادة الحق. فقال: «الحمد لله الذي هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام». قال الحارث: **فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهِلَ.**

---

(١) شهر السيف: سله فرفعه.

(٢) حموين: مفردهما حمو: أبو زوج المرأة وأبو امرأة الرجل، ويطلق على من كان قريباً للزوجين.

(٣) متنضلين: أي مفتخرين، وهذا المعنى مجازي.

(٤) الملاء: جمع ملاءة: نوع من الثياب. ومزعفرة: مصبوغة بالزعفران.

قصة إسلام النضير بن الحارث العبدري رضي الله عنه

أخرج الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل العبدري[١] عن أبيه قال: كان النُضير بن الحارث من أعلم الناس، وكان يقول: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، ومنَّ علينا بمحمد ﷺ، ولم نَمُتْ على ما مات عليه الآباء، لقد كنت أوضعُ مع قريش في كل وجهة، حتى كان عام الفتح وخرج إلى حنين، فخرجنا معه ونحن نريد إن كانت دَبْرة[٢] على محمد أن نُعين عليه فلم يمكنّا ذلك. فلما صار بالجِعِرَّانة فوالله إني لعلَى ما أنا عليه إنْ[٣] شعرتُ إلاَّ برسول الله ﷺ تلقَّاني بفرحة، فقال: «النضير؟» قلت: لبيك. قال: «هذا خيرٌ ممَّا أردت يوم حنين!!» قال: فأقبلت إليه سريعاً فقال: «قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه». فقلت: قد أرى فقال: «اللهم زده ثباتاً» قال: **فوالذي بعثه بالحق لكان قلبي حجراً ثباتاً في الدين ونصرة في الحق**[٤]. ثم رجعت إلى منزلي فلم أشعر إلا برجل من بني الدُؤَل يقول: يا أبا الحارث قد أمر لك رسول الله ﷺ بمائة بعير، فأجِزْ لي منها فإنَّ عليَّ ديناً. قال: فأردت أن لا آخذها وقلت: ما هذا منه إلَّا تألُّف، ما أُريد أن أرتشي على الإسلام، ثم قلت: والله ما طلبتها ولاسـألتها، فقبضتها وأعطيت الدُؤَلي منها عشراً. كذا في الإصابة (٣/٥٥٨).

قصة إسلام ثقيف أهل الطائف

﴿ انصرافه ﷺ عن ثقيف وإسلام عروة بن مسعود ﴾

ذكر ابن إسحاق أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا انصرف عن ثقيف اتَّبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام. فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّهم قاتلوك» ـ وعرف رسول الله ﷺ أنَّ فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم ـ فقال عروة: يارسـول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم[٥]، وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً.

(١) العبدري: نسبة إلى بني عبد الدار، بطن من قريش.

(٢) دبرة: أي هزيمة.

(٣) إن: نافية بمعنى ما.

(٤) حصل هذا له ببركة دعاء النبي عليه السلام.

(٥) أبكارهم: بناتهم.

﴿ دعوة عروة لقومه إلى الإسلام واستشهاده في الله ﴾

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لايخالفوه بمنزلته فيهم، فلما أشرف على عُلِّيَّة[١] له - وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه - رمَوْه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فقيل لعروة ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلاَّ ما في الشهداء الذين قتلوا[٢] مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مَثَلَهُ في قومه كمثل صاحب ياسين[٣] في قومه».

﴿ إرسال ثقيف عبد ياليل بن عمرو وفداً إليه عليه السلام وخبرهم معه ﴾

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنَّهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بني مالك. فلما دنَوا من المدينة ونزلوا قناة ألفَوا المغيرة بن شعبة يرعى في نَوْبته ركاب[٤] أصحاب رسول الله ﷺ. فلمَّا رآهم ذهب يشتدُّ ليبشِّر رسول الله ﷺ بقدومهم، فلقيه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البَيْعة والإسلام إن شرط لهم رسول الله شروطاً، ويكتبوا كتاباً في قومهم. فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمتُ عليك لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدّثه، ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم. ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظَّهر[٥] معهم، وعلمهم كيف يُحيُّون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا إلاَّ بتحية الجاهلية. ولَمَّا قدموا على رسول الله ﷺ ضربت عليهم قُبة في المسجد، وكان خالد ابن

(١) عُلِّيَّة: بضم العين وكسرها وشد اللام والياء: بيت منفصل عن الأرض.

(٢) هم الشهداء الذين قتلوا في حصار الطائف وكانوا نحواً من عشرين شهيداً.

(٣) هو حبيب النجار الذي دعا أهل أنطاكية للإيمان برسل المسيح عليه السلام فقتلوه.

(٤) ركاب: إبل.

(٥) الظَّهر: الإبل. ومعنى روَّحها: أرجعها للمدينة.

سعيد بن العاص هو الذي يمشي[1] بينهم وبين رسول الله ﷺ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم، وهو الذي كتب لهم كتابهم. قال: وكان ممّا اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية[2] ثلاث سنين. فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألَّفوا سفهاءهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمًّى؛ إلاَّ أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليهدماها، وسألوه مع ذلك أن لا يصلُّوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم. فقال: «أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنُعفيكم، **وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه**». فقالوا: سنؤتيكها وإن كانت دناءة[3].

وقد أخرج أحمد عن عثمان بن أبي العاص[4] أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يحشروا[5] ولا يعشّروا[6]، ولا يُجبَوا[7]، ولا يستعمل عليهم غيرهم. فقال رسول الله ﷺ: «لكم أنْ لا تُحشروا، ولا تجبوا، ولا يستعمل عليكم غيركم، ولا خير في دين لا ركوع فيه». وقال عثمان بن أبي العاص: يا رسول الله، علِّمني القرآن واجعلني إمام قومي. وقد رواه أبو داود أيضاً.

وأخرج أبو داود أيضاً عن وَهْب سألت جابراً رضي الله عنه عن شأن ثقيف إذ بايعتْ، قال: اشترطتْ على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أسلموا» - انتهى من البداية **(٥/٢٩)** مختصراً.

وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه

---

(١) يمشي: يقوم بعمل السفير.
(٢) الطاغية: اللاّت. وكانت عند ثقيف بالطائف، وكانت تعظمها.
(٣) يريدون بالدناءة: السجود على الأرض في الصلاة.
(٤) كان من وفد ثقيف.
(٥) أن لا يحشروا: أن لا يجمعوا للخروج للجهاد.
(٦) يعشروا: يؤخذ منهم العشر زكاة زروعهم.
(٧) لا يُجبوا: لا يُعيَّن لهم جابٍ يجمع منهم زكاة أموالهم.

قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له، كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدِّثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام. فأكثر ما يحدثنا مالقي من قومه من قريش، ثم يقول: «لا آسى[١]، وكنَّا مستضعفين مستذلِّين بمكة. فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم نُدال عليهم ويُدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة؟ فقال: «إنه طرأ على جزئي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أُتِمَّه» كذا في البداية (٥/٣٢)، وأخرجه ابن سعد (٥/١٥٠) عن أوس رضي الله عنه بنحوه.

دعوة الصحابة رضي الله عنهم للأفراد والأشخاص

دعوة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: فلمَّا أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزّ وجل، وكان أبو بكر رجلاً مألَفاً لقومه ومحبَّباً سَهْلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممَّن يَغْشاه ويجلس إليه. فأسلم على يديه فيما بلغني: الزبير ابن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحقِّ الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الثمانية[٢] الذين سبقوا في الإسلام صدّقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله، كذا في البداية (٣/٢٩).

---

(١) لا آسى: لا أحزن.

(٢) هم الخمسة المذكورون والذين سبقوهم وهم: عليٌ، وزيد بن حارثة، وأبو بكر.

دعوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عن أستق قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنا نصراني. فكان يعرض عليَّ الإسلام ويقول: إنَّك إن أسلمت استعنت بك على أمانتي، فإنه لايحلُّ لي أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولست على دينهم، فأبيت عليه، فقال: **لا إكراه في الدين. فلما حضرته الوفاة، أعتقني وأنا نصراني، وقال: اذهب حيث شئت**. وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم بنحوه مختصراً. كذا في الكنز (٥/ ٥٠) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٤) عن وسق الرومي مثله، إلا أنّ في روايته: على أمانة المسلمين فإنه لا ينبغي لي أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم.

وأخرج الدارقطني وابن عساكر عن أسلَم[1] قال: لمَّا كنَّا بالشام أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بماء توضأ منه. فقال: من أين جئت بهذا الماء؟ فما رأيت ماء عذباً ولا ماء السماء أطيب منه. قلت: جئت به من بيت هذه العجوز النصرانية. فلما توضأ أتاها فقال: أيتها العجوز، أسلمي، بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالحق، فكشفت عن رأسها فإذا مثل الثغامة[2]، فقالت: عجوز كبيرة وإنما أموت الآن. فقال عمر: اللَّهم اشهد. كذا في الكنز (٥/ ١٤٢).

دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه

﴿ دعوة مصعب لأسيد بن حُضَير وإسلامه ﴾

أخرج ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره: أن أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظَفَر ـ وكان سعد بن معاذ ابنَ خالة أسعد بن زرارة ـ فدخل به حائطاً[3] من حوائط بني ظَفَر على بئر يقال له بئر مَرَق[4]. فجلسا

---

(١) أسلم: هو مولىً آخر لعمر رضي الله عنه.

(٢) الثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر.

(٣) حائط: بستان.

(٤) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «بئر مرق: بالمدينة، ذكر في الهجرة، ويروى بسكون الراء».

في الحائط واجتمع إليهما رجال ممَّن أسلم ـ وسعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير يومئذٍ سيِّدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ـ فلمَّا سمعا به قال سعد لأسَيد: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللَّذين قد أتيا دارَيْنا ليسفِّها ضعفاءنا فازجرهما وانهَهُما أن يأتيا دارَيْنا، فإنَّه لولا أسعد ابن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدَّماً. قال: فأخذ أسيد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما. فلمَّا رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيِّد قومه وقد جاءك فاصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال فوقف عليهما مُتَشَتِّماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة[1]. فقال له مصعب: أوَتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهتَه كُفَّ عنك ما تكره. قال: أنصفتَ، قال ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلَّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن. فقالا فيما يُذكر عنهما: والله لَعَرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطَّهَّر وتُطهِّر ثوبَيْك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلِّي. فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إنَّ ورائي رجلاً إن اتَّبعكما لم يتخلَّف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن: سعدَ بن معاذ.

﴿ دعوة مصعب لسعد بن معاذ وإسلامه ﴾

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلَّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثت أنَّ بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنَّه ابن خالتك ليَحْقِروك. قال: فقام سعد بن معاذُ مُغْضَباً مبادراً

(١) إن كانت لكما بأنفسكما حاجة: إن كنتما تريدان الإبقاء على حياتكما.

تَخَوُّفاً للذي ذُكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً. ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أُسَيْداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف مُتَشَتِّماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: ياأبا أُمامة أمَا والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّي، أتَغْشانا في دارنا بما نكره؟! قال: وقد قال أسعد لمصعب: أيْ مصعب جاءك - والله - سيِّدُ مَنْ وراءَه من قومه، إن يتبعك لايتخلَّف عنك منهم اثنان - قال فقال له مصعب: أوَتقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قَبلْتَه، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن - وذكر موسى بن عقبة أنَّه قرأ عليه أول الزخرف -، قالا: فعرفنا - والله - في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطَّهَّر، وتُطَهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلِّي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعهم أُسَيْد بن حضير.

﴿ دعوة سعد بن معاذ لبني عبد الأشهل وخبر إسلامهم ﴾

فلمَّا رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلمَّا وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة[1]. قال: فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة. ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون؛ إلا ما كان من دار بني أُمية بن زيد، وخَطْمة؛ ووائل، وواقف، وتلك أوس[2]. كذا في البداية (٣/١٥٢).

---

(١) نقيبة: نفساً.

(٢) وفي ابن هشام: وتلك أوس الله.

وأخرجه الطبراني أيضاً وأبو نُعَيم في دلائل النبوة عن عروة مطوَّلاً - فذكر عرضه ﷺ الدعوة على الأنصار وإيمانهم بذلك كما سيأتي في ابتداء أمر الأنصار؛ ثم ذكر دعوتهم قومهم سراً وطلبهم من رسول الله ﷺ بَعْثَ مَن يدعو الناس؛ فبعث إليهم مُصعَباً كما تقدم في: - إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله (ص ١١٦)- ثم قال: ثم إنَّ أسعد بن زُرارة أقبل هو ومصعب بن عمير حتى أتيا بئر مَرَق أو قريباً منها. فجلسوا هنالك وبعثوا إلى رَهْط من أهل الأرض فأتَوهم مستخفين، فبينما مصعب بن عمير يحدِّثهم ويقصُّ عليهم القرآن أُخبر بهم سعدُ بن معاذ، فأتاهم في لأمته[1] ومعه الرمح حتى وقف عليه. فقال: علامَ يأتينا في دورنا بهذا الوحيد الفريد الطريح الغريب، يسفّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم، لا أراكما بعد هذا بشيء من جوارنا. فرجعوا، ثم إنهم عادوا الثانية ببئر مَرَق أو قريباً منها، فأُخبر بهم سعدُ ابن معاذ الثانية؛ فواعدهم بوعيد دون الوعيد الأول. فلما رأى أسعد منه ليناً قال: يا ابن خالة اسمع من قوله، فإن سمعت منه منكراً فاردده يا هـذا منه، وإن سمعت خيراً فأجب الله. فقال: ماذا يقول؟ فقرأ عليهم مصعب ابن عمير: «حٰمٓ. والكتاب المبين. إنَّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون»[2]. فقال سعد: وما أسمع إلا ما أعرف. فرجع وقد هداه الله تعالى ولم يُظهر أمر الإسلام حتى رجع. فرجع إلى قومه، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام وأظهر إسلامه. وقال فيه: من شَكَّ من صغير أو كبير أو ذكر أو أنثى فليأتنا بأهدى منه نأخذ به. فوالله لقد جاء أمر لتُحزَّنَّ فيه الرقاب. فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد ودعائه إلا من لا يُذكر. فكانت أول دور من دور الأنصار أسلمت بأسْرها - فذكر الحديث كما تقدم في إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله (ص ١١٦)- وفي آخره: ورجع مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ - أي إلى مكة.

---

(١) كذا في الدلائل. واللأمة: السلاح.
(٢) سورة الزخرف: آية ١ - ٣.

دعوة طليب بن عمير رضي الله عنه

﴿ دعوة طليب لأمه أروى بنت عبد المطلب ﴾

أخرج الواقدي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي قال: لمَّا أسلم طُليب بن عمير رضي الله عنه ودخل على أمِّه أَرْوى بنت عبد المطلب فقال لها: قد أسلمت وتبعت محمداً ﷺ - وذكر الخبر وفيه أنَّه قال لها: ما يمنعك أن تُسلمي وتتَّبعيه؟ فقد أسلم أخوك حمزة، فقالت: أنتظِرُ ما تصنع[1] أخواتي؟ ثم أكون إحداهنَّ. قال فقلت: فإني أسألك بالله إلاَّ أتيته وسلَّمتِ عليه، وصدَّقته، وشهدت أن لا إله إلا الله. قالت: فإنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله. ثم كانت بعد تعضد النبي ﷺ بلسانها وتحضّ ابنها على نصرته والقيام بأمره. كذا في الاستيعاب (٤/٢٢٥). وأخرجه العُقَيلي من طريق الواقدي بمثله كما في الإصابة (٤/٢٢٧). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٢٣٩) من طريق إسحاق بن محمد الفروي عن موسى ابن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أسلم طُليب بن عمير رضي الله عنه في دار الأرقم[2]، ثم خرج فدخل على أمه[3] وهي أَرْوى بنت عبد المطلب. فقال: تبعتُ محمداً وأسلمت لله ربِّ العالمين جلَّ ذكره. فقالت أمه: إنَّ أحقَّ من وازرت ومن عاضدت ابنُ خالك. والله لو كنَّا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه ولذَبَبْنا عنه. قال فقلت: يا أُماه وما يمنعك؟ فذكر مثل ما تقدَّم.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/١٢٣) عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي عن أبيه بمثله. قال الحاكم (٣/٢٣٩): صحيح غريب على شرط البخاري ولم يخرِّجاه. وتعقبه الحافظ في الإصابة (٢/٢٣٤) فقال: وليس كما قال، فإن موسى ضعيف، ورواية أبي سَلَمة عنه مرسلة وهي قوله: قال: فقلت يا أماه - إلى آخره. انتهى.

(١) من أسْد الغابة (٥/٣٩١)، وفي الاستيعاب: يصنع.
(٢ - ٣) من الإصابة. وفي المستدرك: ثم دخل فخرج على أمِّه.

دعوة عُمَير بن وهب الجمحي وقصة إسلامه

﴿ خبر عُمَير بن وَهْب مع صفوان بن أمية ﴾

أخرج ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: جلس عُمير بن وَهْب الجُمْحي مع صَفوان بن أمية في الحِجْر[١] بعد مصاب أهل بدر بيَسير - وكان عمير بن وَهْب شيطاناً من شياطين قريش، وممَّن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويَلقَون منه عناءً وهو بمكة، وكان ابنه وَهْب بن عُمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القَلِيب ومُصابهم. فقال صَفوان: والله ما إنْ في العيش بعدهم خير. قال له عمير: صدقتَ، أما - والله - لولا دَيْنٌ عليَّ ليس عندي قضاؤه وعيالٌ أخشَى عليهم الضَّيْعة بعدي لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإنَّ لي فيهم عِلَّة[٢] ابني أسيرٌ في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان بن أمية: فقال: عليَّ دَيْنك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقُوا لا يَسَعني شيء ويعجز عنهم. فقال له عمير: فاكتم عليَّ شأني وشأنك. قال: سأفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذ[٣] له وسُمَّ[٤]، ثم انطلق حتى قدم المدينة. فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوِّهم؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وَهْب وقد أناخ على باب المسجد متوشِّحاً السيف[٥]. فقال: هذا الكلب عدوُّ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرَّش[٦] بيننا، وحزرنا[٧] للقوم يوم بدر.

﴿ خبر عمير مع النبي ﷺ ﴾

ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدوُّ الله ابن وَهْب قد جاء متوشِّحاً سيفه. قال: «فأدْخله عليَّ». قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحِمالة سيفه في عنقه فلبَّبه[٨] بها، وقال لمن كان معه من الأنصار:

---

(١) الحجر: مكان في الكعبة.
(٢) علّة: أي إن في ذهابي إلى المدينة حجة وهو ابني الأسير.
(٣) شحذ: أُحِدَّ.
(٤) سُمّ: جُعل فيه سُمٌّ.
(٥) متوشحاً السيف: متقلداً السيف.
(٦) حرَّش: أفسد.
(٧) حزرنا: قدَّر عددنا تخميناً.
(٨) لبَّبه: أخذه بتلبيبه وجرّه.

ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحِمالة سيفه في عنقه. قال: «أرسله يا عمر. ادنُ يا عمير» فدنا ثم قال: أَنْعِم صباحاً ـ وكانت تحيَّة أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيَّتك يا عمير، بالسلام تحيَّةُ أهل الجنة». قال: أما ـ والله ـ يا محمد إنْ كنتُ بها لحديث عهد. قال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه. قال: «فما بال السيف في عُنقك؟» قال: قبَّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنّا شيئاً؟! قال: «اصدقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلاَّ لذلك. قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أُمية في الحِجْر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلتَ: لولا دَيْن عليّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً؛ فتحمَّل لك صفوان بن أُمية بدَيْنك وعيالك على أن تقتلني له، واللهُ حائل بينك وبين ذلك».

﴿ إسلام عمير ودعوته لأهل مكة ﴾

فقال عمير: **أشهد أنَّك رسول الله، قد كنَّا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان؛ فوالله إنِّي لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المَساق**، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فقِّهوا أخاكم في دينه، وعلِّموه القرآن، وأطلقوا أسيره» ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدَمَ مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، لعلَّ الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أُوذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة. وكان صفوان حين خرج عمير ابن وَهْب يقول: أبشروا بوَقْعة تأتيكم الآن في أيام تُنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الرُّكبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أنْ لا يكلِّمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً. كذا في البداية (٣/٣١٣).

﴿ إسلام أناس كثير على يد عمير ﴾

هكذا أخرجه ابن جرير عن عُروة رضي الله عنه بطوله، كما في كنز العمال (٧/ ٨١)، وزاد: فلما قدم عمير رضي الله عنه مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويُؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير. وهكذا أخرجه الطبراني عن محمد بن جعفر بن الزبير رضي الله عنهم ـ نحوه. قال الهيثمي (٨/ ٢٨٦): وإسناده جيِّد.

﴿ قول عمر في عمير بن وَهْب بعد أن أسلم ﴾

وروي عن عروة بن الزبير نحوه مرسلاً، وقال فيه: ففرح المسلمون حين هداه الله، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لخنزيرٌ كان أحبّ إليّ منه حين اطَّلع، وهو اليوم أحبُّ إليّ من بعض بنيّ؛ وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه الطبراني أيضاً عن أنس رضي الله عنه موصولاً بمعناه ـ مختصراً. قال الهيثمي (٨/ ٢٨٧): ورجاله رجال الصحيح. اهـ؛ وأخرجه ابن مَنْده أيضاً موصولاً عن أنس رضي الله عنه وقال: غريب، لا نعرفه عن أبي عمران إلا من هذا الوجه، كما في الإصابة (٣/ ٣٦).

وأخرج الواقدي عن عبدالله بن عمرو بن أمية عن أبيه قال: لما قدم عمير بن وَهْب رضي الله عنه مكة بعد أن أسلم نزل بأهْله، ولم يتفق بصفوان ابن أميَّة، فأظهر الإسلام ودعا إليه، فبلغ ذلك صفوان فقال: قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله أنَّه قد ارتكس[1] وصبا، فلا أكلِّمه أبداً ولا أنفعه ولا عياله بنافعة، فوقف عليه عمير وهو في الحِجْر وناداه، فأعرض عنه، فقال له عمير: أنت سيد من ساداتنا، أرأيتَ الذي كنا عليه من عبادة حجر وذبح له، أهذا دين؟! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فلم يجبه صفوان بكلمة. كذا في الاستيعاب (٢/ ٤٨٦). وقد تقدَّم سَعْيُ عمير في إسلام صفوان بن أُمية (ص ١٧٨).

(١) ارتكس: أي وقع في أمر كان نجا منه.

دعوة أبي هريرة رضي الله عنه لأمه وإسلامها

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أُمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهديَ أُمَّ أبي هريرة: فقال: «اللَّهم اهدِ أُمَّ أبي هريرة».

فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله ﷺ، فلما جئت قصدت إلى الباب فإذا هو مُجاف[1]، فسمعت أُمِّي حسَّ قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعتُ خَضْخَضَة الماء[2]، قال: ولبست دِرْعَها[3]، وأعجَلَت عن خمارها، ففتحتْ الباب وقالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلى الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فحمد الله وقال: خيراً. وأخرجه أحمد أيضاً بنحوه. كذا في الإصابة (٤/٢٤١).

وأخرجه ابن سعد (٤/٣٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: والله لايسمع بي مؤمن ولامؤمنة إلا أحبَّني. قال قلت: وما يُعلمك ذاك؟ قال: فقال: إني كنت أدعو أُمِّي ـ فذكر نحوه. وزاد في آخره: فجئت أسعى إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: أبشر يا رسول الله فقد أجاب الله دعوتك، قد هدى الله أُمَّ أبي هريرة إلى الإسلام. ثم قلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يحببني وأُمي إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة. فقال: «اللهمَّ حبب عُبَيْدك هذا وأُمَّه إلى كل مؤمن ومؤمنة» فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلَّا أحبَّني.

دعوة أم سليم رضي الله عنها

﴿ دعوة أم سليم لأبي طلحة إلى الإسلام حين خطبها ودخوله في الإسلام ﴾

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أنَّ أبا طلحة خطب أُمَّ سُلَيم ـ يعني

---

(١) أجاف الباب: أيْ ردَّه فهو مُجاف.

(٢) أي صوت تحريك الماء.

(٣) درعها: قميصها أو ثوب تلبسه في بيتها.

قبل أن يُسلم ـ فقالت: يا أبا طلحة، ألستَ تعلم أنَّ إلهك الذي تعبد نَبَت من الأرض؟ قال: بلى قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟! إن أسلمتَ فإنِّي لا أُريد منك صَداقاً غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله. فقالت: يا أنس[١]! زوِّجْ أبا طلحة، فزوَّجها. وأخرجه أيضاً ابن سعد بمعناه. كذا في الاصابة (٤٦١/٤).

دعوة الصحابة في القبائل وأقوام العرب

دعوة ضِمام بن ثعلبة في بني سعد بن بكر

﴿ وفود ضمام على النبي ﷺ وخبره معه ودخوله في الإسلام ﴾

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث بنو سعد ابن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضِمام رجلاً جَلْداً أشعرَ ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه. فقال: أيُّكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب». فقال: أمحمد؟ قال: «نعم». قال: يا ابن عبد المطلب، إنِّي سائلك ومُغَلِّظ عليك في المسألة فلا تَجدنَّ[٢] في نفسك. قال: «لا أجد في نفسي فسَلْ عمّا بدا لك» فقال: أنشدك اللَّهَ إلٰهك وإلٰه من كان قبلك وإلٰهَ من هو كائن بعدك: آللَّهُ بعثك إلينا رسولاً؟ قال: «اللَّهمَّ نعم» قال: فأنشدك اللهَ الٰهَك وإلٰهَ من كان قبلك وإلٰهَ من هو كائن بعدك: آللَّهُ آمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال «اللَّهمَّ نعم». قال: فأنشدك اللهَ إلٰهَكَ وإلٰهَ من كان قبلك وإلٰهَ من هو كائن بعدك: آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم» قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلّها، ينشده عند كل

---

(١) هو أنس بن مالك وهو ابنها. (٢) لا تجدنَّ: لا تغضبنَّ.

فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص؛ ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. قال فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صدق ذو العقيصتين[1] دخل الجنة».

﴿ إسلام بني سعد وقول ابن عباس في ضمام ﴾

قال: فأتى بعيره فأطلق عِقاله ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أوَّل ما تكلم أنْ قال: بئست اللّات والعزَّى. فقالوا: مَهْ يا ضمام، اتَّقِ البرص، اتَّقِ الجُذام، اتَّقِ الجنون!! فقال: ويلكم إنَّهما - والله - لا يضران ولا ينفعان. إنَّ الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه. قال فوالله، ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره[2] رجل ولا امرأة إلَّا مسلماً. قال يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافدِ قومٍ كان أفضل من ضِمام ابن ثعلبة، وهكذا رواه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق وأبو داود نحوه من طريقه؛ وعند الواقدي: فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، وبنَوا المساجد، وأذّنوا بالصلاة. كذا في البداية (٥/ ٦٠).

وأخرجه الحاكم أيضاً في المستدرك (٣/ ٥٤) من طريق ابن إسحاق بنحوه ثم قال: قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله، وهذا صحيح. انتهى؛ ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

دعوة عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه في قومه

﴿ رؤيا عمرو في أمر بعثته عليه السلام ﴾

أخرج الرُوياني وابن عساكر عن عمرو بن مُرَّة الجُهني رضي الله عنه

---

(١) العقيصة: الشعر المعقوص وهو نحو من المضفور، وأصل العقص اللَّيُّ وإدخال أطراف الشعر في أصوله.

(٢) حاضره: حيُّه.

قال: خرجنا حجّاجاً في الجاهلية في جماعة من قومي، فرأيت في المنام وأنا بمكّة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء لي جبل يثرب وأشعر جهينة[1]، وسمعت صوتاً في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطع الضِّياء، وبُعث خاتم الأنبياء. ثم أضاء لي إضاءة أُخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة، وأبيضِ المدائن، وسمعت صوتاً في النُّور وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووُصلت الأرحام. فانتبهت فزعاً فقلت لقومي: واللهِ ليحدُثنَّ في هذا الحيِّ من قريش حَدَث، فأخبرتهم بما رأيت.

﴿ دخول عمرو على النبي ﷺ وقصة إسلامه ﴾

فلما انتهيت إلى بلادنا جاء الخبر أنَّ رجلاً يقال له أحمد قد بُعث، فخرجت حتى أتيته وأخبرته بما رأيت، فقال: «يا عمرو بن مرَّة، أنا النبيّ المرسل إلى العباد كافّة، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء، وصِلَة الأرحام، وعبادة الله وحده، ورفض الأصنام، وبحجِّ البيت، وصيام شهر رمضان - شهر من اثني عشر شهراً -، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النَّار، فآمنْ يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم». فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله، آمنت بكل ما جئتَ به من حلال وحرام، وإنْ رَغِم ذلك كثير من الأقوام. ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به - وكان لنا صنم وكان أبي سادنَه، فقمت إليه فكسرته ثم لحقت بالنبي ﷺ وأنا أقول -:

شهدتُ بأن الله حق وإنني ... لآلهة الأحجار أول تارك
وشمَّرت عن ساقي الإزار مهاجراً ... أجوب[2] إليك الوَعْثَ[3] بعد الدَّكادك[4]
لأصحبَ خير النَّاس نفساً ووالداً ... رسولَ مليك النَّاس فوق الحبائك[5]

فقال النبي ﷺ: «مرحباً بك يا عمرو».

﴿ بعثه عليه السلام عَمْراً للدعوة إلى قومه ووصيته له ﴾

فقلت: بأبي أنت وأمي ابعث بي إلى قومي لعلَّ الله أن يمنَّ بي عليهم

---

(١) أشعر جُهينة: اسم جبل لقبيلة جهينة قريب من البحر.
(٢) أجوب: أقطع.
(٣) الوعث: الطريق الغليظ العسر.
(٤) الدكادك: جمع الدكدك: أرض فيها غلظ.
(٥) الحبائك: جمع حبيكة: الطريقة بين النجوم، والمراد: السماوات.

كما منَّ بك عليَّ، فبعثني فقال: «عليك بالرِّفق والقول السديد، ولا تكنْ فظّاً، ولا متكبِّراً، ولا حسوداً». فأتيت قومي فقلت: يا بني رِفاعة، بل يا معشر جُهينة، إنِّي رسولُ رسولِ الله إليكم، أدعوكم إلى الإسلام، وآمركم بحقن الدماء، وصِلَة الأرحام، وعبادة الله وحده، ورفض الأصنام، وبحجِّ البيت، وصيام شهر رمضان- شهر من اثني عشر شهراً - فمن أجاب فله الجنَّة، ومن عصى فله النَّار. يا معشر جُهينة، إنَّ الله جعلكم خيار من أنتمْ منه[1]، وبغَّض إليكم في جاهليكم ما حبِّب إلى غيركم من العرب، فإنهم كانوا يجمعون بين الأختين والغزاة في الشهر الحرام، ويخلُف الرجل على امرأة أبيه[2]، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا والآخرة. فما جاءني إلَّا رجل منهم فقال: يا عمرو بن مرَّة، أمرَّ الله عيشَك، أتأمرنا برفض آلهتنا، وأن نفرِّق جمعنا، وأن نخالف دين آبائنا الشيم العلى إلى ما يدعونا إليه هذا القرشي من أهل تِهامة؟! لا حبّاً ولا كرامة. ثم أنشأ الخبيث يقول:

إنَّ ابن مرَّة قد أتى بمقالة ... ليست مقالة من يريد صلاحاً
إنِّي لأحسب قولَه وفِعالَه ... يوماً وإن طال الزمان ذُباحا[3]
ليسفِّه الأشياخ ممن قد مضى ... مَنْ رامَ ذلك لا أصاب فلاحا

فقال عمرو: الكاذب مني ومنك أمرَّ الله عيشه، وأبكم لسانه[4]، وأكمه إنسانه[5]، قال فوالله ما مات حتى سقط فوه، وعمي، وخرف[6]، وكان لا يجد طعم الطَّعام.

﴿ قدوم عمرو مع من أسلم من قومه إلى النبي ﷺ وكتابه لهم ﴾

فخرج عمرو بمن أسلم من قومه حتى أتَوا النبي ﷺ فحيَّاهم ورحبَّ بهم، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته:

---

(١) خيار من أنتم منهْ: أي خيار العرب.
(٢) يخلف الرجل على امرأة أبيه: يتزوجها.
(٣) الذباح: وجع في الحلق.
(٤) أبكم لسانه: جعل أخرس.
(٥) أكمه إنسانه: جعله أعمى.
(٦) خرف: أي فسد عقله من الكبر.

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله العزيز، على لسان رسوله، بحقٍّ صادق وكتاب ناطق، مع عمرو بن مرة لجهينة ابن زيد: إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتِلاع الأودية وظهورها، على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها، على أن تؤدوا الخُمس، وتصلوا الخَمس، وفي الغنيمة والصريمة شاتان إذا اجتمعتا فإن فرقتا فشاة شاة. ليس على أهل المثيرة[1] صدقة، ولا على الواردة لبقة، والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين. كتاب قيس ابن شمّاس».

كذا في كنز العمال (٧/٦٤): وأخرجه أيضاً أبو نُعيم بطوله؛ كما في البداية (٢/٣٥١) والطبراني بطوله كما في المجمع (٨/٢٤٤).

دعوة عروة بن مسعود رضي الله عنه في ثقيف

﴿ إسلام عروة ودعوته لقومه إلى الإسلام وقتلهم إياه شهيداً ﴾

أخرج الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: لما أنشأ النَّاس الحج سنة تسعٍ قدم عروة بن مسعود رضي الله عنه على رسول الله ﷺ مسلماً، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف أن يقتلوك»، قال لو وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى قومه مسلماً، فرجع عشاء فجاء ثقيف يحيُّونه، فدعاهم إلى الإسلام، فاتَّهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه. فقال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ عروة مَثَلُ صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله فقتلوه» قال الهيثمي (٩/٣٨٦): رواه الطبراني، وروي عن الزهري نحوه وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن وأخرجه الحاكم (٣/٦١٦) بمعناه.

﴿ فرح عروة بقتله في سبيل الله ووصيته لقومه ﴾

وأخرجه ابن سعد (٥/٣٦٩) عن الواقدي عن عبدالله بن يحيى عن غير واحد من أهل العلم، فذكره مطوّلاً وفيه: فقدم الطائف عشاء، فدخل

---

(١) المثيرة: البقرة التي تثير الأرض.

منزله، فأتته ثقيف تسلِّم عليه بتحية الجاهلية فأنكرها عليهم وقال: عليكم بتحية أهل الجنَّة: السلام، فآذَوه، ونالوا منه، فحلم عنهم وخرجوا من عنده، فجعلوا يأتمرون به، وطلع الفجر فأوفى[1] على غرفة له، فأذَّن بالصلاة. فخرجت إليه ثقيف من كل ناحية، فرماه رجل من بني مالك يقال له: أوس بن عوف فأصاب أكحَلَه ولم يَرْقَ[2] دمه. فقام غَيْلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل، والحكم بن عمرو ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وحشدوا، وقالوا: نموت عن آخرنا أو نثأر به عشرة من رؤساء بني مالك. فلما رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال: لا تقتتلوا فيَّ قد تصدَّقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم، فهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ﷺ، لقد أخبرني بهذا أنَّكم تقتلوني ثم دعا رهطه فقال: إذا متُّ فادفنوني مع الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فمات فدفنوه معهم. وبلغ النبي ﷺ مقتله فقال: مثل عروة... فذكره؛ وقد تقدَّمت قصة إسلام ثقيف في ـ قصصه ﷺ في الأخلاق والأعمال المفضية إلى هداية الناس (ص ١٨٣).

دعوة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه في قومه

﴿ قدوم طفيل بن عمرو مكة وخبره مع قريش ﴾

أخرج أبو نُعيم في الدلائل (ص ٧٨) عن محمد بن إسحاق قال: كان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذِّرونه النَّاس ومن قدم عليهم من العرب، وكان طُفيل بن عمرو الدَّوْسي يحدِّث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش ـ وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ـ فقالوا له: يا طُفيل، إنَّك قدمتَ بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا[3]، فرّق جماعتنا، وإنّما قوله كالسحر، يفرِّق بين المرء وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نخشى

(١) أوفى: طلع.
(٢) لم يرق: لم ينقطع.
(٣) أعضل بنا: جعل أمرنا يشتد ويستغلق.

عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلِّمْه ولاتسمع منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلِّمه، حتى حشوت أذنيَّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[١] فَرَقاً من أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

﴿ إسلام طفيل بن عمرو ﴾

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت قريباً منه، فأبى الله إلاَّ أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال فقلت في نفسي: واثُكلَ أمِّي، إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتَّبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنَّ قومك قالوا لي كذا وكذا ـ للذي قالوا لي ـ فوالله ما بَرحوا يخوِّفونني أمرك حتى سددتُ أذنيَّ بكُرسُفٍ لئلا أسمعَ قولك، ثم أبى الله إلاَّ أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً، فاعرضْ عليَّ أمرك. فعرض عليَّ الإسلام، وتلا علي القرآن. قال: **فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن، ولا أمراً أعدل منه**. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إنِّي امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله لي أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. قال فقال: «اللهمَّ اجعل له آية».

﴿ رجوع طفيل إلى قومه داعياً لهم إلى الإسلام وتأييد الله له بآية ﴾

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثَنِيَّة[٢] تُطلعني على الحاضر وقع نور بين عينيَّ مثل المصباح، قال: فقلت: اللَّهمَّ في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنُّوا أنَّها مُثْلَة[٣] وقعت في وجهي لفراق دينهم. قال: فتحوَّل

---

(١) الكرسف: القطن.
(٢) الثنيَّة: الفرجة بين الجبلين.
(٣) مثلة: عقوبة وتنكيل.

فوقع في رأس سَوْطي، فجعل الحاضر يتراؤون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلّق وأنا هابط إليهم من الثَنِيَّة، حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

﴿ دعوة طفيل لأبيه وصاحبته وإسلامهما ﴾

فلما نزلت أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ قال: فقلت: إليكَ عنّي يا أبت، فلستَ منّي ولستُ منك. قال: ولمَ أيْ بُني؟ قال قلت: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ، قال أبي: ديني دينك، فاغتسل وطهَّر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم. قال ثم أتتني صاحبتي فقلت لها: إليك عني فلستُ منك ولستِ منّي، قالت: لِمَ بأبي أنت وأُمي؟ قال قلت: فرَّق بيني وبينك الإسلام، فأسلمتْ، ودعوت دَوْساً إلى الإسلام فأبطأوا عليَّ.

﴿ دعاؤه عليه السلام لدَوْس وإسلامهم وقدومهم مع طفيل إلى النبي ﷺ ﴾

ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة، فقلت: يا نبي الله، إنَّه قد غلبني دَوْسٌ فادع الله عليهم فقال: «اللَّهم اهدِ دَوْساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». قال: فرجعت فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقضى بدراً وأُحداً والخندق. ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس. وذكره في البداية (٣/١٠٠) عن ابن إسحاق مع زيادة يسيرة.

قال في الإصابة (٢/٢٢٥): ذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد؛ وروى في نسخة من المغازي من طريق صالح بن كَيْسانُ عن الطفيل ابن عمرو في قصة إسلامه خبراً طويلاً. وأخرجه ابن سعد (٤/٢٣٧) أيضاً مطوَّلاً من وجه آخر، وكذلك الأموي عن ابن الكلبي بإسناد آخر. انتهى مختصراً. وقد ساق ابن عبد البرِّ في الاستيعاب (٢/٢٣٢) طريق الأموي عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن الطُفيل بن عمرو، فذكر قصّة إسلامه ودعوته لأبيه وزوجته وقومه وقدومه مكة بمعنى ما تقدّم، وزاد بعده: بعثه لتحريق صنم «ذي الكفَّين» ثم خروجه إلى اليمامة وما وقع له من الرؤيا

في ذلك وقتله يوم اليمامة شهيداً. قال: في الإصابة وذكر أبو الفرج الأصبهاني من طريق ابن الكلبي أيضاً أنَّ الطفيل لما قدم مكة ذكر له ناس من قريش أمر النبي ﷺ وسألوه أن يختبر حاله، فأتاه فأنشده من شعره، فتلا النبي ﷺ الإخلاص والمعوّذتين، فأسلم في الحال، وعاد إلى قومه، وذكر قصة سَوْطه ونُوره. قال: فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه، ولم تسلم أمه، ودعا قومه فأجابه أبو هريرة رضي الله عنه وحده. ثم أتى النبي ﷺ فقال: هل لك في حِصْن حصين ومَنَعة؟ يعني أرض دَوْس. قال: ولما دعا النبي ﷺ لهم قال له الطفيل: ما كنت أحبُّ هذا، فقال: «إنَّ فيهم مثلك كثيراً». قال وكان جندب بن عمرو بن حممة بن عوف الدَّوْسي يقول في الجاهلية: **إنَّ للخلق خالقاً لكني لا أدري من هو؟** فلما سمع بخبر النبي ﷺ خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: فكان جندب يقدِّمهم رجلاً رجلاً - انتهى. وقد تقدَّمت دعوة علي رضي الله عنه في قبيلة هَمْدان (ص ١٢١)، ودعوة خالد بن الوليد رضي الله عنه في بني الحارث ابن كعب (ص ١٢١)، ودعوة أبي أُمامة رضي الله عنه في قومه (ص ١١٧).

إرسال الصحابة الأفراد والجماعة للدعوة

﴿ بعث هشام بن العاص وغيره إلى هرقل ﴾

أخرج البيهقي في الدلائل عن أبي أُمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي رضي الله عنهما قال: بُعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل - صاحب الروم - بدعوة إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة - يعني: دمشق - فنزلنا على جَبَلَة بن الأيهم الغساني، فدخلنا عليه، فإذا هو على سرير له. فأرسل إلينا برسول نكلِّمه، فقلنا: واللهِ لا نكلِّم رسولاً، وإنما بُعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلَّمناه، وإلا لم نكلِّم الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك. قال: فأذن لنا فقال: تكلَّموا، فكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سود. فقال له هشام: وما هذه التي عليك؟ فقال: **لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام.** قلنا: **ومجلسك هذا فوالله لنأخذنَّه منك ولنأخذنَّ ملك الملك الأعظم إن شاء الله أخبرنا بذلك**

نبينا محمد ﷺ. قال: لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل[1] ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي في باب التأييدات الغيبية. وأخرجه الحاكم أيضاً بطوله كما في التفسير لابن كثير (٢/٢٥١) بنحوه.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ٩) عن موسى بن عُقبة القرشي: أن هشام بن العاص، ونُعيم بن عبدالله، ورجلاً آخر قد سمَّاه، بُعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر رضي الله عنه، قال: فدخلنا على جَبَلَة بن الأيهم وهو بالغوطة، فإذا عليه ثياب سود، وإذا كل شيء حوله أسود، فقال: يا هشام كلِّمْه، فكلَّمه ودعاه إلى الله تعالى ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي.

إرسال الصحابة الكتب للدعوة إلى الله والدخول في الإسلام.

﴿ كتاب زياد بن الحارث الصُّدَائي إلى قومه ﴾

أخرج البيهقي عن زياد بن الحارث الصُّدائي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام، فأُخبرت أنَّه قدْ بعث جيشاً إلى قومي، فقلت: يا رسول الله، اردُدِ الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. فقال لي: «اذهب فردَّهم» فقلت: يا رسول الله، إنَّ راحلتي قد كلَّت، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فردَّهم. قال الصُّدائي: وكتبت إليهم كتاباً فقدم وفدهم بإسلامهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أخا صُداء، إنَّك لَمُطاع في قومك فقلت: **بل الله هداهم للإسلام**. فقال: «أفَلاَ أُؤمرك عليهم؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: فكتب لي كتاباً أمَّرني. فقلت: يا رسول الله، مُرْ لي بشيء من صدقاتهم. قال: «نعم» فكتب لي كتاباً آخر.

قال الصُّدائي ـ وكان ذلك في بعض أسفاره ـ فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم ويقولون: أَخَذَنا بشيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «أوَفعل ذلك؟» قالوا: نعم. فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأنا فيهم فقال: «لا خير في الإمارة لرجل

---

(١) هذه صفات من يستحقون النصر، إنهم القوم الذي يجمعون بين العبادة والجهاد، قال تعالى: «الذين إن مكنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور».

مؤمن»[١]. قال الصُّدائي: فدخل قوله في نفسي. ثم أتاه آخر فقال يا رسول الله، أعطني. فقال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس عنْ ظهر غِنىً فصُداع[٢] في الرأس وداء في البطن». فقال السائل: أعطني من الصدقة. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لم يرضَ في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى حكم هو فيها، فجزَّأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك». قال الصُّدائي فدخل ذلك في نفسي أنِّي غني وأني سألته من الصدقة ـ فذكر الحديث، وفيه: فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة أتيته بالكتابين فقلت: يا رسول الله اعفني من هذين، فقال: «ما بدا لك»، فقلت سمعتك يا رسول الله تقول: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن» وأنا أؤمن بالله وبرسوله: وسمعتك تقول للسائل: «من سأل الناس عن ظهر غنىً فهو صُداع في الرأس وداء في البطن»؛ وسألتك وأنا غني فقال: «هو ذاك، فإن شئت فاقبل وإن شئت فدَعْ». فقلت: أَدَعُ. فقال لي رسول الله ﷺ «فدُلَّني على رجل أؤمره عليكم»، فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأمَّره عليهم. كذا في البداية (٥/٨٣)، وأخرجه أيضاً بطوله البغوي وابن عساكر؛ وقال: هذا حديث حسن؛ كما في الكنز (٧/٣٨).

وأخرجه أحمد أيضاً بطوله، كما في الإصابة (١/٥٥٧)، وأخرجه الطبراني أيضاً بطوله. قال الهيثمي (٥/٢٠٤): وفيه عبد الرحمن بن زياد ابن أنْعم وهو ضعيف، وقد وثَّقه أحمد بن صالح ورد على من تكلَّم فيه وبقية رجاله ثقات.

﴿ كتاب بُجَيرِ بن زهير بن أبي سُلمى رضي الله عنه إلى أخيه كعب ﴾

أخرج الحاكم (٣/٥٧٩) عن إبراهيم بن المنذر الحِزامي، عن الحجَّاج ابن ذي الرُّقَيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى المُزَني، عن

---

(١) إن الرسول عليه السلام لا يستحب الإمارة للمؤمن الذي يخاف على نفسه أن تفتنه عن العدل والأمانة، وإلاَّ فعلى الذي يقوى عليها أن يتولاها.

(٢) الصداع: وجع الرأس.

أبيه عن جدّه قال: خرج كعب وبُجَير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزّاف[١]. فقال بجَير لكعب: اثبت في عجل هذا المكان[٢] حتى آتي هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فأسمعَ ما يقول. فثبت كعب وخرج بُجَير فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعباً فقال:

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً ... على أيِّ شيء وَيْب[٣] غيرك دلَّكا
على خُلُقٍ لم تُلفِ أماً ولا أبا ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكر بكأس روية ... وأنهلك[٤] المأمون منها وعلَّكا[٥]

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه فقال: «من لقي كعباً فليقتلْه». فكتب بذلك بُجَير إلى أخيه يذكر له أنْ رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له: النجاءَ وما أراك تُفلت.

ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك. فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقْبِل. فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ. ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم متحلِّقون معه حلقة دون حلقة، يلتفت إلى هؤلاء مرَّة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم. قال كعب: فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بصفة[٦]، فتخطَّيت حتى جلست إليه فأسلمت فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله، الأمانَ يا رسول الله. قال: «ومن أنت»: قلت: أنا كعب بن زهير قال:

---

(١) أبرق العزاف: بتشديد الزاي ماء بني أسد - كما في القاموس.
(٢) كذا في الأصل. وفي الإصابة أثبت في غنمنا هذا.
(٣) ويب: بمعنى ويل. يقال ويبك وويب زيد كما تقول ويلك، وهو منصوب على المصدر، فإن جئت باللام رفعت فقلت ويب لزيد ونصبت منوناً فقلت ويباً لزيد.
(٤) النَّهَل: الشرب الأول.
(٥) العَلَل: الشرب الثاني.
(٦) الأصح: بالصفة، كما في الإصابة.

«أنت الذي تقول» ثم التفت إلى أبي بكر، فقال: «كيف قال يا أبا بكر؟» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

سقاك أبو بكر بكأس رويّة ... وأنهلك المأمور منها وعلّكا

قال: يا رسول الله، ما قلت هكذا. قال: «وكيف قلت»؟ قال: إنما قلت:

سقاك أبو بكر بكأس روية ... وأنهلك المأمون منها وعلّكا

فقال رسول الله ﷺ: «مأمون والله» ثم أنشده القصيدة كلّها حتى أتى على آخرها - فذكر القصيدة.

وأخرج الحاكم أيضاً (٣/٥٨٢) عن إبراهيم بن المنذر عن محمد ابن فليح عن موسى بن عقبة قال: أنشد النبيَ ﷺ كعبُ بن زهير «بانت سعاد» في مسجده بالمدينة. فلما بلغ قوله:

إنَّ الرسول لَسَيْفٌ يُستضاء به ... وصارم من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زُولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليسمعوا منه. قال وقد كان بُجَير ابن زهير كتب إلى أخيه كعب بن زهير بن أبي سلمى يخوِّفه ويدعوه إلى الإسلام وقال فيها أبياتاً:

من مبلغٌ كعباً؟ فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلاً؟ وهي أحزم

إلى الله لا العزّى ولا اللاّت وحدَه ... فتنجو إذا كان النَّجاء وتسلم

لدى يومِ لاينجو وليس بمفلتٍ ... من النار إلاَّ طاهرُ القلب مسلم

فدين زهيرٍ وهو لا شيء باطلٌ ... ودين أبي سُلمى عليَّ محرّم

قال الحاكم (٣/٥٨٣) هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم ابن المنذر الحزامي. فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، وحديث الحجاج بن ذي الرقيبة فإنما صحيحان، وقد ذكرهما محمد بن إسحاق القرشي في المغازي مختصراً - فذكره بإسناده إلى ابن إسحاق.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن ابن إسحاق، قال الهيثمي (٩/٣٩٤): ورجاله إلى ابن إسحاق ثقات. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في

الآحاد والمثاني عن يحيى بن عمرو بن جريج عن إبراهيم بن المنذر عن الحجَّاج - فذكره بمعنى ما تقدم - كما في الإصابة (٣/٣٩٥). وأخرجه أيضاً البيهقي عن ابن المنذر بإسناده مثله؛ كما في البداية (٤/٣٧٢).

﴿ كتاب خالد بن الوليد إلى أهل فارس ﴾

أخرج الطبراني عن أبي وائل رضي الله عنه قال: كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران وملأ فارس، سلام على من اتَّبع الهدى. أما بعد: فإنَّا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية[1] عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبُّون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخمر. والسلام على من اتبع الهدى».

قال الهيثمي (٥/٣١٠): رواه الطبراني وإسناده حسن أو صحيح. انتهى.

﴿كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن ﴾

وأخرجه الحاكم أيضاً في المستدرك (٣/٢٩٩) عن أبي وائل بنحوه؛ وأخرج ابن جرير (٢/٥٥٣) عن مجالد عن الشعبي قال: أقرأني بنو بُقَيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن:

«من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس. سلام على من اتَّبع الهدى. أما بعد: فالحمد لله الذي فَضَّ خَدَمَتكم[2]، وسلب ملككم، ووهَّن كيدكم، وإنه من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا. أما بعد: فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلي بالرُّهُن[3]، واعتقدوا مني الذمَّة[4]، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة».

---

(١) تؤخذ الجزية من المجوس، وقد أخذها رسول الله ﷺ من مجوس (هَجَر) وقال: سُنُّو بهم سنة أهل الكتاب.

(٢) فضَّ خَدَمَتَكم: فرَّق جماعتكم. (٣) الرهن: الرهائن. (٤) الذمة: العهد.

فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون وذلك سنة اثنتي عشرة.

﴿ كتاب خالد بن الوليد إلى هُرْمز ﴾

وأخرج ابن جرير في تاريخه أيضاً (٢/٥٥٤) عن المجالد عن الشَّعْبي قال: كتب خالد رضي الله عنه إلى هُرْمز قبل خروجه مع أزاذِبَة أبي الزياذبة الذين باليمامة، وهرمز صاحب الثغر يومئذ:

«أما بعد: فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلاَّ فلا تلومنَّ إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».

وذكر ابن جرير أيضاً (٢/٥٧١) بإسناده أنَّ خالداً لما غلب على أحد جانبي السَّواد[١] دعا من أهل الحيرة برجل، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمدائن مختلفون متساندون[٢] لموت أردشير؛ إلا أنَّهم قد أنزلوا بَهْمَن جاذَوَيه ببَهُرسِير وكأنه على المقدمة، ومع بَهْمن جاذويه الأزاذبة في أشباه له، ودعا صلوبا برجل وكتب معهما بكتابين: فأما أحدهما فإلى الخاصة، وأما الآخر فإلى العامة، أحدهما حِيرِي والآخر نَبَطي. ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة: ما اسمك؟ قال: مُرَّة. قال خذ الكتاب فأتِ به أهل فارس لعل الله أن يُمرَّ عليهم عيشهم أو يسلموا أو يُنيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هِزْقيل. قال: فخذ الكتاب، وقال: اللَّهمَّ أزهق نفوسهم. قال ابن جرير: والكتابان:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس.

أما بعد: فالحمد لله الذي حلَّ نظامكم، ووهَّن كيدكم، وفرَّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرّاً لكم، فادخلوا في أمرنا نَدَعْكم وأرضكم ونجوزكم[٣] إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَب، على أيدي قوم يحبّون الموت كما تحبون الحياة».

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازبة[٤]

(١) السواد: كل العراق ما عدا القسم الجبلي، وسُمي بذلك لأنه يرى من بعيد أسود لخضرته.
(٢) متساندون: متعاونون كان كل واحد منهم يستند على الآخر ويستعين به.
(٣) الصواب: نجزكم.
(٤) مرازبة: جمع مرزبان، وهو الرئيس عند الفرس.

فارس. أما بعد: فأسلموا تسلموا، وإلا فاعتقدوا مني الذمّة، وأدُّوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون شرب الخمر. انتهى».

دعوة الصحابة رضي الله عنهم في القتال في عهد النبي ﷺ

﴿ دعوة الحارث بن مسلم التميمي ﴾

أخرج الحسن بن سفيان وأبو نُعَيم عن عبد الرحمن بن حسان الكِتَّاني: حدثني مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي، أنَّ أباه حدَّثه: أنَّ رسول الله ﷺ أرسلهم في سريَّة. قال: فلما بلغنا المُغار[1] استحثثتُ فرسي، وتبعت أصحابي، واستقبلنا الحيَّ بالرنين. فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تُحرِزوا، فقالوها. وجاء أصحابي فلاموني وقالوا: حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت في أيدينا!! فلما قفلنا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاني فحسَّن ما صنعت، وقال: «أمَا إنَّ الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا». قال عبد الرحمن: فأنا سبب ذلك، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «أما إنِّي سأكتب لك كتاباً وأوصي بك من يكون بعدي من أئمة المسلمين» ففعل وختم عليه ودفعه إليَّ وقال لي: «إذا صلَّيت الغَداة فقل قبل أن تكلِّم أحداً: اللَّهمَّ أجرني من النار سبع مرات، فإنك إن متَّ من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النار، وإذا صلَّيت المغرب فقل قبل أن تكلِّم أحداً: اللهمَّ أجرني من النار سبع مرات، فإنك إن متَّ من ليلتك كتب الله لك جواراً من النَّار».

فلما قبض الله رسوله ﷺ أتيت أبا بكر رضي الله عنه ففضَّه فقرأه وأمر لي وختم عليه. ثم أتيت به عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك. ثم أتيت عثمان رضي الله عنه ففعل مثل ذلك. قال مسلم بن الحارث فتوفي الحارث في خلافة عثمان رضي الله عنه، فكان الكتاب عندنا حتى ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكتب إلى عامل قِبَلنا أنْ أشْخِص لي مسلم ابن الحارث بن مسلم التميمي بكتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لأبيه. فشخصت

---

(١) المُغار: بالضم موضع الغارة.

به إليه فقرأه وأمر لي وختم عليه؛ كذا في كنز العمال (٢٨/٧)؛ والمنتخب (١٦٢/٤).

﴿ دعوة كعب بن عمير الغفاري ﴾

وأخرج الواقدي عن محمد بن عبدالله الزُّهْري قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمير الغِفاري رضي الله عنه في خمسةَ عشرَ رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطْلاح من الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدَعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل. فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا، فارْتُثَّ[1] منهم رجل جريح في القتلى، فلما أن بَرَد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فهمَّ بالبَعْثة إليهم، فبلغه أنَّهم ساروا إلى موضع آخر. كذا في البداية (٢٤١/٤).

وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٢٧/٢) عن الواقدي عن محمد ابن عبدالله عن الزهري بمثله، وهكذا ذكره ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر وأن كعب بن عمير قتل يومئذ، وذكره أيضاً موسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة؛ كما في الإصابة (٣٠١/٣) وقال ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة أنَّ قصته كانت في ربيع الأول سنة ثمان.

﴿ دعوة ابن أبي العوجاء ﴾

وأخرج البيهقي من طريق الواقدي عن محمد بن عبدالله بن مسلم عن الزُّهري قال: لَّما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضيَّة رجع في ذي الحِجَّة من سنة سبع، فبعث ابن أبي العَوْجاء السُّلَمي رضي الله عنه في خمسين فارساً، فخرج العين[2] إلى قومه فحذَّرهم وأخبرهم، فجمعوا جمعاً كثيراً، وجاءهم ابن أبي العَوْجاء والقوم مُعِدُّون. فلما أن رأوهم أصحاب[3] رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعَوْهم إلى الإسلام، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم، وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه فرمَوهم ساعة، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا[4] بهم من كل جانب؛ فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى

(١) الرثيث: الجريح فيه رَمَق.
(٢) العين: الجاسوس.
(٣) على لغة أكلوني البراغيث.
(٤) أحدقوا: أحاطوا.

قَتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العَوْجاء بجراحات كثيرة، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان. كذا في البداية (٤/٢٣٥)؛ وذكره ابن سعد في الطبقات (٢/١٢٣) بمثله بلا إسناد.

دعوة الصحابة إلى الله ورسوله في القتال في عهد أبي بكر، ووصـية أبي بكر الأمراء بذلك

﴿ أمر أبي بكر أمراءه بالدعوة حين بعث الجنود نحو الشام ﴾

أخرج البيهقي (٩/٨٥) وابن عساكر عن سعيد بن المسيِّب: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام أمَّر يزيد بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص وشرحبيل بن حسنة، ولمَّا ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودِّعهم حتى بلغ ثَنِيَّة الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن ركبان؟! فقال: إني أحتسب خطاي[1] هذه في سبيل الله. ثم جعل يوصيهم فقال:

«أوصيكم بتقوى الله، اغزُوا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، فإنَّ الله ناصرٌ دينَه، ولا تَغُلُّوا[2]، ولا تغدِروا، ولا تجبنوا، ولا تُفسدوا في الأرض، ولا تعصـوا ما تؤمرون. فإذا لقيتم العدو من المشركين ـ إن شاء الله ـ فادعوهم إلى ثلاث؛ فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم: ادعوهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم. ثم ادعوهم إلى التحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم مـا على المهاجرين، وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين، فأخبروهم أنَّهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين، وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا أن يدخلوا في الإسلام

(١) خطاي: جمع خطوة بالضم وهي بعد ما بين القدمين في المشي والمراد بها الأقدام.
(٢) الغلول: السرقة من الغنيمة.

فادعوهم إلى الجزية، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم، وإن هم أبَوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله. ولا تُعرقُنَّ[1] نخلاً، ولا تحرقُنَّها، ولا تعقروا البهيمة ولا شجرة ثمر، ولاتهدموا بِيْعة[2]، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء. وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً[3]، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله». كذا في كنز العمال (٢/ ٢٩٥).

وأخرجه مالك وعبد الرزاق والبيهقي وابن أبي شيبة عن يحيى ابن سعيد، والبيهقي عن صالح بن كَيْسان، وابن زَنْجويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مختصراً. كما في الكنز (٢/ ٢٩٥ و ٢٩٦).

﴿ أمر أبي بكر خالداً حين بعثه إلى المرتدين ﴾

وأخرج البيهقي (٨/ ٢٠١) عن عروة أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أمر خالد بن الوليد رضي الله عنه حين بعثه إلى من ارتدَّ من العرب أن يدعوهم بدعاية الإسلام، ويبينهم بالذي لهم فيه وعليهم، ويحرص على هُداهم، فمن أجابه من النَّاس كلِّهم أحمرهم وأسودهم كان يقبل ذلك منه، بأنه إنما يقاتل من كفر بالله على الإيمان بالله، فإذا أُجاب المدعو إلى الإسلام وصدق إيمانه لم يكن عليه سبيل وكان الله هو حسيبه، ومن لم يجبه إلى ما دعاه إليه من الإسلام ممَّن يرجع عنه أن يقتله. كذا في الكنز (٣/ ١٤٣).

﴿ دعوة خالد بن الوليد لأهل الحيرة ﴾

وأخرج ابن جرير الطبري (٢/ ٥٥١) عن ابن حُمَيد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن صالح بن كيسان: أنَّ خالداً نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حيَّة الطائي ـ وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان ابن

---

(١) عرق: قطع، والمحفوظ: ولا تعقرنَّ: ومعناها أيضاً لا تقطعنَّ.
(٢) البيعة: المعبد للنصارى واليهود.
(٣) أي حلقوا وسط رؤوسهم وكأنهم اتخذوا ذلك شعاراً.

المنذر ـ فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية **فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة**؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية. فصالحهم على تسعين ألف درهم.

وأخرجه البيهقي (٩/١٨٧) من طريق يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق وفيه: فقال خالد: أدعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله، وتُقيموا الصلاة، وتُؤتوا الزكاة، وتقرُّوا بأحكام المسلمين، على أنَّ لكم مثلَ ما لهم وعليكم مثل ما عليهم. فقال هانىء: وإن لم أشأ ذلك فَمَه[1]؟ قال: فإن أبيتم ذلك أديتم الجزية عن يدٍ. قال: فإن أبينا ذلك؟ قال: **فإن أبيتم ذلك وطئتكم بقوم الموت أحب إليهم من الحياة إليكم**. فقال هانىء: أجِّلنا ليلتنا هذه فننظر في أمرنا، قال: قد فعلت. فلما أصبح القوم غدا هانىء فقال: إنه قد أجمع أمرنا على أن نؤدِّي الجزية، فهلمَّ فلأْصالحك ـ فذكر القصة. وقال في البداية (٧/٩) أيضاً: لمَّا تقارب الناس يوم اليرموك تقدّم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار ابن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل ونادوا: إنَّما نريد أميركم لنجتمع به، فأُذن لهم للدخول على تذارق[2]، وإذا هو جالس في خيمة من حرير، فقال الصحابة: لا نستحلُّ دخولها. فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبُّوا، وتراضوا[3] على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوهم إلى الله عزّ وجلَّ فلم يتمَّ ذلك.

﴿ دعوة خالد للأمير الرومي جَرَجَة يوم اليرموك وقصة إسلامه ﴾

وذكر في البداية (٧/١٢) عن الواقدي وغيره قالوا: خرج جَرَجَة[4]

(١) فمه؟: فأي شيء يكون. (٢) هو أخو هرقل.

(٣) وفي البداية أيضاً: وتراضوا. قلت: الصحيح أن يقال: وتراوضوا: أي تجاذبوا الحديث. وإلا فالتراضي لم يتم كما هو ظاهر.

(٤) جَرَجَة: كذا ضبطه صاحب القاموس، وقال: «اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك».

ـ أحد الأمراء الكبار ـ من الصفّ ـ أي يوم اليرموك ـ واستدعَى خالد ابن الوليد، فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جَرَجَة: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تَكذبني، فإن الحرّ لا يكـذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله: هل أنزل الله على نبيِّكم سيفاً من السماء فأعطاكَه فلا تسلَّه على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا، قال: فبِمَ سُمِّيت سيف الله؟ قال: إنَّ الله بعث فينا نبيَّه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إنَّ بعضنا صدَّقه وتابعه وبعضنا كذَّبه وباعده، فكنت فيمن كذَّبه وباعده. ثم إنَّ الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه. فقال لي: «**أنت سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين**» ودعا لي بالنَّصر، فسُمِّيتُ سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جَرَجَة: يا خالد إلامَ تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عزّ وجلّ. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطِها قال: نُؤذِنُه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا!! قال جَرَجَة: فلِمَنْ دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذُّخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟! فقال خالد: إنَّا قبلنا هذا الأمر عَنْوة، وبايعنا نبينا وهو حيٌّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء يخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات؛ وحقٌّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع؛ وإنَّكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج؛ فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونيّة كان أفضل منّا. فقال جَرَجَة: باللهِ لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك، وإنَّ الله وليّ ما سألت عنه.

فعند ذلك قَلَبَ جَرَجَة الترس ومال مع خالد وقال: علّمني الإسلام. فمال به خالد إلى فسطاطه فشنّ عليه قِربةً من ماء ثم صلَّى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يَرَون أنَّها منه حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المُحامية عليهم عِكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام.

فركب خالد وجَرَجَة معه والروم خلال المسلمين، فتنادَى الناس وثابوا، وتراجعت الروم إلى مواقفهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجَرَجَة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلَّى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماءً، وأصيب جَرَجَة ـ رحمه الله ـ ولم يصلِّ لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما. انتهى.

وقال الحافظ في الإصابة (١/٢٦٠): ذكره ابن يونس الأزدي في فتوح الشام، ومن طريق أبي نُعَيم في الدلائل وقال: جرجير، وقال سَيْف بن عمر في الفتوح: جَرَجَة، وذكر أنه أسلم على يدي خالد بن الوليد واستشهد باليرموك؛ وذكر قصته أبو حذيفة إسحاق بن بشر في الفتوح أيضاً لكن لم يسمِّه. انتهى.

وذكر في البداية (٦/٣٤٥) عن خالد رضي الله عنه أنَّه قام في الناس خطيباً، فرغَّبهم في بلاد الأعاجم، وزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترَون ما ههنا من الأطعمات، وبالله لو لم يلزمْنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش ـ لكان رأيِّ أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونُولي الجوع والإقلال من تولَّاه ممن اثَّاقل عما أنتم عليه ـ انتهى. وأسنده ابن جرير في تاريخه (٢/٥٥٩) من طريق سَيْف عن محمد بن أبي عثمان بنحوه.

دعوة الصحابة إلى الله ورسوله في القتال في عهد عمر رضي الله عنه ووصيته الأمراء بذلك

﴿ كتاب عمر إلى سعد لدعوة الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام ﴾

أخرج أبو عُبَيْد عن يزيدَ بن أبي حبيب قال: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما: أني قد كنت كتبت إليك أن تدعو الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام، فمن استجاب لك قبل القتال فهو رجل من

المسلمين، له ما للمسلمين وله سهم[١] في الإسلام، ومن استجاب لك بعد القتال أو بعد الهزيمة فمالُه فيء للمسلمين لأنَّهم كانوا قد أحرزوه قبل إسلامه. فهذا أمري وكتابي إليك؛ كذا في الكنز (٢/٢٩٧).

﴿ دعوة سلمان الفارسي يوم القصر الأبيض ثلاثة أيام ﴾

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/١٨٩) عن أبي البَختري: أنَّ جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، فحاصروا قصراً من قصور فارس، فقالوا: يا أبا عبدالله، ألاَ نَنْهد إليهم[٢]؟ قال: دعوني أدعوهم[٣] كما سمعت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال لهم: أنا رجل منكم فارسي أتَرَون العرب تطيعني، فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا، وإن أبيتم إلا دينَكم تركناكم عليه وأعطيتمونا الجزية عن يَدٍ وأنتم صاغرون ـ قال وَرَطَنَ[٤] إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين ـ وإن أبيتم نابذناكم على سواء. فقالوا: ما نحن بالذي نؤمن، وما نحن بالذي نعطي الجزية، ولكنا نقاتلكم. قالوا: يا أبا عبدالله، ألا ننهد إليهم؟ قال: لا، فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا. ثم قال: انهدوا إليهم فنهدوا إليهم. قال ففتحوا ذلك الحصن. وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك كما في نَصْب الراية (٣/٣٧٨) بمعناه وفيه: فلما كان في اليوم الرابع أمر الناس فغدَوا إليها ففتحوها. وأخرجه ابن أبي شيبة كما في الكنز (٢/٢٩٨). وأخرجه أيضاً ابن جرير (٤/١٧٣) عن أبي البَختري قال: كان رائدَ المسلمين سلمانُ الفارسي، وكان المسلمون قد جعلوه داعيةَ أهل فارس. قال عطية: وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بَهُرَسير[٥]، وأمَّروه يوم القصر الأبيض،

(١) له سهم: أي من الغنيمة.

(٢) ننهد إليهم: ننهض إليهم للقتال.

(٣) الصواب: أدعُهم.

(٤) الرطانة بفتح الراء وكسرها والتراطن: كلام لا يفهمه الجمهور، وإنما هو مواضعة بين اثنين أو جماعة، والعرب تخص بها كلام العجم.

(٥) بهرسير: بالفتح ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهملة وياء ساكنة وراء: موضع من نواحي سواد بغداد قرب المدائن وهي معرَّبة من ده أردشير أو به أردشير.

فدعاهم ثلاثاً ـ فذكر الحديث في دعوة سلمان رضي الله عنه بمعناه.

﴿ دعوة النعمان بن مقرِّن وأصحابه لرستم يوم القادسية ﴾

وذكر ابن كثير في البداية (٣٨/٧) أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعث جماعة من السادات منهم: النُّعمان بن مُقرِّن، وفُرَات بن حيَّان، وحنظلة بن الربيع التميمي، وعُطارد بن حاجب، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة. وعمرو بن معدِيكَرِب، رضي الله عنهم، يدعون رُستم إلى الله عز وجل. فقال لهم رُستم: ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا أخذَ بلادكم، وسبيَ نسائكم وأبنائكم، وأخذَ أموالكم، فنحن على يقين من ذلك. وقد رأى رُستم في منامه كأن مَلَكاً نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كلِّه، ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر رضي الله عنه.

﴿ دعوة المغيرة بن شعبة لرستم ﴾

وقال سيف[1] عن شيوخه: ولمَّا تواجه الجيشان بعث رُستم إلى سعد رضي الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه، فبعث إليه المغيرةَ ابن شعبة. فلما قدم إليه جعل رُستم يقول له: إنكم جيرانُنا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: **إنا ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة**، وقد بعث الله إلينا رسولاً، قال له: إنِّي قد سلطت هذه الطائفة على من لم يَدِن بديني، فأنا منتقم بهم منهم، **وأجعل لهم الغلبة ما داموا مُقرِّين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به إلا عزّ**. فقال له رُستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله. فقال: ما أحسن هذا!! وأي شيء أيضاً؟ قال: **وإخراج العباد من عبادة العباد إلى**

(١) سيف بن عمر التميمي: قال عنه ابن حجر في التقريب: «هو حجة في التاريخ» وينقل عنه الطبري.

عبادة الله، قال: وحَسَنٌ أيضاً. وأي شيء أيضاً؟ قال: والناس بنو آدم فهم أخوة لأب وأم. قال: وحسن أيضاً. ثم قال رُستم: أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: **إي والله، ثم لا نقرب بلادكم إلاَّ في تجارة أو حاجة**. قال: وحسن أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكرَ رستم رؤساء قومه في الإسلام، فأنفوا ذلك وأبَوا أن يدخلوا فيه، قبَّحهم الله وأخزاهم وقد فعل.

﴿ دعوة رِبْعي بن عامر لرستم ﴾

قالوا: ثم بعث إليه سعد رضي الله عنه رسولاً آخر بطلبه وهو رِبعي ابن عامر، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنَّمارق[١] المذهَّبة، والزَّرابي[٢] الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل رِبْعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبَها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحُه ودرعه وبيضتُه[٣] على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك فقال: إني لم آتِكم وإنّما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلاَّ رجعت. فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النَّمارق فخرَّق عامتها. فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: **الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سعَتَها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه؛ فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضيَ إلى موعود الله**، قالوا: وما موعودُ الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: لقد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحبُّ إليكم؟ يوماً أو يومين، قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

(١) النمارق: جمع نمرقة: وهي الوسادة.
(٢) الزرابي: جمع زَرْبِيَّة: الطنفسة، وقيل البساط ذو الخمل.
(٣) البيضة: الخوذة من حديد لوقاية الرأس.

فقال: ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخِّر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيِّدهم أنت؟ قال: **لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يُجير أدناهم على أعلاهم**. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: **هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟** فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب!! أما ترى إلى ثيابه؟! فقال: **ويلَكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفُّون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب**.

﴿ دعوة حذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة لرستم في اليوم الثاني والثالث ﴾

ثم بعثوا في اليوم الثاني رجلاً، فبعث إليهم حذيفة بن مِحصَن فتكلم نحو ما قال رِبعي، وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فتكلم بكلام حسن طويل، قال فيه رُستم للمغيرة: إنَّما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل، فقال: من يوصلني إليه وله درهمان؟ فلما سقط عليه غرق فيه، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده، وجعل يقول من يخلِّصني وله أربعة دراهم؟! ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جُحْراً في كرم، فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه، فلما سمِن أفسد شيئاً كثيراً، فجاء بخشبة[1] واستعان عليه بغلمانه، فذهب ليخرج فلم يستطع لِسَمْنه فضربه حتى قتله، فهكذا تخرجون من بلادنا. ثم استشاط[2] غضباً، وأقسم بالشمس[3] لأقتلنَّكم غداً. فقال المغيرة: ستعلم. ثم قال رستم للمغيرة: قد أمرت لكم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا. فقال المغيرة: أبعدَ أن أوهنَّا مُلْككم وضعَّفنا عزَّكم؟! ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رَغْمِكم!!. فلما قال ذلك استشاط غضباً ـ انتهى ما في البداية.

وأخرجه الطبري (٤/١٠٥) عن ابن الرُّفَيْل عن أبيه وعن أبي عثمان

(١) في الأصل: بجيشه وكذلك في البداية وهو تصحيف كلمة «خشبة» والصواب ما ذكرت، وكما في تاريخ الطبري (ج ٣ ص ٥٦٧) ط دار المعارف بمصر.

(٢) استشاط: التهب غيظاً. (٣) كان المجوس يؤلِّهون الشمس.

النَّهدي وغيرهما ـ فذكر دعوة زُهْرة والمغيرة ورِبْعي وحذيفة ـ رضي الله عنهم ـ بطوله بمعنى ما تقدم.

﴿ بعث سعد طائفة من أصحابه إلى كسرى للدعوة قبل الوقعة ﴾

وأخرج ابن جرير عن حسين بن عبد الرحمن قال: قال أبو وائل: جاء سعد رضي الله عنه حتى نزل القادسية ومعه الناس قال: لا أدري لعلَّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف والمشركون ثلاثون ألفاً ـ كذا في هذه الرواية؛ وذكر في البداية (٣٨/٧) عن سَيْف وغيره أنهم كانوا ثمانين ألفاً. وفي رواية: كان رُستم في مائة ألف وعشرين ألفاً يتبعها ثمانون ألفاً، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان لسابور[١] فهو أعظمها وأقدمها، وكانت الفيلة تألفه. انتهى؛ ونحو ذلك. فقالوا: لا يَدَ لكم ولا قوة ولا سلاح ما جاء بكم؟! ارجعوا. قال قلنا: ما نحن براجعين. فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون: «دُوك دُوك»[٢] ويشبهونها بالمغازل. فلمَّا أبينا عليهم أن نرجع قالوا: ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ما جاء بكم؟ فقال المغيرة ابن شعبة: أنا، فعبر إليهم فقعد مع رُستم على السرير، فنخروا وصاحوا. فقال: إنَّ هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم. فقال رستم: صدقتَ، ما جاء بكم؟ فقال: إنا كنا قوماً في شر وضلالة فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه، فكان فيما رزقنا حبَّةٌ تنبت في هذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا: لا صبر لنا عنها، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبّة[٣]. فقال رستم: إذاً نقتلكم. قال: إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار وأدَّيتم الجزية. قال: فلما قال وأدّيتم الجزية نخروا وصاحوا، وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم. فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم: بل نعبر إليكم. فاستأخر المسلمون حتى عبروا

(١) سابور: من الأكاسرة القدماء.

(٢) دوك: كلمة فارسية معناها مغزل، وكان الرُّفَيل ـ فارسي أسلم ـ يقول: كنا نشبِّه نبل العرب بالمغازل، فما زالت تلك المغازل بنا حتى أزالت ملكنا!!.

(٣) لعلَّها حبة القمح، وقد كان أكثر خبز العرب من الشعير، ولعل كلام المغيرة هذا سخرية، وإلا فما كانت غاية الفاتحين المجاهدين إلا نشر هداية الإسلام.

فحملوا عليهم فهزموهم؛ كذا في البداية (٧/ ٤٠). وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٥١) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن أبي وائل قال: شهدت القادسية فانطلق المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ـ فذكره مختصراً.

وأخرج الحاكم (٣/ ٤٥١) أيضاً عن معاوية بن قُرَّة رضي الله عنه قال: لما كان يوم القادسية بُعث بالمغيرة بن شعبة رضي الله عنه إلى صاحب فارس. فقال: ابعثوا معي عشرة. فبعثوا فشدَّ عليه ثيابه ثم أخذ حَجَفة[1] ثم انطلق حتى أتوه، فقال: ألقوا لي ترساً فجلس عليه، فقال العِلْج[2]: إنكم ـ معاشر العرب ـ قد عرفت الذي حملكم على المجيء إلينا، أنتم قوم لا تجدون في بلادكم من الطعام ما تشبعون منه، فخذوا نعطيكم[3] من الطعام حاجتكم، فإنَّا قوم مجوس وإنَّا نكره قتلكم، إنكم تنجِّسون علينا أرضنا. فقال المغيرة: والله ما ذاك جاء بنا، ولكنّا كنا قوماً نعبد الحجارة والأوثان، فإذا رأينا حجراً أحسن من حجر ألقيناه وأخذنا غيره، ولا نعرف ربّاً حتى بعث الله إلينا رسولاً من أنفسنا فدعانا إلى الإِسلام، فاتَّبعناه، ولم نجىء للطعام، إنَّا أُمرنا بقتال عدوّنا ممَّن ترك الإِسلام، ولم نجىء للطعام ولكنا جئنا لنقتل مقاتلتكم ونسبي ذراريكم. وأما ما ذكرت من الطعام فإنا لعمري ما نجد من الطعام ما نشبع منه، وربما لم نجد ريّاً من الماء أحياناً، فجئنا إلى أرضكم هذه فوجدنا فيها طعاماً كثيراً وماء كثيراً، فوالله لا نبرحها حتى تكون لنا أو لكم؛ فقال العِلْج بالفارسية: صدق. قال[4] وأنت تُفقأ عينك غداً ففقئت عينه من الغد، أصابته نُشَّابة[5] ـ غريب. قال الحاكم: صحيح الإِسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه الطبراني عن معاوية رضي الله عنه مثله. قال الهيثمي (٦/ ٢١٥): ورجاله رجال الصحيح.

وذكر في البداية (٧/ ٤١) عن سَيْف أنَّ سعداً رضي الله عنه كان قد

---

(١) الحجفة: الترس من جلد بلا خشب.
(٢) العلج: الرجل القوي الضخم، ويقال للرجل من كفار العجم.
(٣) الصحيح: نعطكم.
(٤) القائل هو رستم.
(٥) النشابة: السهم.

بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتُهم على عواتقهم[١]، وسياطهم بأيديهم، والنِّعال في أرجلهم، وخيولهم الضعيفة، وخبطِها الأرض بأرجلها؛ وجعلوا يتعجَّبون منها غاية العجب؛ كيف مثل هؤلاء يقهَرون جيوشهم مع كثرة عَدَدها وعُدَدها[٢]. ولما استأذنوا على الملك يَزْدَجِرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ـ وكان متكبِّراً قليل الأدب ـ ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها، عن الأردية والنِّعال والسِّياط. ثم كلَّما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل، فرد الله فأله على رأسه. ثم قال لهم: ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟! أظننتم أنّا لما تشاغلنا[٣] بأنفسنااجترأتم علينا؟ فقال له النعمان بن مقرن رضي الله عنه: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به، ويعرِّفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة. فلم يَدْعُ إلى ذلك قبيلة إلاَّ وصاروا فرقتين: فرقة تقاربه، وفرقة تباعده؛ ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث. ثم أُمر أن ينهد إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين: مكروه[٤] عليه فاغتبط، وطائع إياه فازداد؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين الإسلام، حسَّن الحَسَن وقبَّح القبيح كله. فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء[٥]، فإن أبيتم فالمناجزة[٦]. **وإن أجبتم إلى ديننا، خلَّفنا فيكم كتاب الله، وأَقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم**، وإن أتيتمونا بالجِزَى[٧] قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

(١) العواتق: جمع عاتق، ما بين المنكب والعنق.
(٢) العُدَد: جمع عدة بالضم ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح.
(٣) كثرت الانقلابات في بلاد فارس قبل أن يملِّكوا عليهم يزدجرد طيلة عشر سنوات، وملَّكوا عدة ملوك وملكات.
(٤) في الطبري: مكره، ولعله الأصوب.
(٥) الجزاء: الجزية كما في البداية.
(٦) المناجزة: المقاتلة.
(٧) الجِزَى: جمع جزية.

قال: فتكلم يزدجرد، فقال: إنِّي لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بَيْن منكم؛ وقد كنَّا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثر فلا يغرَّنكم منا، وإن كان الجَهْد[١] دعاكم؛ فرضنا لكم قوتاً إلى خِصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملَّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم. فأسكت القوم، فقام المغيرة بن شعبة[٢] رضي الله عنه فقال: أيها الملك؛ إنَّ هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشرافٌ يستحيُون من الأشراف، وإنما يكرم الأشرافَ الأشرافُ، ويعظِّم حقوق الأشرافِ الأشرافُ، وليس كل ما أُرسلوا له جمعوه لك، ولا كل ما تكلَّمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلَّا ذلك فجاوبني، فأكون أنا الذي أبلِّغك ويشهدون على ذلك. إنَّك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً. فأمَّا ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكل الخنافس[٣] والجِعلان[٤]، والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم؛ **ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يبغي بعضنا على بعض**، وإنْ كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حيّة كراهية أن تأكل من طعامه. وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك. فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته خير بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو نفسه كان خيرَنا في الحال التي كان فيها أصدَقَنا وأحلَمنا. فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من تِرْبٍ كان له وكان الخليفة من بعده[٥]. فقال

(١) الجهد: ضيق العيش.

(٢) في الطبري: إن الذي تكلم هذا الكلام هو المغيرة بن زُرارة بن النبّاش الأسَيْديُّ وليس المغيرة ابن شعبة.

(٣) الخنافس: جمع الخنفساء: دُوَيبة سوداء أصغر من الجُعْل كريهة الرائحة.

(٤) الجعلان: جمع الجعل بالضم: ضرب من الخنافس.

(٥) كانت هذه العبارة «فلم يجبه أحد أول ترب كان له الخليفة من بعده» والصحيح ما ذكرت نقلاً عن الطبري (ج ٣ ص ٥٠٠) ط دار المعارف بمصر.

وقلنا، وصدَّق وكذَّبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه؛ فصار فيما بيننا وبين رب العالمين. فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله. فقال لنا إنَّ ربَّكم يقول: أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء، وكلُّ شيء هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كلَّ شيء، وإليَّ يصير كلُّ شيء، وإنَّ رحمتي أدركتكم. فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلَّكم على السبيل التي أُنجيكم بها بعد الموت من عذابي، ولأحلَّكم داري دار السلام. فنشهد عليه أنَّه جاء بالحق من عند الحق. وقال: من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبَى فاعرضوا عليه الجِزْية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه؛ فأنا الحكم بينكم، فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه؛ فاختر إن شئت الجِزْية وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك.

فقال يزدجرد: أتستقبلني بمثل هذا؟! فقال: ما استقبلت إلاَّ من كلمني، ولوكلمني غيرك لم أستقبلك به. فقال: لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي، وقال: ائتوني بوِقْر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن. ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنِّي مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكِّل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ مما نالكم من سابور[١].

ثم قال: من أشرفكم؟ فسكت القوم، فقال: عاصم بن عمرو رضي الله عنه: وافتات[٢] ليأخذ التراب، أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحمِّلْنيه. فقال: أكذلك؟ قالوا: نعم. فحمله على عنقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها، ثم انجذب في السير ليأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمرَّ بباب قُدَيْس[٣] فطواه[٤]، وقال: بشِّروا الأمير بالظَّفَر، ظفرنا إن شاء الله تعالى. ثم

(١) هو سابور ذو الأكتاف الذي كان يعذب العرب وينزع أكتافهم.
(٢) افتات: استبد.
(٣) قديس: قصر في القادسية.
(٤) طواه: تركه وراءه.

مضى حتى جعل التراب في الحَجَر[١]، ثم رجع فدخل على سعد رضي الله عنه فأخبره الخبر. فقال: أبشروا فقد ـ والله ـ أعطانا الله أقاليد[٢] مُلْكِهم؛ وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم. انتهى. وأخرجه ابن جرير الطبري (٩٤/٤) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشَّعْبي بمثله.

﴿ دعوة عبدالله بن المُعْتَم لبني تغلب وغيرهم يوم تكريت ﴾

وأخرج ابن جرير أيضاً (١٨٦/٤) من طريق سَيْف عن محمد وطلحة وغيرهما قالوا: لمَّا رأت الروم ـ أي يوم وقعة تكريت ـ أنهم لايخرجون خرجة إلَّا كانت عليهم ويُهزَمون في كل ما زاحفوهم؛ تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنَّمِر إلى عبدالله ابن المُعْتَم بالخبر، وسألوه للعرب السِلم، وأخبروه قد استجابوا له، فأرسل إليهم إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقروا بما جاء من عند الله، ثم أعلمونا رأيكم، فرجعوا إليهم بذلك، فردوهم إليه بالإسلام. فذكر القصة.

﴿ دعوة عمرو بن العاص في وقعة مصر ﴾

وأخرج ابن جرير (٢٢٧/٤) من طريق سيف عن أبي عثمان عن خالد وعبادةَ رضي الله عنهما، قالا: خرج عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة، حتى انتهى إلى باب ألْيُون[٣] وأتبعه الزبير فاجتمعا رضي الله عنهما، فلقيهم هنالك أبو مريم ـ جاثِليق[٤] مصر ـ ومعه الأسقُف في أهل النيّات[٥]، بعثه المقَوقِس لمنع بلادهم. فلمّا نزل بهم عمرو رضي الله عنه قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تُعجِّلونا لنُعذِر إليكم وتَروْن رأيكم بعد؛ فكَفُّوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو: إنِّي بارز فليبرز إليّ أبو مريم وأبو

(١) كانوا يسمون أرض العرب (الحَجَر) وأرض الفرس المَدَر: أي الطين.
(٢) أقاليد: جمع إقليد: المفتاح.
(٣) ألْيُون: بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء: اسم مدينة مصر قديماً.
(٤) الجاثليق: رئيس النصارى في بلاد الإسلام.
(٥) أهل النيات: الذين ينوون الحرب، وعن ابن كثير: أهل الثبات.

مريام، فأجابوه إلى ذلك، وآمن بعضهم بعضاً. فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا: إنَّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدّى إلينا كل الذي أُمر به. ثم مضى - صلوات الله عليه ورحمته - وقد قضى الذي عليه وتركنا على الواضحة. وكان مما أمرنا به الإعذارُ إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المَنعَة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم حفظاً لرَحِمنا فيكم[١]، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذِمةً إلى ذمة[٢]. ومما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيراً، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً، لأن لهم رَحِماً وذمة. فقالوا: **قرابة بعيدة لا يَصِلُ مثلَها إلا الأنبياء**، معروفة شريفة كانت ابنةَ ملكنا وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم؛ فأُديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا؛ فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام، مرحباً به وأهلاً، آمِنَّا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إنَّ مثلي لا يُخدع ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتُناظِرا قومكما، وإلا ناجزتكم. قالا: زِدْنا. فزادهم يوماً. فقالا: زِدْنا فزادهم يوماً. فرجعا إلى المقوقِس فهمَّ، فأبى أرطبون[٣] أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أمَّا نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشيء إلاَّ رجَونا أن يكون له أمان. فلم يفجأ عَمْراً والزبير إلاَّ البياتُ[٤] من فَرَقَبْ، وعمرو على عُدَّة، فلقوه فقتل ومن معه ثم ركبوا أكساءهم[٥]، وقصد عمرو والزبير رضي الله عنهما لعين شمس.

وأخرج الطبري أيضاً (٤/٢٢٨) عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: لمَّا نزل عمرو رضي الله عنه على القوم بعين شمس قال أهل مصر لملكهم: ما

---

(١) لرَحِمنا فيكم: كانت هاجر أم إسماعيل عليه السلام من الأقباط المصريين.

(٢) الذمة: العهد.

(٣) أرطبون: قائد رومي كان في فلسطين فهزمه عمرو فذهب إلى مصر.

(٤) البيات: الهجوم الليلي. (٥) أكساءهم: مؤخرة دوابهم.

تريد إلى قوم فَلُّوا[١] كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم؟! صالحِ القوم واعتقد منهم[٢]، ولا تعرض لهم ولا تعـرِّضنا لهم، وذلك في اليوم الرابع، فأبى وناهدوهم، فقاتلوهم وارتقى الزبير سورها. فلما أحسُّوه فتحوا الباب لعمرو رضي الله عنه وخرجوا إليه مصالحين. فقبل منهم ونزل عليهم الزبير رضي الله عنه عَنْوة.

﴿ دعوة الصحابة في إمارة سَلَمة بن قيس الأشجعي في القتال ﴾

وأخرج الطبري (٩/٥) أيضاً عن سليمان بن بُرَيدة أن أمير المؤمنين عمر- رضي الله عنه- كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمَّر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش، فبعث عليهم سَلَمة ابن قيس الأشجعي رضي الله عنه، فقال: سِرْ باسم الله، قاتل في سبيل الله من كفر بالله. فإذا لقيتم عدوَّكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال: ادعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة وليس لهم في فيء المسلمين نصيب، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم. فإن أَبَوا فادعوهم إلى الخراج[٣]، فإن أقرّوا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم، وفرِّغوهم لخراجهم ولا تكلفـوهم فوق طاقتهم. فإن أَبَوا فقاتلوهم فإنَّ الله ناصرُكم عليهم، فإن تحصَّنوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله فلا تنزلوهم على حكم الله، فإنكم لا تـدرون ما حكم الله ورسوله فيهم، وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله (فلا تعطوهم ذمّة الله وذمة رسوله)[٤] وأعطوهم ذمم أنفسكم، فإن قاتلوكم فلا تغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً. قال سلمة: فسرنا حتى لقينا عدوًّنا من المشركين، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين، فأَبَوا أن يسلموا، فدعوناهم إلى الخراج فأبَوا أن

---

(١) فلُّوا كسرى: هزموه.

(٢) اعتقد منهم: خذ منهم عهداً.

(٣) الخراج هنا: الجزية.

(٤) من الطبري وقد سقطت من الأصل.

يقرّوا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وجمعنا الرِّثَّة[١] ـ فذكر الحديث بطوله جداً.

﴿ دعوة أبي موسى الأشعري لأهل أصبهان قبل القتال ﴾

وأخرج ابن سعد (٤/١١٠) عن بشير بن أبي أمية عن أبيه أن الأشعري نزل بأصبهان فعرض عليهم الإسلام فأبَوا؛ فعرض عليهم الجزية، فصالحوه على ذلك فباتوا على صلح، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر، فبادرهم القتال فلم يكن أسرع من أن أظهره الله عليهم.

قصص الصحابة في الأعمال والأخلاق المفضية إلى هداية الناس

﴿ قصة إسلام عمرو بن الجموح وما فعل ابنه ومعاذ بن جبل لإسلامه ﴾

أخرج أبو نعيم في الدلائل (ص١٠٩) عن ابن إسحاق قال: لمّا قدم الأنصار المدينة بعدما بايعوا رسول الله ﷺ ظهر الإسلام بها، وفي قومهم بقايا على دينهم من أهل الشرك منهم عمرو بن الجَموح، وكان ابنه معاذ قد شهد العَقَبة وبايع رسول الله ﷺ بها. وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سَلِمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له «مَنَاة» كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلهاً ويطهِّره. فلما أسلم فتيان بني سَلِمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح، في فتيان منهم ممّن أسلم وشهد العقبة ـ كانوا يُدجلون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة وفيها عِذَرُ[٢] الناس منكّساً على رأسه. فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عَدَا على إلهنا في هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهَّره وطيَّبه، ثم قال: وايْمُ الله، لو أني أعلم من صنع بك هذا لأخزينَّه. فإذا أمسى عمرو ونام عَدَوا عليه ففعلوا به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقَوه يوماً، فغسله وطهَّره وطيَّبه، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ثم قال: إنّي والله ما أعِلم من يفعل بك ما ترى،

---

(١) الرِّثَّة: السَقَط ن المتاع. (٢) العِذَر: جمع عَذِرَة وهي فضلات الناس.

فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عدَوا عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه معه بحبل، ثم ألقَوه في بئر من أبيار بني سَلِمة فيها عَذِرَة من عِذَر الناس. وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده مكانه الذي كان فيه، فخرج في طلبه حتى وجده في تلك البئر منكَّساً مقروناً بكلب ميت. فلما رآه وأبصر شأنه وكلَّمه مَنْ أسلم من قومه، أسلم ـ يرحمه الله ـ وحسن إسلامه.

وزاد منجاب عن زياد في حديثه عن ابن إسحاق قال: وحدثني إسحاق ابن يَسَار عن رجل من بني سَلِمة قال: لما أسلم فتيان بني سَلِمة أسلمت امرأة عمرو بن الجموح وولده، قال لامرأته: لا تـدَعي أحداً من عيالك في أهلك حتى ننظر ما يصنع هؤلاء، قالت: أفعل، ولكن هل لك أن تسمع من ابنك فلان ما روى عنه[١]؟ قال: فلعله صبأ. قالت: لا، ولكن كان مع القوم فأرسل إليه فقال: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه: «الحمد لله رب العالمين ـ إلى قوله تعالى ـ الصراط المستقيم». فقال: ما أحسن هذا وأجمله، وكل كلامه مثل هذا؟ فقال: يا أبتاه، وأحسن من هذا. قال: فهل لك أن تبايعه؟ قد صنع ذلك عامة قومك قال: لست فاعلاً حتى أوامر[٢] مَنَاة، فأنظر ما يقول. قال: وكانوا إذا أرادوا كلام مَنَاة جاءت عجوز فقامت خلفه فأجابت عنه. قال: فأتاه وغُيِّبت العجوز وأقام عنده فتشكَّر له. وقال: يا مناة، تشعر أنه قد سئل[٣] بـك وأنت غافل!! جاء رجل[٤] ينهانا عن عبادتك ويأمرنا بتعطيلك، فكرهت أن أبايعه حتى أوامرك. وخاطبه طويلاً فلم يردّ عليه. فقال: أظنك قد غضبت ولم أصنع بعد شيئاً، فقام إليه فكسره!!.

وزاد إبراهيم بن سلمة في حديثه عن ابن إسحاق: قال عمرو ابن

---

(١) الضمير في عنه عائد إلى مصعب بن عمير داعية الإسلام في المدينة رضي الله عنه.
(٢) أوامر: أشاور.
(٣) الصحيح وكما في دلائل النبوة لأبي نعيم «سِيل بك» ومعناه كمعنى العبارة الدارجة: (فلان مشى الماء من تحته).
(٤) هو مصعب بن عمير.

الجموح حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه وما أبصر من أمره، ويتشكَّر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

أتـوبُ إلى الله ممَّـا مضى وأستـنقـذ الله مـن نـاره
وأُثـني عليـه بنعمـائـه إلـهِ الحـرام وأستـاره[١]
فسبحـانـه عـدد الخـاطئين وقـطر السـماء ومـدراره
هداني وقد كنت في ظلمـة حـليفَ مَـنَـاة وأحـجـاره
وأنقذني بعد شيب القَذَال[٢] من شـين ذاك ومن عـاره
فقد كدت أهلِك في ظلمة تـدارك ذاك بمـقـداره
فحمداً وشكراً له ما بقيت إلـه الأنـام وجـبَّـاره
أريـد بـذلـك إذ قـلتـه مجـاورة الله في داره

وقال أيضاً يذم صنمه:

تـالله لو كنت إلهـاً لم تكن أنت وكَلْبٌ وسْطَ بئر في قَرَن[٣]
أفٍّ لملقاك إلهاً مُستدن[٤] الآن فتَّشناك عن سوء الغبن
الحمـد لله العلّي ذي المنن الواهب الرزّاق ديّان الدِّيَن
هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبـر مرتهن

﴿ قصة إسلام أبي الدرداء وما فعله ابن رواحة لإسلامه ﴾

وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/٣٣٦) عن الواقدي قال: كان أبو الدرداء رضي الله عنه فيما ذُكر ـ آخر[٥] داره إسلاماً، لم يزل متعلِّقاً بصنم له وقد وضع عليه منديلاً، وكان عبدالله بن رواحة رضي الله عنه يدعوه إلى الإسلام فيأبى؛ فيجيئه عبدالله بن رواحة وكان له أخاً في الجاهلية عن[٦] الإسلام. فلما رآه قد خرج من بيته خالفه فدخل بيته، وأعجل امرأته وإنها لتمشط رأسها. فقال: أين أبو الدرداء؟ فقالت: خرج أخوك آنفاً. فدخل

(١) البيت الحرام وكسوة الكعبة.
(٢) القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.
(٣) قرن: حبل.
(٤) مستدن: ذليل مستعبد.
(٥) الصواب آخر أهل داره.
(٦) لعل التعبير الصحيح: قبل الإسلام.

بيته الذي كان فيه الصنم ومعه القَدُوم[١] فأنزله وجعل يقدده فِلْذاً فِلْذاً[٢] وهو يرتجز سرّاً من أسماء الشياطين كلها[٣]، ألا كل ما يُدعى مع الله باطل. ثم خرج وسمعت المرأة صوت القَدُوم وهو يضرب ذلك الصنم، فقالت: أهلكتني يا ابن رواحة!! فخرج على ذلك فلم يكن شيء حتى أقبل أبو الدرداء إلى منزله، فدخل فوجد المرأة قاعدة تبكي شفقاً منه[٤]. فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك عبدالله بن رواحة دخل عليّ فصنع ما ترى. فغضب غضباً شديداً، ثم فكَّر في نفسه فقال: لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه. فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه ابن رواحة فأسلم.

﴿كتاب عمر إلى عمرو بن العاص في أمر الجزية والسبايا﴾

وأخرج ابن جرير الطبري (٤/٢٢٧) عن زياد بن جَزْء الزُّبيدي قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر رضي الله عنه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم وقفنا بِبَلْهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عمرو رضي الله عنه وفيه:

أما بعد: فإنَّه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه، ولعمري، لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحبُّ إليَّ من فيء يُقسَم ثم كأنه لم يكن، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية؛ على أن تخيِّروا مَنْ في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومهم؛ فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؛ ومن اختار دين قومه وُضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأمّا من تفرّق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة ـ والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردِّهم، ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به.

---

(١) القدوم: آلة للنحت والنجر.
(٢) فلذاً، فلذاً: جعله قطعاً.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) شفقاً منه: خوفاً منه.

﴿ ذكر ما وقع للصحابة في فتح الإسكندرية ﴾

قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يُعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين. قال: فقال: قد فعلت. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيّره بين الإسلام وبين النصرانية، **فإذا اختار الإسلام كبّرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية. قال: ثم نحوزه إلينا. وإذا اختار النصرانية نَخَرت النصارى ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم**. قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم. وقد أُتي فيمن أتينا به بأبي مريم عبدالله بن عبد الرحمن. ـ قال القاسم: وقد أدركته وهو عريف بني زُبيد ـ قال: فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية ـ وأبوه وأمه وإخوته في النّصارى ـ فاختار الإسلام فحزْناه إلينا، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا حتى شقّقوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى ـ فذكر الحديث.

﴿ قصة درع علي وما وقع له مع نصراني ودخوله في الإسلام ﴾

وأخرج الترمذي والحاكم عن الشَّعْبي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق فإذا هو بنصراني يبيع درعاً، فعرف علي رضي الله عنه الدرع، فقال: هذه درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين، ـ وكان قاضي المسلمين شُرَيحاً؛ كان علي استقضاه ـ فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس قضائه وأجلس علياً في مجلسه وجلس شريح قدامه إلى جنب النصراني. فقال علي: أمَا ـ يا شريح ـ لو كان خصمي مسلماً لقعدت معه، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصافحوهم، ولا تبدؤوهم بالسلام، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تصلُّوا عليهم، وألجئوهم إلى مضايق الطريق، وصغِّروهم كما صغَّرهم الله»؛ اقضِ بيني وبينه يا شُرَيح. فقال شُرَيح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال علي: هذه درعي وقعت مني منذ زمان. فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ فقال النصراني: ما أكذِّب أمير المؤمنين الدرع درعي. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده فهل من بيِّنة؟ فقال علي:

صدق شريح. فقال النصراني: **أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء**، وأمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، هي - والله يا أمير المؤمنين - درعك. اتَّبعتك وقد زالت عن جملك الأورق، فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال علي: أمَا إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس.

وعند الحاكم عن الشَّعْبي قال: ضاع درع لعلي رضي الله عنه يوم الجمل، فأصابها رجل فباعها، فعُرفت عند رجل من اليهود، فخاصمه إلى شريح، فشهد لعلي الحسن ومولاه قَنْبر. فقال شريح: زدني شاهداً مكان الحسن، فقال: أترد شهادة الحسن؟ قال: لا، ولكن حفظت عنك أنه لا تجوز شهادة الولد لوالده.

وأخرجه الحاكم في الكُنى وأبو نُعيم في الحلية (١٣٩/٤) من طريق إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه - مطوّلاً، وفي حديثه: فقال شريح: أمَّا شهادة مولاك فقد أجزناها وأمَّا شهادة ابنك لك فلا نجيزها. فقال علي رضي الله عنه: ثكلتك أمك! **أما** سمعت عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». ثم قال لليهودي: خذ الدرع. فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى عليه ورضي؛ صدقت - والله يا أمير المؤمنين - إنهَّا لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فوهبها له عليّ وأجازه بسبع مائة[1]، ولم يزل معه حتى قتل يوم صِفِّين. كذا في كنز العمال (٦/٤).

---

(١) في الحلية: بتسع مائة.



الباب الثاني

بَابُ البَيعَةِ

كيف كانت الصحابة رضي الله عنهم يبايعون النبي ﷺ والخلفاءَ بعدَه، وعلى أيِّ أمورٍ وقعت البَيْعةُ.



بَابُ البَيْعَةِ

البَيْعة على الإسلام

﴿ حديث جرير في هذا الباب ﴾

أخرج الطبراني عن جرير رضي الله عنه قال: بايعنا النبي ﷺ على مثل ما بايع عليه النساء، من مات منا ولم يأت شيئاً منهن ضمن له الجنَّة، ومن مات منا وقد أتى شيئاً منهن وقد أُقيم عليه الحد فهو كفّارة، ومن مات منا وقد أتى شيئاً منهنَّ فستر عليه فعلى الله حسابه؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣٦) وفيه: سيف بن هارون وثَّقه أبو نُعيم وضعَّفه جماعة؛ وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن جرير كما في الكنز (١/٨٢)؛ وسيأتي الحديث في بَيْعة النساء.

﴿ بيعة الكبار والصغار والرجال والنساء والشهادة يوم الفتح ﴾

وأخرج أحمد عن عبدالله بن عثمان بن خَيْثم أنَّ محمد بن الأسود ابن خلف أخبره: أنَّ أباه الأسود رضي الله عنه رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس عند قَرْن[1] مستقبله، فبايع الناس على الإسلام والشهادة. قلت: وما الشهادة؟ قال: أخبرني محمد بن الأسود بن خَلَف أنه بايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. كذا في البداية (٤/٣١٨)؛ وقال تفرّد به أحمد. وقال الهيثمي (٦/٣٧): ورجاله ثقات؛ وعند البيهقي: فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء

---

(١) قرْن: بالسكون جبل صغير وأعلى الجبل، وفي السيرة الحلبية (١-١٠٩): وجلس ﷺ على الصفا أي يوم الفتح يبايع الناس.

فبايعهم على الإسلام والشهادة. كذا في البداية (٤/٣١٨). وبهذا السياق أخرجه الطبراني في الكبير والصغير كما في مجمع الزوائد (٦/٣٧)؛ وهكذا أخرجه البغوي وابن السَّكَن والحاكم وأبو نُعيم، كما في الكنز (١/٨٢).

﴿ بَيْعة مجاشع وأخيه على الإسلام والجهاد ﴾

وأخرج الشيخان عن مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي، فقلت: بايعْنا على الهجرة، فقال: «مَضَتِ الهجرة لأهلها»، فقلت: علامَ تبايعنا؟ قال: «على الإسلام والجهاد». كذا في العيني (٧/١٦). وأخرجه أيضاً ابن أبي شَيْبة وزاد: قال: فلقيت أخاه فسألته فقال: صدق مجاشع. كذا في كنز العمال (١/٢٦، ٨٣).

﴿ بَيْعة جرير بن عبدالله على الإسلام ﴾

وأخرج أبو عَوَانة في مسنده (١/٣٨) عن زياد بن عِلاقة قال: سمعت جرير بن عبدالله يحدِّث حين مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، خطب الناس فقال: أُوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، فإني بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه على الإسلام واشترط عليَّ النُّصح لكل مسلم، فَوَربِّ الكعبة، إنيِّ لكم ناصح أجمعين، واستغفر؛ ونزل. وأخرج البخاري أتم منه (١/١٤)؛ وأخرج البيهقي وغيره عن زياد بن الحارث الصُّدائي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام - فذكر الحديث بطوله، كما تقدم في باب الدعوة (ص ٢٠٥).

البيعة على أعمال الإسلام

﴿ بيعة بشير بن الخصاصية على أركان الإسلام وعلى الصدقة والجهاد ﴾

أخرج الحسن بن سفيان، والطبراني في الأوسط، وأبو نُعيم، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر، عن بشير بن الخصاصِيَة رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه، فقلت: علامَ تبايعني يا رسول الله؟ فمدَّ رسول الله ﷺ يده فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وتصلي الصلوات الخمس لوقتها، وتؤدِّي الزكاة المفروضة،

وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتجاهد في سبيل الله». قلت: يا رسول الله، كُلًّا نطيق إلاّ اثنتين فلا أطيقهما: الزكاة، والله مالي إلاّ عشر ذَوْد[١] هُنّ رِسْل[٢] أهلي وحَمولتهن[٣]. وأما الجهاد فإني رجل جبان، ويزعمون أنّه من ولّى فقد باء بغضب من الله، وأخاف إن حضر القتال أن أخشع[٤] بنفسي فأفرَّ فأبوء بغضب من الله. فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرَّكها، ثم قال: «**يا بشير، لا صدقة ولا جهاد!! فَبِمَ إذن تدخل الجنة؟!**» قلت: يا رسول الله، ابسط يدك أُبايعك، فبسط يده فبايعته عليهن كلِّهن. كذا في كنز العمال (٧/١٢). وأخرجه أحمد، ورجاله موثَّقون كما قال الهيثمي (١/٤٢).

﴿ بيعة جرير بن عبدالله على أركان الإسلام والنصيحة لكل مسلم ﴾

وأخرج أحمد عن جرير رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم. وأخرجه أيضاً ابن جرير مثله كما في كنز العمال (١/٨٢)، والشيخان والترمذي كما في الترغيب (٣/٢٣٦)، وأخرج أحمد أيضاً من وجه آخر عنه: قال قلت: يا رسول الله، اشترط عليَّ فأنت أعلم بالشرط. قال: «أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح لكل مسلم، وتبرأ من الشرك». ورواه النَّسائي كما في البداية (٥/٧٨)؛ وأخرجه ابن جرير مثله إلاّ أنه قال: «وتنصح المسلمين وتفارق الشرك»، كما في الكنز (١/٨٢)، وأخرج الطبراني عنه قال: أتى جرير رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: «مدَّ يدك يا جرير»، فقال: على مَهْ؟ قال: «أن تسلم وجهك لله، والنصيحة لكل مسلم»؛ فأذن لها[٥] ـ وكان رجلاً عاقلاً ـ فقال: يا رسول الله، فيما استطعت؟ فكانت رخصة للناس بعده. كذا في الكنز (١/٨٢).

---

(١) الذود من الإبل: ما بين الثنتين إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر.

(٢) الرسل: بالكسر ثم السكون: اللبن.

(٣) حَمولتهن: بالفتح: ما يحتمل عليه الناس من الدواب سواء كانت عليها الأحمال أو لم تكن؛ وبالضم: الأحمال.

(٤) أخشع: أخاف.

(٥) أذن لها: استمع لها.

﴿ بيعة عوف بن مالك وأصحابه على أركان الإسلام وعدم السؤال من الناس ﴾

وأخرج الرُوياني وابن جرير وابن عساكر عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنّا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟» فردَّدها ثلاث مرات. فقدَّمنا أيدينا فبايعنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله قد بايعناك فعلى أي شيء نبايعك؟ فقال: «على أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، ـ وأسرَّ كلمة خفيّة ـ: أن لا تسألوا الناس شيئاً». قال: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يقول لأحد يناوله إياه. كذا في الكنز (١/٨٣). وأخرجه أيضاً مسلم والترمذي والنَّسائي كما في الترغيب (٢/٩٨).

﴿ بيعة ثوبان على أن لا يسأل أحداً شيئاً ﴾

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يبايع؟» فقال ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ: بايعنا يا رسول الله، قال: «على أن لا تسأل أحداً شيئاً».فقال ثوبان: فما له يا رسول الله؟ قال:«الجنة».فبايعه ثوبان.قال أبو أمامة:فلقد رأيته بمكة في أجمع ما يكون من الناس يسقط سوطه وهو راكب، فربما وقع على عاتق[1] رجل، فيأخذه الرجل فيناوله، فما يأخذه حتى يكون هو ينزل فيأخذه. كذا في الترغيب (٢/١٠٠). وأخرجه أيضاً أحمد والنَّسائي وغيرهما عن ثوبان مختصراً، وذكرا قصة السَّوْط لأبي بكر رضي الله عنه، كما في الترغيب (٢/٩٩، ١٠١).

﴿ بيعة أبي ذرٍ على أمور خمسة ﴾

وأخرج أحمد عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: بايعني رسول الله خمساً، وأوثقني سبعاً، وأشهد الله عليَّ سبعاً: أن لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو المُثنى: قال أبو ذر: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: «هل لك إلى البَيْعة ولك الجنة؟» قلت: نعم، وبسطت يدي، فقال رسول الله ﷺ ـ وهو يشترط عليَّ ـ أن لا أسأل الناس شيئاً قلت: نعم. قال: «ولا سوطك إن سقط منك حتى

(١) العاتق: ما بين المنكب والعنق.

تنزل فتأخذه». وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ما يقال لك بعد». فلما كان اليوم السابع قال: «أوصيك بتقوى الله في سرِّ أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن[1]، ولا تسألنَّ أحداً شيئاً وإن سقط سوطك، ولا تقبضنَّ أمانة». كذا في الترغيب (٢/٩٩).

﴿ بيعة سهل بن سعد وغيره على أعمال الإسلام ﴾

وأخرج الشاشي وابن عساكر عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت وأبو سعيد الخدري ومحمد ابن مسلمة وسادس، على أن لا تأخذنا في الله لومة لائم: وأما السادس فاستقاله[2] فأقاله. كذا في الكنز (١/٨٢). وأخرجه أيضاً الطبراني بنحوه. قال الهيثمي (٧/٢٦٤) وفيه: عبد المهيمن بن عيَّاش وهو ضعيف. وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، وقال: بايَعنا على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ولا ننهب، ولا نعصي، بالجنة؛ إن فعلنا ذلك؛ فإن غَشِينا من ذلك شيئاً كان قضاؤه إلى الله. وعند ابن جرير عنه ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا. فمن وفَى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله كان إلى الله، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له». كذا في الكنز (١/٨٢).

﴿ بيعة عبادة بن الصامت وغيره من الأصحاب في العقبة الأولى ﴾

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن عساكر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا أحد عشر رجلاً في العقبة الأولى، فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء قبل أن يفرض علينا الحرب، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نقتل أولادنا، ولا نعصيه في معروف؛ فمن وفَى فله الجنة، ومن غَشِيَ شيئاً

---

(١) المعنى: أتبع السيئة الحسنة تمحها. (٢) استقاله: طلب إليه أن يقيله، وأقاله أي فسخه.

فأمره إلى الله، إن شاء الله عذَّبه وإن شاء غفر له. ثم انصرفوا العام المقبل عن بيعتهم. كذا في الكنز (١/٨٢). وأخرجه الشيخان نحوه كما في البداية (٣/١٥٠).

البيعة على الهجرة

﴿ بيعة يَعْلى بن مُنْية عن أبيه ﴾

أخرج البيهقي (٩/١٦) عن يعلى بن مُنْيَة رضي الله عنه قال: جئت رسول الله ﷺ ثاني يوم الفتح فقلت: يا رسول الله، بايع أبي على الهجرة؛ قال: «بل أبايعه على الجهاد، وقد انقطعت الهجرة يوم الفتح». وقد تقدم حديث مجاشع رضي الله عنه (ص ٢٤٠): فقلت: يا رسول الله، بايعنا على الهجرة؛ قال: «مضت الهجرة لأهلها». وحديث جرير (ص ٢٤١): «وتفارق الشرك». وعند البيهقي (٩/١٣) في حديث جرير رضي الله عنه: «وتناصح المؤمن وتفارق المشرك».

﴿ بيعة الناس على الهجرة يوم الخندق ﴾

وأخرج أحمد، والبخاري في التاريخ، وابن أبي خَيْثَمة، وأبو عَوانة، والبَغَوي، وأبو نُعيم، والطبراني عن الحارث بن زياد الساعدي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة، فظننَّا أنهم يدعون إلى البيعة، فقلت: يا رسول الله، بايع هذا على الهجرة. فقال: «ومن هذا؟» فقلت: هذا ابن عمي حَوْط بن يزيد ـ أو يزيد بن حَوْط ـ فقال رسول الله ﷺ: «لا أبايعكم، إنَّ الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم. **والذي نفسي بيده، لا يحب الأنصارَ رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يحبُّه، ولا يُبغض الأنصار رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يبغضه**». كذا في الكنز (٧/١٣٤). وأخرجه أيضاً أبو داود كما في الإصابة (١/٢٧٩)؛ وقال الهيثمي (١٠/٣٨): رواه أحمد والطبراني بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح غير محمد بن عمرو، وهو حسن الحديث. انتهى.

وأخرج الطبراني عن أبي أُسيد الساعدي رضي الله عنه: أن الناس

جاؤوا إلى النبي ﷺ لحفر الخندق يبايعونه على الهجرة. فلما فرغ قال: «يا معشر الأنصار، لا تبايعوا على الهجرة إنما يهاجر الناس إليكم، **من لقي الله وهو يحبّ الأنصار لقي الله وهو يحبُّه، ومن لقي الله وهو يُبغض الأنصار لقي الله وهو يُبغضه**». قال الهيثمي (١٠/٣٨) وفيه: عبد الحميد بن سهيل ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

البَيْعة على النصرة

﴿ بَيْعة سبعين رجلاً من الأنصار عند شِعْب العقبة على النُّصْرة ﴾

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتّبع الناس في منازلهم: عكاظ[١] ومَجَنَّة[٢]، وفي المواسم يقول: «من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلِّغ رسالة ربي وله الجنة»، فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، **حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مُضَر فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتننك**، ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع. حتى بعثنا الله إليه من يَثْرب فآويناه وصدَّقناه، فيخرج الرجل منّا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

ثم ائتمروا[٣] جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويُطَّرد في جبال مكة ويخاف؟! فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعْب العَقَبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العُسْر واليُسْر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن

(١) عكاظ: كغراب، سوق بصحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون: أي يتفاخرون ويتناشدون.

(٢) مَجَنَّة: بفتح ميم وجيم، موضع بأسفل مكة على أميال، وكان يقام بها سوق، وبعضهم يكسر ميمها والفتح أكثر.

(٣) الائتمار: المشاورة كالمؤامرة، والاستئمار والتأمُّر.

تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي: وهو أصغر السبعين - إلاَّ أنا، فقال: رويداً[١] يا أهل يثرب. فإنّا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلاَّ ونحن نعلم أنَّه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مناوأة[٢] للعرب كافّة، وقتلُ خياركم، وتعضُّكم السيوف. فإمّا أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبيّنوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أبط[٣] عنا يا أسعد فوالله لا نـدعُ هذه البَيْعة ولا نُسلَبها أبداً!! قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة. وقد رواه أحمد أيضاً والبيهقي من غير هذا الطريق أيضاً، وهذا إسناد جيِّد على شرط مسلم، ولم يخرِّجوه. كذا في البداية (٣/١٥٩). وقال الحافظ في فتح الباري (٧/١٥٨): إسناده حسن، وصحَّحه الحاكم وابن حبان. إهـ؛ وقال الهيثمي (٦/٤٦): ورجال أحمد رجال الصحيح، وقال: ورواه البزّار وقال في حديثه: فوالله لا نذَرَ هذه البَيْعة ولا نستقيلها.

وأخرج ابن إسحاق عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: فلما اجتمعنا في الشِّعْب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه، إلاَّ أنّه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثَّق له. فلما جلس كان أولَ متكلم العباسُ بـن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج، إنَّ محمداً منّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّة من قومه ومَنَعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترَون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممّن

---

(١) رويداً: أي أمهلوا وتأنّوا.
(٢) المناوأة: المعاداة.
(٣) وفي أصل المسند (٣/٣٢٢): أمط بالميم المهملة، وفي مجمع البحار: مط عنا أي أبعد.

خالفه فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِموه وخاذِلوه[١] بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنَّه في عزّة ومَنَعة من قومه وبلده. قال فقلنا له: قد سمعنا ما قلتَ، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربِّك ما أحببت. قال: فتكلَّم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلام. قال: «أُبايعكم على أن تمنعوني مِمَّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». قال: فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: نعم، فوالذي بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا[٢]. فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن ـ والله ـ أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر!! قال: فاعترض القول ـ والبراء يكلِّم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم ابن التَّيِّهان، فقال: يا رسول الله، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً وإنَّا قاطعوها ـ يعني ـ اليهود ـ؛ فهل عسيتَ إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدمُ الدمُ، والهَدْم الهَدْم[٣]، أنا منكم وأنتم مني؛ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم».

﴿ إخراج الأنصار اثني عشر نقيباً ﴾

قال كعب رضي الله عنه: وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس. كذا في البداية (٣/ ١٦٠). والحديث أخرجه أيضاً أحمد والطبراني مطوَّلاً كما في مجمع الزوائد (٦/ ٤٢)، وقد ساقه بطوله. قال الهيثمي (٦/ ٤٥): ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرَّح بالسماع. انتهى. وقال الحافظ (٧/ ١٥٧): أخرجه ابن إسحاق، وصحَّحه ابن حِبّان من طريقه بطوله. إهـ.

---

(١) الخذل: ترك الإغاثة والنصرة.

(٢) أزرنا: أي نساءنا وأهلنا، وقيل أراد أنفسنا وقد يكنى عن النفس بالإزار.

(٣) يروى بسكون الدال وفتحها: والهدم بالحركة القبر أي أُقبر حيث تقبرون، وقيل: المنزل أي منزلي منزلكم نحو المحيا محياكم والممات مماتكم أي لا أفارقكم؛ والهدم بالسكون وبالفتح أيضاً هو إهدار دم القتيل، يقال: ودماؤهم بينهم هدم أي مهدرة، والمعنى أنّ طالب دمكم طالب دمي، أي إنْ طُلب دمكم فقد طُلب دمي، وإن أُهدر دمكم فقد أُهدر دمي لاستحكام الألفة بيننا.

﴿ بَيْعة أبي الهيثم وما قال لأصحابه ﴾

وأخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه مرسلاً قال: كان أول من بايع رسول الله ﷺ أبو الهيثم التَّيِّهان رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله، وإنَّ بيننا وبين الناس حبالاً ـ والحبال الحِلْف والمواثيق ـ فلعلنا نقطعها ثم ترجع إلى قومك وقد قطعنا الحبال وحاربنا الناس؟ فضحك رسول الله ﷺ من قوله وقال: «الدمُ الدمُ، الهدم الهدم». فلما رضي أبو الهيثم بما رَجَع إليه رسول الله ﷺ من قوله أقبل على قومه فقال: **يا قوم، هذا رسول الله ﷺ، أشهد إنّه لصادق، وإنَّه اليوم في حرم الله وأمنه وبين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا أنَّه إن تخرجوه رمتكم العرب عن قَوْس واحدة، فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله وذهاب الأموال والأولاد فادعوه إلى أرضكم، فإنه رسول الله ﷺ حقاً. وإن خفتم خذلاناً فمن الآن.** فقالوا عند ذلك: قبلنا عن الله وعن رسوله ما أعطيانا، وقد أعطينا من أنفسنا الذي سألتنا يا رسول الله؛ فخلِّ بيننا ـ يا أبا الهيثم ـ وبين رسول الله ﷺ فلْنبايعه. فقال أبو الهيثم: أنا أول من بايع، ثم تتابعوا كلهم. فذكر الحديث. قال الهيثمي (٦/٤٧) وفيه: ابن لِهَيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف. انتهى.

﴿ قول العباس بن عبادة عند البَيْعة ﴾

وعند ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة رضي الله عنه: أن القوم لما اجتمعوا لبَيْعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نَضْلة ـ أخو بني سالم بن عوف ـ: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أُنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن؟ فهو ـ والله إنْ فعلتم ـ خزْيُ الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال، وقَتْل الأشراف فخذوه، فهو ـ والله ـ خير الدنيا والآخرة؟ قالوا: فإنَّا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا بذلك ـ يا رسول الله ـ إن نحن وَفَينا؟ قال: «الجنة». قالوا: ابسط يدك؛ فبسط يده فبايعوه ـ كذا في البداية (٣/١٦٢).

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن معبد بن كعب عن أخيه عبدالله: ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفَضُّوا[1] إلى رحالكم». قال فقال العباس بن عبادة: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل مِنى غداً بأسيافنا!! قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نُؤْمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». كذا في البداية (٣/١٦٤).

البَيْعة على الجهاد

أخرج البخاري (ص ٣٩٧) عن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفِرون في غَداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون بذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَب[2] والجوع قال ﷺ:

اللَّهم إنَّ العيش عيشُ الآخرة ... فاغفرِ الأنصارَ والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

وأخرجه أيضاً مسلم والترمذي كما في جمع الفوائد (٢/٥١). وقد تقدم حديث مجاشع رضي الله عنه (ص ٢٤٠): فقلت: علامَ تبايعنا؟ قال: «على الإسلام والجهاد». وحديث بشير بن الخصاصِيَة رضي الله عنه (ص ٢٤١): «يا بشير، لا صدقة ولا جهاد، فبمَ إذن تدخل الجنة؟!» قلت: ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعته. وحديث يَعْلى بن مُنْية (ص ٢٤٤) فقلت: يا رسول الله، بايع أبي على الهجرة؛ قال: «بل أبايعه على الجهاد».

البَيْعة على الموت

﴿ بَيْعة سلمة بن الأكوع على الموت ﴾

أخرج البخاري (ص ٤١٥) عن سَلَمة رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظلِّ الشجرة. فلمَّا خفَّ الناس قال: «يا ابن الأكوع ألا تبايع؟» قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله. قال «أيضاً» فبايعته الثانية،

---

(١) ارفضُّوا: تفرقوا. (٢) النَّصَب: التعب.

فقلت له: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت. وأخرجه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي كما في العيني (٧/١٦)، والبيهقي (٨/١٤٦)، وابن سعد (٤/٣٩). وأخرج البخاري (ص ٤١٥) أيضاً عن عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: لما كان زمن الحرَّة[١] أتاه آتٍ فقال له: إنَّ ابن حنظلة يبايع الناس على الموت. فقال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ. وأخرجه أيضاً مسلم كما في العيني (٧/١٥)، والبيهقي (٨/١٤٦).

البَيْعة على السمع والطاعة

﴿ قول عبادة بن الصامت في هذا الباب ﴾

أخرج البيهقي عن عبيدالله بن رافع رضي الله عنه قال: قدمتْ روايا[٢] خمر، فأتاها عبادة بن الصامت رضي الله عنه فخرَّقها وقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله، لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، ولنا الجنة؛ فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها. وهذا إسناد جيِّد قوي، ولم يخرِّجوه. وقد روى يونس عن ابن إسحاق: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ بَيْعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا[٣] ومكرهنا، وأثَرَة[٤]» علينا، وأن

(١) هو يوم مشهور في الإسلام أيام يزيد بن معاوية، لما انتهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين، وأمَّر عليهم مسلم بن عقبة المرّي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد، والحرَّة هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة، وكانت الوقعة بها.

(٢) روايا: جمع راوية، وهي المزادة فيها الماء.

(٣) منشطنا: مفعل من النشاط، وهو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله، وهو مصدر بمعنى النشاط؛ وكذا المكره بمعنى الكراهة.

(٤) أثرة: بفتح الهمزة والثاء، الاسم من آثر يؤثر إيثاراً: إذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم.

لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كُنَّا لا نخاف في الله لومة لائم. كذا في البداية (١٦٣/٣). وأخرج الشيخان بمعناه كما في الترغيب (٣/٤).

﴿ بيعة جرير بن عبدالله على السمع والطاعة والنصح للمسلمين ﴾

وأخرج ابن جرير عن جرير رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، والنصح للمسلمين. وأخرج أيضاً من حديثه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: أبايعك على السمع والطاعة فيما أحببت وفيما كرهت. فقال النبي ﷺ: «أتستطيع ذلك، أو تطيق ذلك؟ فاحترز، قل فيما استطعت»؛ فقلت: فيما استطعت، فبايَعني والنصح للمسلمين. كذا في كنز العمال (٨٢/١). وعند أبي داود والنَّسائي من حديثه: قال: فبايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، وأن أنصح لكل مسلم، وكان إذا باع الشيء أو اشترى، قال: أمَا إنَّ الذي أخذنا منك أحبُّ إلينا ممّا أعطيناك فاختر. كذا في الترغيب (٢٣٧/٣).

﴿ بيعة عتبة بن عبد وقوله ﷺ «فيما استطعت» عند البيعة ﴾

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعت»، وأخرجه النَّسائي، وابن جرير بمعناه كما في الكنز (٨٣/١). وأخرج البغوي، وأبو نُعَيم، وابن عساكر عن عتبة بن عبد رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ سبع بيعات: خمساً على الطاعة، واثنتين على المحبة. كذا في الكنز (٨٣/١). وأخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ بيدي هذه على السمع والطاعة فيما استطعت ـ كذا في الكنز (٨٢/١).

بَيْعة النساء

﴿ قصة بَيْعة نساء الأنصار عند قدومه ﷺ ﴾

أخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني ـ ورجاله ثقات ـ كما قال الهيثمي (٣٨/٦): عن أم عطيّة رضي الله عنها قالت: لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

فقام على الباب فسلَّم عليهن فرددن السلام. فقال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكنّ. فقلنا: مرحباً برسول الله ﷺ، وبرسولِ رسولِ الله ﷺ. فقال: تبايعنَ على أن لا تشركنَ بالله شيئاً، ولا تسرقنَ، ولا تزنينَ، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكنَّ وأرجلكنَّ، ولا تعصينَ في معروف. قلن: نعم؛ فمدّ عمر يده من خارج الباب، ومددنَ أيديهن من داخل، ثم قال: اللهم اشهد[١]. وأمرنا أن نُخرج[١] في العيدين الحُيَّضَ والعُتَّق[٢]، ونُهينا عن اتِّباع الجنائز، ولا جمعة علينا. فسألته عن البهتان وعن قوله: ولا يعصينك في معروف؛ قال: هي النِياحة. ورواه أبو داود باختصار كثير. كذا في مجمع الزوائد (٦/٣٨).

قلت: وأخرجه البخاري أيضاً باختصار، وقد أخرجه بطوله ابن سعد، وعبد بن حُمَيد كما في الكنز (١/٨١). وأخرج أحمد وأبو يَعْلى والطبراني - ورجاله ثقات - كما قال الهيثمي (٦/٣٨): عن سلمى بنت قيس رضي الله عنها - وكانت إحدى خالات[٣] رسول الله ﷺ قد صلَّت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني عديٍّ بن النجار - قالت: جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نِسْوة من الأنصار، فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف؛ قال: «ولا تغشَشْن أزواجكن». قالت: فبايعناه. ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسَلي رسول الله ﷺ ما غِشُّ أزواجنا؟ قالت: فسألته. قال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره»[٤].

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة بنت قُدَامة رضي الله عنها بمعناه في البَيْعة على وَفْق الآية[٥] كما في ابن كثير (٤/٣٥٣). وأخرج الطبراني في الكبير

(١ - ١) من مسند الإمام أحمد (ج ٦ ص ٤٠٩)، وفي مجمع الزوائد: وأمر أن يخرج.

(٢) في منتخب كنز العمال العواتق، والعُتَّق: جمع مفرده عاتق. وهي البنت أول ما أدركت، أو التي بين الإدراك والتعنيس، سميت بذلك لأنها عَتَقت عن خدمة أبويها ولم يدركها زوج بعد.

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة ٨٢.

(٤) حبى فلاناً: أعطاه بلا جزاء ولا منّ أو عامٍّ، وحاباه محاباة وحباء: نصره واختصه ومال إليه.

(٥) والآية: «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن». إلى آخر الآية ١٢ من سورة الممتحنة.

والأوسط عن غفيلة بنت عبيد بن الحارث رضي الله عنهما قالت: جئت أنا وأمي قريرة بنت الحارث العنوارية في نساء من المهاجرات، فبايعنا رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة بالأبْطَح، فأخذ علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ـ الآية كلَّها. فلما أقررنا وبسطنا أيدينا لنبايعه قال: «إنِّي لا أمسُّ أيدي النساء»، فاستغفر لنا، وكانت تلك بيعتَنا. قال الهيثمي (٦/٣٩): وفيه: موسى بن عبيدة وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج مالك وصحَّحه ابن حِبَّان عن أُميمة بنت رُقَيْقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نِسْوة يبايعنه فقلنا: نبايعك ـ يا رسول الله ـ على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. فقال رسول الله ﷺ: «فيما استطعتُنَّ وأطقتنَّ»، فقلنا: اللَّهُ ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. هلمَّ نبايعْك يا رسول الله، فقال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة». وأخرجه الترمذي وغيره مختصراً كما في الإصابة (٤/٢٤٠).

﴿ بَيْعة أُميمة بنت رُقَيقة على الإسلام ﴾

وأخرجه الطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاءت أميمة بنت رُقَيْقَة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام. فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقي، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرَّجي تبرج الجاهلية الأولى». كذا في المجمع (٦/٣٧). وأخرجه أيضاً النَّسائي وابن ماجه والإمام أحمد، وصحَّحه الترمذي كما في التفسير لابن كثير (٤/٣٥٢).

﴿ بَيْعة فاطمة بنت عُتْبة ﴾

وأخرج أحمد والبزّار ـ ورجاله رجال الصحيح ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها تبايع رسول الله ﷺ، فأخذ عليها: «أن لا يشركن، ولا يزنين» ـ الآية. قالت: فوضعت

يدها على رأسها حياء، فأعجبَ رسولَ الله ﷺ ما رأى منها؛ فقالت عائشة رضي الله عنها: أقرّي أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلاَّ على هذا. قالت: فنعم إذاً، فبايعها بالآية. كذا في مجمع الزوائد (٦/٣٧).

﴿ بَيْعة عزَّة بنت خايل النبي ﷺ ﴾

وأخرج الطبراني عن عَزَّة بنت خايل رضي الله عنها: أنها أتت النبي ﷺ فبايعها أن «لا تزنين، ولا تسرقين، ولا تئدين فتبدين أو تخفين». قلت: أما الوأد المبدي فقد عرفته، وأما الوأد الخفي فلم أسأل رسول الله ﷺ ولم يخبرني، وقد وقع في نفسي أنه إفساد الولد، فوالله لا أفسد لي ولداً أبداً. قال الهيثمي (٦/٣٩): رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه عن عطاء ابن مسعود الكعبي عن أبيه عنها، ولم أعرف مسعوداً، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

﴿ بيعة فاطمة بنت عتبة وأختها هند زوج أبي سفيان ﴾

وأخرج الحاكم (٢/٤٨٦) عن فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ رضي الله عنها ـ أنّ أبا حُذَيفة بن عتبة رضي الله عنه أتى بها وبهند ابنة عتبة رسول الله ﷺ تبايعه. فقالت: أخذَ علينا فشرط علينا. قالت: قلت له: يا ابن عم، هل علمت في قومك من هذه العاهات أو الهَنات شيئاً؟ قال أبو حذيفة: إيهاً[1]!! فبايعيه فإنَّ بهذا يُبايع وهكذا يشترط. فقالت هند: لا أُبايعك على السرقة، إنِّي أسرق من مال زوجي، فكف النبي ﷺ يده وكفت يدها، حتى أرسل إلى أبي سفيان فتحلَّل لها منه. فقال أبو سفيان: أما الرُّطَب فنعم، وأما اليَابس فلا، ولا نعمة. قالت: فبايعناه. ثم قالت فاطمة: **ما كانت قبةٌ أبغضَ إليَّ من قبتك ولا أحبَّ أن يبيحها الله وما فيها، ووالله ما من قبة أحب إليّ أن يعمرها الله ويبارك فيها من قبتك**. فقال رسول الله ﷺ: «**وأيضاً ـ والله ـ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده**». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه؛ ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

(١) إيهاً: أمرٌ بالسكوت.

وعند أبي يَعْلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت هند بنت عتبة ابن ربيعة ـ رضي الله عنها ـ إلى رسول الله ﷺ لتبايعه، فنظر إلى يديها فقال: «اذهبي فغيِّري يديك». قال: فذهبت فغيَّرتها بحنَّاء، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ. فقال: «أُبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقي، ولا تزني». قالت: أوَتـزني الحرة؟ قال: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق». قالت: وهل تركت لنا أولاداً نقتلهم؟. قال: فبايعته، ثم قالت له ـ وعليها سواران من ذهب ـ: ما تقول في هذين السوارين؟ قال: «جمرتان من جمر جهنم»[1]. قال الهيثمي (٦/٣٧): وفيه: من لم أعرفهن. وأخرجه ابن أبي حاتم مختصراً كما في ابن كثير (٤/٣٥٤). وقال في الإصابة (٤/٤٢٥) وقصَّتها ـ في قولها عند بَيْعة النساء: «وأن لا يسـرقن ولا يزنين».. فقالت: وهل تزني الحرة؟، وعند قوله: «ولا يقتلنَ أولادهنَّ» وقد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً ـ مشهورةٌ. ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسلٌ عن الشَّعْبي وعن ميمون ابن مِهْران، ففي رواية الشَّعْبي: «ولا يـزنين». قالت هند: وهل تزني الحرة؟ «ولا تقتلن أولادكنَّ»، قالت: أنت قتلتهم. وفي رواية نحوه، لكن قالت: وهل تركت لنا ولداً يوم بدر؟.

وأخرج ابن مَنْدَه وفي أوله: إني أريد أن أبايع محمداً. قال: قد رأيتك تكفرين. قالت: إي والله، **والله ما رأيت الله تعالى عُبِد حقَّ عبادته في هذا المسجد قبل الليلة**[2]، **والله: إن باتوا إلاَّ مصلِّين قياماً وركوعاً وسجوداً**. قال: فإنك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي برجل من قومك معك. فذهبت إلى عمر رضي الله عنه، فذهب معها فاستأذن لها، فدخلت وهي مُتنقِّبة ـ فذكر قصة البَيْعة. وفيه عن مرسل الشَّعبي المذكور: قالت هند: قد كنت أفنيت

---

(١) ثبت عن رسول الله ﷺ أنه «أخذ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «إنَّ هذين حرام على ذكور أمتي» وزاد ابن ماجه «حلّ لإناثهم»، ولعله ﷺ يقصد هنا فيما إذا أظهرتها للأجانب.

(٢) تريد هند رضي الله عنها ليلة دخوله عليه السلام مكة في يوم الفتح، وكانت ترمق الصحابة رضي الله عنهم وهم يجتهدون في العبادة. وهي توجه الكلام هنا إلى زوجها أبي سفيان.

من مال أبي سفيان. فقال أبو سفيان: ما أخذت من مالي فهو حلال. انتهى مختصراً. وقد أخرجه ابن جرير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بطوله كما ذكر ابن كثير في تفسيره (٤/٣٥٣)، وفيه: قال أبو سفيان: ما أصبتِ من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها، فأخذت بيده[١] وعاذرته[٢]؛ فقال: «أنت هند». قالت: عفا الله عما سلف. فصرف عنها رسول الله، فقال: «ولا يزنين». فقالت: يا رسول الله، وهل تزني امرأة حرة؟! قال: «لا والله ما تزني الحرة». قال: «ولا يقتلن أولادهن». قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر؛ فأنت وهم أبصر. قال: «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن». قال: «ولا يعصينك في معروف». قال: منعهن أن ينحنَ وكان أهل الجاهلية يمزقنَ الثياب، ويخدشنَ الوجوه، ويقطعنَ الشعور، ويدعون بالويل والثبور. قال ابن كثير: وهذا أثر غريب. وأخرج ابن أبي حاتم عن أسيد بن أبي أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيَه في معروف، وأن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر شَعَراً، ولا نشقّ جَيْباً، ولا ندعو وَيْلاً. كذا في التفسير لابن كثير (٤/٣٥٥).

بيعة من لم يحتلم

﴿ بَيْعة الحسنين وابن عباس وابن جعفر ﴾

أخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ بايع الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر وهم صغار، ولم يَبْقُلوا[٣]، ولم يبلغوا، ولم يبايع صغيراً إلا منَّا. قال الهيثمي (٦/٤٠): وهو مرسل، ورجاله ثقات.

﴿ بَيْعة ابن الزبير وابن جعفر ﴾

وأخرج الطبراني أيضاً عن عبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر رضي

(١) الصحيح الثابت أن النبي ﷺ كان لا يصافح النساء في بيْعة ولا في غيرها، ولعلّها أمسكت بعضده عليه السلام من فوق ثوبه، ولم تمس جلده.

(٢) عاذرته: اعتذرت إليه.

(٣) يقال: بَقَلَ وجهه: إذا نبتت لحيته.

الله عنهم أنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين. فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسَّم وبسط يده، فبايعهما. قال الهيثمي (٩/٢٨٥): وفيه: إسماعيل ابن عيَّاش وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أيضاً أبو نعيم وابن عساكر عن عروة: أن عبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر ـ وفي لفظ: جعفر بن الزبير ـ بايعا النبي ﷺ وهما ابنا سبعِ سنين ـ فذكر نحوه كما في المنتخب (٥/٢٢٧). وأخرج النَّسائي عن الهِرْماس بن زياد رضي الله عنه قال: مددت يدي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام ليبايعني، فلم يبايعني. كذا في جمع الفوائد (١/١٤).

بيعة الصحابة رضي الله عنهم على أيدي خلفائه ﷺ

﴿ بَيْعة الصحابة على يد أبي بكر رضي الله عنه ﴾

أخرج ابن شاهين في الصحابة عن إبراهيم بن المنتشر، عن أبيه، عن جده، قال: كانت بيعة النبي ﷺ حين أنزل الله عليه: «إنَّ الذين يبايعونَك إنَّما يبايعونَ اللهَ»[1] التي بايع الناس عليها ـ البيعةَ لله والطاعة للحق، وكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه: تبايعوني ما أطعتُ الله، وكانت بيعة عمر رضي الله عنه. ومن بعده كبيعة النبي ﷺ. كذا في الإصابة (٣/٤٥٨).

وأخرج البيهقي (٨/١٤٦) عن ابن العفيف رضي الله عنه قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وهو يبايع الناس بعد رسول الله ﷺ، فيجتمع إليه العِصابة فيقول: تبايعوني على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير؟ فيقولون: نعم، فيبايعهم. فقمت عنده ساعة ـ وأنا يومئذ المحتلم أو فوقه ـ فتعلمتُ شرطَه الذي شَرَط على الناس، ثم أتيته فقلت وبدأته، قلت: أنا أبايعك على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير، فصعَّد[2] فيَّ البصر ثم صوَّبه[3]، ورأيت أني أعجبته ـ رحمه الله ـ.

وأخرج مُسَدَّد عن أبي السَّفَر رضي الله عنه قال: كان أبو بكر رضي

---

(١) سورة الفتح: آية ١٠.
(٢) صعَّد: أي نظر إليَّ من الأعلى إلى الأسفل.
(٣) صوَّبه: خفضه.

الله عنه إذا بعث إلى الشام بايعهم على الطَّعْن والطاعون. كذا في الكنز (٣٢٣/٢).

﴿ بَيْعة الصحابة على يد عمر رضي الله عنه ﴾

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة والطيالسي عن أنس رضي الله عنه قال: قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه واستُخلف عمر رضي الله عنه، فقلت لعمر: ارفع يدك أبايعْك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك؛ على السمع والطاعة فيما استطعت. كذا في الكنز (١/ ٨١).

وأخرج ابن سعد عن عُمَير بن عطية اللَّيثي رضي الله عنه: أتيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ارفع يدك ـ رفعها الله ـ أبايعْك على سنة الله وسنة رسوله. فرفع يده وضحك: هي لنا عليكم ولكم علينا. وعن عبدالله بن حكيم رضي الله عنه قال: بايعت عمر رضي الله عنه بيدي هذه على السمع والطاعة. كذا في الكنز (١/ ٨١).

﴿ بَيْعة وفد الحمراء على يد عثمان رضي الله عنه ﴾

وأخرج أحمد في السُّنَّة عن سليم أبي عامر رضي الله عنه: أن وفد الحمراء[١] أتَوا عثمان رضي الله عنه فبايعوه على أن لا يشـركوا بالله شيئاً، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، ويصوموا رمضان، ويَدَعوا عيد المجوس. فلما قالوا: نعم، بايَعهم. كذا في كنز العمال (١/ ٨١).

﴿ بَيْعة المسلمين لعثمان رضي الله عنه بالخلافة ﴾

وأخرج البخاري عن المِسْوَر بن مَخْرمة رضي الله عنه أن الرَّهْط الذين ولَّاهم عمر رضي الله عنه اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبد الرحمن رضي الله عنه: لست بالذي أنافسكم[٢] على هذا الأمر، ولكنَّكم إن شئتم اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبد الـرحمن. فلمّا ولَّوْا عبد الـرحمن أمْرَهم،

---

(١) وفد الحمراء: اسم للفرس الذين أسلموا.

(٢) نافست في الشيء منافسة: إذا رغبت فيه، والمنافسة هي الرغبة في الشيء والانفراد به، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه.

فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه[١]. ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان رضي الله عنه. قال المِسْوَر: طرقني[٢] عبد الرحمن بعد هِجْع[٣] من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً ـ فوالله ـ ما اكتحلتُ هذه الليلة بكثير نوم، انطلق فادعُ الزبير وسعداً، فدعوتهما له فشاورهما؛ ثم دعاني فقال: ادع لي علياً فدعوته، فناجاه حتى ابهارَّ الليل[٤]. ثم قام علي من عنده وهو على طمع ـ وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً ـ ثم قال لي: ادعُ لي عثمان فدعوته، فناجاه حتى فرَّق بينهما المؤذن بالصبح. فلمَّا صلَّى الناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل عبد الرحمن إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد ـ وكانوا قد وافَوا تلك الحجَّة مع عمر رضي الله عنه ـ فلما اجتمعوا تشهَّد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي، إنِّي قد نظرت في أمر الناس، فلم أَرَهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً، وأخذ بيد عثمان رضي الله عنه وقال: أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده. فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون. وأخرجه البيهقي (١٤٧/٨) أيضاً بنحوه.

---

(١) يطأ عقبه: يمشي وراءه.
(٢) طرقني: أي أتى ليلاً.
(٣) هجع من الليل: طائفة من الليل.
(٤) إبهارَّ الليل: كاد أن ينتهي.



الباب الثالث

باب

تحمُّل الشَّدائد في الله

كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يتحمّلون الشدائد والأذى، والجوع والعطش، إظهاراً للدين المتين. وكيف هانت عليهم نفوسهم في الله لإعلاء كلمته!!



باب

تحمّل الشّدائد في الله

﴿ قول المقداد في الحال التي بعث عليها النبي عليه السلام ﴾

أخرج أبو نعيم في الحلية (١/١٧٥) عن جبير بن نُفَير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود رضي الله عنه يوماً، فمرَّ به رجل، فقال: طُوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ؛ والله لودِدنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت!! فاستمعت، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً[1]. ثم أقبل عليه، فقال: ما يحمل أحدَكم على أن يتمنى محضراً غيّبه الله عزّ وجلّ عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟! والله، لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام - كبَّهم الله عزّ وجلّ على مناخرهم في جهنم - لم يجيبوه ولم يصدِّقوه!! **أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم الله عزّ وجلّ لا تعرفون إلا ربَّكم مصدِّقين بما جاء به نبيكم عليه السلام وقد كُفيتم البلاءَ بغيركم؟! والله، لقد بُعث النبي ﷺ على أشدّ حال بعث عليه نبي من الأنبياءِ**، في فترة وجاهليّة، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان. فجاء بفُرقان فرَّق به بين الحق والباطل، وفرّق بين الوالد وولده، حتى إنّ الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنّه قد هلك من دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه[2] في النار، وإنّها للتي قال الله عزّ وجلّ: «ربَّنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرِّياتنا قرةَ أعين»[3]. وأخرجه الطبراني أيضاً بمعناه بأسانيد

---

(١) القائل: نُفير، والظاهر أن الرجل قد تكلم بكلام أعجبه.

(٢) حميم الإنسان: خاصته ومن يقرب منه.

(٣) سورة الفرقان: آية ٧٤.

في أحدها يحيى بن صالح وثَّقه الذهبي، وقد تكلَّموا فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع (٦/١٧).

﴿ قول حذيفة في هذا الباب ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن محمد بن كعب القُرَظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: يا أبا عبدالله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجتهد. قال: **والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا**. قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي ـ والله ـ لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ـ فذكر الحديث في تحمُّلهم شدّة الخوف وشدة الجوع والبرد. وعند مسلم: فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقرّ[1] ـ فذكره. وعند الحاكم والبيهقي: فقال حذيفة: لا تمنَّوا ذلك ـ فذكره كما سيأتي في تحمُّل الخوف.

تحمل النبي ﷺ الشدائد والأذى في الدعوة إلى الله

﴿ قوله ﷺ في هذا الباب ﴾

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذى أحد، وأُخفتُ في الله وما يُخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال ما يأكله ذو كَبِد؛ إلَّا ما يُواري إبْط بلال». كذا في البداية (٣/٤٧). وأخرجه أيضاً الترمذي وابن حِبّان في صحيحه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. كذا في الترغيب (٥/١٥٩). وأخرجه أيضاً ابن ماجَهْ وأبو نُعيم.

﴿ ما قاله ﷺ لعمِّه حين ظنَّ ضعفه عن نُصْرته ﴾

وأخرج الطبراني في الأوسط والكبير عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إنَّ ابن أخيك

---

(١) القرّ: البرد.

يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل. فقال لي: يا عقيل، التمس لي ابن عمك. فأخرجته من كِبس[1] من أكباس أبي طالب، فأقبل يمشي معي يطلب الفيء يمشي فيه فلا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبي طالب. فقال له أبو طالب: يا ابن أخي، والله ما علمت أن كنت لي لمطاعاً[2]، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم!! فإن رأيت أن تكفَّ عنهم؟ فحلَّق ببصره إلى السماءِ فقال: **«والله، ما أنا بأقدرَ أن أدعَ ما بُعثت به من أن يُشعِلَ أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار»**. فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي **قط!!** ارجعوا راشدين. قال الهيثمي (٦/١٤): رواه الطبراني وأبو يَعْلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يَعْلَى رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه البخاري في التاريخ بنحوه كما في البداية (٣/٤٢).

وعند البيهقي أن أبا طالب قال له ﷺ: يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا، فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك. فظن رسول الله ﷺ أن قد بَدَا لعمه فيه، وأنه خاذله ومُسْلمه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: **«يا عم، لو وُضعت الشمس في يميني، والقمر في يساري؛ ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه»**؛ ثم استعبر[3] رسول الله ﷺ فبكى. فلما ولَّى قال له ـ حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ ـ: يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: امضِ على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً. كذا في البداية (٣/٤٢).

﴿ ما تحمَّله عليه السلام من الأذى بعد موت عمه ﴾

وأخرج البيهقي عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: لَمَّا مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً، فرجع

(١) كِبْس: بيت صغير. ويروى بالنون «كِنْس» من الكِناس وهو بيت الظبي. عن النّهاية.

(٢) كذا في الأصل وفي البداية. (٣) استعبر: أي جرت عبرته.

إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: «أي بنية، لا تبكي، فإن الله مانعٌ أباك» ويقول ما بين ذلك: «ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب، ثم شرعوا». كذا في البداية (٣/١٣٤).
وأخرج أبو نعيم في الحلية (٨/٣٠٨): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: لما مات أبو طالب تجهَّموا[١] بالنبي ﷺ، فقال: «يا عمّ، ما أسرع ما وجدت فقدك!!»

﴿ ما لقيه عليه السلام من الأذى من قريش وما أجابهم به ﴾

وأخرج الطبراني عن الحارث بن الحارث قال: قلت لأبي: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم. قال: فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ والإِيمان، وهم يردُّون عليه ويؤذونه، حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه، أقبلت امرأة قد بدا نحرها[٢] تحمل قَدَحاً ومِنديلاً، فتناوله منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال: «يا بنية، خمِّري عليك نحرك، ولا تخافي على أبيك». قلنا من هذه؟ قالوا: هذه زينب ابنته. قال الهيثمي (٦/٢١): رجاله ثقات. وعنده أيضاً عن مَنبِت الأزدي قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلاَّ الله تفلحوا». فمنهم من تفل[٣] في وجهه، ومنهم من حثا[٤] عليه التراب، ومنهم من سبَّه، حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بِعُسّ[٥] من ماء، فغسل وجهه ويديه وقال: «يا بنية، لا تخشَي على أبيك غِيلَة[٦]، ولا ذلّة». فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي جارية وضيئة[٧]. قال الهيثمي (٦/٢١): وفيه مَنبِت بـن مُدْرك، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وأخرج البخاري عن عروة رضي الله عنه قال: سألت ابن العاص

(١) تجهّموا: أي لقوا بالغلظة والوجه الكريه.
(٢) نحرها: أي صدرها.
(٣) تفل: أي بصق.
(٤) حثا: أي صب.
(٥) عُس: أي قدح كبير.
(٦) غيلة بالكسر: الخديعة والاغتيال، وقَتَله غيلة: خدعه فذهب به إلى موضع فقتله.
(٧) وضيئة: من الوضاءة أي حسينة.

رضي الله عنه فقلت: أخبرني بأشدِّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة؛ إذ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ، وقال: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربيَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟!﴾ [1]. الآية؛ كذا في البداية (٣/٤٦).

وعند ابن أبي شَيْبة عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلَّا يوماً، ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة ورسول الله ﷺ يصلِّي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي مُعَيط، فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وجب[2] لركبتيه ساقطاً، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول. فأقبل أبو بكر رضي الله عنه يشتد حتى أخذ بِضَبُعَي رسول الله ﷺ من ورائه ويقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!» ثم انصرفوا عن النبي ﷺ، فقام رسول الله ﷺ فصلَّى. فلما قضى صلاته مرَّ بهم - وهم جلوس في ظلِّ الكعبة - فقال: «يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، ما أُرسلت إليكم إلَّا بالذبح» وأشار بيده إلى حَلْقه. فقال له أبو جهل: ما كنت جهولاً. فقال له رسول الله ﷺ: «أنت منهم» - كذا في كنز العمال (٢/٣٢٧). وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى والطبراني بنحوه، قال الهيثمي (٦/١٦): وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وحديثه حسن، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في دلائل النبوة (ص ٦٧).

وأخرج أحمد عن عروة بن الزبير عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلت له: ما أكثرَ ما رأيتَ قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم - وقد اجتمع أشرافهم في الحِجْر - فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط!! سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعتنا، وسبَّ آلهتنا. لقد صبرنا منه على أمر عظيم!! - أو كما قالوا -. قال: فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل

---

(١) سورة المؤمن آية ٢٨.   (٢) وجب: أي سقط.

يمشي حتى استقبل الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت. فلما مرَّ بهم غمزوه[١] ببعض ما يقول. قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى. فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى. فلما مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذَّبح». فأخذتِ القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلاّ على رأسه طائر[٢] واقع، حتى إنَّ أشدهم فيه وضاءة[٣] قبل ذلك ليرفؤه[٤] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنَّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً. فوالله ما كنت جهولاً. فانصرف رسول الله ﷺ.

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر ـ وأنا معهم ـ فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم منه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه؟! فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأطافوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟! ـ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ـ قال فيقول رسول الله ﷺ: «نعم، أنا الذي أقول ذلك» قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، وقام أبو بكر رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: **أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟**!ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيت قريشاً بلغت منه قط. قال الهيثمي (٦/١٦): وقد صرَّح ابن إسحاق بالسَّماع، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرجه أيضاً البيهقي عن عروة رضي الله عنه قال: قلت لعبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ما أكثر ما رأيتَ قريشاً ـ فذكر الحديث بطوله نحوه كما ذكر في البداية (٣/٤٦).

وأخرج أبو يَعْلى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون

---

(١) غمزوه: أي أشاروا إليه. (٣) في البداية وابن هشام «وصاة» يعني توصية بإيذائه.
(٢) في البداية: إلا وكأنما على رأسه طائر. (٤) أي يسكّنه ويرفق به ويدعو له.

قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله ﷺ، فقاموا إليه فأجمعهم، فأتى الصريخ[١] إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإنَّ له لغدائرَ أربع، وهو يقول: ويلكم، **«أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟!»**. فَلَهوا[٢] عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر. قالت: فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام. قال الهيثمي (٦/١٧) وفيه: تَدْروس جدّ أبي الزبير، ولم أعرفه؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى. وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٢٤٧) عن ابن عيينة، عن الوليد بن كثِير، عن ابن عبدوس، عن أسماء رضي الله عنها - فذكره بنحوه، وبهذا الإسناد أخرجه أبو نعيم في الحِلْية (١/٣١) - مختصراً، وفيه: ابن تدروس عن أسماء. وأخرج أبو يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي: ويلكم، «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!». فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون. وأخرجه أيضاً البزّار - وزاد: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي (٦/١٧). وأخرجه أيضاً الحاكم (٣/٦٧). وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه.

﴿ قول علي في شجاعة أبي بكر رضي الله عنهما في خطبة له ﴾

وأخرج البزّار في مسنده عن محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس: من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال: أمَا إنِّي ما بارزني أحد إلا انتصفتُ منه، ولكن هو أبو بكر!!؛ إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً[٣]، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً[٤] بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى

---

(١) الصريخ: أي الصيحة الشديدة.
(٢) لَهَوا: أي تركوا.
(٣) العريش هو البيت الذي يُستظل به.
(٤) شاهراً: أي رافعاً.

إليه؛ فهذا أشجع الناس!!

قال: ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يحادُّه[١] وهذا يُتَلتله[٢] ويقولون: أنتَ جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟! فوالله، ما دنا منا أحد إلاَّ أبو بكر، يضرب هذا، ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!. ثم رفع علي بُرْدة كانت عليه فبكى حتى اخضلَّت[٣] لِحيته، ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم. فقال علي رضي الله عنه: فوالله، لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه!! ثم قال البزار: لا نعلمه يُروى إلا من هذا الوجه. كذا في البداية (٣/٢٧١). وقال الهيثمي (٩/٤٧): وفيه من لم أعرفه.

﴿ طرح رؤساء قريش الفَرْث عليه ﷺ وانتصار أبي البختري له ﴾

وأخرج البزّار والطبراني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ في المسجد، وأبو جهل بن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وعُقبة بن أبي معيط، وأميّة بن خلف، ورجلان آخران كانوا سبعة وهم في الحِجر، ورسول الله ﷺ يصلِّي، فلما سجد أطال السجود. فقال أبو جهل: أيُّكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفَرْثها[٤]، فنكفؤه[٥] على محمد؟ فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط، فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله ﷺ ساجد. قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندي مَنَعة تمنعني، فأنا أذهب إذ سمعتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقه[٦]، ثم استقبلت قريشاً تسبُّهم، فلم يرجعوا إليها شيئاً. ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «اللَّهمَّ عليك بقريش ـ ثلاثاً ـ عليك بعتبة، وعقبة، وأبي جهل،

---

(١) من المحادة، حادّه: غاضبه وعاداه وخالفه.
(٢) التلتلة: التحريك والإقلاق والزعزعة والزلزلة.
(٣) اخضلَّت: ابتلت.
(٤) فرثها: أي ما في الكرش.
(٥) أكفأ: أمال وقلب.
(٦) العاتق: ما بين المنكب والعنق.

وشيبة». ثم خرج من المسجد فلقية أبو البختري بسوط يتخصّر به، فلما رأى النبي ﷺ أنكر وجهه، فقال: ما لك؟ فقال النبي ﷺ: «خلِّ عني». قال: علم الله لا أُخلِّي عنك أو تخبرني ما شأنك، فلقد أصابك شيء؟. فلما علم النبي ﷺ أنه غير مخلٍّ عنه أخبره، فقال: «إنَّ أبا جهل أمر فطُرح عليَّ فرثٌ»، فقال أبو البَختري: هلمَّ إلى المسجد، فأتى النبي ﷺ وأبو البختري فدخلا المسجد؛ ثم أقبل أبو البختري إلى أبي جهل فقال: يا أبا الحكم، أنت الذي أمرتَ بمحمد فطُرح عليه الفرث؟ قال: نعم. فقال: فرفع السوط فضرب به رأسه. قال: فثار الرجال بعضها إلى بعض، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم، هي له، إنما أراد محمد أن يُلقي بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه. قال الهيثمي (٦/١٨): وفيه: الأجلح بن عبدالله الكندي وهو ثقة عند ابن معين وغيره، وضعَّفه النسائي وغيره. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في دلائل النبوة (ص ٩٠) نحو رواية البزار والطبراني. وأخرجه أيضاً الشيخان والترمذي وغيرهم باختصارِ قصة أبي البختري. وفي ألفاظ الصحيح: أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل يميل بعضهم إلى بعض أي من شدة الضحك. وعند أحمد: وقال عبدالله: فلقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر جميعاً. كذا في البداية (٣/٤٤).

﴿ إيذاء أبي جهل رسول الله ﷺ وغضب حمزة على أبي جهل ﴾

وأخرج الطبراني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق حليف بني زُهرة مرسلاً: أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصَّفا، فآذاه. وكان حمزة رضي الله عنه صاحب قَنْص[1] وصيد، وكان يومئذ في قَنْصه. فلما رجع قالت له امرأته ـ وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل برسول الله ﷺ ـ: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما صنع ـ تعني أبا جهل ـ بابن أخيك؟! فغضب حمزة رضي الله عنه، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته وهو معلّق قوسه في عنقه حتى دخل المسجد، فوجد أبا جهل في مجلس من مجالس قريش، فلم يكلِّمه

---

(١) القنص: الصيد.

حتى علا رأسه بقوسه فشجَّه. فقام رجال من قريش إلى حمزة يمسكونه عنه، فقال حمزة: ديني دين محمد، ـ أشهد أنه رسول الله، فوالله، لا أنثني عن ذلك فامنعوني من ذلك إن كنتم صادقين!! فلما أسلم حمزة رضي الله عنه عزّ به رسول الله ﷺ والمسلمون، وثبت لهم بعض أمرهم، وهابت[1] قريش، وعلموا أن حمزة رضي الله عنه سيمنعه. قال الهيثمي (٩/٢٦٧): ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، وفي حديثه: فأقبل من رَمْيه ذات يوم فلقيته امرأة، فقالت: يا أبا عمارة، ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل بن هشام!! شتمه، وتناوله، وفعل وفعل!!. فقال: هل رآه أحد؟ قالت: إي والله، لقد رآه ناس. فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصَّفا والمروة، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم، فاتكأ على قوسه وقال: رميتُ كذا وكذا وفعلت كذا وكذا؟ ثم جمع يديه بالقوس فضرب بها بين أذني أبي جهل، فدقَّ سِيتَهَا[2]، ثم قال: **خُذْها بالقوس وأخرى بالسيف، أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله**. قالوا: يا أبا عمارة، إنه سبَّ آلهتنا، وإن كنت أنت ـ وأنت أفضل منه ـ ما أقررناك. وذاك وما كنت يا أبا عمارة فاحشاً. قال الهيثمي (٩/٢٦٧): ورجاله رجال الصحيح. انتهى وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/١٩٢): عن ابن إسحاق عن رجل عن أسلم ـ فذكره مطولاً.

﴿ عزم أبي جهل على إيذائه ﷺ وكيف أخزاه الله ﴾

وأخرج البيهقي عن العباس رضي الله عنه قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل، فقال: إنَّ لله عليَّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل. فخرج غضبانَ حتى جاء المسجد فعجَّل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط.

---

(١) هابت: خافت.

(٢) سية القوس: ما عطف من طرفيها، والجمع سيات. نهاية؛ وفي المجمع: سنة.

فقلت: هذا يوم شر، فاتَّزرت ثم اتَّبعته، فدخل رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق ﴾[١]. فلما بلغ شأن أبي جهل: ﴿ كلاّ، إنَّ الإنسان ليطغَى، أن رآه استغنى ﴾[٢]، فقال إنسان لأبي جهل: يا أبا الحكم، هذا محمد. فقال أبو جهل: **ألا ترون ما أرى؟ والله، لقد سُدَّ أفقُ السماء عليّ**. فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد. كذا في البداية (٤٣/٣) وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير والأوسط، قال الهيثمي (٢٢٧/٨) وفيه: إسحاق بن أبي فَرْوة وهو متروك. انتهى؛ وأخرجه الحاكم (٣٢٥/٣) بمثله، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه، وتعقَّبه الذهبي، فقال: فيه عبدالله بن صالح وليس بعُمْدة، وإسحاق بن عبدالله بن أبي فروة وهو متروك.

﴿ إيذاء أبي جهل للنبي ﷺ وانتصار طليب بن عمير له ﴾

وأخرج ابن سعد عن الواقدي بسند له إلى بَرَّة بنت أبي تَجْراة قالت: عرض أبو جهل وعدّةٌ معه للنبي ﷺ فآذوه، فعمد طُليب بن عمير إلى أبي جهل فضربه فشجَّه، فأخذوه، فقام أبو لهب في نصرته. وبلغ أرْوَى فقالت: إنَّ خيرَ أيامه يوم نصر ابنِ خاله، فقيل لأبي لهب: إن أرْوَى صَبَتْ، فدخل عليها يعاتبها، فقالت: قم دون ابن أخيك، فإنه إن يظهر كنتَ بالخيار، وإلاَّ كنتَ قد أعذرتَ في ابن أخيك. فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة؟! إنه جاء بدين مُحدَث!!. كذا في الإصابة (٢٢٧/٤).

﴿ دعاء النبي ﷺ على عُتيبة بن أبي لهب حين آذاه وخبر هلاكه ﴾

وأخرج الطبراني عن قتادة مرسلاً قال: تزوج أمَّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ عتيبةُ بن أبي لهب، وكانت رقية عند أخيه عتبة بن أبي لهب، فلم يَبْنِ بها حتى بُعث النبي ﷺ. فلما نزل قوله تعالى: «تبَّت يدا أبي لهب» قال أبو لهب لابنيه عتبة وعتيبة: رأسي في رؤوسكما حرام إن لم تطلّقا ابنتي محمد، وقالت أمهما بنت حرب بن أمية ـ وهي حمَّالة الحطب ـ: طلِّقاهما يا بَني، فإنهما

---

(١) سورة العلق: ١ ـ ٢.

(٢) سورة العلق: ٦ ـ ٧.

صَبَأتا. فطلَّقاهما. ولما طلَّق عتيبة أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ حين فارقها، فقال: كفرت بدينك أو فارقت ابنتك، لا تجيئني ولا أجيئك، ثم سطا[١] عليه، فشقَّ قميص النبي ﷺ وهو خارج نحو الشام تاجراً. فقال النبي ﷺ: «أما إنِّي أسأل الله أن يُسلِّط عليك كلبه». فخرج في تَجْر[٢] من قريش حتى نزلوا بمكان يقال له «الزرقاء» ليلاً، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: **وَيْلُ أمي، هذا ـ والله ـ آكلي كما قال محمد، قاتلي ابن أبي كبشة، وهو بمكة وأنا بالشام.** فلقد غدا عليه الأسد من بين القوم، فضغمه[٣] ضغمة فقتله. قال زهير بن العلاء: فحدَّثنا هشام بن عروة عن أبيه: أن الأسد لمَّا أطاف بهم تلك الليلة انصرف، فناموا، وجُعل عتيبة وسطهم. فأقبل السبع يتخطّاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه[٤]، وخَلَف عثمانُ بن عفان بعد رقية على أم كلثوم ـ رضي الله عنهما؛ قال الهيثمي (١٨/٦): وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف.

﴿ إيذاء النبي ﷺ من جارَيه: أبي لهب، وعقبة بن أبي معيط ﴾

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ربيعة بن عُبيد الدِيلي قال: ما أسمعكم تقولون إن قريشاً كانت تنال من رسول الله ﷺ!! فإنِّي أكثر ما رأيت أنَّ منزله كان بين منزل أبي لهب وعُقبة بن أبي مُعَيط؛ وكان ينقلب إلى بيته فيجد الأرحام والدِّماء والأنحات[٥] قد نصبت على بابه، فيُنحِّي ذلك بسِيَة[٦] قوسه، ويقول: «بئس الجوار هذا يا معشر قريش!!» قال الهيثمي (٢١/٦): وفيه إبراهيم بن علي بن الحسين الرافقي، وهو ضعيف. انتهى.

﴿ ما تحمّله عليه السلام من الأذى في الطائف ﴾

وأخرج البخاري (٤٥٨/١): عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوجَ النبي ﷺ حدَّثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليكَ يوم كان أشدَّ عليك من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم

(١) سطا: وثب عليه وقهره.
(٢) تجر: جمع تاجر.
(٣) ضغمه: عضه بملء فيه.
(٤) فدغه: شدخه.
(٥) الأنحات: البراية والرديء من كل شيء.
(٦) سية القوس: ما عطف من طرفيها.

يوم العَقَبَة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلاَّ وأنا بقَرْن الثعالب[١]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبرائيل عليه السلام فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٢]؟. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله عزّ وجلّ من أصلابهم من يعبد الله عزّ وجلّ وحده لا يشرك به شيئاً». وأخرجه أيضاً مسلم والنسائي.

وذكر موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب: أنَّه ﷺ لمّا مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤووه، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم، وهم إخوة: عبد يا ليل، وحبيب، ومسعود بنو عمرو؛ فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم ما انتهَكَ منه قومه، فردُّوا عليه أقبح ردٍّ. وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطوَّلاً. كذا في فتح الباري (٦/١٩٨).

وأخرج أبو نُعَيم في دلائل النبوة (ص ١٠٣): عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: ومات أبو طالب، وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة، فعمِد إلى ثقيف يرجو أن يؤووه وينصروه، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو، وخبيب[٣] بن عمرو، ومسعود ابن عمرو. فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه. فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط. وقال الآخر: والله، لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً، لئن كنت رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك. وقال الآخر: أَعَجَزَ الله أن يرسل غيرك؟! وأفشَوا ذلك في ثقيف ـ الذي قال لهم ـ واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ،

(١) قرن الثعالب: موضع بقرب مكة.
(٢) الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة، أبو قُبيس، والأحمر.
(٣) كذا في الدلائل، وفي تاريخ الطبري: حبيب، وهكذا في الفتح كما تقدم آنفاً.

وقعدوا له صفَّين على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارة، فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلَّا رضخوها بالحجارة، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون. فلما خلص من صفَّيْهم[١] وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم، فأتى ظلَّ حُبْلة[٢] من الكرم فجلس في أصلها مكروباً موجعاً تسيل قدماه الدماء، فإذا في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذي به، فأرسلا إليه غلامهما عدَّاساً بعنب - وهو نصراني من أهل نِينَوى[٣] - فلمَّا أتاه وضع العنب بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله»، فعجب عدّاس، فقال له رسول الله ﷺ: «من أي أرض أنت يا عدّاس؟» قال: أنا من أهل نِينَوى. فقال النبي ﷺ: «من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متَّى؟» فقال له عدّاس: وما يدريك مَنْ يونس بن متَّى؟! فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف، **وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً، يبلِّغه رسالات الله تعالى**. قال: يا رسول الله، أخبرني خبر يونس بن متَّى. فلمَّا أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أُوحي إليه من شأنه خرّ ساجداً للرسول ﷺ، ثم جعل يقبِّل قدميه وهما تسيلان الدماء. فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا. فلما أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منا؟ قال: هذا رجل صالح، حدثني عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا يُدعى يونس بن متى، فأخبرني أنَّه رسول الله، فضحكا وقالا: لا يفتنْك عن نصرانيتك، إنه رجل يَخدع، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة. انتهى.

وذكر في البداية (٣/١٣٦) عن موسى بن عقبة: وقعد له أهل الطائف صفَّيْن على طريقه، فلمّا مرّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلَّا رضخوهما بالحجارة حتى أدمَوه، فخلَص منهم وهما يسيلان الدماء. وفيما ذكر ابن

(١) في دلائل النبوة لأبي نعيم (من سفهائهم).
(٢) حُبلة: بالضم: الكرم، أو أصل من أصوله، ويُحرك.
(٣) نينوى: بكسر أوله، قرية بالموصل من العراق.

إسحاق: فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم ـ فيما ذُكر لي ـ: «إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ»، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيُذْئِرهم(١) ذلك عليه. فلم يفعلوا، وأغرَوا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه. فَعمِد إلى ظل حُبْلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ المرأة التي من بني جمح، فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك!»(٢).

﴿ دعاؤه ﷺ عند الرجوع من الطائف ﴾

فلما اطمأن، قال ـ فيما ذُكر لي ـ: «اللَّهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني(٣)، أم إلى عدو ملكتَه أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكنَّ عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلماتُ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، منْ أن ينزل(٤) بي غضبك، أو يَحلَّ(٥) عليَّ سَخطُك. لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

﴿ إسلام عدَّاس ـ وكان نصرانياً ـ وشهادته بأنه عليه السلام نبي حق ﴾

قال: فلما رآه ابنا ربيعة: عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحِمُهما، فدَعَوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدَّاس، وقالا له: خذ قِطْفاً(٦) من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: «بسم الله» ثم أكل، ثم نظر عدَّاس في وجهه ثم قال: والله، إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!! فقال له

---

(١) أذاره: جرّاه وأغراه.
(٢) أحماء جمع حمو: أقارب الزوج.
(٣) يتجهمني: يستقبلني بوجه كريه.
(٤) من الطبري (ج ٢ ص ٢٣٠)، وفي البداية: تنزل.
(٥) من الطبري، وفي البداية: تحل.
(٦) قِطف بالكسر: أي العنقود.

رسول الله ﷺ: «ومن أهل أيّ بلاد أنت يا عدَّاس؟ وما دينك؟» قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نِينَوى. فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟» فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متًى؟! فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي** ». فأكبَّ عدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. قال: يقول ابنا[1] ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك!! فلما جاء عدَّاس قالا له: ويلك يا عداس، مالك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟! قال: **يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلاَّ نبي**. قالا له: ويحك يا عدَّاس!! لا يصرفنَّك عن دينك، فإنَّ دينك خير من دينه. كذا في البداية (٣/١٣٥) وذكر سليمان التَّيْمي في السيرة له: أنه قال للنبي ﷺ: أشهد أنك عبدالله ورسوله. كذا في الإصابة (٢/٤٦٦). وقد ذكره في الصحابة.

وأخرج ابن مَردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر: لو رأيتني ورسول الله ﷺ إذ صعدنا الغار، فأمّا قدما رسول الله ﷺ فتقطّرتا دماً، وأما قدماي فعادت كأنهما صَفْوان[2]. قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ لم يتعوّد الحِفْية[3]. كذا في كنز العمال (٨/٣٢٩).

﴿ ما لقيه عليه السلام من الأذى يوم أحد ﴾

وأخرج الشيخان والترمذي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كُسرت رَباعِيته يوم أُحد وشُجَّ في رأسه، فجعل يَسلِتُ[4] الدمَ عن وجهه ويقول: «كيف يُفلح قوم شَجُّوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟!» فنزل: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾[5] ـ الآية. وعند الطبراني في الكبير عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: أُصيب وجه النبي ﷺ يوم أُحد، فاستقبله

(١) من تاريخ الطبري (ج ٢ ص ٢٣٠)، وفي البداية: أبناء.
(٢) صفوان: جمع صفوانة: الحجر الصلد الضخم لا ينبت.
(٣) الحِفية بالكسر: المشي بغير خف ولا نعل.
(٤) يسلت: أي يمسح.
(٥) سورة آل عمران: آية ١٢٨

مالك بن سنان فمصَّ جرحه، ثم ازدرده[١] فقال ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى من خالط دمي دمه؛ فلينظر إلى مالك بن سنان». كذا في جمع الفوائد (٢/٤٧).

وأخرج الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد قال: ذاك يوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدِّث قال: كنت أول من فاء[٢] يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه[٣]، وأُراه قال: حميَّة، قال فقلت: كُنْ طلحة، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي[٤] أحب إليَّ. وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطَف[٥] المشي خطفاً لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرت رَباعِيَته، وشُجَّ في وجهه، وقد دخل في وجنته[٦] حلقتان من حَلَق المِغْفَر[٧]. قال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما» - يريد طلحة وقد نَزَف - فلم نلتفت إلى قوله، قال: وذهبت لأنزع ذلك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحقّي لمَّا تركتني، فتركته، فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأزَم[٨] عليها بفِيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيّته مع الحَلْقة. وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقّي لمَّا تركتني. قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فوقعت ثنيّته الأخرى مع الحلقة؛ فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هَتَماً[٩]. فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ،ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار[١٠]، فإذا به بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا

---

(١) ازدرده: ابتلعه.
(٢) فاء: رجع.
(٣) دونه: أي دون رسول الله.
(٤) كان طلحة ابن عم أبي بكر رضي الله عنهما.
(٥) يخطف: أي يسرع.
(٦) الوجنة: مثلثة ككلمة ومحركة: ما ارتفع من الخدين.
(٧) المغفر كمنبر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع بها المتسلح.
(٨) أزم يأزم كضرب أزما وأزوما فهو آزم وأزوم: عض بالفم كله شديداً.
(٩) الهتم متحركة هتم يهتَم كسمع هتما: انكسرت ثناياه من أصولها.
(١٠)جمع جفرة: هي حفرة في الأرض.

من شأنه. كذا في البداية (٤/ ٢٩). وأخرجه أيضاً ابن سعد (٣/ ٢٩٨)، وابن السُّنِّي، والشاشي، والبزار، والطبراني في الأوسط، وابن حِبَّان، والدارقطني في الأفراد، وأبو نُعيم في المعرفة، وابن عساكر كما في الكنز (٥/ ٢٧٤).

تحمل الصحابة رضي الله عنهم الشدائد والأذى في الدعوة إلى الله

تحمل أبي بكر الصديق رضي الله عنه الشدائد

﴿ إلحاح أبي بكر عليه ﷺ بالظهور وخطبته حينئذ وما لقي من الأذى ﴾

أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ - وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً - ألحّ[1] أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنَّا قليل». فلم يزل أبو بكر يلحّ حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته. وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ. وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطىء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرِّفهما لوجهه، ونزا[2] على بطن أبي بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تَيْم يتعادَون فأجلَت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تَيْم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكُّون في موته. ثم رجعت بنو تَيْم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تَيم يكلِّمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلَّم آخر النهار فقال: **ما فعل رسول الله**؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعَذَلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلَت به ألحَّت عليه، وجعل يقول: **ما فعل رسول الله ﷺ**؟ فقالت: والله مالي علمٌ بصاحبك.

---

(١) ألحّ: أي أصر عليه.
(٢) نزا: أي وثب عليه.

فقال: اذهبي إلى أمِّ جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم؛ فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً[١]؛ فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إنَّ قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال؛ أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم[٢]. قال: **فإن لله عليَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ**. فأمهلتا حتى إذا هدأت[٣] الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكىء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ. قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكب[٤] عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّة شديدة. فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي بَرَّة بولدها، وأنت مبارك فادعُها إلى الله وادعُ الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت. وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً، وهم تسعة وثلاثون رجلاً، وقد كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلم يوم ضرب أبو بكر رضي الله عنه.

﴿ دعاؤه عليه السلام لعمر بن الخطاب وإسلامه ﴾

ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه - أو لأبي جهل ابن هشام - فأصبح عمر، وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس، فكبَّر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة؛ وخرج أبو الأرقم - وهو أعمى كافر -، وهو يقول: اللَّهمَّ: اغفر لبنيَّ عبيد الأرقم فإنه كفر، فقام عمر فقال: يا رسول الله، علامَ نخفي ديننا ونحن على الحق؟ ويظهر

---

(١) الدنف: المريض الذي لزمه المرض.
(٢) لعل الصواب الأرقم بن أبي الأرقم.
(٣) سكنت.
(٤) أقبلوا عليه ولزموه.

دينهم وهم على الباطل؟ قال: «يا عمر، إنّا قليل قد رأيت ما لقينا!!» فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق، لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت، مرّ بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل ابن هشام: يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. فوثب المشركون إليه ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه وأدخل أصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحّى الناس فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه حتى أعجز الناس. واتبع المجالس التي كان يُجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم. قال: ما عليك بأبي وأمي، والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف؛ فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلّى الظهر مؤمناً، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر، ثم انصرف عمر وحده، ثم انصرف النبي ﷺ.

والصحيح: أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة، وذلك في السنة السادسة من البعثة. كذا في البداية (٣/ ٣٠). وذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ٤٤٧) عن ابن أبي عاصم.

﴿ ابتلاء المسلمين وخروج أبي بكر إلى الحبشة مهاجراً وقصته مع ابن الدغنة ﴾

وأخرج البخاري (ص ٥٥٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله ﷺ طَرَفي النهار: بُكرة، وعَشيَّة. فلما ابتلِيَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد[١] لقيه ابن الدُّغُنَّةِ[٢] وهو سيد

(١) برك الغماد: تفتح الباء وتكسر وتضم الغين وتكسر: وهو اسم موضع باليمن، وقيل: هو موضع وراء مكة بخمس ليالٍ.

(٢) بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة. وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون: وهي اسم أمه.

القارة[١]. فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرَجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدُّغُنَّةِ: فإنَّ مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج!! إنك تكسب المعدوم[٢]، وتصل الرَّحِم، وتحمل الكَلَّ[٣]، وتَقري الضيف[٤]، وتعين على نوائب[٥] الحق؛ فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك.

فرجع وارتحل معه ابن الدُّغُنَّة، فطاف ابن الدُّغُنَّة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: **إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتُخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرَّحِم، ويحمل الكلَّ، ويقري الضَّيف، ويعين على نوائب الحق.** فلم تكذِّب قريش بجوار[٦] ابن الدغنة، وقالوا لابن الدُّغُنَّة: مُرْ أبا بكر فليعبدْ ربَّه في داره، فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنَّا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا؛ فقال ذلك ابن الدُّغُنَّة لأبي بكر. فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفِناء داره، وكان يصلِّي فيه ويقرأ القرآن، فيتقذَّف[٧] عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن. وأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدُّغُنَّة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفِناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يَفتن نساءنا وأبناءنا فانْهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربَّه في داره فعل، وإن أبى

---

(١) القارة: بالقاف وتخفيف الراء: قبيلة مشهورة من بني الهُون، بالضم والتخفيف.
(٢) أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.
(٣) بفتح الكاف: وهو الثقل والعيال واليتيم ونحو ذلك، ومعناه: إنك تنفق على هؤلاء وتعينهم؛ وأصله من الكلال وهو الإعياء.
(٤) تقري الضيف: أي تهيء له طعامه ونزله.
(٥) نوائب: جمع نائبة: وهي الحادثة والنازلة.
(٦) جوار: بكسر الجيم وضمها: الذمام والعهد.
(٧) يتقذَّف: أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض.

إلا أن يعلن ذلك فسَلْه أن يردَّ إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفِرَك[١]، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة رضي الله عنها: فأتى ابن الدُّغُنَّة إلى أبي بكر فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرجع إليَّ ذمتي فإني لا أُحب أن تسمع العرب أني أُخفرتُ في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارَك وأرضى بجوار الله عزّ وجلّ ـ فذكر الحديث بطوله في الهجرة.

وأخرج أيضاً ابن إسحاق بنحوه، وفي سياقه: فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدُّغُنَّة ـ وهو يومئذ سيد الأحابيش[٢] ـ، فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذَوْني وضيَّقوا عليَّ. قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتزيِّن العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم؛ ارجع فإنَّك في جواري. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدُّغُنَّة فقال: يا معشر قريش، إنِّي قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يُعرِض له أحد إلا بخير. قال: فكفُّوا عنه، وفي آخره فقال: يا أبا بكر، إني لم أُجرك لتؤذيَ قومك، وقد كرهوا مكانك الذي أنتِ به وتأذَّوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله؟. قال: فارددْ علي جواري. قال: قد رددته عليك. قال: فقام ابن الدُّغُنَّة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد ردّ عليَّ جواري، فشأنكم بصاحبكم. كذا في البداية (٣/ ٩٤).

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن القاسم قال: لقيه ـ يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج من جوار ابن الدُّغُنَّة ـ سفيهٌ من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه تراباً، فمر بأبي بكر الوليد ابن المغيرة ـ أو العاص بن وائل ـ فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما

---

(١) أن نخفرك: من الإخفار أي ننقض عهدك.
(٢) الأحابيش: هم أحياء من القارَة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، والتحبش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حبشياً، فسُموا بذلك.

يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول: **أي رب ما أحلمك! أي رب ما أحلمك! أي رب ما أحلمك!** كذا في البداية (٣/٩٥).

وقد تقدم في حديث أسماء رضي الله عنها (ص ٢٦٨) عند أبي يَعْلى وغيره قالت: فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإن له لغدائرَ أربع؛ وهو يقول: ويلكم «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»؟ فَلَهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر. قالت: فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

تحمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشدائد

أخرج ابن إسحاق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لمّا أسلم عمر رضي الله عنه قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي، فغدا عليه - قال عبدالله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت - حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ؟ قال: فوالله، ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتَّبعه عمر واتبعته أنا، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، - وهم في أنديتهم[1] حول الكعبة - أَلا إنَّ ابن الخطاب قد صبأ. قال يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لاَ إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلح[2] فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: **افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله، أن لو قد كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.** قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حِبَرة[3] وقميص مُوَشًّى[4] حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم، فقالوا صبأ عمر. قال: فمَهْ!، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون، أترون بني عديّ يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما

(١) الأندية: جمع النادي: وهو المجلس.
(٢) طلح: أي أعيا.
(٣) حبرة: كعنبة: ضَرْب من بُرود اليمن.
(٤) موشّى: أي مخطط.

كانوا ثوباً كُشط[١] عنه. قال فقلت لأبي ـ بعد أن هاجر إلى المدينة ـ يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك ـ أيْ بنيَّ ـ العاص بن وائل السهمي. وهذا إسناد جيد قوي. كذا في البداية (٨٢/٣). وعند البخاري (٥٤٥/١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو ـ وعليه حُلة حِبَرة وقميص مكفوف[٢] بحرير ـ وهو من بني سَهْم وهم حلفاؤنا في الجاهلية. فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني أنْ أسلمتُ[٣]. قال لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمِنتُ. فخرج العاص فلقي الناس قد سال[٤] بهم الوادي؛ فقال: أين تريدون، فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ. قال: لا سبيل إليه فكرّ الناس.

تحمل عثمان بن عفان رضي الله عنه الشدائد

أخرج ابن سعد (٣٧/٣) عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي قال: لما أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وقال: أترغب عن ملَّة آبائك إلى دين مُحْدَث؟! والله لا أحلّك أبداً حتى تدعَ ما أنت عليه من هذا الدين. فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أُفارقه. فلما رأى الحَكَم صلابته في دينه تركه.

تحمل طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه الشدائد

أخرج البخاري في التاريخ عن مسعود بن خِراش رضي الله عنه قال: بينا نحن نطوف بين الصَّفا والمروة إذا أُناس كثير يتبعون فتى شاباً مُوثقاً بيده في عنقه. قلت: ما شأنه؟ قالوا: هذا طلحة بن عبيدالله صبأ؛ وامرأةٌ وراءه

---

(١) كشط: أي كشف.

(٢) قميص مكفوف: أي حاشية القميص مخيطة بحرير.

(٣) لأجل إسلامي.

(٤) سال: كناية عن كثرتهم، والوادي هو مكة المكرمة.

تدمدم[1] وتسبّه. قلت من هذه، قالوا: الصعبة بنت الحضرمي أمه. كذا في الإصابة (٣/٤١٠).

وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/٣٦٩) عن إبراهيم بن محمد ابن طلحة قال: قال لي طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه: حضرت سوق بصرى[2]، فإذا راهب في صومعته يقول: سَلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة رضي الله عنه: قلت: نعم؛ أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد، قال قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبدالله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحَرَّة[3] وسِباخ[4]، فإياك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حَدَث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبدالله الأمين تنبّأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق؛ فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب؛ فسُرَّ رسول الله ﷺ. فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدويَّة فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تَيْم، وكان نوفل بن خويلد يدعى «أسد قريش»، فلذلك سُمي أبو بكر وطلحة القرينين ـ فذكر الحديث. وأخرجه البيهقي أيضاً، وفي حديثه: وقال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ اكفنا شرَّ ابن العدوّية». كذا في البداية (٣/٢٩).

تحمل الزبير بن العوام رضي الله عنه الشدائد

أخرج أبو نُعيم في الحلية (١/٨٩) عن أبي الأسود قال: أسلم الزبير ابن العوام رضي الله عنه وهو ابن ثمان سنين وهاجر وهو ابن ثماني عشرة

---

(١) تدمدم: أي تغضب: الدمدمة: الغضب، ودمدم عليه: كلمه مغضباً.

(٢) بُصرى: بالضم والقصر: موضع بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران.

(٣) الحرَّة: أرض ذات حجارة نخرة سود.

(٤) السباخ: جمع سبخة، بفتح الباء وسكونها: أرض ذات نزّ وملح.

سنة، وكان عم الزبير يعلِّق الزبير في حصير ويدخِّن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر. فيقول الزبير: لا أكفر أبداً. وأخرجه الطبراني أيضاً ورجاله ثقات إلا أنه مرسل ـ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٥١). وأخرجه الحاكم (٣/٣٦٠) عن أبي الأسود عن عروة رضي الله عنه.

وأخرج أبو نُعيم عن حفص بن خالد قال: حدثني شيخ قدم علينا من المَوْصل قال: صحبت الزبير بن العوام رضي الله عنه في بعض أسفاره، فأصابته جنابة بأرض قفر[١]، فقال: استرني فسترته، فحانت مني إليه التفاتة فرأيته مجدَّعاً[٢] بالسيوف. قلت: والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط. قال: وقد رأيت ذلك؟ قلت: نعم، قال: **أما والله، ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله**. وأخرجه الطبراني، والحاكم (٣/٣٦٠) نحوه؛ وابن عساكر كما في المنتخب (٥/٧٠) أيضاً. قال الهيثمي (٩/١٥٠) والشيخ المَوْصلي لم أعرفه؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى. وعند أبي نُعيم أيضاً عن علي بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير: وإن في صدره لأمثال العيون من الطَّعن والرمي. كذا في الحلية (١/٩٠).

تحمل بلال بن رباح المؤذن رضي الله عنه الشدائد

﴿ من أظهر إسلامه أولاً معه عليه السلام ﴾

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمَّار وأمه سُميَّة، وصهيب، وبلال؛ والمقداد، رضي الله عنهم. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْرُع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد[٣] إلا وقد آتاهم[٤] على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله. وهان على

(١) الأرض القفر: الخلاء من الأرض، لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ.

(٢) مجدع: مقطَّعُ الأعضاء والتشديد للتكثير. عن النهاية لابن الأثير، وفي الحلية «مخدعاً» ولعلّه تصحيف.

(٣ ـ ٤) من المستدرك؛ وفي الحلية والمنتخب: إلا وأتاهم. وفي البداية: إلا وقد واتاهم أي: وافقهم.

قومه، فأخذوه فأعطَوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شِعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد - كذا في البداية (٣/٢٨). وأخرجه أيضاً الحاكم (٣/٢٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه أبو نُعيم في الحلية (١/١٤٩)، وابن أبي شيبة كما في الكنز (٧/١٤)، وابن عبد البَرّ في الاستيعاب (١/١٤١) من حديث ابن مسعود بمثله.

﴿ ما لقي بلال من الأذى في الله ﴾

وأخرجه أبو نُعيم أيضاً في الحلية (١/١٤٠) من حديث مجاهد، وفي حديثه: وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجَهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس. فلما كان من العشي أتاهم أبو جهل - ومعه حربته، فجعل يشتمهم ويوبخهم. وقال ابن عبد البر في حديث مجاهد - وزاد في خبر بلال -: أنهم كانوا يطوفون به والحبل في عنقه بين أخشبي[1] مكة. وأخرجه ابن سعد (٢/١٦٦) عن مجاهد بنحوه.

وأخرج الزبير بن بكار عن عُروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان بلال لجارية من بني جُمَح، وكانوا يعذبونه برَمْضاء[2] مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك، فيقول: أحد أحد، فيمر به وَرَقَة - وهو على تلك الحال - فيقول: أحد، أحد، يا بلال. والله، لئن قتلتموه لأتخذنَّه حناناً[3]. وهذا مرسل جيد. كذا في الإصابة (٣/٦٣٤).

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/١٤٨) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمرُّ ببلال وهو يعذَّب، وهو يقول أحد، أحد؛

---

(١) الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة: أبو قُبيس، والأحمر.

(٢) الرمضاء: الرمال الشديدة الحرارة.

(٣) الحنان: الرحمة والعطف، والحنان: الرزق والبركة. أراد: لأجعلنَّ قبره موضع حنان، أي مَظِنَّة من رحمة الله فأتمسح به متبركاً كما يُتمسَّحُ في قبور الصالحين. عن النهاية. قلت: المشهور وكما في صحيح البخاري أن ورقة توفي في الأيام الأولى للرِّسالة. ولم يدرك الإيذاء.

فيقول: أحد، أحد الله يا بلال. ثم يقبل ورقة بن نوفل على أمية بن خَلَف وهو يصنع ذلك ببلال، فيقول: أحلف بالله عزّ وجل لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حناناً، حتى مرَّ به أبو بكر الصدِّيق يوماً وهم يصنعون ذلك، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه ممَّا ترى. فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلَدُ منه وأقوى على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت، قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالاً فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام ـ قبل أن يهاجر من مكة ـ ست رقاب بلال سابعهم.

وذكر أبو نُعيم في الحِلْية (١٤٨/١) عن ابن إسحاق: كان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة؛ ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللاَّت والعزّى. فيقول: ـ وهو في ذلك البلاء ـ أحد، أحد. قال عمار بن ياسر ـ وهو يذكر بلالاً وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء، وإعتاق أبي بكر إياه، وكان اسم أبي بكر عتيقاً[١] رضي الله عنه ـ:

جزى الله خيراً عن بلالٍ وصَحْبه	عتيقاً وأخزى فاكهاً[٢] وأبا جـهلِ
عشيــة همَّـا في بــلال بِسَـوْأةٍ	ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقلِ
بتـوحيـده ربَّ الأنـام ِ وقـولِـه	شهدتُ بأنَّ اللهَ ربي على مَهْلِ
فـإن يقتلوني يقتلوني فلم أكن	لأشركَ بالرحمنِ من خيفة القتلِ
فيـا ربَّ إبراهيم والعبدَ يونُسٍ	وموسى وعيسى نجني ثم لا تُبْلِ
لمن ظلَّ يهوي الغيَّ من آل غالبٍ	على غير برٍّ كان منه ولا عدلِ

تحمل عمّار بن ياسر وأهل بيته رضي الله عنهم الشدائد

﴿ ما بشَّر النبي ﷺ عمّاراً وأهل بيته حين رآهم يُعذّبون في الله ﴾

أخرج الطبراني والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن جابر رضي الله عنه

---

(١) جزم البخاري وغيره من المحدِّثين بأن اسم أبي بكر «عبد الله» ولقبه «عتيق».
(٢) هو الفاكه بن المغيرة، عم أبي جهل.

أنّ رسول الله ﷺ مرَّ بعمَّار وأهله وهم يعذَّبون، فقال: «أبشروا آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة». قال الهيثمي (٩/٢٩٣): رجال الطبراني رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوّم وهو ثقة. إهـ.

وعند الحاكم في الكُنَى وابن عساكر عن عثمان رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ بالبطحاء إذ بعمّار وأبيه[1] وأمه يعذبون في الشمس ليرتدّوا عن الإسلام. فقال أبو عمّار: يا رسول الله، الدهرَ هكذا؟! فقال: «صبراً يا آل ياسر. اللَّهمَّ اغفر لآل ياسر، وقد فعلت». وأخرجه أيضاً أحمد والبيهقي، والبغوي، والعُقيلي، وابن مَنْده، وأبو نُعَيم، وغيرهم بمعناه عن عثمان رضي الله عنه كما في الكنز (٧/٧٢). وأخرجه ابن سعد (٣/١٧٧) عن عثمان رضي الله عنه بنحوه.

﴿ سمية أم عمّار أول شهيد في الإسلام ﴾

وأخرج أبو أحمد الحاكم[2] عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله ﷺ بياسر وعمّار وأم عمّار وهم يؤذَون في الله تعالى، فقال لهم: «صبراً يا آل ياسر، صبراً يا آل ياسر؛ فإنّ موعدكم الجنّة». ورواه ابن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه ـ وزاد: وعبدالله بن ياسر؛ وزاد: وطعن أبو جهل سميَّة في قُبُلها فماتت، ومات ياسر في العذاب، ورمي عبدالله فسقط ـ كذا في الإصابة (٣/٦٤٧). وعند أحمد عن مجاهد قال: أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمار سميَّة، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها. كذا في البداية (٣/٥٩).

﴿ اشتداد الأذى على عمَّار حتى أكره على قول الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (١/١٤٠) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عمّاراً رضي الله عنه فلم يتركوه حتى سبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير. فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال:

---

(١) من مسند الإمام أحمد (١ / ٦٢) والإصابة (٨ / ١١٤)؛ وفي الأصل: وأبوه.

(٢) هو الحاكم القزويني وهو غير صاحب المستدرك الحاكم النيسابوري.

شرّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير. فقال رسول الله ﷺ: «فكيف تجد قلبك؟» قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: «فإن عادوا فَعُد». وأخرجه ابن سعد (٣/١٧٨) عن أبي عبيدة نحوه. وأخرج أيضاً عن محمد: أن النبي ﷺ لقي عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول: «أخذك الكفار فغطُّوك في الماء؛ فقلت كذا وكذا، فإن عادوا فقل ذاك لهم». وأخرج أيضاً (٣/١٧٧) عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار. قال: فكان رسول الله ﷺ يمرّ به ويمر يده على رأسه فيقول: «يا نارُ كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام، تقتلك الفئة الباغية».

تحمل خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه الشدائد

﴿ خبر خبّاب مع عمر رضي الله عنهما ﴾

أخرج ابن سعد (٣/١١٧) عن الشَّعْبي قال: دخل خبَّاب بن الأرتّ رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأجلسه على متكئه وقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلَّا رجل واحد. قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال. فقال خباب: ما هو بأحق مني، إنَّ بلالاً كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد يمنعني، فلقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني[1] فيها، ثم وضع رجلٌ رجله على صدري فما اتقيت الأرض - أو قال: برد الأرض - إلَّا بظهري؛ قال: ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص. كذا في كنز العمال (٧/٣١).

﴿ ذكر ما لقي خباب من الأذى في الله ﴾

وعند أبي نُعيم في الحلية (١/١٤٤) عن الشَّعْبي قال: سأل عمر رضي الله عنه بلالاً عما لقي من المشركين؟ فقال خباب: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم. قال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا وَدَكُ[2] ظهري!! وعنده أيضاً، وابن سعد، وابن أبي شَيْبة كما في كنز العمال

---

(١) سلقوني: أي ألقوني.
(٢) الودك: الشحم.

(٧/ ٧١) عن أبي ليلى الكندي قال: جاء خبَّاب بن الأرت إلى عمر - رضي عنهما - فقال: ادنُه، فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار بن ياسر؛ فجعل خباب يريه آثاراً في ظهره ممَّا عذّبه المشركون.

وأخرج أحمد عن خبَّاب رضي الله عنه قال: كنت رجلاً قَيْناً[١] وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه. فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفرَ بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموتَ ثم تُبعث. قال: فإني إذا مت ثم بُعثت جئتني ولي ثَمَّ مال وولد فأعطيك. فأنزل الله تعالى: «أفرأيتَ الذي كفر بآياتِنا وقال لأوتَينَّ مالاً وولداً. - إلى قوله - ويأتينا فرداً»[٢] - كذا في البداية (٣/ ٥٩). وأخرجه ابن سعد (٣/ ١١٦) عن خباب بنحوه[٣].

وأخرج البخاري عن خبّاب رضي الله عنه يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسِّد ببردةٍ وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد - وهو محمرٌّ وجهه - فقال: «لقد كان مَنْ قبلكم ليُمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه!! وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلَّا الله عزّ وجلّ - زاد بيان: والذئب على غنمه -، ولكنكم تستعجلون». وأخرجه أيضاً أبو داود والنَّسائي كما في العيني (٧/ ٥٥٨)، والحاكم (٣/ ٣٨٣) بمعناه.

تحمل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الشدائد

﴿ إرسال أبي ذر أخاه لمَّا بلغه خبر بعثته عليه السلام ﴾

أخرج البخاري (١/ ٥٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا بلغ أبا ذرٍّ مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي[٤]، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله

(١) القين: الحداد، وكان خباب يصنع السيوف.
(٢) سورة مريم آية ٧٧ - ٨٠.
(٣) وأخرجاه في الصحيحين أيضاً.
(٤) أي مكة.

ثم ائتني. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذرٍّ فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني ممَّا أردت.

﴿ قدوم أبي ذر إلى مكة وقصّة إسلامه وما لقي من الأذى في الله ﴾

فتزود وحمل شَنّة(١) فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع، فرآه علي رضي الله عنه فعرف أنه غريب. فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله، فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث، فعاد علي مثل ذلك فأقام معه. ثم قال ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنّني فعلت، ففعل، فأخبره. قال: فإنَّه حقٌّ وهو رسول الله ﷺ. فإذا أصبحت فاتَّبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك، قمت كأني أريق الماء، فإن مضيتُ فاتَّبعني حتى تدخل مدخلي. ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه. فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري». قال: والذي نفسي بيده لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لاإله الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبَّ عليه، فقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غِفار وأن طريق تُجَّاركم إلى الشام(٢)؟! فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه.

وعند البخاري (١/ ٥٠٠) أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقال: يا معشر قريش، إنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده

(١) شَنّة: قربة صغيرة بالية.

(٢) كذا في الأصل. ولعل الصحيح وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم.

ورسوله. فقالوا؛ قوموا إلى هذا الصابىء، فقاموا فضربت لأموت، فأدركني العباس فأكب عليَّ ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم، تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممرّكم على غفار؟! فأقلعوا عني. فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابىء فصُنع بي مثل ما صُنع بالأمس، فأدركني العباس فأكبَّ عليَّ وقال مثل مقالته بالأمس.

﴿ أبو ذر أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ﴾

وأخرجه مسلم من طريق عبدالله بن الصامت عن أبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ فذكر قصة إسلامه بصفة أخرى، وفي حديثه: فانطلق أخي فأتى مكة ثم قال لي: أتيت مكة فرأيت رجلاً يسمِّيه الناس الصابىء هو أشبه الناس بك. قال: فأتيت مكة فرأيت رجلاً يسمِّيه، فقلت؛ أين الصابىء؟ فرفع صوته عليَّ فقال: صابىء، صابىء!! فرماني الناس حتى كأني نُصُبٌ أحمر[1]، فاختبأت بين الكعبة وأستارها، ولبثت فيها بين خمس عشرة من يوم وليلة، ما لي طعام ولا شراب إلا ماء زمزم. قال: ولقينا رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وقد دخلا المسجد، فوالله إنِّي لأول الناس حيَّاه بتحية الإسلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «وعليكِ السلام ورحمة الله، من أنت؟» فقلت: رجل من بني غِفار. فقال صاحبه: ائذن لي يا رسول الله في ضيافة الليلة، فانطلق بي إلى دار في أسفل مكة فقبض لي قَبَضات من زبيب. قال: فقدمت على أخي فأخبرته أني أسلمت. قال: فإني على دينك، فانطلقنا إلى أمِّنا؛ فقالت: إني على دينكما. قال: وأتيت قومي فدعوتهم فتبعني بعضهم.

﴿ شجاعة أبي ذر في قصة إعلان إسلامه وما لقيه من الأذى في ذلك ﴾

وأخرجه الطبراني نحو هذا مطوَّلاً، وأبو نعيم في الحلية (١/١٥٨) من طريق ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أقمت مع

---

(١) النصب: الحجر الذي كان المشركون يذبحون عليه ذبائحهم التي يهدونها للأصنام، والجمع أنصاب، والمراد هنا أنهم ضربوه حتى أدْمَوْه فصار كالنصب الُمحْمَرِّ بدم الذبائح. عن النهاية.

رسول الله ﷺ بمكة فعلمني الإسلام، وقرأت من القرآن شيئاً. فقلت: يا رسول الله، إني أريد أن أظهر ديني. فقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليك أن تُقتل». قلت: لا بدَّ منه وإن قتلت. قال: فسكت عني. فجئت ـ وقريش حِلَقاً يتحدّثون في المسجد ـ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فانتقضت الحِلَق، فقاموا فضربوني حتى تركوني كأني نُصُب أحمر، وكانوا يرون أنهم قد قتلوني؛ فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ فرأى ما بي من الحال، فقال لي: «ألم أنهك؟»، فقلت: يا رسول الله، كانت حاجة في نفسي فقضيتها. فأقمت مع رسول الله ﷺ، فقال: «الحق بقومك، فإذا بلغك ظهوري فأْتني»، وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أتيت مكة فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَرة وعَظْم، فخررت مغشياً عليَّ، فارتفعت حين ارتفعت كأني نُصُب أحمر. كذا في الحلية (١٥٩/١). وأخرجه الحاكم أيضاً (٣٣٨/٣) بطرق مختلفة.

تحمل سعيد بن زيد وزوجته فاطمة أخت عمر رضي الله عنهما الشدائد

﴿ إيذاء عمر لسعيد وزوجته فاطمة وقصة إسلام عمر بفضل دعاء النبي ﷺ له ﴾

أخرج البخاري (٥٤٥/١) عن قيس قال: سمعت سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل رضي الله عنه في مسجد الكوفة يقول: والله، لقد رأيتني وإن عمر لَمُوثقي على الإسلام، فذكر الحديث. وفي رواية أخرى عنه عنده (٥٤٦/١): لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم.

وأخرج ابن سعد (١٩١/٣) عن أنس رضي الله عنه قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلِّداً السيف فلقيه رجل من بني زُهْرة قال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً. قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زُهْرة إذا قتلت محمداً؟ قال: فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذي كنت عليه!! فقال أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أختك وخَتَنُك قد صَبَوا وتركا دينك الذي أنت عليه. قال: فمشى عمر

ذامراً[١] حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خبَّاب قال: فلما سمع خباب حِسَّ عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهَيْنَمة[٢] التي سمعتها عندكم؟ قال: وكانوا يقرؤون: «طه»، فقالا: ما عدا حديثاً تحدَّثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما قال: فقال له خَتنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على خَتَنه فوطأه وطأً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمَّى وجهها. فقالت ـ وهي غضبَى ـ: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك!! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه. قال: ـ وكان عمر يقرأ الكتب ـ فقالت أخته: إنك رِجْس ولا يمسه إلاَّ المطهَّرون، فقم فاغتسل أو توضأ. قال: فقام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ: «طه» حتى انتهى ـ إلى قوله ـ: «إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري»[٣]. قال فقال عمر: دلُّوني على محمد. فلما سمع خبّاب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللَّهمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام». قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا، فانطلق عمر حتى أتى الدار. قال: وعلى باب الدار حمزة وطلحة رضي الله عنهما وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما رأى حمزة وَجلَ القوم من عمر، قال حمزة: نعم، فهذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيِّناً. قال: ورسول الله ﷺ داخلٌ يُوحَى إليه. قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال: «أما أنت بمنتهٍ يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي[٤] والنكال[٥] ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللّهمَّ هذا عمر ابن الخطاب، اللَّهمَّ أعزَّ الدين بعمر بن الخطاب». قال فقال عمر: أشهد أنك

---

(١) ذامراً: أي متهدداً.
(٢) الهينمة: الكلام الخفي الذي لا يفهم.
(٣) سورة طه: آية ١٤.
(٤) الخزي: الذلة.
(٥) النكال: العقاب.

رسول الله، فأسلم وقال: اخرج يا رسـول الله. كذا في العيني (٨/٦٨). وذكره ابن إسحاق بهذا السياق مطوَّلاً كما في البداية (٣/٨١).

وعند الطبراني عن ثَوْبـان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»، وقد ضرب أخته أول الليل وهي تقرأ: «إقرأ باسم ربك الذي خلق» حتى ظنَّ أنه قتلها، ثم قام في السَحَر فسمع صوتها تقرأ «إقرأ باسم ربك الذي خلق» فقال: والله ما هذا بشعر ولا همهمته[٣]. فذهب حتى أتى رسول الله ﷺ فوجد بلالاً على الباب فدفع الباب؛ فقال بلال: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقال حتى أستأذن لك على رسول الله ﷺ. فقال بلال: يا رسول الله، عمر بالباب. فقال رسول الله ﷺ: «إن يرد الله بعمر خيراً يدخله في الدين»، فقال لبلال: افتح، وأخذ رسول الله ﷺ بضَبُعَيه وهزّه[٤]، وقال: «ما الذي تريد؟ وما الذي جئت؟» فقال له عمر: اعرض عليَّ الذي تدعو إليه. فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله». فأسلم عمر مكانه، وقال: اخرج. قال الهيثمي (٩/٦٢) وفيه: يزيد بن ربيعة وهو متروك؛ وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج البزار عن أَسْلَم مولى عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر ابن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم أول إسلامي؟ قال قلنا: نعم. قال: كنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ. فبينا أنا في يوم شديد الحر في بعض طرق مكة إذ رآني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟ قلت: أريد هذا الرجل. قال: يا ابن الخطاب قد دخل هذا الأمر في منزلك وأنت تقول هذا؟! قلت: وما ذاك! فقال: إن اختك قد ذهبت إليه. قال: فرجعت مُغْضباً حتى قرعت[٣] عليها الباب؛ ـ وكان رسول الله ﷺ إذا أسلم بعض من لا شـيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه ـ. قال: وكان

---

(١) الهمهمة: كلام خفي لا يفهم، وأصل الهمهمة: صوت البقر.
(٢) هزه: حركه.
(٣) قرعت: دققت ونقرت.

ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختي. قال: فقرعت الباب. فقيل لي: من هذا! قلت: عمر بن الخطاب ـ وقد كانوا يقرأون كتاباً في أيديهم ـ. فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبأوا في مكان وتركوا الكتاب. فلمّا فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها صَبَوتِ؟! قال: وأرفع شيئاً فأضرب به على رأسها، فبكت المرأة، وقالت: يا ابن الخطاب، **اصنع ما كنت صانعاً فقد أسلمت**. فذهبتُ، وجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط الباب، فقلت: ما هذه الصحيفة ها هنا؟ فقالت لي: دعنا عنك يا ابن الخطاب، فإنك لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهَّر، وهذا لا يمسه إلا المطهّرون؛ فما زلت بها حتى أعطتنيها. فذكر الحديث بطوله في إسلام عمر رضي الله عنه وما وقع له بعده. قال الهيثمي (٩/٦٤): وفيه أُسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ـ انتهى.

تحمل عثمان بن مظعون رضي الله عنه الشدائد

أخرج أبو نُعيم في الحلية (١/١٠٣) عن عثمان قال: لما رأى عثمان ابن مظعون رضي الله عنه ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء ـ وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ـ قال: والله إن غُدوِّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقَون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني لنقصٌ كبير في نفسي!! فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفَّتْ ذمتك، قد رددت إليك جوارك. قال: لم يا ابن أخي، لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله عزّ وجلّ، ولا أُريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فاردد عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا ثم خرجا حتى أتيا المسجد، فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد عليَّ جواري. قال لهم: قد صدق قد وجدته وفيّاً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره.

ثم انصرف عثمان ولبيدُ بن ربيعة بن مالك بن كلاب القيسي في المجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان. فقال لبيد ـ وهو

ينشدهم ـ:

ألَا كـلُّ شيء مـا خـلا اللهَ بـاطـلُ

فقال عثمان: صدقت، فقال:

وكـلُّ نـعـيـمٍ لا محـالـةَ زائـلُ

فقال عثمان: كذبت، نعيم أهل الجنة لا يزول. قال لبيد بن ربيعة، يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذى جليسُكم، فمتى حدث فيكم هذا؟! فقال رجل من القوم: إنَّ هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا، فلا تجدنَّ في نفسك من قوله، فردَّ عليه عثمان حتى سَرِي ـ أي عظم ـ أمرهما. فقام إليه ذلك الرجل فلطَم[١] عينه فخضَّرها[٢]، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بُلغ من عثمان. فقال: أما ـ والله ـ يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لَغنيةٌ، لقد كنت في ذمة منيعة. فقال عثمان: بلى ـ والله ـ إنّ عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس!! فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه فيما أُصيب من عينه:

فإنْ تَكُ عيني في رضى الربِّ نالها ... يدا مُلْحدٍ في الدين ليس بمهتدِ

فقد عوّض الرحمٰن منها ثـوابه ... ومن يُرضه الرحمٰن يا قوم يسـعدِ

فإني ـ وإنْ قلتم غَوِيٌ مُضلَّلٌ ... سفيهٌ ـ على دين الرسول محمدِ

أريـد بـذاك اللَّهَ والحقّ ديننـا ... على رغم من يبغي علينا ويعتدي

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما أصيب من عين عثمان ابن مظعون:

أمِنْ تـذكُّر دَهْـر غـيرِ مـأمـون ... أصبحت مكتئباً تبكي كمحزونِ

أمِنْ تـذكُّـر أقـوام ذوَي سَفَـهٍ ... يغشون بالظلم مَنْ يدعو إلى الدينِ

لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا ... والغدرُ فيهم سبيل غير مأمون

ألا تَرُون ـ أقلَّ الله خيـرهم ـ ... أنّا غضِبنا لعثمانَ بن مظعـون

(١) اللطم: ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة.

(٢) خضَّرها: جعلها خضراء أي سوداء. وكانت العرب تطلق الخضرة على السواد.

إذ يلطِمون ـ ولا يخشَون ـ مُقْلَتَه   طَعْناً دِراكا[١] وضرباً غيرَ مأفونِ[٢]
فسوف يجزيهم إن لم يمت عجلاً   كيلاً بكيلٍ جزاءً غير مغبونِ

وذكر في البداية (٣/٩٣): قصة ابن مظعون عن ابن إسحاق بلا إسناد، وزاد: فقال له الوليد: هَلُمَّ ـ يا ابن أخي ـ إلى جوارك فَعُدْ. قال: لا. وأخرجه الطبراني عن عروة مرسلاً. قال الهيثمي: وفيه: ابن لهيعة (٦/٣٤).

تحمل مصعب بن عمير رضي الله عند الشدائد

أخرج ابن سعد (٣/٨٢) عن محمد العبدَري عن أبيه قال: كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً[٣]، وكان أبواه يحبّانه، وكانت أمه مليئة[٤] كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي[٥] من النعال. فكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحداً أحسنَ لِمّة[٦]، ولا أرقَّ حُلَّة، ولا أنعمَ نعمة من مصعب بن عمير». فبلغه أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار أرقم ابن أبي الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدَّق به، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه. فكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً، فبصُر به عثمان بن طلحة يصلِّي فأخبر أمه وقومه. فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا، فرجع متغيِّر الحال قد حرج ـ يعني غَلُظَ ـ فكفَّت أمه عنه من العذل.

تحمل عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه الشدائد

﴿ ما لقي عبدالله من الأذى من ملك الروم وتقبيل عمر لرأسه حين قدم عليه ﴾

أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي رافع قال: وجّه عمر بن الخطاب

---

(١) دراك: ككتاب: إتْباع الشيء بعضه على بعض.
(٢) غير مأفون: غير ناقص.
(٣) سبيب: كأمير: شعر الناصية، والخصلة من الشعر.
(٤) مليئة: غنية مقتدرة.
(٥) الحضرمي: هو النعل المنسوبة إلى حضرموت المتخذة بها.
(٦) اللمة من شعر الرأس دون الجمة، سميت بذلك لأنها ألَمت بالمنكبين، فإذا زادت فهي الجمة.

رضي الله عنه جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبدالله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ، فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا له: إنَّ هذا من أصحاب محمد. فقال له الطاغية[1]: هل لك أن تنصَّر وأشرِكَك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبدالله: **لو أعطيتني ما تملك وجميع ما ملكته العرب، على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طَرْفة عين ما فعلت**. قال: إذاً أقتلك. قال: أنت وذاك. فأَمر به فصُلب، وقال للرماة: ارموه قريباً من يديه، قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى. ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر فصُبَّ فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يُلقى فيها. فلما ذُهب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى، فظنَّ أنه جزع فقال: ردّوه فعرض عليه النصرانية؛ فأبى. فقال: ما أبكاك إذاً؟ قال: أبكاني أني قلت في نفسي تُلقى الساعةَ في هذه القدر فتذهب، **فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نَفْس تُلقى في الله**. قال له الطاغية: هل لك أن تقبّل رأسي وأخلّي عنك؟ قال له عبدالله: وعن جميع أُسارى المسلمين؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبدالله: فقلت في نفسي: عدوٌّ من أعداء الله، أقبّل رأسه يخلّي عني وعن أسارى المسلمين لا أُبالي. فدنا منه فقبّل رأسه، فدفع إليه الأسارى. فقدم بهم على عمر رضي الله عنه، فأُخبر عمر بخبره؛ فقال عمر: **حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأس عبدالله بن حذافة وأنا أبدأ**، فقام عمر فقبّل رأسه. كذا في كنز العمال (٧/٦٢). قال في الإصابة (٢/٢٩٧): وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهداً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موصولاً، وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري. انتهى.

---

(١) الطاغية: لقب ملوك الروم، وربما أطلقه العرب على غيرهم، وهو مَنْ طغى في الكفر وجاوز القدر في الشر.

تحمل عامة أصحاب النبي ﷺ الشدائد

﴿ ما لقي الصحابة من الأذى من المشركين ﴾

أخرج ابن إسحاق عن حكيم عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبدالله ابن عباس رضي الله عنهما: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله من العذاب ما يُعذَرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم، والله، إنْ كانوا ليضربون أحدهم، ويُجيعونه، ويُعطِّشونه، حتى ما يقدر أن يستويَ جالساً من شدة الضُّرّ الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة!! حتى يقولوا له: اللّات والعزَّى إلٰهك من دون الله؟ فيقولَ: نعم، (حتى إنَّ الجُعَل[1] ليمر بهم، فيقولون له: أهذا الجُعَل إلٰهك من دون الله؟ فيقول: نعم)[2] افتداءً منهم بما يبلغون من جَهده ـ كذا في البداية (٣/٥٩).

﴿ خبره عليه السلام وأصحابه في المدينة بعد الهجرة ﴾

وأخرج ابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مَرْدويه، والبيهقي في الدلائل، وسعيد بن منصور عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار[3]، رمتهم العرب[4] عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلَّا في السلاح ولا يصبحون إلَّا فيه. فقالوا: تَرَوْن أنّا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله؛ فنزلت: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهم في الأرض﴾[5]. كذا في الكنز (١/٢٥٩). ولفظ الطبراني: عن أبيّ بن كعب قال: لمّا قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة؛ فنزلت: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهم في الأرض ﴾. قال الهيثمي (٧/٨٣): ورجاله ثقات.

---

(١) الجعل: دابة أرضية كالخنفساء.

(٢) هذه الجملة من «ابن هشام» وقد سقطت من الأصل ومن البداية.

(٣ ـ ٤) من منتخب كنز العمال (ج ١ ص ٤٦٥)، وروح المعاني (ج ٦ ص ٩٨)؛ وفي الأصل: رامتهم الأنصار منهم العرب.

(٥) سورة النور آية: ٥٥.

﴿ غزوة ذات الرِّقاع وما لقيه عليه السلام وأصحابه من الأذى ﴾

وأخرج ابن عساكر، وأبو يَعْلى عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُه فنَقِبَت[١] أقدامنا (ونقبت قدماي)[٢] وسقطت أظفاري، فكنّا نلفُّ على أرجلنا الخِرَق، فسميت الغزوة «ذاتَ الرقاع» لما كنّا نعصِب[٣] على أرجلنا من الخِرَق. كذا في الكنز (٥/ ٣١٠). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١/ ٢٦٠) بنحوه، وزاد: قال أبو بُرْدة: فحدَّث أبو موسى بهذا الحديث ثم ذكر ذلك فقال: ما كنت أصنع أن أذكر هذا الحديث!! كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه. وقال: الله يجزي به.

تحمل الجوع في الدعوة إلى الله ورسوله

﴿ تحمل النبي ﷺ الجوع ﴾

أخرج مسلم والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَل[٤] ما يملأ بطنه!!. وفي رواية لمسلم عن النعمان رضي الله عنه قال: ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناسُ من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي[٥] ما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه ـ كذا في الترغيب (٥/ ١٥٤). وأخرجه أيضاً الإمام أحمد، والطيالسي، وابن سعد، وابن ماجه، وأبو عَوانة وغيرُهم كما في الكنز (٤/ ٤٠).

﴿ شدة الحساب لا تصيب الجائع ﴾

وأخرج أبو نُعيم في الحلية، والخطيب، وابن عساكر، وابن النجّار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يصلِّي جالساً. فقلت: يا رسول الله، أراك تصلِّي جالساً فما أصابك؟ قال: «الجوع، يا أبا هريرة!»

---

(١) نقبت: رقَّت جلودها وتنفَّطت من المشي.
(٢) من الحلية (ج ١ ص ٢٦٠).
(٣) نعصب: نربط.
(٤) الدّقل مُحَرَّكة: أردأ التمر.
(٥) يلتوي: أي يضطرب من الجوع.

فبكيت. فقال: «لا تبكِ يا أبا هريرة، فإنَّ شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا». كذا في الكنز (٤/٤١).

﴿ بيوت النبي ﷺ لا تُسرج ولا يوقد فيها نار ﴾

وأخرج أحمد ـ ورواته رواة الصحيح ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة[1] شاة ليلاً، فأمسكتُ وقطع النبي ﷺ ـ أو قالت: فأمسك رسول الله ﷺ وقطعتُ ـ. قال: فتقول للذي تحدثه: هذا على غير مصباح. وأخرجه الطبراني أيضاً ـ وزاد: فقلت: يا أمَّ المؤمنين، على مصباح؟ قالت: لو كان عندنا دهن غير[2] مصباح لأكلناه ـ كذا في الترغيب (٥/١٥٥). وأخرجه أيضاً ابن جرير كما في الكنز (٤/٣٨). وعند أبي يَعْلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن كان ليَمرّ بآل رسول الله ﷺ الأهِلَّة ما يُسرج في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار، إن وجدوا زيتاً ادَّهنوا به، وإن وجدوا وَدَكاً[3] أكلوه. كذا في الترغيب (٥/١٥٤). قال الهيثمي (١٠/٣٢٥): رواه أبو يَعْلى، وفيه: عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف، وقد وثَّقه دحيم، وبقية رجاله ثقات.

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان يمر بآل رسول الله ﷺ هلال ثم هلال لا يوقد في بيوتهم شيء من النار، لا لخبز ولا لطبيخ. قالوا: بأيِّ شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: الأسودان: التمر والماء. وكان لهم جيران من الأنصار ـ جزاهم الله خيراً ـ لهم منائح[4]، يرسلون إليهم شيئاً من لبن. قال الهيثمي (١٠/٢١٥): إسناده حسن. ورواه البزار كذلك. انتهى.

وأخرج الشيخان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول:

---

(١) القائمة: واحدة قوائم الدابة.

(٢) كذا في الأصل وفي الترغيب، ولعل «غير» زائدة.

(٣) وَدَك: أي دسم اللحم.

(٤) منائح: جمع منيحة كعطية وزناً ومعنى، وأصلها شاة أو بقرة أو ناقة: تجعل لبنها لغيرك، ينتفع به ثم ترد إليك.

والله يا ابن أختي، إنْ كنَّا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلَّة في شهرين، وما أُوقدَ في أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت: يا خالة، فما كان يُعيِّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلاَّ أنَّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلىٰ رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه. كذا في الترغيب (٥/١٥٥). وأخرجه أيضاً ابن جرير نحوه، وأخرجه أحمد بإسناد حسَن، والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه كما في المجمع (١٠/٣١٥).

وأخرج ابن جرير أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنْ كنَّا لنمكث أربعين لا نوقد في بيت رسول الله ﷺ ناراً ولا غيره. قلت: بأي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين: بالتمر والماء إذا وجدنا. كذا في الكنز (٤/٣٨). وأخرج الترمذي عن مسروق قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها، فدعت لي بطعام فقالت: ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت. قلت: لمَ؟ قالت: أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم!!. كذا في الترغيب (٥/١٤٨). وعند ابن جرير عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز بُرٍّ ثلاثة أيام تباعاً منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله،. وعنده أيضاً عنها قالت: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ. وعنده أيضاً عنها قالت: قُبض رسول الله ﷺ وما شبع من الأسودين ـ التمر والماء ـ كما في الكنز (٤/٣٨). وفي رواية للبيهقي قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا شبعنا، ولكنه كان يؤثر على نفسه. كذا في الترغيب (٥/١٤٩).

﴿ ما أصابه عليه السلام من شدّة العيش ﴾

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن رضي الله عنه مرسلاً قال: كان رسول الله ﷺ يواسي الناس بنفسه حتى جعل يرقَع إزاره بالأدَم وما جمع بين غداء وعشاء ثلاثة أيام ولاءً حتى لحق بالله عزّ وجلّ.

وعند البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على

خُوان[١] ولم يأكل خبزاً مرقّقاً حتى مات. وفي رواية: ولا رأى شاة سميطاً[٢] بعينه قط. كذا في الترغيب (٥/١٥٣).

وأخرج الترمذي - وصحّحه - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوِين[٣] لا يجدون عشاء، وإنَّما كان أكثر خبزهم الشعير. وعنده أيضاً والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه مرَّ بقوم بين أيديهم شاة مصْلِيَّة[٤]، فدعَوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. كذا في الترغيب (٥/١٤٨، ١٥١).

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: إنَّ فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي ﷺ كِسرة من خبز الشعير، فقال لها: «هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام». وأخرجه الطبراني، وزاد فقال: «ما هذه؟» فقالت: قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكِسرة. فقال - فذكره قال الهيثمي (١٠/٣١٢) - بعد ما ذكره عن أحمد والطبراني -: ورجالهما ثقات. وعند ابن ماجه بإسناد حسن. والبيهقي بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بطعام سُخْن[٥]، فأكل. فلما فرغ قال: «الحمد لله؛ ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا». كذا في الترغيب (٥/١٤٩).

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ما رأى رسول الله ﷺ النقيَّ[٦] من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. فقيل: هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مُنخُل[٧]؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. فقيل: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟

(١) خوان: كغراب وكتاب: ما يؤكل عليه الطعام.
(٢) شاة سميطاً: مشوية، وأصله أن ينزع صوف الشاة بالماء الحار لتشوى.
(٣) طاوِين: جائعين.
(٤) مَصْلِيَّة: مشوية.
(٥) سخن: أي حار.
(٦) النقي: الخبز الحُوَّارَى، الذي نُخل مرة بعد مرة. عن النهاية.
(٧) منخل: بضم الميم والخاء وفتحها: أي الغربال الدقيق.

قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثرَّيْنَاه[1]. كذا في الترغيب (٥/١٥٣). وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان يبقى على مائدة رسول الله ﷺ من خبز الشعير قليل ولا كثير. وفي رواية له: ما رفعت مائدة رسول الله ﷺ من بين يدي رسول الله ﷺ وعليها فَضْلة من طعام قط. كذا في الترغيب (٥/١٥١). قال الهيثمي (١٠/٣١٣): وروى البزَّار بعضه.

﴿ وضعه عليه السلام والصحابة الحجر على بطونهم من الجوع ﴾

وأخرج الترمذي عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا ثيابنا عن حَجَرٍ حَجَرٍ على بطوننا؛ فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين. كذا في الترغيب (٥/١٥٦). وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن بُجَير رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ قال: أصاب النبي ﷺ جوع يوماً، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال: «ألا ربَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعةٌ عاريةٌ يوم القيامة. ألا ربَّ مُكْرِم لنفسه وهو لها مهين. ألا ربَّ مُهين لنفسه وهو لها مكرم». كذا في الترغيب (٣/٤٢٢). وأخرجه أيضاً الخطيب، وابن مَنْده كما في الإصابة (٢/٤٨٦).

﴿ قول عائشة رضي الله عنها في الشبع ﴾

وأخرج البخاري في كتاب الضعفاء وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع عن عائشة رضي الله عنها قالت: **أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشِّبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضَعُفت قلوبهم، وجَمحت[2] شهواتهم**. كذا في الترغيب (٣/٤٢٠).

جوعه ﷺ وجوع أهل بيته وأبي بكر وعمر رضي الله عنهم

﴿ جوعه عليه السلام وأبي بكر وعمر وخبرهم مع أبي أيوب ﴾

أخرج الطبراني، وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله

---

(١) ثرّيناه: أي بللناه بالماء.

(٢) جمحت: أي طغت، وكل شيء مضى لوجهه على أمر فقد جمح.

عنهما قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة(١) إلى المسجد، فسمع عمر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلَّا ما أجد من حاقِّ(٢) الجوع. قال: وأنا ـ والله ـ ما أخرجني غيره. فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «ما أخرجكما هذه الساعة؟» قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من حاقّ الجوع. قال: «وأنا ـ والذي نفسي بيده ـ ما أخرجني غيره! فقوما»، فانطلقوا فأتَوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وكان أبو أيوب يدَّخر لرسول الله ﷺ طعاماً كان أو لبناً، فأبطأ عليه يومئذ فلم يأت لحينه، فأطعمه لأهله، وانطلق إلى نخله يعمل فيه.

فلما انتَهوا إلى الباب خرجت امرأته فقالت: مرحباً بنبي الله وبمن معه. قال لها نبي الله ﷺ: «أين أبو أيوب»؟ فسمعه ـ وهو يعمل في نخل له ـ فجاء يشتد فقال: مرحباً بنبي الله وبمن معه. يا نبي الله، ليس بالحين الذي كنت تجيء فيه؟! فقال ﷺ: «صدقت». قال: فانطلق فقطع عِذْقاً(٣) من النخل فيه كلٌّ من التمر والرُّطَب والبُسْر. فقال ﷺ: «ما أردت إلى هذه، ألَا جَنَيت لنا من تمره؟» قال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورُطَبه وبُسْره، ولأذبحنّ لك مع هذا. قال: «إن ذبحتَ فلا تذبحنَّ ذاتَ دَرّ»(٤). فأخذ عَناقاً(٥) أو جدياً(٦) فذبحه، وقال لامرأته: اخبُزي واعجِني لنا وأنت أعلم بالخبز. فأخذ نصف الجدي فطبخه وشوَى نصفه. فلما أدرك الطعام(٧) ووُضع بين يدي النبي ﷺ وأصحابه؛ أخذ من الجَدي فجعله في رغيف وقال: «يا أبا أيوب: أبلغ بهذا فاطمة فإنها لم تُصِب مثل هذا منذ أيام». فذهب أبو أيوب

---

(١) الهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار. عن النهاية.
(٢) حاقّ الجوع: بتشديد القاف: أي صادقه وشدته.
(٣) العذق: بالكسر، أي القنو من النخلة.
(٤) ذات درّ: أي لبن.
(٥) عناق: كسحاب الأنثى من أولاد المعز دون السنة.
(٦) الجدي: من ولد المعز ذكرها في السنة الأولى.
(٧) أدرك الطعام: نضج واستوى.

إلى فاطمة. فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبز، ولحم، وتمر، وبُسْر، ورُطَب، ـ ودمعت عيناه ـ، والذي نفسي بيده، إنَّ هذا هو النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة».

فكَبُر ذلك على أصحابه فقال: «بل إذا أَصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم، فقولوا: بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل؛ فإن هذا كفاف[1] بهذا». فلما نهض قال لأبي أيوب: «ائتنا غداً» وكان لا يأتي أحد إليه معروفاً إلاَّ أحبَّ أن يجازيه. قال: وإن أبا أيوب لم يسمع ذلك؛ فقال عمر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ يأمرك أن تأتيه غداً. فأتاه من الغد فأعطاه وليدته؛ فقال: «يا أبا أيوب استوصِ بها خيراً فإنَّا لم نرَ إلا خيراً ما دامت عندنا». فلما جاء بها أبو أيوب من عند رسول الله ﷺ قال: لا أجد لوصية رسول الله ﷺ خيراً له من أن أعتقها فأعتقها. كذا في الترغيب. (٣/٤٣١).

وأخرجه البزار، وأبو يعلى، والعُقَيْلي، وابن مَرْدَوَيه، والبيهقي في الدلائل، وسعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فوجد أبا بكر رضي الله عنه في المسجد فقال: «ما أخرجك في هذه الساعة؟» فقال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. وجاء عمر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا ابن الخطاب؟» قال أخرجني الذي أخرجكما. فقعد عمر، وأقبل رسول الله ﷺ يحدِّثهما، ثم قال: «هل بكما قوة تنطلقان إلى النَّخْل فتصيبان طعاماً وشراباً وظلاًّ؟» قال: «سيروا بنا إلى منزل أبي الهيثم بن التَّيِّهان الأنصاري ـ فذكر الحديث بطوله كما في كنز العمال (٤/٤٠). وأخرجه مسلم مختصراً ولم يُسمِّ الرجل الأنصاري؛ وهكذا رواه مالك بلاغاً[2] باختصار. قال الحافظ المنذري: (٥/١٦٧): والظاهر أن هذه القصة اتفقت مرة مع أبي الهيثم ومرة مع أبي أيوب. إهـ.

(١) الكفاف: الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه.
(٢) بلاغاً: أي يقول المحدِّث: بلغني، ولا يذكر السند.

﴿ رجوع علي وفاطمة رضي الله عنهما ﴾

وأخرج الطبراني - بإسناد حسن - عن فاطمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أتاها يوماً، فقال: «أين ابناي»؟ - يعني حسناً وحسيناً - قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال عليّ: أذهبُ بهما فإني أتخوَّف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء، فذهب إلى فلان اليهودي. فتوجه إليه النبي ﷺ فوجدهما يلعبان في شَرَبة[1]، بين أيديهما فضل من تمر. فقال: «يا علي، ألا تُقْلِب ابنيَّ قبل أن يشتد الحر؟» قال: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمعَ لفاطمة فَضْلَ تمرات. فجلس رسول الله ﷺ حتى اجتمع لفاطمة فَضْل من تمر، فجعله في خِرْقة ثم أقبل، فحمل النبي ﷺ أحدهما وعلي الآخر حتى أقلباهما. كذا في الترغيب (٥/١٧١). وقال الهيثمي (١٠/٣١٦): إسناده حسن.

وأخرج هَنَّاد عن عطاء رضي الله عنه قال: نُبِّئت أن علياً رضي الله عنه قال: مكثنا أياماً ليس عندنا شيء ولا عند النبي ﷺ، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح[2] على الطريق، فمكثت هنيهة[3] أوامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجَهْد. فأتيت به الصَفاطين[4] فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبُزي. فجعلت تعجن - وإن قُصَّتها[5] لتضرب حرف الجَفنة من الجَهْد الذي بها - ثم خبزت. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته. فقال: «كلوه فإنه رزق رزقكموه الله عزّ وجلّ». وأخرجه العدني عن محمد بن كعب القرظي مطولاً. كذا في الكنز (٧/٣٢٨). وأخرجه أبو داود (١/٢٤٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه مطوَّلاً.

---

(١) شَرَبة: بفتح الراء: حوض يكون في أصل النخلة وحولها يملأ ماء لتشربه.

(٢) مطروح: ملقى.

(٣) هنيهة: أي ساعة يسيرة.

(٤) الصفاطين: الذين يجلبون الميرة والمتاع إلى المدن.

(٥) القصّة: بالضم، شعر الناصية.

وأخرج أحمد عن محمد بن كعب القرظي أن علياً رضي الله عنه قال: لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار ـ وفي رواية: وإن صدقتي اليوم لأربعون[١] ألفاً ـ. ورجال الروايتين رجال الصحيح غير شَريك بن عبدالله النَخَعي وهو حسن الحديث، ولكن اختلف في سماع محمد بن كعب من علي رضي الله عنه. كذا في مجمع الزوائد للهيثمي (٩/١٢٣).

﴿ أمره عليه السلام أمَّ سُليم بالصبر على الجوع ﴾

وأخرج الطبراني عن أم سُلَيم رضي الله عنها: قال لها رسول الله ﷺ: «اصبري ـ فوالله ـ ما في آل محمد شيء منذ سبع، ولا أوقد تحت بُرْمة[٢] لهم منذ ثلاث. والله، لو سألتُ الله يجعل جبال تِهامة كلّها ذهباً لفعل». كذا في الكنز (٤/٤٢).

جوع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

﴿ قصة سعد في هذا الباب وذكر أنه أول العرب رمَى بسهم في سبيل الله ﴾

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/٩٣) عن سعد رضي الله عنه قال: كنا قوماً يُصيبنا ظَلَف[٣] العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته؛ فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومَرَنّا[٤] عليه وصبرنا له. ولقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعة[٥] شيء تحت بَوْلي، فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين، ثم أستَفُّها[٦] وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً.

---

(١) من مسند الإمام أحمد (١ / ١٥٩)؛ وفي الأصل: لأربعين.
(٢) البرمة: أي القدر، وهي في الأصل: المتخذة من الحجر.
(٣) ظلف العيش: أي بؤسه وشدته وخشونته.
(٤) مَرَنّا: اعتدنا وداومنا.
(٥) القعقعة: حكاية حركة الشيء يسمع له صوت.
(٦) استفُّها: أي أخذتها غير مَلْتوتة (غير مبلولة بالماء).

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إنّي لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله. ولقد كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحُبْلة[١] وهذا السَّمر، حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خِلْط[٢]. كذا في الترغيب (١٧٩/٥). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٨/١)، وابن سعد (٩٩/٣) بنحوه.

جوع المقداد بن الأسود وصاحبيه رضي الله عنهم

أخرج أبو نعيم في الحلية (١٧٣/١) عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: جئت أنا وصاحبان لي قد كادت تذهب أسماعنا وأبصارنا من الجَهْد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فما يقبلنا أحد، حتى انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى رَحْله - ولآل محمد ثلاث أعنُز يحتلبونها -. فكان النبي ﷺ يوزع[٣] اللبن بيننا، وكنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه. فيجيء فيسلِّم تسليماً يُسمع اليقظان ولا يوقظ النائم. فقال لي الشيطان: لو شربت هذه الجُرعة، فإنَّ النبي ﷺ يأتي الأنصار فيتحفونه، فما زال بي حتى شربتها. فلما شربتها ندّمني وقال: ما صنعت؟ يجيء محمد ﷺ فلا يجد شرابه فيدعو عليك فتهلِك. وأما صاحباي فشربا شرابهما وناما، وأما أنا فلم يأخذني النوم وعليّ شَمْلة لي إذا وضعتها على رأسي بدت منها قدماي، وإذا وضعتها على قدمي بدا رأسي. وجاء النبي ﷺ كما كان يجيء فصلّى ما شاء الله أن يصلِّي، ثم نظر إلى شرابه فلم ير شيئاً فرفع يده، فقلت: يدعو عليَّ الآن فـأهلِك. فقال رسـول الله ﷺ: «اللّهمّ أطعم من أطعمني، واسقِ من سقاني». فأخذت الشفرة[٤] وأخذت الشَّمْلة وانطلقت إلى الأعنُز أجسّهن

---

(١) الحبلة: بالضم وسكون الباء: ثمر السَّمر؛ وقيل: ثمر العضاه.
(٢) ماله خلط: أي لا يختلط نجُوهم بعضه ببعض لجفافه ويبسه.
(٣) يوزع: يقسم.
(٤) الشفرة: السكين العريضة.

أيتهن أسمن كي أذبحه لرسول الله ﷺ. فإذا حُفَّل[١] كلُّهن، أخذت إناء لآل محمد ﷺ، كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، فحلبته حتى عَلَتْه الرَّغْوة[٢]. ثم أتيت رسول الله ﷺ فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم ناولته فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم ضحكت حتى أُلقيت إلى الأرض. فقال لي: «إحدى سوءاتِك يا مقداد» فأنشأت أحدِّثه بما صنعت. فقال رسول الله ﷺ: «ما كانت إلا رحمة من الله عزّ وجلّ، لو كنتَ أيقظت صاحبيك فأصابا منها». قلت: **والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصبتَها أنت وأصبتُ فضلتك من أخطأتْ من الناس**. وأخرج أيضاً من طريق طارق عن المقداد رضي الله عنه قال: لما نزلنا المدينة عشَّرَنا رسول الله ﷺ عشرة عشرة - يعني في كل بيت -. قال: فكنت في العشرة الذين كان النبي ﷺ فيهم. قال: ولم يكن لنا إلا شاة نتجزَّأ لبنها. كذا في الحلية (١/ ١٧٤).

جوع أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ شدّ أبي هريرة الحجر على بطنه من الجوع ﴾

أخرج أحمد عن مجاهد أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: والله إنْ كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عزّ وجلّ ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمر أبو القاسم ﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي، فقال: «أبا هريرة» قلت له: لبيك يا رسول الله، فقال: «الحقْ»، واستأذنت فأذن لي؛ فوجدت لبناً في قَدَح. قال: «من أين لكم هذا اللبن؟» فقالوا: أهداه لنا فلان - أو آل فلان -. قال: «أبا هرّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «انطلق إلى أهل الصُّفَّة[٣] فادعُهم لي». قال: - وأهل الصفة أضيافُ الإسلام، لم يأووا إلى

---

(١) حُفَّل: جمع حافل، أي ممتلئة الضروع. (٢) الرغوة: أي الزبد.

(٣) أهل الصفة: هم فقراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلّل في مسجد المدينة يسكنونه..

أهل ولا مال، إذا جاءت رسول الله ﷺ هديةٌ أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقةُ أرسل بها إليهم ولم يصب منها - قال: وأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى به بقية يومي وليلتي. وقلت: أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم؛ وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن؟! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدّ. فانطلقت فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت. ثم قال: «أبا هرّ، خُذْ فأعطهم» فأخذت القَدَح فجعلت أعطيهم، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروَى ثم يرد القدح، حتى أتيت على آخرهم، ودفعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأخذ القدح فوضعه في يده وبقي فيه فضلة ثم رفع رأسه ونظر إليّ وتبسم وقال: «أبا هرّ» قلت: لبيك رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت». فقلت: صدقت يا رسول الله، قال: «فاقعد فاشرب» قال: فقعدت فشربت، ثم قال لي: «اشرب»، فشربت؛ فما زال يقول لي: «اشرب»، فأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له فيّ مسلكاً!! قال: «ناولني القدح»، فرددت إليه القدح فشرب من الفَضْلة. وأخرجه أيضاً البخاري؛ والترمذي وقال: صحيح. كذا في البداية (٦/١٠١). وأخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

﴿ ما أصاب أبا هريرة من شدة الجوع ﴾

وأخرج ابن حِبَّان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتت عليَّ ثلاثة أيام لم أطعَم، فجئت أريد الصُّفَّة فجعلت أسقط. فجعل الصبيان يقولون: جُنّ أبو هريرة. قال: فجعلت أناديهم وأقول: بل أنتم المجانين، حتى انتهينا إلى الصُّفَّة. فوافقت رسول الله ﷺ أُتيَ بقصعتين من ثريد. فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها، فجعلت أتطاول كي يدعوني، حتى قام القوم وليس في القصعة إلا شيء في نواحي القصعة. فجمعه رسول الله ﷺ فصارت لقمة، فوضعه على أصابعه فقال لي: «كُلْ، بسم الله»، فوالذي نفسي بيده، ما زلت آكل منها حتى شبعت. كذا في الترغيب (٥/١٧٦).

وأخرج البخاري والترمذي عن ابن سِيرين قال: كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه وعليه ثوبان مُمَشَّقان[١] من كتَّان. فمخط في أحدهما ثم قال: بَخٍ، بَخٍ!! يتمخط أبو هريرة في الكَتان، لقد رأيتُني وإني لأخرّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة مغشياً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون وما هو إلا الجوع. كذا في الترغيب (٣/٣٩٧). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١/٣٧٨)، وعبد الرزاق بنحوه؛ وابن سعد (٤/٥٣) نحوه، وزاد: ولقد رأيتُني وإني لأجيرٌ لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني وعُقبة رِجلي، أسوق بهم إذا ركبوا وأخدمهم إذا نزلوا. فقالت لي يوماً: لَترِدَنّه حافياً[٢] ولتركبنّه قائماً. قال: فزوَّجنيها الله بعد ذلك. فقلت لها: لترِدنّه حافية ولتركبِنّه قائمة. وفي رواية لابن سعد قبلها: عن سليم بن حَيَّان قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبُسْرة بنت غزوان بطعام بطني وعُقْبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدُوا إذا ركبوا، فزوّجنيها الله؛ فالحمد لله الذي جعل الدين قِواماً[٣] وجعل أبا هريرة إماماً.

وأخرج أحمد ـ ورواته رواة الصحيح ـ عن عبدالله بن شقيق قال: أقمت مع أبي هريرة رضي الله عنه بالمدينة سنة. فقال لي ذات يوم ـ ونحن عند حجرة عائشة رضي الله عنها ـ: لقد رأيتُنا ومالنا ثياب إلاَّ الأبرادُ الخشنة، وإنه ليأتي على أحدنا الأيام ما يجد طعاماً يقيم به صلبه، حتى إنْ كان أحدنا ليأخذ الحجر فيشدّ به على أخمص بطنه، ثم يشدّه بثوبه ليقيم صلبه. كذا في الترغيب (٥/١٧٧). وقال الهيثمي (١٠/٣٢١): رجاله رجال الصحيح، وعند أحمد أيضاً عنه قال: إنما كان طعامنا مع نبي الله ﷺ التمر والماء. والله ما كنا نرى سمراءكم[٤] هذه، ولا ندري ما هي؟ وإنما كان

---

(١) المشق بالفتح ويكسر: المُغْرة: الطين الأحمر يصبغ به.
(٢) حافياً: أي ماشياً بلا خف ولا نعل. والورود لا يكون إلا للماء.
(٣) قواماً: أي به تقوم أمور الناس وتنتظم وتستقيم.
(٤) السمراء: أي الحنطة.

لباسنا مع رسول الله ﷺ النِّمار - يعني بُرد الأعراب -. قال الهيثمي (٣٢١/١٠): رجاله رجال الصحيح. ورواه البزار باختصار. انتهى.

جوع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنت مرة في أرض أقطعها النبي ﷺ لأبي سَلَمة والزبير في أرض بني النضير. فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ ولنا جار من اليهود، فذبح شاة فطُبخت، فوجدت ريحها فدخلني مالم يدخلني من شيء قط، وأنا حامل بابنتي خديجة فلم أصبر. فانطلقت فدخلت على امرأة اليهودي أقتبس منها ناراً لعلها تطعمني، وما بي من حاجة إلى النار. فلما شمِمتُ الريح ورأيته ازددت شرهاً[1] فأطفأته، ثم جئت ثانياً أقتبس؛ ثم ثالثة؛ ثم قعدت أبكي وأدعو الله. فجاء زوج اليهودية فقال: أدخل عليكم أحد؟ قالت: العربية تقتبس ناراً. قال: فلا آكل منها أبداً أو ترسلي إليها منها. فأرسل إليَّ بقَدحة - يعني غَرْفة -، فلم يكن شيء في الأرض أعجب إليَّ من تلك الأُكلة. كذا في الإصابة (٢٨٤/٤). قال الهيثمي (١٦٦/٨): وفيه: ابن لهيعة، وحديثه حسن؛ وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى.

جوع عامة أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم

﴿ ما أصاب الصحابة من الجوع والقرّ ليلة الخندق ﴾

أخرج أبو نُعيم عن أبي جهاد رضي الله عنه - وكان من أصحاب النبي ﷺ - فقال له ابنه: يا أبتاه، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه!! والله، لو رأيته لفعلت وفعلت. فقال له أبوه: اتّق الله وسدِّد، فوالذي نفسي بيده، لقد رأيتُنا معه ليلة الخندق وهو يقول: «من يذهب فيأتينا بخبرهم - جعله الله رفيقي يوم القيامة -؟» فما قام من الناس أحد من صميم[2] ما بهم من الجوع والقر، حتى نادى في الثالثة: يا حذيفة. وأخرجه الدَّوْلابي من هذا الوجه.

(١) الشره: أي شدة الحرص.

(٢) من صميم ما بهم: من شدة ما بهم.

كذا في الإصابة (٣٥/٤). وسيأتي حديث حذيفة رضي الله عنه بطوله في تحمُّل القرِّ بمعناه.

وأخرج البزار ـ بإسناد جيد ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الجوع في وجوه أصحابه فقال: «أبشروا فإنه سيأتي عليكم زمان يُغدَى على أحدكم بالقصعة من الثريد ويُراح عليه بمثلها». قالوا: يا رسول الله، نحن يومئذ خير. قال: «بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ». كذا في الترغيب (٤٢٢/٣).

وأخرج ابن أبي الدنيا ـ بإسناد جيد ـ عن محمد بن سِيرِين رضي الله عنه قال: إنْ كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ يأتي عليه ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يأكله، فيأخذ الجلدة فيشويها فيأكلها، فإذا لم يجد شيئاً أخذ حجراً فشدَّ صُلبه. كذا في الترغيب (١٧٩/٥).

﴿ وقوع بعض الصحابة من قيامهم في الصلاة من الجوع والضعف ﴾

وأخرج الترمذي ـ وصححه ـ وابن حِبَّان في صحيحه عن فَضالة ابن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلَّى بالناس يخرُّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخَصَاصة[١] ـ وهم أصحاب الصُّفَّة ـ حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين ـ أو مجانون[٢] ـ. فإذا صلّى رسول الله ﷺ انصرف إليهم، فقال: «لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة». كذا في الترغيب (١٧٦/٥). وأخرجه أبو نُعيم في الحلية (٣٣٩/١) مختصراً.

﴿ أكل الصحابة الورق في سبيل الله وبعض قصصهم في تحمل الجوع ﴾

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: إنْ كان السبعة من أصحاب رسول الله ﷺ ليمَصّون التمرة الواحدة، وأكلوا الخَبَط[٣] حتى ورمت أشداقهم[٤]. قال الهيثمي (٣٢٢/١٠): وفيه خُلَيد بن دعلج وهو ضعيف. إهـ.

---

(١) الخصاصة: بالفتح: أي الجوع والضعف. عن النهاية.
(٢) كذا في الأصل وفي الترغيب والترهيب وفي الحلية.
(٣) الخبط: أي الورق الساقط. (٤) أشداقهم: أي جوانب فمهم.

وأخرج ابن ماجه - بإسناد صحيح - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أصابهم جوع وهم سبعة. قال: فأعطاني النبي ﷺ سبع تمرات، لكل إنسان تمرة. كذا في الترغيب (١/١٧٨).

وعند ابن سعد (٤/٣٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: خرجت يوماً من بيتي إلى المسجد لم يخرجني إلا الجوع، فوجدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا هريرة ما أخرجك هذه الساعة؟ فقلت: ما أخرجني إلا الجوع. فقالوا: نحن - والله - ما أخرجنا إلا الجوع. فقمنا فدخلنا على رسول الله ﷺ. فقال: «ما جاء بكم هذه الساعة؟» فقلنا: يا رسول الله جاء بنا الجوع!! قال: فدعا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فأعطى كل رجل منا تمرتين، فقال: «كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من الماء، فإنهما ستجزيانكم[1] يومكم هذا». قال أبو هريرة: فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حُجْزتي[2]. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، لِمَ رفعت هذه التمرة؟» فقلت: رفعتها لأمي. فقال: «كُلْها، فإنا سنعطيك لها تمرتين»؛ فأعطاني لها تمرتين.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غَدَاة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال:

اللّهمَّ إنَّ العيشَ عَيْش الآخرهْ ... فاغفرِ الأنصارَ والمهاجرهْ

فقالوا - مجيبين له -:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

وعنده أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم[3]، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الإسلام ما بقينا أبداً

---

(١) ستجزيانكم: ستكفيانكم.

(٢) الحجزة: معقد الإزار من الرجل.

(٣) متونهم: ظهورهم.

قال: يقول النبي ﷺ - مجيباً لهم -:

اللهمَّ إنّه لا خيرَ إلّا خيرَ الآخرهْ فبارك في الأنصار والمهاجرهْ

قال: يؤتون بملء كفيٍّ من الشعير، فيُصنع لهم بإهالة[١] سَنِخَة[٢] توضع بين يدي القوم، والقوم جياع وهي بشعة[٣] في الحلق ولها ريح منتن. كذا في البداية (٤/٩٥).

وأخرج البخاري أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْية[٤] شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْية عرضت في الخندق. فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً. فذكر الحديث بطوله. كذا في البداية (٤/٩٧) وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق وأصحابه قد شدُّوا الحجارة على بطونهم - من الجوع، فذكر الحديث. كذا في البداية (٤/١٠٠) وسنذكرهما في «باب كيف أُيِّدت الصحابة بالتأييدات الغيبية». وحديث جابر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة. وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمان مائة. كذا في البداية (٤/٩٨).

وأخرج أبو نُعيم في الحلية (١/١٧٩) عن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال: إنْ كان رسول الله ﷺ ليبعثنا في السرية ما لنا زاد إلا السَّلْف - يعني الجراب من التمر - فيقسمه صاحبه بيننا قبضة قبضة حتى يصير إلى تمرة، قال: فقلت: وما كان يبلغ من التمرة؟ قال: لا تقل ذلك يا بني، ولَبعد أن فقدناها فاختلطنا[٥] إليها. وأخرجه أيضاً أحمد، والبزار، والطبراني، قال الهيثمي (١٠/٣١٩): وفيه: المسعودي وقد اختلط، وكان ثقة.

---

(١) الإهالة: كل شيء من الأدهان مما يؤتدم به؛ وقيل: ما أذيب من الإلية والشحم؛ وقيل: الدسم الجامد.

(٢) سنخة: أي متغيرة الريح.

(٣) بشعة: أي كريهة الطعم.

(٤) كُدْية: قطعة عظيمة صلبة، لا يعمل فيها الفأس.

(٥) وفي نسخة: فاختللنا، وهكذا عند أحمد وغيره؛ أي احتجنا إليها.

﴿ تحمل أبي عبيدة وأصحابه الجوع في السفر ﴾

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقَّى عيراً[١] لقريش، وزوَّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال كنا نَمصّها كما يَمصّ الصبي، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنا نضرب بعصِيِّنا الخَبَط ثم نبلُّه بالماء، فنأكله. فذكر الحديث. كذا في البداية (٤/٢٧٦). وكما سيأتي في باب «كيف أُيِّدت الصحابة». وقد أخرجه مالك والشيخان وغيرهم، وفي روايتهم: أنهم كانوا ثلاث مائة. وأخرجه الطبراني، وفيه: أنهم كانوا ست مائة وبضعة عشر قال الهيثمي (١٠/٣٢٢): وفيه: زَمْعَة بن صالح وهو ضعيف وعند مالك قال: فقلت: وما تغني تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت.

﴿ تحمله عليه السلام والصحابة الجوع في غزوة تِهامة ﴾

وأخرج البزار والطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن أبي حُبَيش الغِفاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة تِهامة، حتى إذا كنا بفسطاط[٢] جاءه الصحابة فقالوا: يا رسول الله، جَهَدَنا الجوع، فأذن لنا في الظَّهر نأكله. قال: «نعم». فأُخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، ماذا صنعت؟ أمرت الناس أن ينحروا الظَّهر فعلامَ يركبون؟ قال: «فما ترى يا ابن الخطاب» قال: أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفَضْل أزوادهم فتجمعه في تَوْر[٣]، ثم تدعو الله لهم. فأمرهم، فجعلوا فَضْل أزوادهم في تَوْر؛ ثم دعا لهم ثم قال: «ائتوا بأوعيتكم». فملأ كل إنسان منهم وعاءه. فذكر الحديث كذا في الهيثمي (١٠/٣٠٣).

---

(١) العير: بالكسر: القافلة، مؤنثة؛ أو الإبل تحمل الميرة بلا واحد من لفظها، أو كل ما أُمير إبلاً كانت أو حميراً أو بغالاً.

(٢) الفسطاط: ضرب من الأبنية في السفر.

(٣) التور بفتح تاء وسكون واو: إناء صغير من صَفْرٍ أو حجارة، يشرب منه، وقد يتوضأ منه ويؤكل منه الطعام.

وعند أبي يَعْلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي ﷺ في غَزَاة، فقلنا: يا رسول الله، إنّ العدو قد حضر، وهم شباع والناس جياع، فقالت الأنصار: ألا ننحر نواضحنا[١] فنطعمها الناس؟ فقال النبي ﷺ: «من كان عنده فَضْل طعام فليجيء به». فجعل الرجل يجيء بالمدّ والصاع وأكثر وأقلّ، فكان جميع ما في الجيش بضعة وعشرين صاعاً. فجلس النبي ﷺ إلى جنبه ودعا بالبركة. فقال النبي ﷺ: «خُذوا ولا تنتهبوا». فجعل الرجل يأخذ في جرابه وفي غِرارته[٢]، وأخذوا أوعيتهم حتى إنَّ الرجل ليربِط كمّ قميصه فيملؤه، ففرغوا والطعام كما هو. ثم قال النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، لا يأتي بها عبد محقٌّ إلاَّ وقاه الله حرَّ النار». قال الهيثمي (٨/٣٠٤): وفيه: عاصم بن عبيدالله العمري وثَّقه العِجْلي، وضعَّفه جماعة؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

﴿ قصة المرأة التي كانت تطعم بعض الصحابة يوم الجمعة ﴾

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها سِلْقا[٣]. فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السِلق فتجعله في قِدْر، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السلق عَرْقَه[٤]. قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلِّم عليها، فتقرِّب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنَّى يوم الجمعة لطعامها ذلك ـ وفي رواية: ليس فيها شحم ولا وَدَك، وكنا نفرح بيوم الجمعة. كذا في الترغيب (٥/١٧٣).

﴿ أكل الصحابة الجراد، وكيف أنَّهم لم يكونوا في الجاهلية يأكلون خبز القمح ﴾

وأخرج ابن سعد (٤/٣٦) عن ابن أبي أوفَى رضي الله عنه قال: غزونا

(١) النواضح: جمع ناضح: إبل يُسقى عليها.
(٢) الغرارة: الكيس الكبير.
(٣) السلق: بكسر السين: النبات الذي يؤكل كالهندباء والخبيزى.
(٤) عَرقة: أي بمثابة العظم بلحمه الذي يوضع في الطعام.

مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل فيهن الجراد. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/٢٤٢) عن ابن أبي أوفَى رضي الله عنه - نحوه.

وأخرج الطبراني - ورواته رواة الصحيح - عن أبي بَرْزة رضي الله عنه قال: كنا في غَزَاة لنا، فلقينا أناساً من المشركين، فأجهضناهم[1] عن مَلَّة[2] لهم. فوقعنا فيها فجعلنا نأكل منها؛ وكنا نسمع في الجاهلية أنه من أكل الخبز سَمِن. فلما أكلنا ذلك الخبز جعل أحدنا ينظر في عِطفيه هل سمن؟! - كذا في الترغيب (٥/١٧٧). قال الهيثمي (١٠/٣٢٤): وفي رواية كنا يوم خيبر مع رسول الله ﷺ فأجهضناهم عن خبزة لهم من نَقيٍّ[3]. رواه كله الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وعند أبي نُعيم في الحلية (٦/٣٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما افتتحنا خيبر مررنا بناس يهود يخبزون مَلَّة لهم فطردناهم عنها. ثم اقتسمنا، فأصابتني كسرة إنَّ بعضها ليحترق. قال وقد كان بلغني أنه من أكل الخبز سمن، فأكلتها، ثم نظرت في عِطفيَّ هل سمنت؟!

تحمُّل شدة العطش في الدعوة إلى الله

﴿ ما أصاب الصحابة رضي الله عنهم من شدّة العطش في غزوة تبوك ﴾

أسند ابن وهْب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه: حدثنا عن شأن ساعة العُسْرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قَيْظ[4] شديد، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أنَّ رقابنا ستنقطع، حتى إنْ كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرَّحْل فلا يرجع حتى يظن أنَّ رقبته ستنقطع، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره فيعتصر فَرْثَه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً فادعُ الله لنا. فقال: «أو تحبّ ذلك؟» قال: نعم.

(١) أجهضناهم: أي أبعدناهم ونحيناهم.
(٢) الملة بالفتح: الرماد الحار يحمى فيدفن فيه الخبز لينضج.
(٣) النقي: أي الخبز الأبيض.
(٤) قيظ: أي حر شديد.

قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت[١] السماء فأطلّت[٢] ثم سكبت. فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر. إسناده جيد، ولم يخرِّجوه. كذا في البداية (٥/ ٩). وأخرجه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب بإسناده مثله، كما في التفسير لابن كثير (٢/ ٣٩٦). وأخرجه البزّار، والطبراني في الأوسط. ورجال البزار ثقات. قاله الهيثمي (٦/ ١٩٤).

﴿ تحمُّل الحارث وعكرمة وعيّاش العطش يوم اليرموك ﴾

وأخرج أبو نُعيم، وابن عساكر عن حبيب بن أبي ثابت رضي الله عنه: أن الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وعيَّاش بن أبي ربيعة ـ رضي الله عنهم ـ جُرحوا يوم اليرموك حتى أُثبتوا[٣]. فدعا الحارث بن هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمة، فقال: ادفعه إلى عكرمة، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عيَّاش، قال: ادفعه إلى عيَّاش. فما وصل إلى عيَّاش حتى مات، وما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا. كذا في كنز العمال (٥/ ٣١٠). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٢) بنحوه. وأخرجه الزبير عن عمه عن جده عبدالله بن مصعب رضي الله عنه. فذكره بمعناه إلا أنه جعل مكان عيَّاش: سهيل بن عمرو. وأخرجه ابن سعد عن حبيب نحو رواية أبي نُعيم. كذا في الاستيعاب (٣/ ١٥٠).

﴿ تحمُّل أبي عمرو الأنصاري العطش في سبيل الله ﴾

وأخرج الطبراني عن محمد بن حنفيَّة رضي الله عنه قال: رأيت أبا عمرو الأنصاري ـ وكان بَدْرِياً، عَقَبِياً، أُحُدِياً[٤]، وهو صائم ـ يتلوَّى من العطش وهو يقول لغلامه: ويحك، ترّسني[٥]، فترَّسه الغلام حتى نزع بسهم

---

(١) قال: يجيء لمعانٍ ويُعبَّر بها عن التهيؤ للأفعال والاستعداد لها، يقال: قال: فأكل، وقال: فضرب.
(٢) أطلَّت: أي جاءت بالطلّ، وهو المطر الضعيف.
(٣) أثبتوا: أي جرحوا جراحة لا يقومون معها.
(٤) بدرياً: حضر وقعة بدر، عقبياً: حضر بيعة العقبة الثانية، أحدياً: حضر وقعة أحد.
(٥) ترسني: من التتريس مأخوذ من الترس: وهو صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف.

نزعاً ضعيفاً حتى رمى بثلاثة أسهم، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله قَصُر ـ أو بلغ ـ كان له نوراً يوم القيامة». فقُتل قبل غروب الشمس. كذا في الترغيب (٢/٤٠٤). وأخرجه الحاكم (٣/٣٩٥)، وفي رواية: ويحك، رُشَّني[١]، فرشه الغلام.

تحمل شدة البرد في الدعوة إلى الله

﴿ حفر الصحابة الحفرة للبرد الشديد في غزوةٍ ﴾

أخرج أحمد، والنسائي، والطبراني عن أبي ريحانة رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في غزوة. قال: فأوينا ذات ليلة إلى شَرَفٍ[٢]، فأصابنا برد شديد حتى رأيت الرجال يحفر أحدهم الحفرة فيدخل فيها ويلقي عليه حجَفَتَه[٣]. فلمّا رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «من يحرسنا الليلة فأدعو له بدعاء يصيب فضله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. قال: «من أنت؟» قال: فلان. قال: «ادْنُهْ»، فدنا فأخذ ببعض ثيابه ثم استفتح الدعاء. فلما سمعت: قلت: أنا رجل. قال: «من أنت؟» قال: أبو ريحانة. قال: فدعا لي دون[٤] ما دعا لصاحبي، ثم قال: «حُرِّمت النار على عين حرست في سبيل الله». الحديث. كذا في الإصابة (٢/١٥٦). قال الهيثمي (٥/٢٨٧): رجال أحمد ثقات. وأخرجه البيهقي (٩/١٤٩) أيضاً بنحوه. وفي الباب حديث حذيفة رضي الله عنه كما سيأتي.

تحمل قلة الثياب في الدعوة إلى الله

﴿ تكفين حمزة رضي الله عنه ﴾

أخرج الطبراني عن خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه: لقد رأيت حمزة وما وجدنا له ثوباً نكفِّنه فيه غير بُرْدة، إذا غطَّينا بها رجله خرج رأسه، وإذا

---

(١) رُشني: أي رشني بالماء، وذلك لعطشه.
(٢) شرف: مكان مرتفع.
(٣) الحجفة: بفتح الحاء المهملة ففتح الجيم المعجمة: أي ترسه.
(٤) دون: أي أقل من دعائه للأول، وذلك لأن السابق أفضل.

غطّينا بها رأسه خرجت رجلاه؛ فغطّينا رأسه ووضعنا على رجليه الإذْخِر[١]. كذا في المنتخب (٥/ ١٧٠).

﴿ قصة شرحبيل بن حسنة مع رسول الله ﷺ في هذا الباب ﴾

وأخرج الطبراني والبيهقي عن الشَّفَّاء بنت عبدالله رضي الله عنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ أسأله[٢]، فجعل يعتذر إليَّ وأنا ألومه. فحضرت الصلاة فخرجت، فدخلت على ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة، فوجدت شرحبيل في البيت، فقلت: قد حضرت الصلاة وأنت في البيت؟! وجعلت ألومه. فقال: يا خالة، لا تلوميني فإنَّه كان لي ثوب فاستعاره النبي ﷺ. فقلت: بأبي وأمي، كنت ألومه منذ اليوم وهذه حاله وأنا لا أشعر!! فقال شرحبيل: ما كان إلاَّ دِرْعاً[٣] رقعناه. كذا في الترغيب (٣/ ٣٩٦). وأخرجه أيضاً ابن عساكر كما في الكنز (٤/ ٤١)؛ وابن أبي عاصم ومن طريقه أبو نُعيم كما في الإصابة (٤/ ٣٤٢)، وقال: وفي سنده: عبد الوهاب بن الضحّاك وهو واهٍ. وأخرجه أيضاً ابن منده كما في الإصابة (٢/ ٢٧١)؛ والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨).

﴿ تحمّل أبي بكر قلّة الثياب وبشارة جبريل عليه السلام له على ذلك ﴾

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (٧/ ١٠٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ـ وعليه عباءة قد جلّلها في صدره بجلال[٤] ـ إذ نزل عليه جبريل عليه السلام، فأقرأه من الله السلام، وقال: يا رسول الله: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد جللها على صدره بجلال. قال: «يا جبريل، أنفق ماله عليّ قبل الفتح». قال: فأقرئه من الله السلام وقل له: يقول لك ربك: أراضٍ أنت

---

(١) الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة، تسقف بها البيوت فوق الخشب.

(٢) أسأله: أطلب منه صدقة.

(٣) دِرْعاً: ثوباً.

(٤) والظاهر: خلال، بالخاء. والمعنى: أنه ثقب طرفي العباءة وربطهما بخلال: أي بعود رفيع أو شوكة أو نحوه.

عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: «يا أبا بكر: هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟» فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربي أغضب؟! أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في فضائل الصحابة عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه، قال ابن كثير: فيه غرابة شديدة، وشيخ الطبراني عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي، وشيخه محمد بن نصر الفارسي لا أعرفهما، ولم أرَ أحداً ذكرهما. كذا في منتخب كنز العمال (٤/٣٥٣).

﴿ تحمل علي وفاطمة قلة الثياب ﴾

وأخرج هَنَّاد والدينَوَري عن الشَّعْبي قال: قال علي رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة بنت محمد ﷺ ومالي ولها فراش غيرُ جلد كَبْش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا[1] بالنهار، ومالي خادم غيرها. كذا في الكنز (٧/١٣٣).

﴿ تحمّل الصحابة لباس الصوف والمداومة على تناول التمر والماء ﴾

وأخرج أبو داود، والترمذي ـ وصحّحه ـ وابن ماجَهْ عن ابن أبي بردة رضي الله عنه قال: قال لي أبي: لو رأيتُنا ونحن مع نبينا وقد أصابتنا السماء؛ حسبت أنَّ ريحَنا ريحُ الضأن. كذا في الترغيب (٣/٣٩٤). وأخرجه ابن سعد (٤/٨٠) عن سعيد ابن أبي بردة عن أبيه قال. قال لي أبي ـ يعني أبا موسى رضي الله عنه ـ: يا بني، لو رأيتنا ونحن مع نبينا ﷺ إذا أصابتنا السماء وجدت منا ريح الضأن من لباسنا الصوف. وهكذا أخرجه الطبراني عن أبي موسى، وزاد: إنما لباسنا الصوف، وطعامنا الأسودان: التمر والماء[2]. قال الهيثمي (١٠/٣٢٥): رجاله رجال الصحيح، ورواه أبو داود باختصار. إهـ.

﴿ تحمل أصحاب الصفة قلة الثياب ﴾

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيت سبعين

---

(١) الناضح: جَمَلٌ يُنضح عليه الماء.

(٢) إنما سمي الماء والتمر أسودين من باب تغليب لون التمر ـ الأسود ـ على لون الماء.

من أهل الصُّفَّة، ما منهم رجل عليه رداء، إمّا إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف السَّاقَين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته. كذا في الترغيب (٣/٣٩٧). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١/٣٤١). وعند أبي نُعيم أيضاً عن واثِلة بن الأسقَع رضي الله عنه قال: كنت من أصحاب الصُّفَّة، وما منا أحد عليه ثوب تامّ، قد اتخذ العَرَق في جلودنا طوقاً[١] من الوسخ والغبار. وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً دخل عليها وعندها جارية لها، عليها دِرْع[٢] ثمنه خمسة دراهم، فقالت: ارفع بصرك إلى جاريتي، انظر اليها فإنها تزهو[٣] على أن تلبسه في البيت. وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة تُقَيَّن[٤] بالمدينة إلا أرسلت إليَّ تستعيره. كذا في الترغيب (٥/١٦٤).

تحمّل شدة الخوف في الدعوة إلى الله

﴿ تحمّل الصحابة شدة الخوف والجوع والبرد في ليلة الأحزاب ﴾

أخرج الحاكم، والبيهقي (٩/١٤٨) عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة رضي الله عنه قال: ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه: أما ـ والله ـ لو كنا شهدنا ذلك لكنّا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة: لا تمنَّوا ذلك، لقد رأيتُنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود، وأبو سفيان ومَنْ معه فوقَنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلةٌ قطُّ أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها. في أصوات رِيحها أمثالُ الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون: إنَّ بيوتنا عورة[٥] وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم ويتسللون[٦] ونحن ثلاث مائة ونحو ذلك. إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً، حتى أتى عليّ

---

(١) طوقاً: كذا في الأصل وفي الحلية. ولعل الصواب طُرُقاً أي دروباً.

(٢) درع: ثوب. (٣) تزهو: أي تترفع عنه ولا ترضاه.

(٤) تُقينَ: أي تُزين.

(٥) عورة: أي منخرقة ممكنة لمن أرادها.

(٦) يتسللون: أي يخرجون بتدريج ويذهبون في خفية.

وما عليَّ جُنَّة[١] من العدو ولا من البرد إلا مِرْط[٢] لامرأتي ما يجاوز ركبتي. قال: فأتاني وأنا جاثٍ[٣] على ركبتي. فقال: «من هذا؟» فقلت حذيفة. فقال: «حذيفة»، فتقاصرت للأرض، فقلت: بلى يا رسول الله ـ كراهية أن أقوم ـ، فقمت. فقال: «إنه كائن في القوم خبر فائتني بخبر القوم». قال: وأنا من أشدِّ الناس فزعاً وأشدهم قرّاً[٤]. قال: فخرجت. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته». قال: **فوالله، ما خلق الله فزعاً، ولا قرّاً في جوفي إلا خرج من جوفي، فما أجد فيه شيئاً**. قال: فلما ولَّيت قال: «يا حذيفة لا تُحدِثنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني». قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم تُوقد، وإذا رجل أدهم[٥] ضخم ـ يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيلَ، الرحيلَ، ـ ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ـ. فانتزعت سهماً من كنانتي[٦] أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار. فذكرت قول رسول الله ﷺ «لا تُحدِثنّ فيهم شيئاً حتى تأتيني»، فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي، ثم إني شجَّعت نفسي حتى دخلت العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون: يا آل عامر، الرحيلَ، الرحيلَ، لا مُقام لكم. **وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً**، فوالله، إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم، الريح تضرب بها، ثم إني خرجت نحو رسول الله ﷺ. فلما انتصفتْ بي الطريق ـ أو نحو من ذلك ـ إذا أنا بنحو من عشرين فارساً ـ أو نحو ذلك ـ مُعْتمِّين[٧] فقالوا: أخبر صاحبك أنَّ الله قد كفاه. فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شَمْلة يصلِّي؛ فوالله ما عدا أن رجعت راجعني

(١) جنة: هي بضم الجيم: الترس، أي مالي مانع من العدو والبرد الشديد.
(٢) مِرْط: بالكسر: كساء من صوف أو خز.
(٣) جاثٍ: أي جالس.
(٤) قرّاً: برداً.
(٥) أدهم: أسمر.
(٦) الكنانة: جعبة من جلد أو خشب، تجعل فيها السهام.
(٧) معتمينٌ: من الاعتمام، وهو لف العمامة على الرأس.

القرّ وجعلت أقرقف[١]. فأومأ إليّ رسول الله ﷺ بيده وهو يصلّي؛ فدنَوتُ منه فأسبل عليّ شملته ـ وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمر صلّى ـ فأخبرته خبر القوم، أخبرته أني تركتهم وهم يرحلون. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ إلى قوله: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾[٢]. كذا في البداية (٤/١١٤)، وأخرجه أبو داود وابن عساكر بسياق آخر مطوّلاً كما في كنز العمال (٥/٢٧٩).

وأخرجه مسلم عن يزيد التَّيْمي قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال له رجل: لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلتُ معه وأبليتُ. فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقرّ. فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة؟» فذكر الحديث نحو حديث عبد العزيز باختصار، وفي حديثه: فأتيتُ رسول الله ﷺ فأصابني البرد حين رجعت وقرِرْت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني من فَضْل عباءة كانت عليه يصلّي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصبح. فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نَوْمان». وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن كعب القُرَظي رضي الله عنه منقطعاً، وفي حديثه: فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟» فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة؛ «أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة». فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد.

تحمُّل الجراح والأمراض في الدعوة إلى الله

﴿ قصة رجلين من بني عبد الأشهل يوم أحد ﴾

أسند ابن إسحاق عن أبي السائب رضي الله عنه: أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أُحُداً أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذّن مؤذن

---

(١) أقرقف: أرجف.

(٢) سورة الأحزاب آية ٩ ـ ٢٥

رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو[1] قلت لأخي ـ أو قال لي ـ: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله، ما لنا من دابة نركبها وما منا إلَّا جريح ثقيل. فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عُقبة ومشى عُقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. كذا في البداية (٤/٤٩). وذكر ابن سعد (٣/٢١) عن الواقدي: أن عبدالله ابن سهل وأخاه رافع بن سهل رضي الله عنهما هما اللذان خرجا إلى حمراء الأسَد وهما جريحان، يحمل أحدهما صاحبه ولم يكن لهما ظَهْر.

﴿ قصة عمرو بن الجَمُوح وشهادته يوم أحد ﴾

وأسند ابن إسحاق عن أشياخ من بني سَلِمة قالوا: كان عمرو ابن الجموح رضي الله عنه رجلاً أعرج شديد العَرَج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد. فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا: إنَّ الله قد عَذَرك. فأتى رسول الله ﷺ وقال: إن بَنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، **فوالله، إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة**. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك». وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه لعلَّ الله أن يرزقه الشهادة». فخرج معه فقتل يوم أُحد. كذا في البداية (٤/٣٧). وأخرج أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنه حضر ذلك قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ ـ وكانت رجله عرجاء ـ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»: فقتلوه يوم أُحد هو وابن أخيه ومولىً لهم. فمرّ عليه رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليه يمشي برجله هذه صحيحة في الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما، فجُعلوا في قبر واحد. قال الهيثمي (٩/٣١٥): رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة. انتهى. وأخرجه البيهقي (٩/٢٤) من طريق ابن إسحاق بنحوه.

---

(١) هو خروج النبي ﷺ في اليوم التالي ليوم أُحد وراء جيش قريش والمسمّى بغزوة (حمراء الأسد).

﴿ قصة رافع بن خديج ﴾

وأخرج البيهقي عن يحيى بن عبد الحميد عن جدته: أن رافع ابن خديج رضي الله عنه رُمِيَ - قال عمر بن مرزوق[١]: لا أدري أيُّهما قال: يوم أحد أو يوم حُنَين[٢] - بسهم في ثُنْدُوَته[٣]. فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، انزع لي السهم. فقال له: «يا رافع، إن شئتَ نزعتُ السهم والقُطْبة[٤] جميعاً، وإن شئت نزعت السهم وتركت القُطْبة، وشهدت لك يوم القيامة أنَّك شهيد». فقال: يا رسول الله، انزع السهم واترك القُطْبة، واشهد لي يوم القيامة أنِّي شهيد. قال: فعاش بها حتى كانت خلافة معاوية رضي الله عنه انتقض به الجرح، فمات بعد العصر. هكذا وقع في هذه الرواية. والصحيح: أنه مات بعد خلافة معاوية. كذا في البداية. قال في الإصابة (١/٤٩٦): ويحتمل أن يكون بين الانتقاض والموت مدة. وأخرجه أيضاً الباوَرْدي وابن مَنْدَه، والطبراني كما في الإصابة (٤/٤٧٤)، وابن شاهين كما في الإصابة (١/٤٩٦). وستأتي الأحاديث في باب الصبر.

---

(١) في الأصل: قال. عمر رضي الله عنه. والصحيح ما ذكرت.

(٢) وفي مجمع الزوائد: يوم خيبر.

(٣) ثندوته: بالضم ويفتح: للرجل بمنزلة الثدي للمرأة.

(٤) القطبة: نصل السهم. عن النهاية.

الباب الرّابع

بَابُ الهِجْرَة

كيف تركت الصحابة أوطانهم العزيزة مع أن فراق الوطن شديد على النفوس ، بحيث أنّهم لم يرجعوا إلى أوطانهم إلى الموت؟ ! وكيف كان ذلك أحبَّ إليهم من الدنيا ومتاعها؟ ! وكيف قدَّموا الدِّين على الدنيا ، فلم يبالوا بضياعها ولم يلتفتوا إلى فنائها؟ ! وكيف يفرُّون من بلاد إلى بلاد احتفاظاً لدينهم من الفتنة ، فكأنهم كانوا قد خُلقوا للآخرة وكانوا من أبنائها فصارت الدنيا كأنها خُلقت لهم ! !

بَابُ الهِجْرَة

هجرة النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه

﴿ إجماع أمراء قريش على المكر به عليه السلام ﴾

أخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه ـ مرسلاً ـ قال: ومكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقيّة ذي الحِجَّة والمحرَّم وصَفَر[١]، ثم إنَّ مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم حين ظنوا أن رسول الله ﷺ خارج، وعلموا أن الله قد جعل له بالمدينة مأوى ومَنَعة، وبلغهم إسلام الأنصار ومن خرج إليهم من المهاجرين، فأجمعوا أمرهم على أن يأخذوا رسول الله ﷺ؛ فإما أن يقتلوه، وإما أن يسجنوه ـ أو يسحبوه، شك عمرو بن خالد[٢] ـ وإما أن يخرجوه، وإما أن يوثقوه؛ فأخبره الله عزّ وجلّ بمكرهم. فقال تعالى: ﴿ وإذ يمكُر بك الذين كفروا ليُثْبتوك، أو يَقتُلوك، أو يُخْرجوك، ويَمكُرون ويَمكُر الله، واللهُ خيرُ الماكرين[٣]﴾. وبلغه ذلك اليوم الذي أتى فيه رسول الله ﷺ دار أبي بكر رضي الله عنه أنَّهم مُبيِّتوه إذا أمسى على فراشه.

﴿ خروجه عليه السلام من مكة مهاجراً مع أبي بكر واختباؤهما بغار ثَوْر ﴾

وخرج من تحت الليل هو وأبو بكر قِبَل الغار بثَوْر[٤] ـ وهو الغار الذي ذكره الله عزّ وجلّ في القرآن[٥] ـ وعَمَد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرقد

---

(١) كان ذلك في نهاية السنة الثالثة عشرة لبعثته عليه السلام وأوائل السنة الرابعة عشرة.

(٢) هو أحد الرواة.

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٤) ثَوْر: جبل بأسفل مكة، وقد سُمي الغار الذي يقع فيه باسمه.

(٥) ذكره في سورة «التوبة»: «ثاني اثنين إذْ همُا في الغار» الآية ٤٠.

على فراشه يواري[١] عنه العيون. وبات المشركون من قريش يختلفون ويأتمرون إن نَجْثِم[٢] على صاحب الفراش فنوثقه، فكان ذلك حديثهم حتى أصبحوا. فإذا عليٌّ رضي الله عنه يقوم عن الفراش، فسألوه عن النبي ﷺ، فأخبرهم أنه لا علم له به، فعلموا عند ذلك أنه خرج. فركبوا في كل وجه يطلبونه، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم، ويجعلون لهم الجُعْل[٣] العظيم؛ وأتَوا على ثَوْر الذي فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه حتى طلعوا فوقه. وسمع النبي ﷺ أصواتهم، فأشفق أبو بكر عند ذلك وأقبل على الهمِّ والخوف، فعند ذلك قال له النبي ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا»[٤] ودعا فنزلت عليه سكينة من الله عزّ وجلّ: ﴿ فأنزل اللهُ سَكِينته عليه وأيَّده بجنود لم تروها وجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى وكلمةُ الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾[٥].

وكانت لأبي بكر مِنْحة تروح عليه وعلى أهله بمكة، فأرسل أبو بكر عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر أميناً مؤتمناً حسن الإسلام، فاستأجر رجلاً من بني عبد بن عدي يقال له «ابن الأيقط»، كان حليفاً لقريش في بني سَهْم من بني العاص بن وائل، وذلك يومئذ العدويُّ مشرك وهو هادي[٦] بالطريق. فخبا بأظهرنا تلك الليالي، وكان يأتيهما عبدالله بن أبي بكر حين يمسي بكل خبر يكون في مكة، ويُريح عليهما عامر بن فُهيرة الغنم في كل ليلة، فيحلبان ويذبحان، ثم يسرح بكرة فيصبح في رُعيان[٧] الناس ولا يُفطن له، حتى إذا هَدَت[٨] عنهم الأصوات، وأتاهما أن قد سُكت عنهما جاءا صاحبهما ببعيريهما وقد مكثا في الغار يومين وليلتين؛ ثم انطلقا وانطلقا معهما بعامر بن فُهيرة يحدوهما ويخدمهما ويعينهما، يردفه أبو بكر ويعقُبه على راحلته ليس معه أحد من الناس غير عامر بن فهيرة وغير أخي بني عديّ يهديهم الطريق. قال

---

(١) يواري: يخفي.
(٢) نجثم: أي نقع على صدر صاحب الفراش.
(٣) الجعل: بالضم: أجر العامل.
(٤) سورة التوبة: آية ٤٠.
(٥) التوبة: آية ٤٠.
(٦) كذا في الأصل.
(٧) رُعيان: بضم الراء، جمع راعٍ.
(٨) هدت: أي سكنت.

الهيثمي (٦/٥١): وفيه: ابن لهيعة، وفيه كلام؛ وحديثه حسن. إهـ.

﴿ ما أعده أبو بكر رضي الله عنه لسفر الهجرة ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار: إما بُكرة، وإما عشيَّة، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرَي قومِه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلَّا لأمرٍ حدث. قالت: فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر. فقال رسول الله ﷺ: «أخرجْ عني من عندك». قال: يا رسول الله، إنما هُما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟! قال: «إنَّ الله قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله قال: «الصحبة». فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي، ثم قال: يا نبي الله، إنَّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا، فاستأجَرا عبدالله بن أرقط رجلاً من بني الدُئِل بن بكر وكانت أمه من بني سَهْم بن عمرو ـ وكان مشركاً ـ يدلهما على الطريق، ودفعا إليه راحلَتَيْهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. وأخرج البغوي بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها شيئاً منه، وفي حديثه: قال أبو بكر: الصحابةَ قال: «الصحابةَ». قال أبو بكر: إن عندي راحلتين قد علفتهما من ستة أشهر لهذا، فخذ إحداهما، فقال: بل أشتريها، فاشتراها منه فخرجا فكانا في الغار. فذكر الحديث كما في كنز العمال (٨/٣٣٤).

وأخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين، فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة، فقالت: يا أبت، هذا رسول الله ﷺ، فبأبي وأمي، ما جاء به هذه الساعة إلا أمر. فقال رسول الله ﷺ: «هل شعرتَ أنَّ الله قد أذن لي في الخروج؟» فقال

أبو بكر رضي الله عنه: فالصحابةَ يا رسـول الله. قال: «الصحابةَ». قال: إنَّ عندي راحلتين قد علفتهما منذ كذا وكذا انتظاراً لهذا اليوم، فخذ إحداهما، فقال: «بثمنها يا أبا بكر»، فقال: بثمنها - بأبي وأمي - إن شئت. قالت: فهيّأنا لهم سُفْرة[١]، ثم قطعت نِطاقها[٢] فربطتها ببعضه. فخرجا فمكثا في الغار في جبل ثور. فلما انتهيا إليه دخل أبو بكر الغار قبله، فلم يترك فيه جُحْراً[٣] إلا أدخل فيه أصبعه مخافة أن يكون فيه هامَّة. وخرجت قريش حين فقدوهما في بُغائهما[٤]، وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة، وخرجوا يطوفون في جبال مكة حتى انتهَوا إلى الجبل الذي هما فيه. فقال أبو بكر - لرجل مواجه الغار -: يا رسول الله، إنَّه ليرانا، فقال: «كلاَّ إنَّ ملائكة تسترنا بأجنحتها». فجلس ذلك الرجل فبال مواجه الغار، فقال رسول الله ﷺ: «لو كان يرانا ما فعل هذا». فمكثا ثلاث ليال، يُرَوِّحُ عليهما عامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر غنماً لأبي بكر، ويُدلج[٥] من عندهما، فيصبح مع الرعاة في مراعيها، ويُرَوِّحُ معهم ويبطىء في المشي، حتى إذا أظلم الليل انصرف بغنمه إليهما؛ فتظن الرعاة أنه معهم. وعبد الله بن أبي بكر يظلّ بمكة يتطلَّب الأخبار، ثم يأتيهما إذا أظلم الليل فيخبرهما، ثم يُدلج من عندهما فيصبح بمكة.

﴿ خروجه عليه السلام من الغار للمدينة ﴾

ثم خرجا من الغار فأخذا على الساحل، فجعل أبو بكر يسير أمامه، فإذا خشي أن يُؤتى من خلفه سار خلفه، فلم يزل كذلك مسيره. وكان أبو بكر رجلاً معروفاً في الناس، فإذا لقيه لاقٍ فيقول لأبي بكر: من هذا معك؟ فيقول: هادٍ يهديني - يريد الهدى في الدِّين - ويحسب الآخر دليلاً، حتى إذا

---

(١) سفرة: بالضم: طعام المسافر.

(٢) نطاقها: بكسر النون: ما يُشد به الوسط.

(٣) الجحر: بضم الجيم: مكان تحتفره السباع والهوام لأنفسها.

(٤) بغائهما بضم الباء: أي في طلبهما.

(٥) يُدلج: مأخوذ من الدُّلجة: وهو سير الليل. يقال: أَدْلَجَ بالتخفيف: إذا سار من أول الليل، وادَّلَج بالتشديد: إذا سار من آخره.

كان بأبيات قُدَيد[١] ـ وكان على طريقِهما ـ جاء إنسان إلى بني مُدْلج فقال: قد رأيت راكبين نحو الساحل، فإنِّي لأجدهما لَصاحب قريش الذي تبغون. فقال سراقة بن مالك: ذانك راكبان[٢] ممن بعثنا في طَلِبَة القوم، ثم دعا جاريته فسارَّها، فأمرها أن تخرج فرسه ثم خرج في آثارهما. قال سراقة: فدنوت منهما ـ فذكر قصته كما ستأتي. قال الهيثمي (٦/ ٥٤): وفيه: يعقوب بن حُمَيد ابن كاسب وثَّقه ابن حِبَّان وغيره، وضعَّفه أبو حاتم وغيره؛ وبقية رجاله رجال الصحيح. إهـ.

﴿ ثناء عمر على أبي بكر وذكره خوف أبي بكر على رسول الله ﷺ حينما ذهبا للغار ﴾

وأخرج البيهقي عن ابن سِيرين قال: ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضَّلوا عمر على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلةٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر، وليومٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر. لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر، مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟» فقال: يارسول الله، أذكر الطَلَب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرَّصَد[٣]، فأمشي بين يديك. فقال: «ياأبابكر، لو كان شيء لأحببتَ أن يكون بك دوني؟» قال: نعم، والذي بعثك بالحق. فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك ـ يارسول الله ـ حتى أستبرىء[٤] لك الغار. فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجِحَرَةَ[٥]، فقال: مكانك ـ يارسول الله ـ حتى أستبرأ، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يارسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده، لتلك الليلة خيرٌ من آل عمر.

---

(١) قُدَيد: مصغَّر: موضع بين مكة والمدينة.
(٢) في الأصل: راكبين، وهو خطأ.
(٣) الرصد بالحركة: أي الراصدون يعني المراقبون.
(٤) أستبرىء: أي أنقِّي وأنظف.
(٥) الجِحَرَة: مفردها. جُحْر: مكان تحتفره السباع والهوامّ لأنفسها.

كذا في البداية (٣/ ١٨٠). وأخرجه الحاكم أيضاً كما في منتخب كنز العمال (٤/٣٤٨). وأخرجه البغوي عن ابن مُلَيكة مرسلاً بمعناه. قال ابن كثير: هذا مرسل حسن كما في كنز العمال (٨/٣٣٥).

﴿ خوف أبي بكر على رسول الله ﷺ وهما في الغار ﴾

وأخرج الحافظ أبو بكر القاضي عن الحسن البصري قال: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى الغار، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد. وكان النبي ﷺ قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما ـ والله ـ ما على نفسي أَئِلُّ[1]، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: «ياأبا بكر، لا تخف إن الله معنا». وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه حدّثه قال: قلت للنبي ﷺ ـ ونحن في الغار ـ لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». كذا في البداية (٣/١٨١، ١٨٢). وأخرجه أيضاً الشيخان، والترمذي، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وغيرهم كما في الكنز (٨/٣٢٩).

﴿ حديث أبي بكر عن هجرته مع رسول الله ﷺ وقصة سراقة معهما ﴾

وأخرج أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: اشترى أبو بكر من عازب سَرْجاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مُرِ البراءَ فليحملْه إلى منزلي. فقال: لا، حتى تحدِّثنا كيف صنعتَ حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا، فأحثثنا[2] يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت بصري هل أرى ظلاً نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها، فإذا بقية ظلّها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع. ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً

---

(١) ألَّ المريض والحزين: أنَّ وحنَّ وأوَّه؛ ورفع صوته وصرخ عند المصيبة.
(٢) أحثثنا: أي أسرعنا.

من الطَلَب؟ فإذا أنا براعي غنم فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش ـ فسمَّاه فعرفته ـ فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضِرْعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفَّيه من الغبار، ومعي إداوةٌ[1] على فمها خِرقة، فحلب لي كُثْبة[2] من اللبن، فصببت على القدح حتى برد أسفله؛ ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل آن الرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جُعْشُم على فرس له. فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. قال: «لا تحزن إن الله معنا»، حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين، ـ أو قال: رمحين أو ثلاثة ـ قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا وبكَيت. قال: «لِمَ تبكي؟» قلت: أما ـ والله ـ ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت» فساخت[3] قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صَلْد[4]، ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادعُ الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمينَّ على من ورائي من الطلب. وهذه كنانتي[5] فخذ منها سهماً، فإنك ستمر بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: «لاحاجة لي فيها»، ودعا له رسول الله ﷺ، فأطلق ورجع إلى أصحابه. ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقَّاه الناس، فخرجوا في الطرق على الأناجير[6]، واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ!! جاء محمد ﷺ!!. قال: وتنازع القوم: أيُّهم ينزل عليه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أنزل الليلةَ على

---

(١) إداوة: وعاء من جلد.

(٢) الكثبة من اللبن: القليل منه. وكل قليل جمعته من طعام وغيره.

(٣) ساخت: غاصت.

(٤) الصلد: أي الصلب الأملس.

(٥) الكنانة: جعبة من جلد أو خشب، تجعل فيها السهام.

(٦) الأناجير: السطوح.

بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك». فلما أصبح غدا حيث أُمر. وأخرجه الشيخان في الصحيحين كما في البداية (٣/١٨٧، ١٨٨). وأخرجه أيضاً ابن أبي شَيْبة، وابن سعد (٣/ ٨٠) بنحوه مطوَّلاً مع زيادة، وابن خُزَيمة وغيرهم كما في الكنز (٨/ ٣٣٠).

﴿ قدومه عليه السلام المدينة ونزوله بقُباء وفرح أهل المدينة بقدومه ﴾

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين ـ كانوا تجاراً قافلين من الشام ـ فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ثياب بياض. وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غَداة إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم. فلما آوَوا إلى بيوتهم أوفى[١] رجل من اليهود على أُطُم[٢] من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابِه مُبَيِّضين يزول بهم السراب[٣]؛ فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جَدُّكم[٤] الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح، فتَلَقَّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرَّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول. فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممَّن لم يَرَ رسول الله ﷺ يحيِّـي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك. فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسس على التقوى، وصلّى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين؛ وكان مِرْبداً[٥] للتمر لسهيل وسهل

(١) أوفى عليه: أشرف.
(٢) الأطم: الحصن.
(٣) أي يزول بهم السراب عن النظر بسبب عروضهم وظهورهم.
(٤) جدّكم: حظكم. (٥) المربد للتمر: كالبيدر للحنطة.

غلامين يتيمين في حِجْر أسعدَ بن زُرارة رضي الله عنه. فقال رسول الله ﷺ حين بركت[١] به راحلته: «هذا - إن شاء الله - المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً. فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً. فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَبِن[٢] في بنيانه، وهو يقول - حين ينقل اللَبِن -:

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خيبرْ[٣] هذا أبرّ ربَّنا وأطهرْ

ويقول:

لا هُمَّ إن الأجرَ أجرُ الآخره فارحمِ الأنصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات - هذا لفظ البخاري. وقد تفرّد بروايته دون مسلم، وله شواهد من وجوه أُخر. كذا في البداية (٣/١٨٦).

وأخرجه أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إني لأسعى في الغِلْمان يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئاً. ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئاً؛ قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، فَكَمَنَّا[٤] في بعض خِرَاب المدينة. ثم بعثا رجلاً من أهل البادية يؤذِن بهما الأنصار، فاستقبلهما زُهاء[٥] خمس مائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعَين، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم. فخرج أهل المدينة حتى إنَّ العواتق[٦] لفوق البيوت

---

(١) بركت: استناخت.
(٢) اللَّبن: جمع لبنة، وهي المضروبة من الطين مربعة للبناء.
(٣) حمال خيبر: أي أحمال التمر التي شُهرت خيبر بها.
(٤) كمنا: توارينا واختفينا.
(٥) زهاء: أي مقدار.
(٦) العواتق: جمع عاتق، وهي الشابة أول ما تدرك؛ وقيل: التي لم تَبِن من والديها ولم تُزوج، وقد أدركت وشبت. وانظر الحاشية ٢ في الصفحة ٢٥٢.

يترأينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به. قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قُبض[١]؛ فلم أر يومين شبيهاً بهما. ورواه البيهقي. بنحوه. كذا في البداية (٣/١٩٧).

وأخرج البيهقي عن ابن عائشة رضي الله عنهما يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يَقُلْنَ:

طلع البدر علينا من ثَنيَّات[٢] الوداعِ
وجب الشكرُ علينا ما دعا لله داعِ

كذا في البداية (٣/١٩٧).

هجرة عمر بن الخطاب والصحابة رضي الله عنهم

﴿ أول من هاجر من مكة إلى المدينة ﴾

أخرج ابن شيبة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير وابن أمِّ مكتوم رضي الله عنهما، فجعلا يقرآننا القرآن. ثم جاء عمار وبلال وسعد رضي الله عنهم. ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين. ثم جاء رسول الله ﷺ؛ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، فما قدم حتى قرأتُ ﴿سبِّح اسم ربك الأعلى﴾ في سورٍ من المفصَّل. كذا في كنز العمال (٨/٣٣١). وعند أحمد في حديث البراء عن أبي بكر رضي الله عنهما في الهجرة؛ قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار. ثم قدم علينا ابن أمِّ مكتوم الأعمى رضي الله عنه أحد بني فِهْر. ثم قدم علينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين راكباً. فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو على إثْري، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه معه. قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصَّل. وأخرجه أيضاً البخاري ومسلم. كذا في البداية (٣/١٨٨).

---

(١) قبضَ: تُوفي.

(٢) ثنية: مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة.

﴿ هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصاحبيه ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما قال: اتَّعدنا[١] لمّا أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص التناضب[٢] من أضاة[٣] بني غفار فوق سَرِف[٤] وقلنا: أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس، فليمضِ صاحباه. قال فأصبحت أنا وعيَّاش عند التناضِب وحبس عنا هشام وفُتن فافتتن. فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء. وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش - وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما - حتى قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلَّماه وقالا له: إنَّ أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مُشط حتى تراك ولا تستظلَّ من شمس حتى تراك. فرقَّ لها، فقلت له: إنه - والله - إنْ يريدك القوم إلاَّ ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لاستظلَّت. قال: فقال: أبرّ قَسَمَ أمي ولي هنالك مال فآخذه. قال قلت: والله إنك لتعلم أنِّي لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي، ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليَّ إلاَّ أن يخرج معهما. فلما أبَى إلاَّ ذلك قلت: أمَا إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذَلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم رَيب فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما حتى إذا كان ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخي - والله - لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تُعقِبُني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحوَّل عليها، فلما استوَوْا بالأرض عَدَوَا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن. قال عمر رضي الله عنه: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتَتَن توبة، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله: ﴿ قل يا عبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسهم

---

(١) اتَّعدنا: وعد بعضنا بعضاً.
(٢) التناضب: وادٍ يدفع في عقيق المدينة.
(٣) أضاة: الغدير.
(٤) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة وتسعة واثنا عشر.

لا تَقْنَطوا من رحمة الله، إنَّ الله يغفرُ الذنوبَ جميعاً، إنه هو الغفورُ الرحيمُ وأنيبوا إلى ربكم وأسْلِموا له من قبل أن يأتيكم العذابُ ثم لا تُنصرون. واتَّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيَكم العذابُ بغتَة وأنتم لا تشعرون﴾[١]. قال عمر: فكتبتها وبعثت بها إلى هشام ابن العاص. قال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوى[٢] أصعِّد بها وأُصوِّب ولا أفهمها، حتى قلت: اللَّهمَّ فهِّمْنيها، فألقى الله في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة. كذا في البداية (٣/١٧٢). وأخرجه أيضاً ابن السَكَن بسند صحيح عن ابن إسحاق بإسناده مطوَّلاً كما أشار إليه الحافظ في الإصابة (٣/٦٠٤)، والبزار بطوله نحوه؛ قال الهيثمي (٦/٦١) ورجاله ثقات. وأخرجه البيهقي (٩/١٣)، وابن سعد (٣/١٩٤)، وابن مردويهْ، والبزار عن عمر رضي الله عنه مختصراً كما في كنز العمال (١/٢٦٢). وأخرجه الطبراني عن عروة مرسلاً: وفيه ابن لَهيعة، وفيه ضعف. وعن ابن شهاب مرسلاً، ورجاله ثقات. كذا في المجمع (٦/٦٢).

هجرة عثمان بن عفان رضي الله عنه

﴿ هجرته إلى الحبشة وذكر أنه أول من هاجر بأهله إلى الله بعد لوط عليه السلام ﴾

أخرج البيهقي عن قتادة رضي الله عنه قال: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه. سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة ـ يعني أنساً رضي الله عنه ـ يقول: خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، قد رأيت خَتَنَك[٣] ومعه امرأته. قال: «على أيِّ حال رأيتهما؟» قالت: رأيته قد

(١) سورة الزمر: آية: ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) ذو طوى: موضع عند باب مكة المكرمة.

(٣) الختن من قبل المرأة، والحمو من قبل الرجل، والصهر يجمعهما.

حمل امرأته على حمار من هذه الدَّبَّابة[1] وهو يسوقها. فقال رسول الله ﷺ: «صحبهما الله. إنّ عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام». كذا في البداية (٣/٦٦). وأخرجه أيضاً ابن المبارك عن أنس رضي الله عنه بمعناه كما في الإصابة (٤/٣٠٥)؛ والطبراني عن أنس بمعناه، وفي حديثه: واحتبس على النبي ﷺ خبرهم، فكان يخرج يتوكف[2] عنهم الخبر. فجاءته امرأة فأخبرته. قال الهيثمي (٨/٨١): وفيه الحسن بن زياد البُرجُمي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

هجرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عن علي رضي الله عنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدّي ودائع كانت عنده للناس؛ ولذا كان يسمى الأمين. فأقمت ثلاثاً، فكنت أظهر ما تغيّبتُ يوماً واحداً. ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله ﷺ، حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ مقيم، فنزلت على كُلثوم بن الهِدْم وهنالك منزل رسول الله ﷺ. كذا في كنز العمال (٨/٣٣٥).

هجرة جعفر بن أبي طالب والصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة

﴿ إذنه عليه السلام لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة وهجرة حاطب وجعفر إليها ﴾

أخرج أحمد والطبراني - ورجاله رجال الصحيح - عن محمد بن حاطب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي رأيت أرضاً ذات نخل فاخرجوا». قال: فخرج حاطب وجعفر رضي الله عنهما في البحر. قال: فولدت أنا في تلك السفينة. كذا في مجمع الزوائد للهيثمي (٦/٢٧). وأخرج الطبراني والبزار عن عُمير بن إسحاق قال: قال جعفر رضي الله عنه: يا رسول الله، ائذن لي أن آتي أرضاً أعبد الله فيها لا أخاف أحداً، قال: قال

(١) الدّبابّة: أي الضعاف التي تدبّ في المشي ولا تسرع.
(٢) يتوكف: ينتظر وَكَفه أي وقوعه.

فأذن له فيها، فأتى النجاشي ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي. قال الهيثمي (٦/٢٩): وعمير بن إسحاق وثّقه ابن حِبّان وغيره، وفيه كلام لا يضرّ، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

﴿ إرسال قريش عمرو بن العاص إلى النجاشي ليرد الصحابة إليهم ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن أُم سَلَمة رضي الله عنها أنها قالت: لما ضاقت مكة، وأُوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفُتنوا، ورأَوا ما يُصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في مَنَعَةٍ[١] من قومه ومن عمِّه لا يصل إليه شيء ممّا يكره وممّا ينال أصحابَه ـ فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنَّ بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ممّا أنتم فيه» فخرجنا إليها أرسالاً[٢] حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلماً. فلمّا رأت قريش أنّا قد أصبنا داراً وأمناً، غارُوا[٣] منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردّنا عليهم. فبعثوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته[٤]، فلم يدَعُوا منهم رجلاً إلاّ هيؤوا له هدية على حدة، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلّموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، فإن استطعتم أن يردّهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. فقدما عليه فلم يبقَ بِطْريق من بطارقته إلاّ قدَّموا إليه هديته، فكلَّموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثَنا قومُهم ليردّهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل. ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحبِّ ما يُهدون إليه من مكة الأدَم[٥]. فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك،

---

(١) منعة: أي قوة من قومه، تمنع من يريده بسوء. (٢) أرسالاً: جماعة بعد جماعة.

(٣) غاروا: مشتق من الغَيْرة.

(٤) البطارقة: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب وتَقَدُّمٍ عندهم.

(٥) الأدم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ.

إنَّ فتيةً منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجؤوا إلى بلادك، وقد بعثْنا إليك فيهم عشائرهُم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردّهم عليهم، فإنهم أعلى بهم عيناً(١)، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم(٢) لذلك. فغضب ثم قال: لا، لعمر الله، لا أردّهم عليهم حتى أدعوهم، فأكلمهم وأنظُرَ ما أمرُهم؛ قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعم عيناً(٣).

﴿ خبر الصحابة مع النجاشي وقوله في الإسلام وفي عيسى بن مريم عليهما السلام ﴾

فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهْطُ، ألا تحدثُوني(٤) ما لكم لا تحيوني(٥) كما يحييني من أتانا من قومكم؟! فأخبروني ماذا تقولون في عيسى؟ وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله، لا نشرك به شيئاً. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلَنا، فأمرنا بالبر، والصدقة، والوفاء، وأداء الأمانة؛ ونهانا أن نعبد الأوثان، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدَّقناه، وعرفنا كلام الله، وعلمنا أنَّ الذي جاء به من عند الله. فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبيَّ الصادقَ وَكذَّبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. قال: **والله، إنَّ هذا لمن المشكاة(٦) التي خرج منها أمر موسى**. قال جعفر رضي الله عنه:

(١) عيناً: أي أبصر بهم.
(٢) تمنعهم: تحميهم.
(٣) أي لم أكرمهم بردهم إليهم ولم أقر عينهم.
(٤-٥) كذا في الأصل.
(٦) المشكاة: الكوّة غير النافذة؛ وقيل: هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل، أراد أن القرآن والتوراة كلام الله تعالى، وأنهما من شيء واحد.

وأما التحية، فإنَّ رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة: السلام، وأمَرَنا بذلك، فحيّيناك بالذي يحيّـي بعضنا بعضاً. وأما عيسى بن مريم عليهما السلام: فعبدُ الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وابن العذراء البتول[١]. فأخذ عوداً وقال: والله، ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله، لئن سمعتِ الحبشة لتخلعنّك. فقال: والله، لا أقـول في عيسى عليه السلام غير هذا أبداً، وما أطاع اللَّهُ الناسَ فـيَّ حين ردَّ علي ملكي فأطيع الناس في دين الله!! معاذ الله من ذلك. كذا في البداية (٣/٧٢).

وأخرجه أيضاً أحمد عن أُم سلمة - زوج النبي ﷺ - بطوله، وفي حديثه: قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم. فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في الرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول - والله - ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه - وقد دعا النجاشي أساقفته[٢] فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم فقال: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ - قالت: وكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب قال: أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه. فدعانا إلى الله - عزّ وجلّ - لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلَة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. وأمرنا أن نعبد الله، لا نشـرك به شيئاً، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. - قالت: فعدّد

---

(١) البتول: أي المنقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم.

(٢) الأساقفة: جمع أسقف: وهو عالم رئيس من علماء النصارى ورؤسائهم، وهو اسم سرياني؛ ويحتمل أن يكون سُمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته؛ والسقف في اللغة: طول في انحناء.

عليه أُمور الإِسلام ـ فصدّقناه، وآمنا به واتّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عزّ وجلّ، وأن نستحلّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث. فلمّا قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر رضي الله عنه: نعم. قالت: فقال له النجاشي: فاقرأه. فقرأ عليه صدراً من «كٓهيٓعٓصٓ»[١]. قالت: فبكى النجاشي حتى أخْضَلَ[٢] لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلي عليهم. ثم قال النجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به موسى[٣] ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم[٤] أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلمّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينّهم[٥] غداً أُعيِّبهم عنده بما أستأصل به خضراءهم[٦]، فقال له عبدالله ابن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عَبْدٌ. قالت: ثم غدا عليه، فقال: يا أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلُها؛ واجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى بن مريم (إذا سألكم عنه؟ قالوا نقول ـ والله ـ: ما قال الله، وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، قالت: فلما دخلوا عليه قال

---

(١) مطلع سورة مريم. (٢) أخضل لحيته: أي بلّها بالدموع.

(٣) في سيرة ابن هشام: عيسى، أما عبارة «والذي جاء به موسى» فتُحمل على الشريعة التي أُنزلت على موسى عليه السلام والتي أُمر أتباع عيسى باتّباعها إذ ليس في الإِنجيل شريعة.

(٤) في ابن هشام: إليكما.

(٥) في ابن هشام: لآتينّه. (٦) أي: بما أَبيدهم به.

لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم، قالت:)[١] فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ: هو عبدالله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: (واللهِ) **ما عَدَا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود!!** فتناخرت[٢] بطارقة حوله حين قال ما قال، (فقال): **وإن نخرتم والله!! اذهبوا فأنتم سيوم**[٣] **بأرضي** ـ والسيوم الآمنون ـ؛ من سبَّكم غرم، ثم (قال): من سبَّكم غَرِم، ثم (قال) من سبَّكم غَرِم، **ما أحبُّ أن لي دَبْراً ذهباً وأني آذيت رجلاً منكم** ـ والدَّبْر بلسان الحبشة: الجبل ـ رُدّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. فخرجا من عنده مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به.

وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار، فوالله إنه لَعَلى ذلك إذ نزل به مَنْ ينازعه في ملكه. قالت: والله ما علمتنا حَزِنَّا (حزناً) قط كان أشد من حزن حزنّاه عند ذلك؛ تخوفاً أن يظهر ذلك (الرجل) على النجاشي؛ فيأتي رجل لا يعرف من حقِّنا ما كان النجاشي يعرف. قالت: وسار النجاشي وبينهما عرضُ النِّيل. قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجلٌ خرج حتى يحضر وقيعة القوم، ثم يأتينا (بالخبر)؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. (قالوا: فأنت) قالت: وكان من أحدث القوم سنّاً. قالت: فنفخوا له قِربة فجعلها في صدره، فَسَبَح[٤] عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: ودعونا الله عزّ وجلّ للنجاشي بالظهور على عدوّه والتمكين له في بلاده (قالت: فوالله إنا لَعَلَى

---

(١) هذه الزيادة المحصورة بين القوسين من ابن هشام وكذلك الكلام الآخر المحصور بين قوسين في حديث أم سلمة هذا.

(٢) تناخرت: أي تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور.

(٣) في ابن هشام: شيوم.

(٤) السبح: المر السريع في الماء والهواء؛ سبح بالنهر وفيه: كمنع، سبحاً وسباحة بالكسر: عام.

ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه، وهو يقول: ألَا أبشروا فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكّن له في بلاده، قالت: فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قطّ مثلها. قالت ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده) واستوسق(١) عليه أمر الحبشة فكنّا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة. قال الهيثمي (٢٧/٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرّح بالسماع. انتهى. كذا في الأصل، والظاهر أنه ابن إسحاق، وقد تقدّم الحديث من طريقه. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١١٥/١) من طريق ابن إسحاق نحوه مطوّلاً؛ والبيهقي (٩/٩) ذكر صدر الحديث من طريق ابن إسحاق بسياقه، ثم قال وذكر الحديث بطوله، وذكر الحديث في السِيَر (١٤٤/٩).

وأخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي - ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً - فيهم: عبدالله ابن مسعود، وجعفر، وعبدالله بن عُرْفُطَة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى(٢)، فأتَوا النجاشي. وبعثت قريش عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إنَّ نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملّتنا. قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك فابعث إليهم؛ فبعث إليهم. فقال جعفر رضي الله عنه: أنا خطيبكم اليوم، فاتّبعوه، فسلّم ولم يسجد. فقالوا له: ما لك

---

(١) استوسق: أي استقر له الملك.

(٢) قد استشكل ذكر أبي موسى فيهم لأن المذكور في الصحيح: أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة، فألقتهم السفينة بأرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخيبر؛ ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع مَنْ بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي. فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة، فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة. فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد. والله أعلم. كذا في فتح الباري (١٣٠/٧).

لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عزّ وجلّ. قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ الله بعث إلينا رسولاً، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم. قال: فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله: **هو كلمته، وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد**[١]. قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسّيسين[٢] والرهبان[٣]! والله ما يُزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده! **أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشَّر به عيسى بن مريم. انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه**؛ وأمر بهدية الآخرين فردّت إليهما. ثم تعجّل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حتى أدرك بدراً. وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن ـ قاله ابن كثير في البداية (٣/٦٩). وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/١٣٠). وقال الهيثمي (٦/٢٤) ـ بعد ما ذكر الحديث ـ: رواه الطبراني وفيه حديج بن معاوية، وثَّقه أبو حاتم، وقال في بعض أحاديثه ضعف، وضعَّفه ابن مَعِين وغيره؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ـ فذكره بمعنى حديث ابن مسعود، وفي حديثه: **ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبّل نعليه**، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (٦/٣١). إهـ. وأخرج حديث أبي موسى أيضاً أبو نُعيم في الحلية

---

(١) يفرضها ولد: يشقها ولد.

(٢) القسيسون: جمع قسيس، رئيس النصارى في العلم.

(٣) الرهبان: جمع راهب، هو الذي يغلو في تحمل التعبد من فرط الرهبة، والرهبان بالضم قد يكون واحداً.

(١/ ١١٤)، والبيهقي قال: هذا إسناد صحيح ـ كما في البداية (٣/ ٧١).

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي. فقالوا له ـ ونحن عنده ـ: قد صار إليك ناس من سَفِلتنا وسفهائنا، فادفعهم إلينا. قال: لا، حتى أسمع كلامهم. قال: فبعث إلينا. فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال قلنا: هؤلاء قوم يعبدون الأوثان، وإن الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدَّقناه. فقال لهم النجاشي: أعبيدٌ هُمْ لكم؟ قالوا: لا. فقال: فلكم عليهم دَيْن؟ قالوا: لا. قال: فخلُّوا سبيلهم. قال: فخرجنا من عنده. فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول. قال: إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار. فأرسل إلينا، فكانت الدعوة الثانية أشدّ علينا من الأولى. قال: ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم؟ قلنا: يقول: هو روح الله، وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول. قال: فأرسَل، فقال: ادعوا لي فلان القَسّ، فلان الراهب. فأتاه ناس منهم فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقالوا: أنت أعلمنا، فما تقول؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال: أيؤذيكم أحد[1]؟ قالوا: نعم. فنادى منادٍ: من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا، فأضْعَفَها.

﴿ رجوع الصحابة إلى المدينة وإسلام النجاشي واستغفاره ﷺ له ﴾

قال: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدَّثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فزُوِّدنا. قال: نعم: فحمّلنا وزوّدنا. ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وقل له: يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقّاني رسول الله ﷺ واعتنقني، ثم قال: «ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم

---

(١) من مجمع الزوائد (٦ /٢٩)، وفي الأصل: أحداً.

جعفر!» ووافق ذلك فتحَ خيبر، ثم جلس، فقال رسول النجاشي: هذا جعفر، فسَلْه ما صنع به صاحبنا؟ فقال: نعم، فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزوّدنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وقال لي: قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات: «اللهم اغفر للنجاشي». فقال المسلمون: آمين. ثم قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ. قال ابن عساكر: حسن غريب. كذا في البداية (٣/٧١). وأخرجه الطبراني من طريق أسد بن عمرو عن مُجالد وكلاهما ضعيف، وقد وُثِّقا ـ قاله الهيثمي (٦/٢٩).

﴿ فضيلة من هاجر إلى الحبشة ثم إليه ﷺ ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن عبد العزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبدالله بنت أبي حَثْمة رضي الله عنها قالت: واللهِ إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر فوقف عليَّ وهو على شركه فقالت: ـ وكنّا نلقَى منه أذى لنا وشدَّه علينا ـ قالت: فقال: إنه الانطلاق يا أم عبدالله؟ قلت: نعم، والله لنخرجنَّ في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت: فقال: صحبكم الله!! ورأيت له رقّة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك. فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفاً ورقَّته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم. قال: لا يُسلم الذي رأيتِ حتى يسلمَ حمارُ الخطّاب. قالت: يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام. كذا في البداية (٣/٧٩). واسم أم عبدالله: ليلى؛ كما في الإصابة (٤/٤٠٠). وأخرجه أيضاً الطبراني؛ وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فهو صحيح. قاله الهيثمي (٦/٢٤). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٥٨) بسياق ابن إسحاق من طريقه إلا أنه وقع في الإسناد عن عبد العزيز ابن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه عن أمه أم عبدالله، وهذا هو الظاهر ـ والله أعلم. وفي آخره: قال: يأساً منه. وأخرج ابن مَنْده وابن عساكر عن خالد بن سعيد بن العاص ـ وكان من مهاجرة الحبشة هو وأخوه عمرو ـ: ولمَّا

قدموا على رسول الله ﷺ تلقّاهم حين دنَوا منه وذلك بعد بدر بعام، فحزنوا أن لا يكونوا شهدوا بدراً. فقال رسول الله ﷺ: «وما تحزنون؟ إنَّ للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان، هاجرتم حين خرجتم إلى صاحب الحبشة، ثم جئتم من عند صاحب الحبشة مهاجرين إليّ». كذا في كنز العمال (٨/٣٣٢).

وأخرج البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهم أبو بُردة، والآخر أبو رُهم - إمّا قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي -، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً. فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر. فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: سبقناكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنت عُميس وهي ممّن قدم معنا على أمّ المؤمنين حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر. فدخل عمر رضي الله عنه على حفصة وأسماء عندها، فقال - حين رأى أسماء -: من هذه؟ قالت: أسماء ابنة عُميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقُّ برسول الله ﷺ منكم. فغضبت وقالت: كلا. واللهِ كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم؛ وكنا في دار - أو في أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة، وذلك في اللهِ وفي رسول الله ﷺ؛ وايْمُ الله، لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكرَ ما قلتَ للنبي ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا. قالت قال: «فما قلتِ له؟» قالت قلت: كذا وكذا. قال: «ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان». قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالاً[1] يسألوني عن هذا الحديث: **ما من الدنيا شيء هم به أفرح**

(١) أرسالاً: أفواجاً وفرقاً متقطعة يتبع بعضهم بعضاً، جمع رَسَل بفتحتين.

ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ. قال أبو بُردة قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني. وقال أبو بُردة عن أبي موسى: قال النبي ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم[1]: إذا لقي العدو ـ أو قال: الخيل ـ قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم». وهكذا رواه مسلم. كذا في البداية (٤/٢٠٥). وعند ابن سعد بإسناد صحيح عن الشَّعْبي قال: قالت أسماء ابنة عُميس رضي الله عنها: يا رسول الله، إنَّ رجالاً يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأوّلين. فقال: «بل لكم هجرتان: هاجرتم إلى أرض الحبشة، ثم هاجرتم بعد ذلك». كذا في فتح الباري (٧/٣٤١). وأخرج هذا الأثر ابن أبي شيبة أيضاً أطول منه كما في كنز العمال (٧/١٨). وأخرج حديث أبي موسى أيضاً الحسن بن سفيان وأبو نُعيم مختصراً كما في الكنز أيضاً (٨/٣٣٣).

هجرة أبي سلمة وأم سَلَمة رضي الله عنهما إلى المدينة

أخرج ابن إسحاق عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل[2] لي بعيره، ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حِجري[3]، ثم خرج يقود بي بعيره. فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبْتَنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد؟؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سَلَمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابني سَلَمة بينهم حتى خلعوا[4] يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة؛ قالت: ففُرّق بيني وبين ابني وبين

(١) في الأصل: ومنهم حكيم بن حزام. والصحيح ما ذكرت كما في صحيح مسلم.
(٢) رحَّل: وضع على ظهره الرَّحْل.
(٣) في حجري: أي في حضني.
(٤) خلعوا: أي نزعوا.

زوجي. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها؛ حتى مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني. فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: فردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حِجْري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. حتى إذا كنت بالتنعيم[1] لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة أخا بني عبد الدار. فقال: إلى أين يا ابنة أبي أُمية؟ قلت: أُريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبُنيّ هذا. فقال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي[2] بي؛ فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطُّ أرى أنه كان أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحطَّ عنه، ثم قيّده في الشجر، ثم تنحَّى إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحَّله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُباء قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكة. فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سَلَمة؛ وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة. أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد رضي الله عنه معاً. كذا في البداية (٣/ ١٦٩).

هجرة صهيب بن سنان رضي الله عنه

﴿ خروج صهيب من مكة مهاجراً وخبره مع فتيان قريش ﴾

أخرج البيهقي عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) التنعيم: وادٍ قريب من مكة. (٢) يهوي بي: أي يسرع بي.

«أُريت دار هجرتكم سَبْخَة[١] بين ظهراني حرّتين، فإما أن تكون هَجَر أو تكون يثرب». قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر رضي الله عنه، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكياً ـ فناموا. فخرجت ولحقني منهم ناس بعدما سرت يريدوا ليردوني، فقلت لهم: إن أعطيتكم أواقيَّ[٢] من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي؟ ففعلوا، فتبعتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أُسْكُفَّة[٣] الباب فإن بها أواقيَّ؛ واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَين. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقُباء قبل أن يتحوّل منها. فلما رآني قال: «يا أبا يحيى ربح البيع!!» فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام. كذا في البداية (٣/١٧٣). وأخرجه الطبراني أيضاً نحوه ـ قال الهيثمي (٦/٦٠): وفيه جماعة لم أعرفهم. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية (١/١٥٢).

﴿ قدوم صهيب عليه ﷺ بقباء وبشارته عليه السلام له وما أنزل الله في صهيب ﴾

وأخرج أيضاً هو وابن سعد (٣/١٦٢)، والحارث وابن المنذر، وابن عساكر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيِّب أنَّ صهيباً رضي الله عنه أقبل مهاجراً نحو النبي ﷺ، فتبعه نفر من قريش مشركون، فنزل فانتثل[٤] كنانته فقال: قد علمتم يا معشر قريش أني أرماكم رجلاً بسهم، وايْمُ الله لا تصلون إليَّ حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه (شيء)[٥]، ثم شأنكم بعد ذلك. وإن شئتم دللتكم على مالي

(١) سبخة: أرض تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.
(٢) أواقي جمع أوقية: وهي أربعون درهماً.
(٣) أسكفة الباب: خشبة الباب التي يوطأ عليها.
(٤) انتثل: أي استخرج ما فيها من السهام.
(٥) من الاستيعاب.

بمكة وتخلُّوا سبيلي. قالوا: نعم، فتعاهدوا على ذلك فدلَّهم. فأنزل الله على رسوله القرآن: ﴿ ومن الناس من يَشْري نفسه ابتغاء مرضاتِ الله ﴾[1] ـ حتى فرغ من الآية. فلما رأى النبي ﷺ صهيباً قال: «ربح البيع يا أبا يحيى!! ربح البيع يا أبا يحيى!!» وقرأ عليه القرآن. كذا في كنز العمال (١/٢٣٧). وأخرجه أيضاً ابن عبد البَر في الاستيعاب (٢/١٨٠) عن سعيد نحوه.

وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/٣٩٨) من طريق سليمان بن حرب عن حمّاد ابن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما خرج صهيب رضي الله عنه مهاجراً تبعه أهل مكة، فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهماً، فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهماً، ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أني رجل، وقد خلَّفت بمكة قينتين[2] فهما لكم. قال: وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه ـ نحوه: ونزلت على النبي ﷺ: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله» ـ الآية. فلما رآه النبي ﷺ قال: «أبا يحيى ربح البيع». قال: وتلا عليه الآية. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه. وأخرجه أيضاً ابن أبي خَيْثمة بمعناه كما في الإصابة (٢/١٩٥)، وقال: ورواه ابن سعد أيضاً من وجه آخر عن أبي عثمان النَّهْدي، ورواه الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وله طريق أخرى. انتهى. وأخرجه ابن مَرْدَويه من طريق أبي عثمان النَّهدي عن صهيب رضي الله عنه قال: لَمَّا أردت الهجرة من مكة إلى النبي ﷺ قالت لي قريش: يا صهيب، قدمتَ إلينا ولا مال لك، وتخرج أنت ومالك، والله لا يكون ذلك أبداً. فقلت لهم: أرأيتم إن دفعت إليكم مالي تخلّون عني؟ قالوا: نعم. فدفعت إليهم مالي، فخلُّوا عني؛ فخرجت حتى قدمت المدينة. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب» مرتين. كذا في التفسير لابن كثير (١/٢٤٧). وأخرجه ابن سعد (٣/١٦٢) من طريق أبي عثمان ـ بنحوه.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٠٧.

(٢) قينتين: أي أَمَتَين.

هجرة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما

أخرج أبو نعيم في الحلية (١/٣٠٣) عن عمر بن محمد بن زيد عن أبيه قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا مرّ بِرَبْعهم[١] ـ وقد هاجر منه ـ غمَّض عينيه[٢] ولم ينظر إليه ولم ينزله قط. وعند البيهقي في الزهد بسند صحيح عن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر يقول: ما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلا بكى، ولا مرّ على رَبْعهم إلا غمَّض عينيه. كذا في الإصابة (٢/٣٤٩).

هجرة عبد بن جحش رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبدالله ابن جحش[٣] رضي الله عنه، وكان آخر من بقي ممّن هاجر[٤]، وكان قد كُفَّ بصره؛ فلما أجمع على الهجرة كرهت امرأته ذلك بنت (أبي سفيان بن) حرب ابن أمية، وجعلت تشير عليه أن يهاجر إلى غيره[٥]، فهاجر بأهله وماله مكتتماً من قريش حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ. فوثب أبو سفيان بن حرب فباع داره بمكة، فمرّ بها بعد ذلك أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وحويطب بن عبد العزى وفيها أُهُبٌ[٦] معْطُونة[٧]، فذرفت عينا عتبة وتمثل ببيت من شعر:

وكلُّ دار وإن طالت سلامتها يوماً ستدركها[٨] النكباء[٩] والحوب[١٠]

قال أبو جهل ـ وأقبل على العباس ـ فقال: هذا ما أدخلتم علينا. فلما دخل

---

(١) ربعهم: منزلهم. (٢) غمض: أي أطبق جفنيه.

(٣) الصحيح عبد بن جحش كما نبّه عليه المؤلف رحمه الله فيما يأتي. أما أخوه عبد الله فقد هاجر ولم يكن ضريراً.

(٤) أي في مكة. (٥) أي إلى غير النبي عليه السلام.

(٦) أُهُب: جمع إهاب بِكتاب: الجلد أو ما لم يدبغ.

(٧) معطونة: من عَطِن الجلد كفرح وضع في الدباغ وترك فأفسد وأنتن أو نَضَح عليه الماء فدفنه فاسترخى شعره لينتف.

(٨) من البداية، وفي الأصل: سيدركها.

(٩) النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين. (١٠) الحوب: أي الوحشة.

رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح قام أبو أحمد يَنشُد داره[1]. فأمر النبي ﷺ عثمان بن عفان، فقام إلى أبي أحمد فانتحاه[2]، فسكت أبو أحمد عن نشيد داره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان أبو أحمد يقول ـ والنبي ﷺ متكىء على يده يوم الفتح ـ:

حبذا مكة من وادي ... بها أمشي بلا هادي

بها يكثر عُوّادي ... بها تركز أوتادي

قال الهيثمي (٦/٦٤): وفيه عبدالله بن شبيب وهو ضعيف. إهـ. قال ابن إسحاق: كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة وعبدالله بن جحش رضي الله عنهما، احتمل بأهله وبأخيه عبد أبي أحمد. وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة[3] بنت عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنها. فغُلِّقت دار بني جحش هجرة، فمرّ بها عتبة ـ فذكر قصتهم بمعنى ما تقدم كما في البداية (٣/١٧٠). فالظاهر أنه سقط ذكر أبي أحمد في الحديث، أو عبدالله تصحيف. والصحيح عبد بن جحش فإنه كان ضرير البصر، لا أخوه عبدالله ابن جحش وقال: أبو أحمد بن جحش هذا في هجرتهم كما ذكر ابن كثير في البداية عن ابن إسحاق (٣/١٧١):

ولّما رأتني أم أحمدَ غادياً ... بذمّة من أخشى بغيب وأرهَبُ

تقول فإمّا كنت لا بدَّ فاعلاً ... فيمّم[4] بنا البلدان ولتنأ[5] يثربُ

(فقلت لها ما يثرب بمظِنّة)[6] ... وما يشأ الرحمن فالعبد يركب

إلى الله وجهي والرسول ومن يُقم ... إلى الله يوماً وجهه لا يُخَيَّب[7]

فكم قد تركنا من حميم[8] مناصح ... وناصحة تبكي بدمع وتندُب[9]

(١) ينشد داره: أي يطلبها.
(٢) انتحاه: أخذه ناحية وأسرَّ إليه.
(٣) هي عمة النبي ﷺ وقد اختلف في إسلامها فنفاه ابن إسحاق وأثبته ابن سعد.
(٤) يمم: اقصد.
(٥) لتنأ: لتبعد.
(٦) وعند ابن هشام ـ بدله: «فقلت لها بل يثربُ اليوم وجهُنا».
(٧) لا يخيب: لا يحرم.
(٨) حميم: كأمير: القريب.
(٩) أي تبكي النائحة، وتعدد محاسن الميت.

ترى أنّ وِتْراً[١] نأيُنا[٢] عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائب نَطْلُب
دعوت بني غَنْم لِحقن دمائهم ... وللحق لما لاح للناس مَلْحَب[٣]
أجابوا بحمد الله لّما دعاهم ... إلى الحق داعٍ والنجاحِ فأوْعبوا[٤]
وكنا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا[٥]
كفَوجين أما منهما فموفَّق ... على الحق مهدي وفوج معذّب
طَغَوا[٦] وتمَنَوا كذبة وأزلهم ... عن الحق إبليس فخابوا وخيّبوا
ورِعنا[٧] إلى قول النبي محمدٍ ... فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نَمُتُّ[٨] بأرحام إليهم قريبةٍ ... ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقَرِّب
فأيّ ابن أخت بعدنا يأمننكم ... وأية صِهْر بعد صهريَ ترقب
ستعلم يوماً أيُّنا إذ[٩] تزايلوا ... وزُيِّل[١٠] أمر الناس للحق أصوب

هجرة ضمرة بن أبي العيص أو ابن العيص[١١]

أخرج الفِريابي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: لما أنزلت: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ﴾[١٢] ـ الآية. ثم ترخَّص عنها أناس من المساكين ممّن بمكة حتى نزلت: ﴿ إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾[١٣] ـ الآية. فقالوا: هذه مُرْجفة[١٤] حتى نزلت: ﴿ إلا المُسْتَضعفين من الرجال والنساء والوِلدان لا يستطيعون حِيلةً ولا يهتدونَ سبيلاً ﴾[١٥]،

(١) الوتر هنا: الظلم.
(٢) نأينا: بعدنا.
(٣) الملحب: الطريق الواضح.
(٤) أوعبوا: أي جمعوا.
(٥) أجلبوا: تجمعوا من كل وجه للحرب.
(٦) طغوا: أي جاوزوا الحد.
(٧) رعنا: أي رجعنا.
(٨) المت: التوسل بقرابة.
(٩) قال ابن هشام: يريد بقوله (إذ) إذا كقول الله عز وجل: «إذِ الظالمون موقوفون عند ربهم».
(١٠) وزُيِّل: أي مُيِّز.
(١١) جاء في الاستيعاب عن عكرمة أن اسم الرجل الذي خرج من بيته مهاجراً إلى رسول الله ضمرة بن العيص، وقال عكرمة: طلبت اسمه أربع عشرة سنة حتى وقفتُ عليه.
(١٢) سورة النساء آية: ٩٥.
(١٣) النساء آية: ٩٧.
(١٤) مرجفة: من رجف، حرّك، وتحرك، رجفت الأرض: زلزلت، كأرجفت.
(١٥) النساء: آية: ٩٨.

فقال ضمرة بن العيص ـ أحد بني لَيْث وكان مُصاب البصر، وكان موسِراً[١]: لئن كان ذهاب بصري إني لأستطيع الحيلة، لي مال ورقيق، احملوني، فحُمل ودَبَّ[٢] وهو مريض، فأدركه الموت وهو عند التَنْعيم؛ فدفن عند مسجد التَنْعيم. فنزلت فيه خاصة: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله﴾[٣] ـ الآية. وعلّقه[٤] ابن مَنْده هُشَيم عن سالم. وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق إسرائيل عن سالم الأفطس، فقال: عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة ابن العيص الزُرَقي رضي الله عنه. كذا في الإصابة (٢/٢١٢). وأخرجه أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني، فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ. فنزل الوحي: ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت ـ حتى بلغ ـ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾. قال الهيثمي في المجمع (٧/١٠): ورجاله ثقات.

هجرة واثلة بن الأسقع رضي الله عنه

أخرج ابن جرير عن خالد بن الوليد عن واثلة بن الأسقَع رضي الله عنهما قال: خرجت من أهلي وأريد الإسلام، فقدمت على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة، فصففت في آخر الصفوف فصلَّيت بصلاتهم. فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة انتهى إليَّ وأنا في آخر الصفوف. فقال: «ما حاجتك؟» قلت: الإسلام. قال: «هو خير لك». قال: «وتهاجر؟» قلت: نعم. قال: «هجرةَ البادي أو هجرة الباتي؟» قلت: أيتها خير؟ قال: «هجرة الباتي». قال: «وهجرة الباتي أن تثبت مع رسول الله ﷺ، وهجرة البادي أن يرجع إلى باديته». قال: «وعليك الطاعة في عسرك[٥] ويسرك ومنشطك[٦] ومكرهك

---

(١) موسراً: أي غنياً.
(٢) دبّ: أي مشى رويداً.
(٣) النساء: آية: ١٠٠.
(٤) علّقه: حذف أول سنده.
(٥) عسرك: بالضم وبضمتين وبالتحريك: ضد اليسر، واليسر بالضم وبضمتين: السهولة والغنى.
(٦) المنشط والمكره بفتحتين فيهما، فهما مصدران ميميان أو اسما زمان أو مكان.

وأَثَرَة[١] عليك». قلت: نعم. فقدَّم يده وقدمت يدي. فلما رآني لا أستثني لنفسي شيئاً قال: «فيما استطعت». فقلت: فيما استطعت. فضرب على يدي. كذا في كنز العمال (٨/٣٣٣).

هجرة بني أسلم

أخرج أبو نُعيم عن إياس بن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: أصاب أسلَمَ وجعٌ. فقال رسول الله ﷺ: «يا أسلمُ ابدوا»[٢]. قالوا: يا رسول الله نكره أن نرتد[٣]، ونرجع على أعقابنا. فقال رسول الله ﷺ: «أنتم باديتنا[٤] ونحن حاضرتكم، إذا دعوتمونا أجبناكم وإذا دعوناكم أجبتمونا؛ أنتم المهاجرون حيث كنتم». كذا في كنز العمال (٧/١٤٢).

هجرة جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه

أخرج أبو نُعيم والحسن بن سفيان عن جنادة بن أبي أمية الأزدي رضي الله عنه قال: هاجرنا على عهد النبي ﷺ فاختلفنا في الهجرة، فقال بعضنا: قد انقطعت؛ وقال بعضنا: لم تنقطع. فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك. فقال: «لا تنقطع[٥] الهجرة، **ما قوتل الكفار**». كذا في الكنز

---

(١) بفتحتين اسم من أثر بمعنى اختار؛ أي على اختيار شخص علينا بأن نؤثره على أنفسنا، والأظهر أن معناه على الصبر على إيثار الأمراء أنفسهم علينا.

(٢) ابدوا: من بدا القوم أي خرجوا إلى البادية.

(٣) أي إلى البادية.

(٤) البادية: خلاف الحضر، والحاضرة: خلاف البادية.

(٥) قال الخطابي: كانت الهجرة أي إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوبة، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه، وتعلُّم شرائع الدين، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر. فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب. وقال البغوي في شرح السنة: يحتمل الجمع بين هذا وبين حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: «لا هجرة بعد الفتح» بطريق أخرى بقوله: لا هجرة بعد الفتح، أي من مكة إلى المدينة، وقوله: لا تنقطع، أي من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام. قال ويحتمل وجهاً آخر، وهو أن قوله: لا هجرة أي إلى النبي ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن؛ وقوله: لا تنقطع أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم؛ وقد أفصح ابن عمر رضي الله عنهما بالمراد فيما أخرجه =

(٣٣١/٨). وعند ابن مندهْ. وابن عساكر عن عبدالله بن السعدي رضي الله عنه قال: وفدت في نفر من بني سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ سبعة أو ثمانية وأنا من أحدثهم سناً، فأتوا رسول الله ﷺ فقضوا حوائجهم وخلّفوني في رَحْل لهم. فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أخبرني عن حاجتي. فقال: «ما حاجتك؟» قلت: رجال يقولون: قد انقطعت الهجرة. فقال: «**أنت خيرهم حاجة** - أو حاجتك خير من حاجاتهم - لا تنقطع الهجرة، ما قوتل الكفار». كذا في الكنز (٣٣٣/٨). وأخرجه أيضاً أبو حاتم، وابن حِبّان، والنَّسائي. وقال أبو زُرعة: حديث صحيح متقن، ، رواه الأثْبات عنه؛ كما في الإصابة (٣١٩/٢).

ما قيل لصفوان بن أمية وغيره في الهجرة

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لصفوان ابن أمية - وهو بأعلى مكة -: إنه لا دين لمن لم يهاجر. فقال: لا أصل إلى بيتي حتى أقدَم المدينة، فقدم المدينة فنزل على العباس بن عبد المطلب، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «ما جاء بك يا أبا وَهْب؟» قال: قيل: إنه لا دِين لمن لم يهاجر. فقال النبي ﷺ: «ارجع أبا وَهْب إلى أباطح[1] مكة، فقرّوا[2] على مسكنكم، فقد انقطعت الهجرة، ولكن جهاد ونية فإن استُنفرتم فانفروا». كذا في كنز العمال (٣٣٣/٨). وأخرجه البيهقي أيضاً بلفظه (١٧/٩). وعند عبد الرزاق عن طاووس قال: قيل لصفوان بن أمية: هلك من نُفيَت له هجرة، فحلف أن لا يغسل رأسه حتى يأتي النبي ﷺ، فركب راحلته ثم انطلق، فصادف[3] النبي ﷺ عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، إنه

= الإسماعيلي بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه؛ ومفهومه أنه لو قُدِّر أن لا يبقى في الدنيا دار كفر، أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها. كذا في فتح الباري (١٦٣/٧).

(١) أباطح: جمع أبطح، وهو مسيل الوادي.

(٢) قرّوا: من القرار أي اسكنوا واثبتوا.

(٣) صادفه: أي قابله على قصد وبدونه.

قيل لي: هلك من لا هجرة له، فآليتُ[١] بيمين لا أغسل رأسي حتى آتيك. فقال النبي ﷺ: «إنَّ صفوان سمع بالإسلام فرضي به ديناً، إن الهجرة قد انقطعت بعد الفتح[٢]، ولكن جهاد ونية[٣]، وإذا استُنفرتم[٤] فانفروا» كذا في الكنز (٣/ ٨٤).

وأخرج البغوي، وابن مَنْده، وأبو نُعيم عن صالح بن بشير ابن فُدَيك: أن جده فُديكاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنهم يزعمون أن من لم يهاجر هلك. فقال النبي ﷺ: «يا فُدَيك، أقم الصلاة، وآت الزكاة، واهجر السوء، واسكن من أرض قومك حيث شئت تكن مهاجراً». كذا في الكنز (٨/ ٣٣١). وأخرجه البيهقي (٩/ ١٧). وأخرج البخاري عن عطاء ابن أبي رباح قال: زُرت عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمير الليثي فسألناها عن الهجرة. فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر[٥] أحدهم

(١) آليت: أي حَلَفت
(٢) أي فتح مكة. قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو انتهى. قال الحافظ ابن حجر: وكانت الحكمة أيضاً في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار، فإنهم كانوا يعذِّبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها. كذا في الفتح (٦/ ٢٥).
(٣) قال الطيبي وغيره: هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله، والمعنى: إن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت، إلا أنَّ المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بنية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالدين من الفتن؛ والنية في جميع ذلك. كذا في الفتح (٦/ ٢٥).
(٤) قال النووي: يريد أن الخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه. كذا في الفتح (٦/ ٢٥).
(٥) أشارت عائشة رضي الله عنها إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة؛ والحكم يدور مع علّته، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت، ومن ثَمَّ قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار الإسلام؛ فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يُترَجى من دخول غيره في الإسلام. كذا في فتح الباري (٧/ ١٦٢).

بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه. فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام واليوم يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية. وأخرجه البيهقي (١٧/٩) أيضاً.

هجرة النساء والصبيان

﴿ هجرة أهل بيت النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنهم ﴾

أخرج ابن عبد البرّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا هاجر رسول الله ﷺ خلّفنا وخلّف بناته، فلما استقر بعث زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم أخذاها من أبي بكر رضي الله عنه يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظَّهْر، وبعث أبو بكر معهما عبدالله ابن أريقط ببعيرين أو ثلاثة، وكتب إلى عبدالله بن أبي بكر أن يحمل أمّي أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير، فخرجوا مصطحبين. فلما انتهَوا إلى قُدَيد[١] اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمس مائة درهم ثلاثة أبْعِرة، ثم دخلوا مكة جميعاً، فصادفوا طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه يريد الهجرة، فخرجوا جميعاً، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسَوْدة بنت زَمْعة، وحمل زيد أم أيمن وأسامة، حتى إذا كنا بالبيداء نَفَر بعيري وأنا في مِحَفَّة[٢] معي فيها أمي، فجعلت تقول: وابنتاه، واعروساه، حتى أدرك بعيرنا[٣] وقد هبط الثنية ثنية هَرْشى[٤] فسلَّم الله. ثم إنَّا قدمنا المدينة، فنزلت مع آل أبي بكر، ونزل آل النبي ﷺ،[٥] وكان رسول الله ﷺ يبني مسجده وأبياتاً حول المسجد، فأنزل فيها أهله، فمكثنا أياماً ـ فذكر الحديث بطوله في تزويج عائشة. كذا في الاستيعاب (٤/ ٤٥٠). وأخرجه الزبير أيضاً كما في الإصابة (٤/ ٤٥٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٧) ـ إلا أنه سقط عنه ذكر مخرِّجه ـ وقال: وفيه محمد بن الحسن بن زُبالة وهو ضعيف. ثم ذكر عن

---

(١) قدَيد مصغراً: موضع بين مكة والمدينة.

(٢) مِحفّة بالكسر: مركب للنساء كالهودج إلا أنها لا تقبب.

(٣) أدرك: وقف.

(٤) ثنية هرشى: بين مكة والمدينة؛ وقيل: هرشى جبل قرب الجحفة.

(٥) أي مع النبي ﷺ.

عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا مهاجرين، فسلكنا في ثنيّة ضعينة فنفر جمل كنت عليه نفوراً منكراً، فوالله ما أنسى قول أمي: يا عُرَيِّسة! فركب بي رأسه[١]، فسمعت قائلاً يقول: ألقي خطامه، فألقيته، فقام يستدير كأنما إنسان قائم تحته. ثم قال (٩/٢٢٨): رواه الطبراني وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٤) بطوله.

﴿ هجرة زينب ابنته ﷺ وقوله فيها بسبب ما أصابها من الأذى في الطريق ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن زينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ أنّها قالت: بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عتبة فقالت: يا ابنة محمد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك. قالت: فقلت: ما أردت ذلك. فقالت: أيْ ابنةَ عم لا تفعلي، إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك، فلا تضْطَبني[٢] مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال[٣]. قالت: والله ما أُراها قالت ذلك إلّا لتفعل. قالت: ولكني خِفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك. قال ابن إسحاق: فتجهَّزتْ، فلما فرغت من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها، وتحدّث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوىً، وكان أولِ من سبق إليها هَبَّار بن الأسود الفِهْري، فروَّعها هبّار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً ـ فيما يزعمون ـ فطَرَحت، وبرك حَموها كِنانة ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتَكَرْكر الناس عنه[٤]، وأتى أبو سفيان في جِلّة من قريش، فقال: يا أيها الرجل، كفّ عنا نبلك حتى نكلمك، فكفَّ. فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصِب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا[٥] ونكبتنا وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانيةً

(١) كناية عن استمرار نفوره. (٢) لا تضبطي: لا تكتميني شيئاً.
(٣) أي أن ما بين الرجال من العداوة القائمة لا شأن لنا بها نحن النساء.
(٤) أي رجعوا عنه. (٥) المراد: مصيبة قريش في يوم بدر.

على رؤوس الناس من بين أظهرنا أنَّ ذلك عن ذلّ أصابنا وأن ذلك ضعف منا وَوَهن، ولعمري، ما لنا بحبسها من أبيها حاجةً وما لنا من ثؤرة[١]، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأتِ الأصوات وتحدَّث الناس أن قد رددناها؛ فَسُلَّها سِراً وألحقها بأبيها. قال ففعل. كذا في البداية (٣/ ٣٣٠).

وعند الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: أن رجلاً أقبل بزينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها فدفعاها، فوقعت على صخرة فأسقطت وهُريقت دماً، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن. ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة[٢] حتى ماتت من ذلك الوجع؛ فكانوا يرون أنها شهيدة. قال الهيثمي (٩/ ٢١٦): وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح - إهـ.

وعند الطبراني في الكبير عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما قدم من مكة خرجت ابنته زينب رضي الله عنها من مكة مع كِنانة - أو ابن كِنانة - فخرجوا في طلبها، فأدركها هَبَّار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها، فتحملت[٣]؛ واشتجر[٤] فيها بنو هاشم وبنو أُمية. فقال بنو أُمية: نحن أحقّ بها وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص؛ وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت تقول: هذا في سبب أبيك. فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «ألا تنطلق فتجيء بزينب؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: فخذ خاتمي فأعطِها إيَّاه. فانطلق زيد فلم يزل يتلطف[٥]، فلقي راعياً فقال: لمن ترعى؟ فقال: لأبي العاص. فقال: لمن هذه الغنم؟ فقال: لزينب بنت محمد، فسار معه شيئاً ثم قال: هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم، فعرفته. فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: فأين تركته؟ قال:

(١) ثؤرة: ثأر.
(٢) وجعة: مريضة.
(٣) تحملت: تحاملت على الألم وقامت.
(٤) اشتجروا: أي تخالفوا وتنازعوا.
(٥) يتلطف: أي يرفق.

بمكان كذا وكذا. فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته قال لها: اركبي بين يدي ـ على بعيره ـ. قالت: لا، ولكن اركب أنت بين يدي، فركب وركبت وراءه حتى أتت، فكان رسول الله ﷺ يقول: «هي خير بناتي أُصيبت فيّ» فبلغ ذلك علي بن حسين[1] رضي الله عنهما، فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك أنك تحدثه تنتقص حقَّ فاطمة؟ فقال عروة: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً لها، وأما بعد ذلك إني لا أحدّث به أبداً. قال الهيثمي (٢١٣/٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط بعضه؛ ورواه البزار؛ ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

هجرة درّة بنت أبي لهب رضي الله عنها

أخرج الطبراني عن ابن عمر وأبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهم قالوا: قدمت درَّة بنت أبي لهب رضي الله عنها مهاجرة، فنزلت دار رافع بنِ المُعلَّى الزُّرَقي رضي الله عنه. فقال لها نسوة جلسن[2] إليها من بني زُرَيق: أنت بنت أبي لهب الذي قال الله فيه: ﴿تبّت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾؛ ما يغني عنك مهاجَرُك. فأتت درّة النبي ﷺ فشكت إليه ما قُلنَ لها. فسكّنها رسول الله ﷺ وقال: اجلسي. ثم صلّى بالناس الظهر وجلس على المنبر ساعة وقال: «يا أيها الناس، ما لي أوذى في أهلي، فوالله إن شفاعتي لتنال حيَّ حا، وحَكَم، وصُدا، وسَهلب[3] يوم القيامة. قال الهيثمي (٢٥٧/٩): وفيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي وثّقه ابن حِبَّان، وضعّفه أبو حاتم؛ وبقية رجاله ثقات. وقد تقدّمت هجرة أُم سَلَمة في هجرة أبي سلمة رضي الله عنهما (ص ٣٥٨)؛ وهجرة أسماء بنت عُميس وأُم عبدالله ليلى ابنة أبي حَثْمة رضي الله عنهما في هجرة جعفر بن أبي طالب والصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة (ص ٣٤٧).

---

(١) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقّب بزين العابدين.

(٢) من أسد الغابة (ج ٥ ص ٤٥٠)، وفي الأصل: جالسين.

(٣) أسماء قبائل.

هجرة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصبيان

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قدومنا على رسول الله ﷺ لخمس من الهجرة. خرجنا متوصِّلين مع قريش عام الأحزاب، وأنا مع أخي الفضل، ومعنا غلامنا أبو رافع، حتى انتهينا إلى العَرْج فضلَّ لنا في الطريق رَكوبة، وأخذنا في ذلك الطريق على الجثجاثة حتى خرجنا على بني عمرو بن عوف حتى دخلنا المدينة، فوجدنا رسول الله ﷺ في الخندق وأنا يومئذ ابن ثمان سنين، وأخي ابن ثلاث عشرة سنة. قال الهيثمي (٦/٦٤): رواه الطبراني في الأوسط من طريق عبدالله بن محمد بن عمارة الأنصاري عن سليمان بن داود بن الحصين، وكلاهما لم يوثَّق ولم يضعَّف، وبقية رجاله ثقات. انتهى.



الباب الخامس

بَابُ النُّصْرَة

كيف كانت نُصْرة الدين القويم والصراط المستقيم أحبَّ إليهم من كل شيء؟ وكيف كانوا يفتخرون بذلك ما لم يفتخر أحد منهم بالعزَّة الدنيوية؟ وكيف صبروا مع ذلك عن لذّاتها؟ فكأنهم فعلوا كلَّ ذلك ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ، واتِّباعاً لما أمرهم رسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه، وبارك، وسلَّم.



بَابُ النُّصْرَة

ابتداء أمر الأنصار رضي الله عنهم

﴿ حديث عائشة رضي الله عنها في هذا الباب ﴾

أخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في كل سنة على قبائل من العرب؛ أن يؤووه[1] إلى قومهم حتى يبلّغَ كلام الله ورسالاته ولهم الجنّة. فليست قبيلة من العرب تستجيب له، حتى أراد الله إظهار دينه، ونصر نبيه، وإنجاز ما وعده ـ ساقه الله إلى هذا الحي من الأنصار، فاستجابوا له، وجعل الله لنبيّه ﷺ دار هجرة. قال الهيثمي (٦/٤٢): وفيه عبدالله بن عمر العُمَري، وثَّقه أحمد وجماعة، وضعَّفه النَّسائي وغيره؛ وبقية رجاله ثقات. إهـ.

﴿ حديث عمر رضي الله عنه في الباب وقوله فيهم ﴾

وأخرج البزار ـ وحسّنه ـ عن عمر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بمكة يعرض نفسه على قبائل العرب قبيلة قبيلة في الموسم، ما يجد أحداً يجيبه حتى جاء الله بهذا الحيّ من الأنصار، لِمَا أسعدهم الله وساق لهم من الكرامة، فآوَوا ونصروا، فجزاهم الله عن نبيهم خيراً. كذا في كنز العمال (٧/١٣٤). وزاد في جمع الفوائد (٢/٣٠) في حديث عمر رضي الله عنه هذا: والله ما وفينا لهم كما عاهدناهم عليه، إنا قلنا لهم: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، ولئن بقيت إلى رأس الحول لا يبقى لي عامل إلا أنصاري.

---

(١) يؤووه: أن يضمّوه ويحوطوه.

وقال: للبزّار بضعف[١]، وهكذا ذكره في مجمع الزوائد (٦/٤٢) عن البزار بتمامه، وقال: رواه البزار وحسَّن إسناده، وفيه ابن شبيب وهو ضعيف.

﴿ حديث جابر رضي الله عنه في الباب ﴾

وأخرج الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلِّغ كلام ربي عزّ وجلّ؟» فأتاه رجل من هَمْدان. فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من هَمْدان. فقال: هل عند قومك من مَنَعة؟ قال: نعم. ثم إنّ الرجل خشي أن يُخفِره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم أخبرهم، ثم آتيك من قابل. قال: نعم. فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب. قال الهيثمي (٦/٣٥): رجاله ثقات. وعزاه الحافظ في الفتح (٧/١٥٦) إلى أصحاب السُّنَن، والإمام أحمد، وقال: صحَّحه الحاكم. وقد تقدم (ص ٢٤٥) في «البَيْعة على النُّصرة» من حديث جابر رضي الله عنه عند الإمام أحمد قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم عُكاظ ومِجَنَّة وفي المواسم، يقول: «من يؤويني، من ينصرني، حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟» فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه وذو رحمه فيقولون: احذر غلام قريش، لا يفتنكْ! ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع. حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه وصدَّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويُقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رَهْط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم ائتمروا[٢] جميعاً فقلنا، حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعْب العَقَبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ ـ فذكر الحديث. وأخرجه الحاكم (٢/٦٢٥) وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) يعني هذه الرواية للبزار لكن بضعف.

(٢) ائتمروا: أي تشاوروا.

﴿ حديث عروة رضي الله عنه في الباب ﴾

وأخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه مرسلاً قال: لما حضر الموسم حجَّ نفر من الأنصار من بني مازن بن النجار، منهم: معاذ بن عفراء، وأسعد ابن زُرارة؛ ومن بني زُرَيق: رافع بن مالك، وذَكوان بن عبد القيس؛ ومن بني عبد الأشهل: أبو الهيثم بن التَّيِّهان، ومن بني عمرو بن عوف: عُويم ابن ساعدة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ. وأتاهم رسول الله ﷺ وأخبرهم خبر الذي اصطفاه الله من نبوته وكرامته، وقرأ عليهم القرآن. فلمَّا سمعوا قوله، أنصتوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إيّاه بصفته وما يدعوهم إليه، فصدَّقوه وآمنوا به، وكانوا من أسباب الخير. ثم قالوا له: قد علمتَ الذي بين الأوس والخزرج من الدماء، ونحن نحبّ ما أرشد الله به أمرك، ونحن لله ولك مجتهدون، وإنا نشير عليك بما ترى، فامكث على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا فنخبرَهم بشأنك وندعوَهم إلى الله ورسوله، فلعلّ اللهَ يصلح بيننا ويجمع أمرنا، فإنا اليوم متباعدون متباغضون، فإن تَقْدَمْ علينا اليوم ولم نصطلح لم يكن لنا جماعة عليك، ونحن نواعدك الموسم من العام القابل. فرضي رسول الله ﷺ الذي قالوا. فرجعوا إلى قومهم فدعَوهم سِرّاً، وأخبروهم برسول الله ﷺ، والذي بعثه الله به، ودعا عليه بالقرآن، حتى قلّ دار من دور الأنصار إلَّا أسلم فيها ناس لا محالة ـ فذكر الحديث كما تقدم (ص ١٨٧) في «دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه». قال الهيثمي (٦/٤٢): فيه ابن لَهِيعة وفيه ضعف، وهو حسن الحديث؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

﴿ أبيات لصِرْمة بن قيس في الباب ﴾

وأخرج الحاكم (٢/٦٢٦): عن يحيى بن سعيد قال: سمعت عجوزاً من الأنصار تقول: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما يختلف إلى صِرْمة ابن قيس يتعلم منه هذه الأبيات:

ثَوَى[١] في قريشٍ بِضْع[٢] عَشْرة حَجة يذكِّر لو ألفى[٣] صديقاً[٤] مواتياً[٥]
ويعـرض في أهل المـواسم نفسـه فلم يرَ من يُؤوي[٦] ولم يرَ داعياً
فلما أتـانا واستقـرّت به النَـوَى[٧] وأصبـح مسـروراً بـطَيْبـة راضيـاً
وأصبح ما يخشى ظُلامَةَ[٨] ظـالمٍ بعيدٍ، وما يخشى من الناس باغياً
بذلنا لـه الأموال من جُـلِّ مالنـا وأنفسنـا عند الـوغى[٩] والتـآسيـا
نعادي الذي عادَى من الناس كلِّهم بحق وإن كـان الحبيبَ المـواتيـا
ونـعلم أنَّ الله لا شـيءَ غـيـره وأن كتـاب الله أصبـح هــاديــاً

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم

﴿ قصة عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع ﴾

أخرج الإمام أحمد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعـد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، فقال له سعد: أيْ أخي، أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شَطْر مالي فخُذْه؛ وتحتي امرأتان فانظر أيتهما[١٠] أعجب إليك حتى أطلِّقَها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلُّوني على السوق، فدلّوه، فذهب فاشترى وباع فربح، فجاء بشيء من أقِطٍ[١١] وسمن، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث، فجاء وعليه رَدْع زعفران[١٢]. فقال رسول الله ﷺ: «مَهْيَمْ»[١٣]؟ فقال: يا رسول الله، تزوجت امرأة. قال: «ما أصدقتها»[١٤]؟ قال: وَزْنَ نَواة من ذهب. قال: «أوْلِم ولو بشاة». قال عبد الرحمن: فلقد رأيتُني ولو رفعتُ حَجَراً لرجوتُ أن أصيب ذهباً وفضة[١٥]!! . كذا في البداية (٣/٢٢٨). وأخرجه

---

(١) ثوى: أقام.
(٢) بضع بالكسر وقد يفتح: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة.
(٣) ألفى: وجد.
(٤) صديقاً: أي خِلا حبيباً.
(٥) مواتياً: موافقاً.
(٦) يؤوي: يُنزل.
(٧) يقال استقرت نوى القوم بموضع كذا وكذا: أي أقاموا.
(٨) ظلامة كثُمامة: ما تظلمه الرجل.
(٩) الوغى: الصوت والجلبة والحرب.
(١٠) من أسد الغابة (٣ / ٣١٤)، وفي الأصول: أيهما.
(١١) أقط: جبن.
(١٢) ردع زعفران: أي أثر طيب.
(١٣) مهيم: أي ما أمرك وما شأنك، وهي كلمة يمانية.
(١٤) ما جعلت لها صَداقاً: أي مهراً.
(١٥) كناية عن إقبال الدنيا عليه وكثرة ثرائه.

أيضاً الشيخان عن أنس رضي الله عنه، والبخاري من حديث عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه ـ كما في الإصابة (٢/٢٦)؛ وابن سعد (٣/٨٩) عن أنس رضي الله عنه.

﴿ التوارث بين المهاجرين والأنصار ﴾

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المهاجرون لما قدموا بالمدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رَحِمِهِ للأخوّة التي آخى النبي ﷺ بينهم. فلما نزلت: «وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ»[1] نُسخت. هكذا وقع في هذه الرواية أنَّ ناسخَ ميراث الحليف هذه الآية، وفي اللاحقة أنَّ الناسخ هو نزول: «وأولو الأرحام بعضهم أولَى ببعض»[2] ـ الآية. قال الحافظ: هذا هو المعتمد. ويحتمل أن يكون النسخ وقع مرتين: الأولى حيث كان المعاقد يرث وحده دون العصبة. فنزلت: ﴿ ولكلٍّ جعلنا ﴾ ـ الآية، فصاروا جميعاً يرثون. وعلى هذا يُنَزَّل حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ثم نسخ ذلك آية الأحزاب وخُصّ الميراث بالعَصَبة، وبقي للمعاقد النصر والإرفاد[3] ونحوهما؛ وعلى هذا تنزل بقية الآثار. إهـ. وعند أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه نحوه كما في فتح الباري (٧/١٩١). وذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي ﷺ المدينة آخَى بين المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المؤاساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفساً بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار ـ وقيل: كانوا مائة ـ. فلمّا نزل: ﴿ وأولو الأرحام ﴾ بطلت الموارث بينهم بتلك المؤاخاة. كذا في الفتح (٧/١٩١).

مؤاساة الأنصار المهاجرين بأموالهم

﴿ قسم الثمر ورد الأنصار معاوضةً ما أنفقوا ﴾

أخرج البخاري (١/٣١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت

---

(١) سورة النساءً آية: ٣٣.
(٢) سورة الأنفال آية: ٧٥.
(٣) الإرفاد: الإعانة.

الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: «لا». فقالوا: أفتكفوننا المؤونة[١] ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ للأنصار: «إنَّ إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم»، فقالوا: أموالنا[٢] بيننا قطائع[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر». قالوا: نعم. كذا في البداية (٣/٢٢٨).

وأخرج الإمام أحمد عن يزيد عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: **يارسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسنُ مواساةً في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لَقد كَفَونا المؤونة وأشركونا في المهنأ[٤]، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلِّه**. قال: «لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم». هذا حديث ثلاثيُّ الإسناد على شرط الصحيحين، ولم يخرِّجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه. كذا في البداية (٣/٢٢٨). وأخرجه أيضاً ابن جرير، والحاكم، والبيهقي كما في كنز العمال (٧/١٣٦).

وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال: كانت الأنصار إذا جزّوا[٥] نخلهم قسم الرجل تمره قسمين أحدُهما أقل من الآخر، ثم يجعلون السَّعَف[٦] مع أقلهما، ثم يخيِّرون المسلمين[٧]، فيأخذون أكثرهما، ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السَّعَف حتى فُتحت خيبر. فقال رسول الله ﷺ: «قد وفَّيتم لنا بالذي كان عليكم، فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم». قالوا: إنَّه قد كان لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة، فقد فعلنا الذي سألتنا بأنَّ[٨] لنا شرطنا. قال: «فذاكم لكم» قال الهيثمي (١٠/٤٠) رواه البزّار من طريقين وفيهما مجالِد وفيه

---

(١) المؤونة: العمل والكلفة والقائل المهاجرون.
(٢) أموالنا: أي الأرض والنخيل.
(٣) قطائع: نتقاسمها.
(٤) المهنأ: ما أتاك بلا مشقة.
(٥) جزّوا: قطعوا التمر.
(٦) السَّعَف: جريد النخل.
(٧) المراد المهاجرون.
(٨) في نسخة أخرى للهيثمي: على أنَّ.

خلاف، وبقية رجال إحداهما رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يُقطع لهم البحرين. قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها. قال: «أمّا لا، فاصبروا حتى تلقَوني[١]، فإنه سيصيبكم أُثَرَةٌ»[٢].

كيف قطعت الأنصار رضي الله عنهم حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام

﴿ قتل كعب بن الأشرف اليهودي ﴾

أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنّه قد آذى الله ورسوله؟» فقام محمد ابن مَسْلَمة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم». قال: فأذنْ لي أن أقول شيئاً. قال: «قل». فأتاه محمد بن مَسْلَمة فقال: إنّ هذا الرجل قد سألَنا صدقةً، وإنّه قد عنَّانا[٣]، وإني قد أتيتك أستسلفك[٤]. قال: وأيضاً - والله - لتَمَلُّنّه[٥]!! قال: إنَّا قد اتّبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أيّ شيء يصير شأنه. وقد أردنا أن تُسلِفَنا وسقاً أو وَسْقين، فقال: نعم، ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟. قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا؟. فيُسَبّ أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسْقين، هذا عار علينا!! ولكن نرهنك اللأْمة - يعني السلاح - فواعده أن يأتيه ليلاً.

فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة،، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم. فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟! فقال: إنّما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة - وفي رواية: قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بليل لأجاب - قال: ويُدخل محمد بن مسلمة معه

(١) تلقوني: أي في الآخرة في دار الخلود.

(٢) الأثرة: محاباة النفس والأقارب والأصحاب بالخير، ومنعه عن الآخرين. وهذا ما حصل للأنصار بعد الخلافة الراشدة.

(٣) عنّانا: أي أتعبنا وكلّفنا المشقة.

(٤) أستسلفك: استقرضك.

(٥) لتملنّه: من الملال: وهو السآمة.

رجلين[١]، فقال: إذا ما جاء فإنِّي قائل بشعره فأشَمُّهُ[٢]، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه.

فنزل إليهم متوشحاً[٣] وهو ينفح منه ريح الطِّيب. فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً!! - أي أطيب - قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب[٤]!! فقال: أتأذن لي أن أشمَّ رأسك؟ قال: نعم. فشمّه ثم أشَمَّ أصحابه. ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلمّا استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتَوا النبي ﷺ فأخبروه. وفي رواية عروة: فأخبروا النبي ﷺ، فحمد الله تعالى. وفي رواية ابن سعد: فلما بلغوا بَقيع الغَرْقد كبّروا، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلِّي. فلما سمع تكبيرهم كبَّر، وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إليه. فقال: «أفلحت الوجوه» فقالوا: ووجهك يا رسول الله. ورمَوا رأسه بين يديه، فحمد الله على قتله. وفي مرسل عكرمة: فأصبحت يهودُ مذعورين[٥]، فأتَوا النبي ﷺ فقالوا: قُتل سيدنا غِيلَة[٦]. فذكَّرهم النبي ﷺ صنيعه وما كان يحرِّض عليه ويؤذي المسلمين. زاد ابن سعد: فخافوا فلم ينطقوا. كذا في فتح الباري (٧/٢٣٩).

وعند ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لي بابن الأشرف؟» فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: أنا لك به يارسول الله، أنا أقتله. قال: «فافعل إن قدرتَ على ذلك». قال: فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلاّ ما يُعْلِق به نفسَه. فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاه فقال له: «لِمَ تركتَ الطعام والشراب؟» فقال: يا رسول الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا. قال: «إنما عليك الجُهد». وعنده أيضاً من

(١) هما: أبو عبس بن جبر، والحارث بن أوس. وزاد بعض الرواة عليهما عبّاد بن بشر، رضي الله عنهم جميعاً.
(٢) وفي رواية قال لهم: ثم أشِمُّكم.
(٣) أي متلبساً بالوشاح، وهو شيء ينسج عريضاً من أديم، وربما رصع بالجوهر.
(٤) في البداية: وأجمل العرب.
(٥) مذعورين: خائفين.
(٦) غيلة: أي خفية وخديعة.

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجَّههم وقال: «انطلقوا على اسم الله اللَّهمَّ أعنهم». كذا في البداية (٤/٧). وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناد حديث ابن عباس رضي الله عنهما. كذا في فتح الباري (٧/٢٣٧).

﴿ قتل أبي رافع سَلّام ابن أبي الحُقَيق ﴾

أخرج ابن إسحاق عن عبدالله بن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيَّين من الأنصار: الأوس والخزرج كانا يتصاولان[١] مع رسول الله ﷺ تصاولَ الفحلين، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غَنَاء عن رسول الله ﷺ إلاَّ وقالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ، فلا ينتهون حتى يُوقعوا مثلَها. وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك. قال: ولما أصابت الأوس كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً. قال: فتذاكروا مَنْ رجلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحُقَيق[٢] وهو بخيبر، فاستأذنوا الرسول ﷺ في قتله، فأذن لهم. فخرج من الخزرج من بني سَلِمة خمسة نفر: عبدالله بن عَتِيك، ومسعود بن سِنان، وعبدالله ابن أُنيْس، وأبو قتادة الحارث بن رِبعي، وخُزاعي بن الأسود ـ حليف لهم من أسلَم ـ فخرجوا، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبدالله بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة.

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أَتَوا دار ابن أبي الحُقَيق ليلاً، فلم يَدَعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله. قال: وكان في عِلِّية[٣] له إليها عَجَلة[٤]. قال: فأسندوا[٥] إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا. فخرجت إليهم امرأته

(١) يتصاولان: يتواثبان (ويتفاخران).
(٢) بضم الحاء المهملة، وفتح القاف الأولى، مُصَغَّراً.
(٣) عِلية: بيت منفصل عن الأرض ببيت ونحوه.
(٤) عَجَلة: بفتحتين: الدرجة من النخل. وهو أن ينقر الجذْع ويجعل فيه شبه الدرج ليصعد فيه إلى الغرف وغيرها.
(٥) أسندوا: صعدوا.

فقالت: من أنتم؟ قالوا: أناس من العرب نلتمس المِيرَة[١]. قالت: ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه. فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تَخَوُّفاً أن يكون دونه مجاولة[٢] تحول بيننا وبينه. قال: فصاحت امرأته فنوَّهت[٣] بنا فابتدرناه ـ وهو على فراشه ـ بأسيافنا، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه، كأنه قُبْطيّة[٤] ملقاة. قال: فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفّ يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبدالله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قَطْني قَطْني ـ أي حَسْبي حَسْبي ـ. قال: وخرجنا ـ وكان عبدالله بن عتيك سيّىء البصر ـ فوقع من الدرجة، فوثئت[٥] يده وثئاً شديداً، وحملناه حتى نأتي به مَنْهَراً[٦] من عيونهم فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا[٧]، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه[٨]، وهو يقضي بينهم.

قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم أن عدوَّ الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم، فانطلق حتى دخل في الناس. قال: فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدِّثهم، وتقول: أما ـ والله ـ لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت: أنَّى ابن عتيك بهذه البلاد؟! ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت: فاظَ[٩]، وإله يهود!! فما سمعت كلمة كانت ألذّ على نفسي منها. قال: ثم جاءنا

---

(١) الميرة: الطعام.
(٢) المجاولة: حركة تكون بينهم وبينه.
(٣) نوّهت: أي رفعت صوتها تخبر بدخولنا عليه.
(٤) قبطيّة: بضم القاف: هي من ثياب مصر رقيقة بيضاء كأنه منسوبة إلى القبط وهم أهل مصر، وضم القاف: من تغيير النسب في الثياب؛ وأما في الناس بالكسر.
(٥) وثئت: أي أصابها وهن دون الخلع والكسر.
(٦) منهراً: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله.
(٧) من تاريخ ابن جرير (٨/٣)؛ وفي الأصول: يطلبونا.
(٨) اكتنفوه: أحاطوا به.
(٩) فاظ: أي مات.

فأخبرنا، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله، كلنا يدّعيه. قال: فقال «هاتوا أسيافكم» فجئنا بها فنظر إليها فقال لسيف عبدالله بن أُنيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام». كذا في البداية (٤/١٣٧)، وسيرة ابن هشام (٢/١٩٠).

وعند البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، وأمّر عليهم عبدالله بن عتِيك رضي الله عنه، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز. فلما دنَوا منه ـ وقد غربت الشمس وراح الناس بسَرْحهم[١] ـ قال عبدالله: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطِّف[٢] للبواب لعلِّي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع[٣] بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس؛ فهتف[٤] به البواب: يا عبدالله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلتُ فكمنتُ[٥]. فلمَّا دخل الناس أغلق الباب، ثم علَّق الأغاليق[٦] على ودّ[٧]. قال: فقمت إلى الأقاليد[٨] وأخذتها وفتحت الباب. وكان أبو رافع يُسمَر عنده[٩]، وكان في عَلاليَّ[١٠] له. فلما ذهب عنه أهل سَمَره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلَقت عليّ من داخل فقلت: إن القومُ نذروا[١١] بي لم يخلُصوا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم ـ وَسْطَ عياله ـ، لا أدري أين هو من

(١) بسرحهم: أي بمواشيهم.
(٢) متلطِّف: أي محتال.
(٣) تقنع: أي تغشَّى.
(٤) هتف: أي صاح.
(٥) كمنت: أي اختفيت.
(٦) الأغاليق: أي المفاتيح، واحدها أغليق.
(٧) ودّ: الوتد، إلاّ أنه أدغم التاء في الدال، فقال: ودّ.
(٨) الأقاليد: جمع إقليد. أي المفتاح.
(٩) يُسمر عنده: يسهر عنده أصحابه ويتحدثون.
(١٠) علالي: جمع علية: وهي بيت منفصل عن الأرض ببيت ونحوه.
(١١) نذروا: أي علموا.

البيت. قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمِّك الويل!! إنَّ رجلاً في البيت ضربني قَبْلُ بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته[١] ولم أقتله، ثم وضعت ظُبَةَ[٢] السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثمَّ انطلقت، حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقَتلته. فلما صاح الديك قام الناعي[٣] على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاءَ، فقد قتل الله أبارافع. فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدَّثته. فقال: «ابسط رجلك» فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم اشتكِها قط. وأخرجه البخاري أيضاً بسياق آخر، تفرّد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة، ثم قال: قال الزهري: قال أُبيّ بن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال: «أفلحت الوجوه». قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله. قال: «أفتكتموه؟»[٤] قالوا: نعم. قال: «ناولني السيف»، فسلَّه فقال: «أجل، هذا طعامه في ذُباب[٥] السيف». كذا في البداية (٤/١٣٧).

قتل ابن شيبة اليهودي[٦]

أخرج أبو نُعيم عن بنت مُحَيِّصة عن أبيها رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه». فوثب مُحيّصة على ابن شيبة ـ رجل من تجار يهود وكان يلابسهم ويبايعهم ـ فقتله؛ وكان حُويّصة إذ ذاك لم يسلم وكان أسنَّ من محيِّصة[٧]. فلما قتله جعل حويّصة يضربه ويقول:

(١) الإثخان في الشيء: المبالغة فيه، والإكثار منه.
(٢) ظبة السيف: أي حدُّه.
(٣) الناعي: الذي أذاع خبر الموت.
(٤) أفتكتموه: أي أقتلتموه.
(٥) ذباب السيف: طرفه وآخر ما يبلغ سيلانه حين ضرب.
(٦) حصل هذا بعد قتل كعب بن الأشرف وقبل قتل أبي رافع.
(٧) كان حويصة ومحيصة أخوين.

أي عدو الله، قتلته؟! أما ـ والله ـ لربَّ شحم في بطنك من ماله!! فقلت: والله، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك!! قال: فوالله إنْ كان لأول إسلام حويِّصة. قال: والله إن أمرك محمد بقتلي لتقتلني؟! قال محيِّصة: نعم والله!! قال حويصة: فوالله إن دينا بلغ بك هذا إنه لعجب. كذا في كنز العمال (٧/ ٩٠). وأخرجه أيضاً ابن إسحاق نحوه، وفي حديثه: قال محيِّصة فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك!! وزاد في آخره: فأسلم حويِّصة. وأخرجه أيضاً أبو داود من طريقه إلا أنه اقتصر إلى قوله: «في بطنك من ماله»؛ ولم يذكر ما بعده.

غزوات بني قينقاع وبني النضير وقريظة وما وقع من الأنصار في ذلك

﴿ حديث بني قَيْنُقاع ﴾

أخرج ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر جمع يهود في سوق بني قينقاع، فقال: «يا يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً يوم بدر». فقالوا: إنهم كانوا لايعرفون القتال، ولو قاتلتَنا لعرفتَ أنّا الرجال. فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ للذين كفروا سَتُغْلَبون ـ إلى قوله ـ لأولي الأبصار ﴾[1]. كذا في فتح الباري (٧/ ٣٣٤). وأخرجه أيضاً أبو داود (٤/ ١٤١) من طريق ابن إسحاق بمعناه، وفي حديثه: قالوا: يا محمد، لايغرَّنَّك، من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً[2] لايعرفون القتال؛ إنَّك لو قاتلتَنا لعرفتَ أنّا نحن الناس، وأنك لم تَلْقَ مثلنا!!

وعند ابن جرير كما في التفسير لابن كثير (٢/ ٦٩) عن الزُّهري قال: لمّا انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود: أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر. فقال مالك بن الصَّيف: أغرّكم أن أصبتم رهطاً من

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٢ ـ ١٣.

(٢) أغماراً: جمع غَمْر: وهو من لم يجرب الأمور.

قريش لا عِـلم لهم بالقتال، أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يَدٌ أن تقاتلونا. فقالِ عبـادة بن الصامت رضي الله عنه: يا رسول الله، إنَّ أوليائي من اليهود كانت شديدةً أنفسهم، كثيراً سـلاحهم، شديـدةً شوكتهم، **وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايةِ يهود، ولا مـولى لي إلا الله ورسوله**. فقال عبدالله بن أبـيّ: لكني لا أبرأ من ولايَة يهود، إني رجل لابـدّ لي منهم. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا الحُباب، أرأيتَ الذي نَفِسْت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه». فقال: إذاً أقبل. قال: فأنزل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتَّخذوا اليهود والنصارى أولياء ـ إلى قوله تعالى ـ والله يعصمك من الناس ﴾[1].

وعند ابن إسحاق عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما في البداية (٤/٤): قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبّث بأمرهم عبدالله ابن أبيّ بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبدالله ابن أبيّ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: **يا رسول الله، أتولّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم**. قال: وفيه وفي عبدالله نزلت الآيات من «المائدة»: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ـ إلى قوله ـ ومن يتولَّ اللّـهَ ورسولَه والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[2].

﴿ حديث بني النَّضِير ﴾

أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح إلى مَعْمَر عن الزُّهري: أخبرني عبدالله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبدالله بن أُبيّ وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهدّدونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعَّـدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فهمّ ابن أبيّ ومن معه بقتال المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ فقال:

---

(١) سورة المائدة آية: ٥١ ـ ٦٧. (٢) المائدة: آية: ٥١ ـ ٥٦.

«ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تُلقوا بأسكم بينكم» فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرَّقوا. فلما كانت وقعة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْقة[1] والحصون، يتهدّدونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أُخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتَّبعناك؛ ففعل. فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع وصبَّحهم بالكتائب[2] فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء[3]، وعلى أنَّ لهم ما أقلَّت[4] الإبل إلا السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام. وكذا أخرجه عَبْدُ بن حُمَيد في تفسيره عن عبد الرزاق، وفي ذلك ردٌّ على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. كذا في فتح الباري (٧/٢٣٢). وأخرجه أيضاً أبو داود من طريق عبد الرزاق عن مَعْمَر بطوله مع زيادة؛ وعبد الرزاق، وابن منذر، والبيهقي في الدلائل كما في بذل المجهود (٤/١٤٢) عن الدرّ المنثور.

وأخرج البيهقي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم، وأن يُسيِّرهم إلى أذْرِعات[5] الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم: بعيراً وسِقاء. وأخرج أيضاً عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النَّضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام. كذا في التفسير

---

(١) الحلقة: الدِّرع، ويطلق على السلاح.
(٢) الكتائب: جمع كتيبة، وهي القطعة من الجيش.
(٣) الجلاء: النفي والخروج عن البلد.
(٤) أقلّت: رفعت.
(٥) أذرعات: بالفتح ثم السكون وكسر الراء وعين مهملة وألف وتاء، كأنه جمع أذرعة، جمع ذراع جمع قلة: وهو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. واسمها اليوم: درعا.

لابن كثير (٤/٣٣٣). وعند ابن سعد: أن رسول الله ﷺ أرسل إليهم محمد ابن مسلمة رضي الله عنه «أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بعد أن هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً». كذا في الفتح (٧/٢٣٣).

﴿ حديث بني قريظة ﴾

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت يوم الخندق أقفو الناس، فسمعت وئيد الأرض[١] ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّة. قالت: فجلست إلى الأرض، فمرَّ سعد وعليه دِرْعٌ من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد. قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمرّ وهو يرتجز ويقول:

لبِّثْ قليلاً يدرك الهيجا جَمَلْ ما أحسن الموت إذا حان الأجلْ

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا نفر من المسلمين، فإذا فيها عمر ابن الخطاب وفيهم رجل عليه سَبْغة له ـ تعني المِغْفَر[٢] ـ فقال عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو تَحوُّز، فما زال يلومني حتى تمنّيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها. فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيدالله: فقال: يا عمر، ويحك إنك قد أكثرتَ منذ اليوم، وأين التحوّز أو الفرار إلاَّ إلى الله عزّ وجلّ. قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له ابن العَرِقة وقال: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكْحَله[٣] فقطعه؛ فدعا الله سعدٌ فقال: اللّهمَّ لاتمـتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة. قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية. قالت: فرقأ كَلْمه[٤]، ويعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً.

---

(١) وئيد الأرض: الصوت الذي يحدثه من يمشي على الأرض.
(٢) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.
(٣) الأكحل: عرق في الذراع لونه كلون الكُحْل. (٤) كلمه: بالفتح، أي جرحه.

فلحق أبو سفيان ومن معه بتِهامة، ولحق عُيَينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصّنوا في صياصيهم[١]، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمر بقبة من أدَم فضُربت على سعد في المسجد. قالت: فجاء جبريل عليه السلام وإن على ثناياه لَنَقْعُ الغبار. فقال: (أقد وضعتَ السلاح؟ لا، والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم) قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأْمَتَه، وأذَّن في الناس بالرحيل أن يخرجوا؛ فمرّ على بني غَنْم ـ وهم جيران المسجد حوله ـ فقال: «من مرّ بكم؟» قالوا: مرّ بنا دحية الكلبي ـ وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنّه ووجهه جبرائيل عليه السلام ـ فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة. فلما اشتد حَصْرُهم واشتد البلاء قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لُبابة ابن عبد المنذر، فأشار إليهم إنَّه الذَّبْح. قالوا: ننزل على حكم سعد ابن معاذ. فقال رسول الله ﷺ: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ». فأُتِيَ به على حمار عليه إكاف[٢] من ليف[٣]، قد حُمل عليه وحفَّ به قومه. فقالوا: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النِكاية ومن قد علمت. قالت: ولا يَرجِع إليهم[٤] شيئاً، ولايلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه، فقال: قد آن لي أن لاأبالي في الله لومة لائم. قالت: قال أبو سعيد رضي الله عنه: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم فأنزلوه». قال عمر: سيدنا الله. قال: «أنزِلوه»، فأنزَلوه. قال رسول الله ﷺ: «احكم فيهم». قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل مقاتِلَتُهم. وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله**». ثم دعا سعد فقال: اللَّهمَّ إن كنت أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها. وإن كنتَ قطعتَ الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك.

---

(١) الصياصي: جمع صِيصَة وصِيصَية: الحصن وكل ما امتُنع به.

(٢) الإكاف: أي البرذعة.

(٣) الليف: قشر النخل وما شاكله.

(٤) لا يرجع إليهم: لا يرد عليهم.

قالت: فانفجر كَلْمه[١]، وكان قد برىء حتى لا يُرى منه إلا مثلُ الخُرْص[٢]، ورجع إلى قبّته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده، إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حُجْرتي، وكانوا كما قال الله: ﴿ رحماء بينهم ﴾[٣]. قال علقمة[٤] فقلت: يا أُمَّهْ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لاتدمع على أحد ولكنه كان إذا وجِدَ[٥]، فإنما هو آخذ بلحيته. وهذا الحديث إسناده جيد، وله شواهد من وجوه كثيرة. كذا في البداية (١٢٣/٤). وأخرجه ابن سعد (٣/٣) عن عائشة رضي الله عنها مثله. وقال الهيثمي (١٣٨/٦) رواه أحمد وفيه: محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وقال الحافظ في الإصابة (٢٧٤/١): حديث صحيح، صحّحه ابن حبان. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم بطوله كما في الكنز (٤٠/٧). وقد زاد بعد هذا الحديث عدة أحاديث من طريق محمد بن عمرو، وهذا في فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه.

وعند ابن جرير في تهذيبه كما في كنز العمال (٤٢/٧) عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بكى وبكى أصحابه حين توفي سعد بن معاذ رضي الله عنه. قالت: وكان النبي ﷺ إذا اشتد وَجْده فإنَّما هو آخذ بلحيته. قالت عائشة رضي الله عنها: وكنت أعرف بكاء أبي من بكاء عمر. وعند الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: رجع رسول الله ﷺ من جنازة سعد ابن معاذ ودموعه تَحادَر على لحيته. قال الهيثمي (٣٠٩/٩): وسهل أبو حريز ضعيف.

فخر الأنصار رضي الله عنهم بالعزة الدينيّة

أخرج أبو يَعلى، والبزار، والطبراني ـ: ورجالهم رجال الصحيح ـ كما

(١) كَلْمه: أي جرحه.
(٢) الخرص: الحلقة الصغيرة من الحُلي وهو من حلي الأذن مثال للقلَّة.
(٣) سورة الفتح آية: ٢٩.
(٤) هو أحد التابعين.
(٥) وجِدَ: حزن.

قال الهيثمي (١٠/ ٤١) عن أنس رضي الله عنه قال: افتخر الحيّان الأوس والخزرج. فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب، ومنا من اهتز[١] له العرش سعد بن معاذ، ومنا من حمته[٢] الدَّبْر[٣] عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خُزيمة بن ثابت رضوان الله عليهم أجمعين. وقالت الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وأبو زيد، رضوان الله عليهم أجمعين. وأخرجه أيضاً أبو عَوانة، وابن عساكر وقال: هذا حديث حسن صحيح كما في المنتخب (٥/ ١٣٩).

صبر الأنصار عن اللّذات الدنيوية والأمتعة الفانية والرضاء بالله تعالى وبرسوله ﷺ

﴿ قصة الأنصار في فتح مكة ﴾

أخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن رَبَاح رضي الله عنه قال: وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك في رمضان. فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام. قال: وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا. قال هاشم: يكثر أن يدعونا إلى رحله. قال: فقلت: ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رَحْلي؟ قال: فأمرتُ بطعام يُصنع، فلقيت أبا هريرة من العِشاء؛ قال: قلت: ياأباهريرة الدعوة عندي الليلة. قال: أسبقتني[٤]. قال هاشم: قلت: نعم. فدعوتهم فهم عندي. فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يامعشر الأنصار؟ قال: فذكر فتح مكة. قال: أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة. قال: فبعث الزبير على أحد المجنِّبَتَيْن[٥]، وبعث خالداً على المجنِّبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر[٦]، وأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبته؛

(١) اهتز: أي تحرك. (٢) حمته: أي حفظته.

(٣) الدبر: أي جماعة النحل والزنابير. وقد حمت عاصماً من المشركين أن يجزوا رأسه يوم الرَّجيع.

(٤) من مسلم (٢/ ١٠٢)، وفي الأصل: استبقني.

(٥) المجنبتان من الجيش: ميمنته وميسرته.

(٦) من مسلم (٢/ ١٠٢) وقال النووي: بضم الحاء وتشديد السين: الذين لا دروع عليهم؛ وفي الأصل: الجسر.

وقد وبَّشَت[١] قريش أوباشها[٢]. قال: قالوا: نُقدِّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنّا معهم، وإن أصيبوا أعطيناه الذي سَأَلَنا. قال أبو هريرة: فنظر، فرآني فقال: «يـا أبا هـريرة»: فقلت: لبيك رسول الله، فقال: «اهتفْ لي بالأنصار، ولا يأتيـني إلا أنصاري». فهتفت بهم، فجاءوا فأطافوا برسول الله ﷺ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: «احصدوهم حصـداً حتى توافـوني بالصَّفا». قال: فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ماشاء، وما أحد منهم يوجِّه إلينا منهم شيئاً. قال: فقال أبو سفيان: يا رسول الله، أبيحت خضراء[٣] قريش، لا قـريش بعد اليوم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن». قال: فغلَّق الناس أبوابهم. قال: وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحَجَر فاستلمه، ثم طاف بالبيت. قال: وفي يده قوس آخذ بسِيَة[٤] القوس. قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه. قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾[٥] قال: ثم أتى الصَّفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه. قال: والأنصار تحت. قال: يقول بعضهم لبعض: أمَّا الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يخفَ علينا، فليس أحد من الناس يرفع طَرْفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي. قال هاشم: فلما قضى الوحيُ رفع رأسه، ثم قال: «يا معـشر الأنصار، أقلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته؟» قالوا: قلنا ذلـك يا رسول الله، قال: «فما اسمي إذاً، كلاّ إني عبدالله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم». قال: فأقبلوا إليه يبكون

---

(١) وبّشت: جمعت جموعاً من قبائل شتى.
(٢) أوباشها: أي سفلة الناس وأخلاطهم.
(٣) أي دهماؤهم وسوادهم.
(٤) سية القوس: ما عُطف من طرفيها.
(٥) سورة الإسراء آية: ٨١.

ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضنَّ[١] بالله ورسوله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدِّقانِكم ويَعذِرانِكم». وقد رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه. كذا في البداية (٤/٣٠٧). وأخرجه ابن أبي شيبة مختصراً كما في الكنز (٧/١٣٥).

﴿ قصة الأنصار في غزوة حنين وما قاله ﷺ في صِفَتهم ﴾

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم حُنين أقبلت هوازن وغَطفان وغيرهم بنَعَمهم وذراريهم، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء[٢]، فأدبروا عنه حتى بقي وحده. فنادى يومئذ ندائَين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: «يا معشر الأنصار» قالوا: لبيك يا رسول الله، ابشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: «يا معشر الأنصار» فقالوا: لبيك يا رسول الله، ابشر نحن معك - وهو على بغلة بيضاء - فنزل، فقال: «أنا عبدالله ورسوله»، فانهزم المشركون، وأصاب يومئذ مغانم كثيرة، فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعطِ الأنصار شيئاً. فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن نُدعى، ويُعطي الغنيمة غيرنا. فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال: «يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني؟! فسكتوا. فقال: يا معشر الأنصار، ألا ترضونَ أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله تحوزونه[٣] إلى بيوتكم». قالوا؛ بلى. فقال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شِعباً لسلكت شِعْب الأنصار». قال هشام: قلت: يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك. قال: وأين أغيب عنه. كذا في البداية (٤/٣٥٧). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة، وابن عساكر بنحوه كما في الكنز (٥/٣٠٧).

وعند ابن إسحاق من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حُنين، وقسم للمتألِّفين[٤] من قريش وسائر العرب ما قسم، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير- وجَدَ[٥]. هذا

(١) الضن: البخل: أي إنهم لا يحبون أن يخرج الرسول ﷺ من مدينتهم ويرجع إلى مكة.
(٢) الطلقاء: هم الذين خلَّى عنهم يوم فتح مكة. (٤) التألف: المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام.
(٣) تحوزونه: تجمعونه. (٥) وجدوا: أي غضبوا.

الحيُّ من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي - والله - رسول الله ﷺ قومَه. فمشى سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وَجَدوا عليك في أنفسهم. فقال: «فيم؟» قال: فيما كان من قَسْمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء. فقال رسول الله ﷺ: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة[١]، فإذا اجتمعوا فأعلمني». فخرج سعد فصرخ فيهم، فجمعهم في تلك الحظيرة. فجاء رجال من المهاجرين فأذن لهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم، حتى إذا لم يبقَ من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله، قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم.

فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ألم آتكم ضُلَّالاً[٢] فهداكم الله؛ وعالة[٣] فأغناكم الله، وأعداء فألَّف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى. ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟» قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المنّ لله ولرسوله. قال: «والله، لو شئتم لقلتُم فصدَقْتُم وصُدِّقْتُم: جئتنا طريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، وخائفاً فأمّناك، ومخذولاً فنصرناك». فقالوا: المنّ لله ولرسوله. فقال رسول الله ﷺ: «أوَجَدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعة[٤] من الدنيا تألَّفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده، لو أن الناس سلكوا شِعباً، وسلكت الأنصار شِعباً لسلكتُ شِعْب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار، اللَّهمّ ارحم الأنصار

(١) الحظيرة: الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل، تقيها الريح والبرد.
(٢) ضلالاً: جمع ضال، وهو ضد المهتدي.
(٣) عالة: جمع عائل، وهو المفتقر.
(٤) اللعاعة بالضم: نبت ناعم في أول ما ينبت، يعني أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء.

وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار». قال: فبكى القوم حتى أخْضَلوا[١] لحاهم، وقالوا: رضينا بالله رباً، ورسوله قِسْماً. ثم انصرف وتفرّقوا. وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح. كذا في البداية (٤/٣٥٨). وقال الهيثمي (١٠/٣٠): رجال أحمد رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع ـ انتهى. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ـ بطوله بمعناه كما في الكنز (٧/١٣٥). وأخرج البخاري شيئاً من هذا السياق من حديث عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه كما في البداية (٤/٣٥٨)؛ وابن أبي شيبة أيضاً كما في الكنز (٧/١٣٦).

وأخرج الطبراني من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قسم الفيء الذي أفاء الله بحُنين من غنائم هوازن، فأحسن، فأفشىٰ في أهل من قريش وغيرهم، فغضبت الأنصار. فلما سمع بذلك النبي ﷺ أتاهم في منازلهم، ثم قال: «من كان ها هنا من الأنصار[٢] فليخرج إلى رحله». ثم تشهَّد رسول الله ﷺ، فحمد الله عزّ وجلّ، ثم قال: «يا معشر الأنصار: قد بلغني من حديثكم في هذه المغانم التي آثرت بها أُناساً أتألّفهم على الإسلام لعلهم أن يشهدوا بعد اليوم، وقد أدخل الله قلوبهم الإسلام، ثم قال: يا معشر الأنصار، ألم يمنّ الله عليكم بالإيمان، وخصَّكم بالكرامة، وسماكم بأحسن الأسماء أنصارَ الله وأنصارَ رسوله؟ ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وسلكتم وادياً لسلكت واديكم؛ أفلا ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاء والنَعَم والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ». فلما سمعت الأنصار قول رسول الله ﷺ قالوا: رضينا. قال: أجيبوني فيما قلت. قالت الأنصار: يا رسول الله، وجدتَنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور، ووجدتنا على شَفا حفرة من النار فأنقذنا الله بك، ووجدتنا ضُلَّالاً فهدانا الله بك؛ قد رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً،

(١) أخضلوا: أي بلُّوا.

(٢) كذا في الأصل وفي المجمع، ولعل الصواب: من غير الأنصار.

فاصنع يا رسول الله ما شئت في أوسع الحِلّ[1]. فقال رسول الله ﷺ: «والله لو أجبتموني بغير هذا القول لقلت: صدقتم. لو قلتم: ألم تأتنا طريداً فآويناك، ومكذَّباً فصدَّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وقبلنا ما ردَّ الناس عليك؟ لو قلتم هذا لصُدِّقْتُم». فقالت الأنصار: بل لله ولرسوله المنّ، ولرسوله المنّ والفضل علينا وعلى غيرنا. ثم بكَوا، فكثر بكاؤهم وبكى النبي ﷺ معهم. قال الهيثمي (١٠/٣١): وفيه رُشْدِين بن سعد، وحديثه في الرِقاق ونحوها حسن، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج البخاري أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل. فقالوا: يغفرُ الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطُر من دمائهم؟! قال أنس ابن مالك: فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبة أَدَم ولم يَدْعُ معهم غيرهم. فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا ـ يا رسول الله ـ فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فقال رسول الله ﷺ: «فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفرٍ أتألَّفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ فوالله لَمَا تنقلبون به خير مما ينقلبون به». قالوا: يارسول الله، قد رضينا. فقال لهم النبي ﷺ: «فستجدون أُثَرَة شديدة، فاصبروا حتى تلقَوا اللَّهَ ورسولَه، فإنِّي على الحوض». قال أنس: فلم يصبروا. وعند أحمد أيضاً من حديث أنس: قال: «أنتم الشِّعار[2] والناس الدِّثار[3]. أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول

---

(١) الحل: الحلال. ومعنى العبارة: أنت مفوَّض فيما تفعل.
(٢) الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، أي أنتم الخاصة والبطانة.
(٣) الدثار: الثوب الذي فوق الشعار.

الله ﷺ إلى دياركم؟» قالوا: بلى. قال: «الأنصار كَرِشي وعَيْبتي[١]، لو سلك الناس وادياً وسلكتِ الأنصار شِعباً لسلكتُ شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار». كذا في البداية (٤/٣٥٦).

صفة الأنصار رضي الله عنهم

أخرج العسكري في الأمثال عن أنس رضي الله عنه قال: قُدم على رسول الله ﷺ بمال من البحرين، فتسامعت به المهاجرون والأنصار. فغَدوا إلى رسول الله ﷺ. وذكر حديثاً طويلاً، وفيه: وقال للأنصار: «إنكم ـ ما علمتُ ـ تكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع». كذا في كنز العمال (١٣٦/٧).

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة رضي الله عنه: «اقرأ[٢] قومك السلام، وأخبرهم أنهم ما علمتهم أعِفَّةٌ[٣] صُبُرٌ»: قال الهيثمي (٤١/١٠) وفيه محمد بن ثابت البُناني وهو ضعيف. وسيأتي ذلك من وجه آخر عن أنس. وأخرجه أبو نُعيم عن أنس رضي الله عنه كما في الكنز (١٣٦/٧). قال دخل أبو طلحة رضي الله عنه على النبي ﷺ في شكواه الذي قُبض فيه. فقال: ﴿ اقرأ قومك السلام، فإنهم أعِفَّةٌ صُبُرٌ ﴾. وأخرج الحاكم (٧٩/٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

﴿ ما قاله ﷺ لسعد بن معاذ عند موته ﴾

وأخرج ابن سعد (٩/٣) عن عبدالله بن شدّاد رضي الله عنه يقول:

---

(١) الكرش لذي الخف والظلف وكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان. والعيبة: ما تجعل فيه الثياب كالصندوق؛ أراد أن الأنصار بطانته موضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته؛ وقيل: أراد بالكرش: الجماعة، أي جماعتي وصحابتي.

(٢) وفي الأصل: اقرىء.

(٣) أعفّة: جمع عفيف، وهو الذي كف وامتنع عما لا يحل أو لا يجمُل.

دخل رسول الله ﷺ على سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ وهو يكيد بنَفْسه ـ[١] فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت الله ما وعدته، وليُنْجِزَنَّك الله ما وعدك». وأخرج الإمام أحمد، والبزار عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما يضر امرأةً نزلت بين بيتين من الأنصار، أو نزلت بين أبويها». قال الهيثمي (١٠/ ٤٠): رجالهما رجال الصحيح.

إكرام الأنصار رضي الله عنهم وخدمتهم

﴿ إكرامه ﷺ الأنصار وقصة أسيد بن حضير معه ﴾

أخرج ابن عدي، والبيهقي، وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: جاء أُسيد بن حضير رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وقد كان قسم طعاماً، فذكر له أهل بيت من الأنصار من بني ظَفَر فيهم حاجة، وجُلّ أهل ذلك البيت نِسوة. فقال له النبي ﷺ: «تركتنا ـ يا أُسيد ـ حتى ذهب ما في أيدينا، فإذا سمعت بشيء قد جاءنا، فاذكر لي أهل ذلك البيت». فجاءه بعد ذلك طعام من خيبر شعيراً وتمراً، فقسم رسول الله ﷺ في الناس، وقسم في الأنصار وأجزل[٢]، وقسم في أهل ذلك البيت فأجزل. فقال أُسيد بن حضير متشكِّراً: جزاك الله أيْ نبي الله أطيب الجزاء ـ أو قال: خيراً ـ فقال النبي ﷺ: «وأنتم معشر الأنصار، فجزاكم الله أطيب الجزاء ـ أو قال: خيراً ـ فإنكم ما علمت أعِفَّة صُبُرٌ، وسترون بعدي أَثَرَة في الأمر والقَسْم[٣]، فاصبروا حتى تلقَوني على الحوض». كذا في كنز العمال (٧/ ١٣٥). وأخرجه الحاكم أيضاً في المستدرك (٤/ ٧٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح. إهـ.

وعند الإمام أحمد عن أُسيد بن حضير رضي الله عنه قال: أتاني أهل بيتين من قومي أهل بيت من ظَفَر وأهل بيت من بني معاوية، فقالوا: كلِّم لنا رسول الله ﷺ يَقسم لنا أو يُعطينا أو نحو هذا، فكلمته، فقال: «نعم، أقسم لكل واحد[٤] منهم شطراً، فإن عاد الله علينا عدنا عليهم». قال: قلت:

(١) يكيد بنفسه: يجود بنفسه.
(٢) أجزل: أوسع وأكثر.
(٣) القَسْم: الأموال.
(٤) وفي نسخة للهيثمي (بيت) بدل كلمة (واحد).

جزاك الله خيراً يا رسول الله. قال: «وأنتم فجزاكم الله خيراً؛ فإنكم ما علمتكم أعِفَّةٌ صُبُرٌ، إنكم ستلقون أَثَرَة بعدي». فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم بين الناس فبعث إليّ منها بحُلّة، فاستصغرتها. فبينا أنا أصلي إذ مرّ بي شاب من قريش عليه حُلَّة من تلك الحلل يجرّها، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «إنكم ستلقَون أَثَرَةً بعدي» فقلت: صدق الله ورسوله؛ فانطلق رجل إلى عمر رضي الله عنه فأخبره. فجاء وأنا أصلِّي فقال: صلِّ يا أسيد. فلما قضيت صلاتي قال: كيف قلت؟ فأخبرته. فقال: تلك حُلَّة بعثت بها إلى فلان وهو بدريّ أحديّ عَقَبيّ، فأتاه هذا الفتى فابتاعها منه، فلبسها، فظننت أن ذلك يكون في زماني؟ قال قلت: قد ـ والله ـ يا أمير المؤمنين، ظننت أن ذلك لا يكون في زمانك. قال الهيثمي (١٠/٣٣): رواه الإمام أحمد، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلِّس وهو ثقة. إهـ.

﴿ قصة محمد بن مسلمة مع عمر رضي الله عنهما ﴾

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: توجَّهت إلى المسجد فرأيت رجلاً من قريش عليه حُلّة، فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. قال: فجاوزت فرأيت رجلاً من قريش عليه حُلَّة، فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. قال: فدخل المسجد فرفع صوته بالتكبير، فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله! الله أكبر، صدق الله ورسوله! قال؛ فسمع عمر رضي الله عنه صوته، فبعث إليه أن ائتني. فقال: حتى أصلِّي ركعتين، فردَّ عليه الرسول يعزم عليه لَمَّا[1] جاء. فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: وأنا أعزم على نفسي أن لا آتيه حتى أصلِّي ركعتين، فدخل في الصلاة. وجاء عمر رضي الله عنه فقعد إلى جنبه. فلما قضى صلاته قال: أخبرني عن رفعك صوتَك في مصلّى رسول الله ﷺ بالتكبير، وقولك: صدق الله ورسوله ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، أقبلتُ أريد المسجد فاستقبلني فلان بن فلان القرشي عليه حُلّة؛ قلت: من كساك هذه؟ قال: أمير

(١) لَّما هنا بمعنى: إلا.

المؤمنين. فجاوزت فاستقبلني فلان بن فلان القرشي عليه حُلّة قلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين، فجاوزت فاستقبلني فلان بن فلان الأنصاري عليه حُلَّة دون الحلتين فقلت من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. إن رسول الله ﷺ قال: «أما إنكم سترون بعدي أثرة»، وإني لم أُحبَّ أن تكون على يديك يا أمير المؤمنين: قال: فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: أستغفر الله ولا أعود. قال: فما رُؤي بعد ذلك اليوم فَضَّلَ رجلاً من قريش على رجل من الأنصار. كذا في كنز العمال (٢/ ٣٢٩).

﴿ إكرامه عليه السلام لسعد بن عبادة رضي الله عنه ﴾

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: دخل سعد ابن عبادة رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ومعه ابنه فسلَّم. فقال رسول الله ﷺ: «ها هنا وها هنا»، وأجلسه عن يمينه، وقال: «مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار» وأقام[1] ابنه بين يدي رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» فجلس. فقال: «ادنُ»، فدنا فقبَّل يدي رسول الله ﷺ ورجلَه. فقال النبي ﷺ: «وأنا من الأنصار وأنا من فراخ[2] الأنصار». فقال سعد رضي الله عنه: أكرمك الله كما أكرمتنا. فقال: «إنَّ الله أكرمكم قبل كرامتي، إنكم ستلقَون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقَوني على الحوض». وفيه عاصم بن عبد العزيز الأشجعي. قال الخطيب: ليس بالقوي. كذا في كنز العمال (٧/ ١٣٤). وكذا قال النَّسائي؛ والدارقطني. وقال البخاري: فيه نظر، قلت: روى عنه علي بن المديني، ووثَّقه معن القزّاز. كذا في الميزان (٢/ ٣).

﴿ خدمة جرير أنساً رضي الله عنهما ﴾

وأخرج البغوي، والبيهقي، وابن عساكر، عن أنس رضي الله عنه قال: كان جرير معي في سفر، فكان يخدمني، فقال: إني رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً، فلا أرى أحداً منهم إلا خدمته. كذا في كنز العمال (٧/ ١٣٦).

---

(١) لعل الصواب وقام ابنه.

(٢) أي من أولاد الأنصار.

﴿ نزول أبي أيوب الأنصاري على ابن عباس وخدمته له ﴾

وأخرج الرُّوياني، وابن عساكر عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب أتى معاوية فشكا عليه[1] أن عليه ديناً، فلم يرَ منه ما يحبُّ ورأى ما يكرهه. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم سترون بعدي أَثَرة». قال: فأيُّ شيء قال لكم؟ قال: «اصبروا». قال: فاصبروا، فقال: والله لا أسألك شيئاً أبداً. فقدم البصرة فنزل على ابن عباس رضي الله عنهما ففرّغ له بيته وقال: لأصنعنّ بك كما صنعتَ برسول الله ﷺ، فأمر أهله فخرجوا، وقال: لك ما في البيت كلُّه وأعطاه أربعين ألفاً. وعشرين مملوكاً. كذا في كنز العمال (٩٥/٧). وأخرجه أيضاً الحاكم من طريق مُقَسِّم ـ فذكره بمعناه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وأخرجه الطبراني أيضاً كما في المجمع (٣٢٣/٩)، وفي حديثه: فأتى عبدَالله بن عباس رضي الله عنهما بالبصرة، وقد أمَّره عليها عليّ رضي الله عنه. فقال: يا أبا أيوب، إني أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله ﷺ، فأمر أهله فخرجوا، وأعطاه كل شيء أغلق عليه الدار. فلما كان انطلاقه قال: حاجتَك. قال: حاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملون في أرضي، وكان عطاؤه أربعة آلاف فأضعفها له خمس مرات فأعطاه عشرين ألفاً، وأربعين عبداً. قال الهيثمي: ذكر الحديث ـ أي الطبراني ـ بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، إلّا أن حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أبي أيوب رضي الله عنه. قلت: وأخرجه الحاكم (٤٦١/٣) أيضاً من طريق حبيب بن أبي ثابت هذا، فزاد بعده: عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فذكر الحديث بسياق الطبراني بطوله، ثم قال قد تقدَّم هذا الحديث بإسناد متصل صحيح، وأعدتُه للزيادات فيه بهذا الإسناد. انتهى.

﴿ سعي ابن عباس في قضاء حاجة الأنصار عند الوالي ﴾

وأخرج الحاكم (٥٤٤/٣): عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه

(١) لعل الصواب: فشكى إليه.

وعبدالله بن فضل بن عباس بن أبي ربيعة بن الحارث أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: إنا معشر الأنصار طلبنا إلى عمر أو إلى عثمان ـ شك ابن أبي الزِّناد ـ فمشينا بعبدالله بن عباس رضي الله عنهما وبنفر معه من أصحاب رسول الله ﷺ، فتكلّم ابن عباس وتكلّموا، وذكروا الأنصار ومناقبهم، فاعتلَّ الوالي. قال حسان: وكان أمراً شديداً طلبناه. قال: فما زال يراجعهم حتى قاموا وعذَروه إلا عبدالله بن عباس فإنه قال: لا والله، ما للأنصار من منزل، لقد نصروا وآوَوا وذكر من فضلهم وقال: إنَّ هذا لشاعر رسول الله ﷺ والمنافح[١] عنه، فلم يزل يراجعه عبدالله بكلام جامع يسدّ عليه كل حاجة، فلم يجد بداً من أن قضى حاجتنا. قال: فخرجنا وقد قضى الله عزّ وجل حاجتنا بكلامه، فأنا آخذ بيد عبدالله أُثني عليه وأدعو له، فمررت في المسجد بالنفر الذين كانوا معه فلم يبلغوا ما بلغ، فقلت حيث يسمعون: إنّه كان أولاكم بنا. قالوا: أجل. فقلت لعبدالله: إنها ـ والله ـ صُبابة[٢] النبوّة، ووراثة أحمد ﷺ كان أحقكم بها. قال حسان ـ وأنا أشير إلى عبدالله ـ:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... بملتفظات[٣] لا يُرى بينها فصلا[٤]
كفى وشفى ما في الصدور[٥] فلم يدع ... لذي إربة[٧] في القول جداً ولا هزلا
سموتَ[٦] إلى العليا بغير مشقّة ... فنلت ذراها لا دَنِيا ولا وَغْلا[٨].

وأخرجه أيضاً الطبراني عن حسان بن ثابت رضي الله عنه كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٤) بنحوه، وفي حديثه: إنه ـ والله ـ كان أولاكم بها، إنَّها ـ والله ـ صُبابة النبوة، ووراثة أحمد ﷺ، ويهديه أعراقه[٩] وانتزاع شِبْه طباعه. فقال القوم: أجمِلْ يا حسان، فقال ابن عباس رضي الله عنهما صدقوا، فأنشأ يمدح ابن عباس رضي الله عنهما فقال:

---

(١) المنافح: المدافع.
(٢) الصبابة: البقية اليسيرة.
(٣) وفي نسخة: بملتقطات.
(٤) وفي نسخة: فضلاً.
(٥) وفي نسخة: النفوس.
(٦) إربة: حاجة.
(٧) سموت: علوت.
(٨) في نسخة: وغلا (أي اللئيم).
(٩) أعراقه: أي أصله.

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه رأيتَ لـه في كـل مجمعـة فضـلاً

ثم ذكر الأشعار الثلاثة المذكورة، ثم زاد بعدها:

خُلقت حليفـاً للمـروءة والنَّـدَى بليغاً ولم تخلق كَـهاماً[١] ولا حَلا[٢]

فقال الوالي: والله ما أراد بالكَهَام غيري، والله بيني وبينه.

الدعاء للأنصار رضي الله عنهم

﴿ دعاء النبي عليه السلام للأنصار وما قاله فيهم أبو بكر في بعض خطبه ﴾

أخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: شقّ على الأنصار النواضح[٣]، فاجتمعوا عند النبي ﷺ يسألونه أن يكري[٤] لهم نهراً سَحّاً[٥]. فقال لهم رسول الله ﷺ: «مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار. لا تسألـوني اليوم شيئاً إلا أعطيتكموه؛ ولا أسأل الله لكم شيئاً إلا أعطانيه» فقال بعضهم لبعض: اغتنموها وسلوه المغفرة؛ قالوا: يارسول الله ادع لنا بالمغفرة. فقال: «اللّهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار». وفي رواية: «ولأزواج الأنصار». قال الهيثمي (١٠/٤٠): رواه الإمام أحمد، والبزار بنحوه، وقال: «مرحباً بالأنصار» ثلاثاً. والطبراني في الأوسط والصغير والكبير بنحوه، وقال: «وللكنائن». وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح. انتهى. وعند البزّار، والطبراني عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغفر للأنصار ولذراري الأنصار، ولذراري ذراريهم وجيرانهم». قال الهيثمي (١٠/٤٠): ورجالهما رجال الصحيح غير هشام بن هارون وهو ثقة. انتهى. وعند الطبراني عن عوف الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولموالي الأنصار». قال الهيثمي (١٠/٤١): وفيه من لم أعرفهم. انتهى. وعند البزّار عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت

(١) كهامٌ: أي كليلٌ عيٌ بطيء مُسِن لا غَناء عنده.

(٢) حلا: رجلٌ أحلّ: فيه ضعف وفتور وتكسُّر.

(٣) النواضح: إبل السقي.

(٤) يكري: يحفر. (٥) سحاً: على وجه الأرض.

رسول الله ﷺ يقول: «الإيمان يمان، الإيمان في قحطان، والقسوة في ولد عدنان، حِمْيَر رأس العرب ونابُها، ومَذْحِج هامتها وعِصمتها، والأزد كاهلها وجمجمتها، وهَمْدان غاربها وذِروتها اللَّهمَّ أعزّ الأنصار الذين أقام الله الدين بهم، الذين آوَوْني، ونصروني، وحَمَوني، وهم أصحابي في الدنيا وشيعتي في الآخرة، وأول من يدخل الجنة من أمتي» قال الهيثمي: (١٠/٤١): وإسناده حسن. انتهى. وأخرج ابن أبي الدنيا في الأشراف كما في الكنز (٧/١٣٤) عن عثمان بن محمد بن الزبيري قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بعض خطبه: نحن ـ والله ـ والأنصار كما قال:

جزى الله عنا جعفراً حين أشرقت ... بنا نعلنا للواطئين فزلَّتِ
أبَوا أن يملُّونا ولو أن أمَّنا ... تُلاقي الذي يلْقَون منَّا لَملَّتِ

إيثار الأنصار رضي الله عنهم في أمر الخلافة

﴿ قوله عليه السلام في قريش ﴾

أخرج الإمام أحمد، وابن جرير بإسناد حسن عن حُميد بن عبد الرحمن الحِميري قال: توفي رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه في طائفة المدينة، فجاء فكشف عن وجهه، فقال: فدىً لك أبي وأمي! ما أطيبك حيّاً وميّتاً!! مات محمد وربِّ الكعبة. وانطلق أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتقاودان[١] حتى أتَوهم. فتكلم أبو بكر فلم يترك أبو بكر شيئاً أُنزل في الأنصار، ولا ذكره رسول الله ﷺ في شأنهم إلاَّ ذكره. وقال: لقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار» ولقد علمتَ ـ يا سعد ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ وأنت قاعد ـ: «قريش ولاة هذا الأمر، فبَرُّ الناس تبعٌ لبَرِّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». فقال له سعد رضي الله عنه: صدقت. نحن الوزراء وأنتم الأمراء. كذا في الكنز (٣/١٣٧). وقال الهيثمي (٥/١٩١): رواه الإمام أحمد ـ وفي الصحيح

---

(١) وفي المجمع (ج ٥ ص ١٩١): يتعاودان؛ أي ذهبا مسرعين كأن كل واحد منهما يقود الآخر لسرعته.

طرف من أوله ـ، ورجاله ثقات إلا أنَّ حُميد بن عبد الرحمن لم يدرك أبا بكر. انتهى.

﴿ قصة سقيفة بني ساعدة ﴾

وأخرج الطيالسي، وابن سعد (٣/١٥١) وابن أبي شيبة، والبيهقي (٨/١٤٣) وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منا؛ فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك. فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنّا أنصار رسول الله ﷺ. فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً، وثبّت قائلكم؛ ثم قال: أما ـ والله ـ لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم. ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه. فذكر الحديث كما في كنز العمال (٣/١٣١). وقال الهيثمي (٥/١٨٣): رواه الطبراني، وأحمد ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه الطبراني عن أبي طلحة رضي الله عنه ـ بنحوه كما في الكنز (٣/١٤٠).

وأخرج ابن سعد، وابن جرير عن القاسم بن محمد أن النبي ﷺ لما توفي اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه. فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، فقام حُباب بن المنذر رضي الله عنه ـ وكان بدرياً ـ فقال: منَّا أمير ومنكم أمير، فإنّا ـ والله ـ ما نَنْفَس[1] هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكنّا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم. فقال له عمر رضي الله عنه: إذا كان ذلك فمُتْ[2] إن استطعت؛ فتكلم أبو

(١) ما ننفس: أي لم نبخل.

(٢) في الأصل: قُمتَ. والصحيح ما ذكرت، ومعنى قول عمر: أنه إن وليه من قريش من قتلتم أباه أو أخاه فما في العيش خيرٌ فمُتْ إن استطعت، ويريد أن ذلك لا يكون الآن، لأنا لا نبايع إلا السابقين الأولين وهؤلاء لا يظلمونكم.

بكر رضي الله عنه فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كقدِّ الأُبْلُمة - يعني الخوصة[١] -؛ فبايع أولُ الناس بشيرُ ابن سعد أبو النعمان[٢] رضي الله عنه. فلما اجتمع الناس على أبي بكر قسم بين الناس قَسْماً، فبعث إلى عجوز من بني عدي بن النجار قَسْمها مع زيد ابن ثابت رضي الله عنه، فقالت: ما هذا؟ قال: قَسْم قسمه أبو بكر للنساء. فقالت: أتراشوني عن ديني. فقالوا: لا. فقالت: أتخافون أن أدَعَ ما أنا عليه؟ فقالوا: لا. فقالت: فوالله لا آخذ منه شيئاً أبداً. فرجع زيد إلى أبي بكر فأخبره بما قالت: فقال أبو بكر: ونحن لا نأخذ مما أعطيناها شيئاً أبداً. كذا في كنز العمال (٣/ ١٣٠).

---

(١) في الأصل: كعد الأيلمة وهو خطأ. والخوصة: ورقة النخل. أي كشقها نصفين.

(٢) في الأصل: بشير بن أسيد بن النعمان، والصواب ما ذكرت.

الباب السّادس

بَابُ الجهَاد

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يجاهدون في سبيل الله، وينفِرون للدعوة إلى الله وإلى رسوله ﷺ خفافاً وثقالاً ومَكْرَهاً ومَنْشَطاً؟ وكيف كانوا يتهيّؤون لذلك في زمان العُسر واليُسر والشتاء والصيف؟.



بَابُ الجِهَاد

تحريض النبي ﷺ وترغيبه على الجهاد وإنفاق الأموال

﴿ خروج النبي ﷺ يوم بدر واستشارته الصحابة وأقوالهم رضي الله عنهم ﴾

أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه - واللفظ له - عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ - ونحن بالمدينة -: «إني أُخبرت عن عِير أبي سفيان[1] أنَّها مقبلة؛ فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير لعلّ الله يُغَنِّمنَاها؟» فقلنا: نعم. فخرج وخرجنا. فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: «ما ترون في القوم فإنهم قد أُخبروا بمخرجكم؟» فقلنا: لا - والله - ما لنا طاقة بقتال القوم، ولكنا أردنا العير. ثم قال: «ما ترون في قتال القوم؟» فقلنا مثل ذلك. فقام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: إذاً لا نقول لك - يا رسول الله - كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[2]. قال: فتمنّينا - معشر الأنصار - لو أنّا قلنا مثل ما قال المقداد أحبّ[3] إلينا من أن يكون لنا مال عظيم. فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾[4] - وذكر تمام الحديث. كذا في البداية

---

(١) عير أبي سفيان: إبل بأحمالها، كانت مقبلة من الشام إلى مكة، وتحمل أموالاً كبيرة لقريش، يحرسها رجال كان على رأسهم أبو سفيان، وذلك في السنة الثانية للهجرة.

(٢) سورة المائدة آية: ٢٤.

(٣) كذا في الأصل وفي البداية وفي مجمع الزوائد. والأصح: لكان أحب إلينا.

(٤) سورة الأنفال آية: ٥.

(٢٦٣/٣) وقد ذكره بتمامه في مجمع الزوائد (٧٣/٦)؛ ثم قال (٧٤/٦): رواه البزّار بتمامه، والطبراني ببعضه وفيه: عبد العزيز بن عمران وهو متروك. انتهى.

وقد أخرج الإمام أحمد كما في البداية (٢٦٣/٣) عن أنس رضي الله عنه قال: استشار النبي ﷺ مَخْرَجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه، ثم استشارهم فأشار عليه عمر رضي الله عنه، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار، فقال بعض الأنصار: يا رسول الله، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون»، ولكن ـ والذي بعثك بالحق ـ لو ضربت أكبادها إلى بَرك الغِماد[١] لاتَّبعناك. قال ابن كثير: هذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح.

وعند الإمام أحمد أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان. قال: فتكلّم أبو بكر رضي الله عنه فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر رضي الله عنه فأعرض عنه. فقال سعد ابن عبادة رضي الله عنه: إيّانا يريد رسول الله ﷺ، «والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا»، فندب رسول الله ﷺ الناس. كذا في البداية (٢٦٣/٣). وأخرجه ابن عساكر أيضاً عن أنس بنحوه كما في كنز العمال (٢٧٣/٥).

وأخرج ابن مَرْدَوَيْه عن علقمة بن وقَّاص الليثي رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالرَّوْحاء خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، بَلَغنا أنهم بكذا وكذا. قال ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال عمر رضي الله عنه مثل

---

(١) تفتح الباء وتكسر وتضم الغين وتكسر: وهو اسم موضع باليمن؛ وقيل: هو موضع وراء مكة بخمس ليالٍ.

قول أبي بكر. ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: **يا رسول الله إيانا تريد، فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط[١]، ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي بَرك الغِماد من ذي يَمَنٍ لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى عليه السلام: «اذهب أنتَ وربك فقاتلا إنّا هٰهنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكم متّبعون، ولعلَّ أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامضِ، فصِلْ حبالَ من شئتَ، واقطع حبال من شئتَ، وعاد من شئتَ، وسالم من شئتَ؛ وخذ من أموالنا ما شئت.** فنزل القرآن على قول سعد رضي الله عنه: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾[٢] ـ الآيات. وذكر الأمويُّ في مغازيه، وزاد بعد قوله: وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منّا كان أحب إلينا ممّا تركت، **وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غُمْدان[٣] لنسيرن معك.** كذا في البداية (٣/٢٦٤).

وذكره ابن إسحاق وفي سياقه: قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: «أجل». قال: **فقد آمنّا بك، وصدَّقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامضِ ـ يا رسول الله ـ لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضتَه لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقَى بنا عدونا غداً. إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يُرِيك منا ما تقرُّ به عينك، فسِرْ على بركة الله.** فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه، ثم قال: «سيروا وأبشروا؛ فإن الله قد

---

(١) يريد سعد: الطريق التي توصل إلى برك الغماد الذي سيأتي ذكره في كلامه.

(٢) سورة الأنفال آية ٥: ومعنى فنزل القرآن على قول سعد: أن الله سبحانه في قوله: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وافق سعداً في قوله: ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره.

(٣) غُمْدان: بضم الغين وسكون الميم: البناء العظيم بناحية صنعاء اليمن.

وعدني إحدى الطائفتين، والله، لكأنِّي الآن أنظر إلى مصارع القوم» كذا في البداية (٣/٢٦٢).

﴿ ترغيبه ﷺ في الجهاد قبل المعركة وقول عمير بن الحمام رضي الله عنه ﴾

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بُسْبُساً عيناً(١) ينظر ما صنعتْ عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ - قال: لا أدري ما استثني من بعض نسائه - قال فحدّثه الحديث. قال: فخرج رسول الله فتكلّم فقال: «إنَّ لنا طَلِبَة، فمن كان ظَهْره(٢) حاضراً فليركب معنا». فجعل رجال يستأذنونه في ظهورهم في عُلْو المدينة. قال: «لا، إلَّا من كان ظهره حاضراً». وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يتقدّمنّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه»، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». قال: يقول عُمير بن الحُمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: «نعم». قال: بَخٍ بَخٍ!! فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول: بَخٍ بَخٍ؟» قال: لا والله يا رسول الله، إلّا رجاءَ أن أكون من أهلها قال: فإنَّك من أهلها. قال: فأخرج تمرات من قَرْنه(٣)، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها حياة طويلة. قال: فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل - رحمه الله -. ورواه مسلم أيضاً كذا في البداية (٣/٢٧٧). وأخرجه البيهقي (٩/٩٩) أيضاً بطوله؛ والحاكم (٣/٤٢٦) مختصراً.

وعند ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم وقال: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر؛ إلّا أدخله الله الجنة». قال عمير بن الحُمام رضي الله عنه - أخو بني سَلِمة وفي يده تمرات يأكلهنَّ -: بَخٍ، بَخٍ!! أفما بيني وبين أن أدخل

(١) العين: الجاسوس. (٢) الظَّهر: الإبل. (٣) قرنه: جعبة السهام.

الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟! قال: ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل. وقد ذكر ابن جرير: أن عميراً قاتل وهو يقول:

رَكْضـاً إلى الله بغـير زادِ إلاَّ التُقى وعمـلِ المعـادِ
والصبرِ في الله على الجهـاد وكـلُّ زادٍ عُـرضـةُ النفـاد
غـيرُ الـتـقـى والـبـرّ والـرشـادِ

كذا في البداية (٣/٢٧٧).

﴿ قصة تبوك وما أنفق الصحابة في ذلك من والأموال ﴾

وأخرج ابن عساكر (١/١٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جئت رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف بستة أشهر، ثم أمره الله بغزوة تبوك، وهي التي ذكر الله في ساعة العسرة، وذلك في حرّ شديد، وقد كثر النفاق وكثر أصحاب الصُّفَّة ـ والصُّفَّة بيت كان لأهل الفاقة يجتمعون فيه، فتأتيهم صدقة النبي ﷺ والمسلمين. وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرجلُ الرجلَ أو ما شاء اللهبشبعه[١]؛ فجهزوهم وغزَوا معهم واحتسبوا عليهم ـ فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحِسبة؛ فأنفقوا احتساباً. وأنفق رجال غير محتسبين، وحُمل رجال من فقراء المسلمين وبقي أُناس، وأفضل ما تصدّق به يومئذ أحد عبد الرحمن بن عوف[٢] رضي الله عنه. تصدّق بمائتي أوقية، وتصدّق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمائة أوقية، وتصدّق عامر الأنصاري[٣] رضي الله عنه بتسعين وَسْقاً من تمر. وقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، إني لا أرى عبد الرحمن إلا قد احْتَوَب[٤] ما ترك لأهله شيئاً. فسأله رسول الله ﷺ: «هل تركت لأهلك شيئاً؟» قال: نعم، أكثر مّما أنفقت وأطيب. قال: «كم؟» قال: **ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير**. وجاء رجل من الأنصار يقال له أبو عقيل رضي الله عنه بصاع من تمر فتصدّق به. وعمد المنافقون حين رأوا الصدقات يتغامزون، فإذا

(١) كذا في الأصل، وفي الكنز بحذف هذا اللفظ.
(٢) الأصح أن يقال: وأفضل ما تصدق به يومئذٍ أحدٌ (ما تصدق به) عبد الرحمن بن عوف.
(٣) لعل الصحيح عاصم بن عدي الأنصاري.
(٤) احتوب: ارتكب الإثم.

كانت صدقة الرجل كثيرة تغامزوا به وقالوا: مرائي. وإذا تصدّق رجل بيسير تمر من طاقته قالوا: هذا أحوج إلى ما جاء به. فلما جاء أبو عقيل بصاع من تمر قال: **بِتُّ ليلتي أجرُّ بالجرير[١] على صاعَين، والله ما كان عندي من شيء غيره ـ وهو يعتذر وهو يستحيي ـ، فأتيت بأحدهما وتركت الآخر لأهلي.** فقال المنافقون: هذا أفقر إلى صاعه من غيره، وهم في ذلك ينتظرون أن يُصيبوا من الصدقات غنيهم وفقيرهم.

فلما أزف[٢] خروج رسول الله ﷺ أكثروا الاستئذان، وشكَوا الحرّ، وخافوا ـ زعموا ـ[٣] الفتنة إن غزَوا ويحلفون بالله على الكذب. فجعل رسول الله ﷺ يأذن لهم لا يدري ما في أنفسهم، وبنى طائفة منهم مسجد النفاق يرصدون[٤] به الفاسق أبا عامر ـ وهو عند هرقل قد لحق به وكنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلاَثة العامري ـ وسورة «براءة» تنزل في ذلك أرسالاً، ونزلت فيها آية ليست فيها رخصة لقاعد. فلما أنزل الله عزّ وجلّ ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾[٥]، اشتكى الضعيف الناصح لله ولرسوله والمريض والفقير إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: هذا الأمر لا رخصة فيه. وفي المنافقون ذنوب مستورة لم تظهر حتى كان بعد ذلك، وتخلَّف رجال غير مستيقنين[٦] ولا ذوي علَّة. ونزلت هذه السورة بالبيان والتفصيل في شأن رسول الله ﷺ تخبر بنبأ من اتَّبعه حتى بلغ تبوك. فبعث منها علقمة بن مُجَزِّز المُدْلجي رضي الله عنه إلى فلسطين، وبعث خالد بن الوليد إلى دُومة الجندل: فقال: أسرعْ لعلَّك أن تجده[٧] خارجاً يتقنَّص، فتأخذه؛ فوجده فأخذه.

وأرجف[٨] المنافقون في المدينة بكل خبر سوء، فإذا بلغهم أنَّ المسلمين

---

(١) الجرير: حبل يجعل للبعير، والمعنى بت ليلتي كلها أستقي الماء بالحبل بعِوَض صاعين، وفي الأصل: بالحزير.

(٢) أزف: دنا.

(٣) كذا في الأصل، والمعنى: على زعمهم.

(٤) يرصدون: يجعلون له هذا المكان إذا رجع من عند هرقل.

(٥) سورة براءة آية: ٤١.

(٦) أي منافقين ليس عندهم يقين بالله ورسوله واليوم الآخر.

(٧) تجده: أي تجد أُكَيْدَر بن عبد الملك الكِندي ملك دومة الجندل.

(٨) الإرجاف: إيقاع الرجفة؛ أي الاضطراب الشديد، إما بالفعل وإما بالقول.

أصابهم جَهْد وبلاء تباشروا به وفرحوا وقالوا: قد كنّا نعلم ذلك ونحذر منه، وإذا أُخبروا بسلامة منهم وخير حزنوا. وعرف ذلك منهم فيهم[١] كل عدو لهم بالمدينة، فلم يبقَ أحد من المنافقين أعرابي ولا غيره إلّا استخفى بعمل خبيث ومنزلة خبيثة، واستعلن، ولم يبق ذو علّة إلّا وهو ينظر الفَرَج فيما ينزل الله في كتابه، ولم تزل سورة «براءة» تنزل حتى ظنَّ الناس بالمؤمنين الظنون، وأشفقوا أن لا ينفلت منهم كبير ولا صغير أذنب في شأن التوبة قط ذنباً إلا أُنزل فيه أمر بلاء حتى انقضت. وقد وقع بكل عامل تبيان منزلته من الهدى والضلالة. انتهى. وذكره في كنز العمال (١/٢٤٩) عن ابن عساكر وابن عابد ـ بطوله.

﴿استئذان الجدّ بن قيس عن الغزو وما قاله عليه السلام له وما نزل فيه من القرآن﴾

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم أنه قال: ما كان النبي ﷺ يخرج في وجه من مغازيه إلّا أظهر أنه يريد غيره؛ غير أنه في غزوة تبوك قال: «يا أيها الناس، إنّي أريد الروم، فأعلمهم، وذلك في زمان من البأس، وشدة الحرّ، وجدب من البلاد، وحين كانت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها. فبينما رسول الله ﷺ ذات يوم في جَهازه ذلك قال للجَدّ بن قيس: «يا جدّ، هل لك في جِلَاد بني الأصفر؟»[٢] فقال: يا رسول الله، ائذن لي ولا تفتنّي، لقد علم قومي أنّه ليس من أحد أشدّ عجباً بالنساء مني، وإني أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يَفْتِنّني، فأْذن لي يا رسول الله، فأعرض عنه وقال: «قد أذنت لك». فأنزل الله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي!! ألا في الفتنة سقطوا﴾[٣]، يقول ما وقع فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله ﷺ ورغبته بنفسه عن نفسه (أعظم)[٤] مما يخاف من فتنة نساء بني الأصفر:

(١) فيهم: لعل هذه الكلمة زائدة.
(٢) جلاد بني الأصفر: قتال الروم.
(٣) سورة التوبة آية: ٤٩.
(٤) كلمة يقتضيها السياق.

«وإن جهنم لمحيطة بالكافرين» يقول لِمَنْ ورائه. وقال رجل من جملة المنافقين: لا تنفروا في الحرِّ، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل نار جهنم أشدُّ حرّاً لو كانوا يَفْقَهون ﴾[(١)]. قال: ثم إنَّ رسول الله ﷺ جدّ في سفره، وأمر الناس بالجهاد، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله[(٢)]. فحمل رجال من أهل الغنى وأحسنوا؛ وأنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، وحمل على مائتي بعير. كذا في التاريخ لابن عساكر (١/١٠٨) وأخرجه البيهقي السِيَر (٩/٣٣) عن عروة رضي الله عنه مختصراً. وذكره في البداية (٥/٣) عن ابن إسحاق عن الزُّهري ويزيد ابن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر ـ بنحوه.

وأخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجدّ بن قيس: «ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟» قال: يارسول الله، إنِّي امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن، أفتأذن لي في الجلوس ولا تَفْتِنِّي؟ فأنزل الله: ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولاتَفْتِنِّي، ألاَ في الفتنة سقطوا ﴾. قال الهيثمي (٧/٣٠): وفيه يحيى الحِمَّاني وهو ضعيف.

﴿ بَعْثه عليه السلام الصحابة للاستنفار في سبيل الله إلى القبائل وإلى مكة ﴾

وذكر ابن عساكر (١/١١٠): أن رسول الله ﷺ بعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوّهم، فبعث بُرَيدة بن الحُصَيب رضي الله عنه إلى أسْلَمَ وأمره أن يَبْلغ الفُرْع[(٣)]، وبعث أبا رُهْم الغِفاري رضي الله عنه إلى قومه وأمره أن يطلبهم ببلادهم، وخرج أبو واقد الليثي رضي الله عنه في قومه، وخرج أبو جعد الضَّمري رضي الله عنه في قومه بالساحل، وبعث رافع بن مَكِيث وجند بنَ مكِيث رضي الله عنهما إلى جُهَينة، وبعث نُعَيم بن مسعود رضي الله عنه إلى أشْجَعَ، وبعث في بني

(١) سورة التوبة: آية: ٨١.

(٢) الحُملان: دواب الركوب يحملون عليها الفقراء من المسلمين ممن يريد الجهاد.

(٣) الفُرْع: موضع معروف بين مكة والمدينة. عن النهاية.

كعب بن عمرو عِدَّةً، وهم: بُدَيل بن ورقاء، وعمرو بن سالم وبِشر ابن سفيان رضي الله عنهم، وبعث في سُلَيم عِدّةً، منهم العباس بن مرداس رضي الله عنه.

﴿ إنفاق الصحابة رضي الله عنهم المال في غزوة تبوك ﴾

وحضَّ رسول الله ﷺ المسلمين على الجهاد ورغَّبهم فيه، وأمرهم بالصدقة. فحملوا صدقات كثيرة، وكان أولَ من حمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فجاء بماله كله؛ أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» فقال: الله ورسوله أعلم[١]. ثم جاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله. فقال رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ قال: نعم، نصف ما جئت به[٢]. وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر الصديق، فقال: ما استبقنا إلى خير قط إلاَّ سبقني[٣] إليه. وحمل العباس بن عبد المطلب وطلحة ابن عبيدالله رضي الله عنهما إلى النبي ﷺ مالاً، وحمل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إليه مائتي أوقية، وحمل سعد بن عُبادة رضي الله عنه إليه مالاً، وكذلك محمد بن مَسْلمة رضي الله عنه، وتصدَّق عاصم بن عدي رضي الله عنه بتسعين وَسْقاً تمراً، وجهّز عثمان بن عفّان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش، وكان من أكثرهم نفقة حتى كفى ثلث ذلك الجيش مؤونتهم؛ حتى إنْ كان ليُقال ما بقيت لهم حاجة، حتى كفاهم إشفي[٤] أسقيتهم؛ فيقال إنَّ رسول الله ﷺ قال يومئذ: **«ما يضر عثمانَ ما فعل بعد هذا»**!!.

ورغب أهل الغنى في الخير والمعروف واحتسبوا في ذلك الخير، وقوي ناس دون هؤلاء من هو أضعف منهم، حتى إنَّ الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بينكما تعتقبانه، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج، حتى إنْ كنّ النساءُ ليُعِنَّ بكل ما قَدَرْن عليه. لقد قالت أم

(١) كذا في الأصل والمحفوظ: أن أبا بكر قال مجيباً الرسول: الله ورسوله.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: نصف مالي.

(٣) من أحمد (١ / ٤٣٧)، وفي الأصل: سبقتني.

(٤) إشفي: مخرز من حديد تخرز به الأسقية.

سِنَان الأسلمية رضي الله عنها: لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها فيه: مَسَكٌ[١]، ومعاضِدُ[٢]، وخلاخلُ[٣]، وأقْرِطةٌ[٤]، وخواتيمُ، وقد مُلِئ مِمَّا بعث من النساء يُعِنَّ[٥] به المسلمين في جهَازهم، والناس في عُسْرة شديدة وحين طابت الثمار وأُحبّت الظِّلال، فالناس يحبُّون المقام ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه. وأخذ رسول الله ﷺ بالانكماش[٦] والجدِّ، وضرب رسول الله عسكره بثَنِيَّة الوَداع، والناس كثير لا يجمعهم كتاب؛ قلَّ رجل يريد أن يتغيّب إلّا ظَنَّ أن ذلك سيخفَى له ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله.

فلما استمرّ برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير، استخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغِفاري - ويقال محمد بن مَسْلمة رضي الله عنهما - فقال رسول الله ﷺ: «استكثروا من النِّعال، فإنَّ الرجل لا يزال راكباً ما دام متنعِّلاً». فلمّا سار رسول الله ﷺ تخلَّف ابن أُبيّ[٧] عنه فيمن تخلَّف من المنافقين، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جَهْد الحال والحرّ والبلد البعيد إلى ما لا قبل له به!! يحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب؟! ونافق من هو معه على مثل رأيه. ثم قال ابن أُبيّ: والله، لكأنِّي أنظر إلى أصحابه غداً مُقَرَّنين في الحبال[٨] - إرجافاً[٩] برسول الله ﷺ وأصحابه -. فلمّا رحل رسول الله ﷺ من ثنيّة الوَداع إلى تبوك وعقد الألوية والرايات دفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى إلى الزبير، ودفع راية الأوس إلى أُسَيد بن الحُضَير؛

---

(١) مَسَك: محركة: الأسورة والخلاخيل من القرون والعاج.
(٢) معاضد: جمع معضد بالكسر أي الدملج.
(٣) خلاخل: جمع خلخال: حلية تلبس في الرجل كالسوار في اليد.
(٤) أقرطة: جمع قُرْط: ما يعلّق في شحمة الأذن.
(٥) وفي الأصل: يعينون.
(٦) بالانكماش: بالإسراع.
(٧) هو عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي، رئيس المنافقين.
(٨) مُقَرَّنين في الحبال: مشدودين في الحبال.
(٩) إرجافاً: خوضاً في الأخبار السيئة والفتن قصداً أن يهيج الناس.

ولواء الخزرج إلى أبي دُجَانة ويقال إلى الحُباب بن المنذر رضوان الله عليهم أجمعين. وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً، ومن الخيل عشرة آلاف فرس، وأمر كل بَطْن من الأنصار أن يتَّخذ لواءه ورايته، والقبائل من العرب فيها الراياتُ والألوية. انتهى بحذف يسير.

اهتمامه ﷺ ببَعْث أسامة رضي الله عنه في مرض وفاته وشدة اهتمام أبي بكر رضي الله عنه بذلك في أول خلافته

﴿ بَعْث أسامة وانتداب الأوّلين فيه وإنكاره ﷺ على من طعن في تأميره أسامة ﴾

أخرج ابن عساكر (١/١٢٠) من طريق الزُّهري عن عُرْوة عن أسامة ابن زيد رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ أمره أن يُغير على أهل أُبْنَى[١] صباحاً وأن يحرِّق. ثـم قال رسول الله ﷺ لأسامة: «امضِ على اسم الله». فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بُرَيدة بن الحُصَيب الأسلمي، فخرج به إلى بيت أسامة. وأمر رسول الله ﷺ أسامة فعسكر بالجُرف[٢]، وضرب عسكره في موضع سقاية سليمان اليوم. وجعل الناس يأخذون بالخروج؛ فيخرج من فرغ من حاجته إلى معسكره، ومن لم يقضِ حاجته فهو على فراغ. ولم يبق أحد من المهاجرين الأوَّلين إلاَّ انتُدب في تلك الغزوة: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، في رجال من المهاجرين. والأنصار عِدَّة: قتادة بن النعمان، وسَلَمة بن أسلم ابن حريش رضي الله عنهم.

فقال رجال من المهاجرين ـ وكان أشدهم في ذلك قولاً عيَّاش بن أبي ربيعة ـ: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين!! فكثرت القالة في ذلك. فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض ذلك القول، فردَّه على من تكلم

(١) أبنى: بضم الهمزة والقصر: اسم موضع من فلسطين بين عَسقلان والرملة، يقال لها: يبنى، بالياء.
(٢) الجرف: اسم موضع قريب من المدينة.

به، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ـ وقد عصب على رأسه بعصابة وعليه قطيفة ـ ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس: فما مقالةٌ بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ فوالله لئن طَعَنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله. وايْمُ الله، إنْ كان للإمارة لَخَليق، وإنَّ ابنه من بعده لخليق بالإمارة. وإنْ كان لأحبَّ الناس إليّ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إليّ، وإنهما لمخيَّلان[١] لكل خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم». ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر ليالٍ خَلَون من ربيع الأول.

وجاء المسلمون الذين سيخرجون مع أسامة رضي الله عنه يودّعون رسول الله ﷺ، وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورسول الله ﷺ يقول: «أنْفِذوا بَعْثَ أُسامة». ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: أيْ رسول الله، لو تركتَ أُسامة يقيم في معسكره حتى تَماثل، فإن أُسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه. فقال رسول الله ﷺ: «أَنفِذُوا بَعْثَ أُسامة». فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد، ونزل أُسامة يوم الأحد، ورسول الله ﷺ ثقيل مَغْمور وهو اليوم الذي لَدُّوه[٢] فيه، فدخل على رسول الله ﷺ وعيناه تهملان، وعنده العباس والنساء حوله، فطأطأ عليه أُسامة فقبَّله ـ ورسول الله ﷺ لا يتكلّم ـ، فجعل يرفع يديه إلى السماء، ويصبُّهما على أُسامة. قال أُسامة: فأعرف أنَّه كان يدعو لي. قال أُسامة: فرجعت إلى معسكري. فلما أصبح يوم الإثنين غدا من معسكره وأصبح رسول الله ﷺ مُفيقاً[٣]، فجاءه أُسامة، فقال: «أُغْدُ على بركة الله» فودّعه[٤] أُسامة ورسول الله ﷺ مفيق، وجعل نساؤه يتماشطن سروراً براحته. ودخل

(١) من الكنز: وفي ابن عساكر: لمخبآن. ومعنى مخيَّلان لكل خير: أي مِظنَّتان لكل خير.
(٢) اللَدود بفتح اللام: ما يسقاه المريض من الأدوية في أحد شِقَّي الفم ـ كما في النهاية.
(٣) مفيقاً: أي رجعت إليه الصحة.
(٤) من كنز العمال، وفي ابن عساكر: فوعده.

أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، أصبحت مُفيقاً بحمد الله، واليومُ يوم ابنة خارجة[١]، فأْذنْ لي، فأذن له، فذهب إلى السُّنْح[٢]. وركب أُسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه باللحوق إلى العسكر، فانتهى إلى معسكره، ونزل وأمر الناس بالرحيل وقد مَتَع النهار[٣].

﴿ وفاة الرسول ﷺ ودخول الصحابة المدينة ﴾

فبينا أُسامة يريد أن يركب من الجُرف أتاه رسول أُم أيمن رضي الله عنها ـ وهي أُمه ـ تخبره أنَّ رسول الله ﷺ يموت، فأقبل أُسامة إلى المدينة ومعه عمر وأبو عبيدة، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت، فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلةً خَلَت من ربيع الأول. ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرْف إلى المدينة، ودخل بُرَيدة ابن الحُصَيب رضي الله عنه بلواء أُسامة معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزه[٤] عنده. فلمَّا بُويع لأبي بكر أمر بُرَيدة أن يذهب باللواء إلى بيت أُسامة ولا يَحُلّه أبداً حتى يغزو بهم أُسامة. قال بريدة: فخرجت باللواء حتى انتهيت به إلى بيت أُسامة، ثم خرجت به إلى الشام معقوداً مع أُسامة، ثم رجعت به إلى بيت أُسامة، فما زال معقوداً في بيته حتى توفي.

﴿ إصرار أبي بكر رضي الله عنه على بَعْث أسامة امتثالاً لأمره عليه السلام ﴾

فلما بلغ العربَ وفاةُ رسول الله ﷺ وارتد من ارتد منها عن الإسلام؛ قال أبو بكر لأسامة: (أنفُذ في وجهك الذي وجَّهك فيه رسول الله ﷺ) وأخذ الناس بالخروج وعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بُرَيدة باللواء حتى انتهى إلى معسكرهم الأول. فشقَّ ذلك على كبار المهاجرين الأوَّلين، ودخل على أبي بكر عمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنّ العرب قد انتقضت عليك

(١) ابنة خارجة: إحدى زوجات أبي بكر.
(٢) من الكنز، بضم السين والنون، وقيل: بسكونها: موضع بعوالي المدينة، فيه منازل بني الحارث بن الخزرج، وفي ابن عساكر: السيح.
(٣) متع النهار: أي طال وامتد وتعالى. والمراد هنا: الأخير.
(٤) غرزه: ركزه.

من كل جانب، وإنَّك لاتصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً، اجعلهم عدّة[١] لأهل الردّة ترمي بهم في نحورهم، وأُخرى: لانأمن على أهل المدينة أن يُغار عليها وفيها الذراري والنساء، ولو تأخرت[٢] لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجِرَانه[٣]، ويعود أهل الرّدة إلى ما خرجوا منه أو يُفنيهم السيف، ثم تبعث أسامة حينئذ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا.

فلما استوعب أبو بكر كلامهم قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا، قد سمعتَ مقالتنا. فقال: **والذي نفسي بيده، لو ظننتُ أنَّ السِباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البَعْث، ولابد أن يؤوب منه[٤]، كيف ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفِذوا جيش أسامة!!** ولكن خصلة أكلّم بها أسامة، أكلّمه في عمر يقيم عندنا فإنّه لاغنى بنا عنه؛ والله ما أدري يفعل أسامة أم لا، والله إن أبى لا أكرهه. فعرف القوم أن أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أسامة.

ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته وكلّمه في أن يترك عمر، ففعل، وجعل يقول له: أذنتَ ونفسك طيبة؟ فقال أسامة: نعم. قال: فخرج، وأمر مناديه ينادي: عَزْمةٌ مني أن لايتخلّف عن أسامة مِنْ بَعْثه مَنْ كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ، فإنِّي لن أُوتي بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشياً. وأرسل إلى النَّفر من المهاجرين الذين كانوا تكلموا في إمارة أسامة، فغلَّظ عليهم وأخذهم بالخروج، فلم يتخلَّف إنسان واحد.

وخرج أبو بكر يُشيِّعُ أسامة والمسلمين، فلما ركب من الجُرف في أصحابه وهم ثلاثة آلاف رجل، وفيهم ألف فرس، فسار أبو بكر إلى جنب أسامة ساعة ثم قال: (أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إنَّ رسول

(١) عدّة: ما أعددته من مال وسلاح لحوادث الدهر.
(٢) وفيها نقل في الكنز: فلو استأنيت.
(٣) حتى يضرب الإسلام بجِرَانه: أي يقر قراره ويستقيم. والجِرَان عنق البعير، يقال ألقى البعير جِرانه إذا مدَّ عنقه على الأرض واستراح.
(٤) وفيها نقل في الكنز: ولا بدأت بأول منه. وهو الأصوب.

الله ﷺ أوصاك، فانفُذ لأمر رسول الله، فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه، إنما أنا مُنَفِّذ لأمْرٍ أمَر به رسول الله ﷺ). فخرج سريعاً فوطىء بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام مثل جُهَينة وغيرها من قُضاعة. فلما نزل وادي القُرى قدَّم عيناً[١] له من بني عُذْرة يدعى حُرَيثاً، فخرج على صدر راحلته أمامه فغزا[٢] حتى انتهى إلى أُبْنى، فنظر إلى ما هناك وارتاد الطريق، ثم رجع سريعاً حتى لقي أسامة على مسيرة ليلتين من أُبْنى، فأخبره أنَّ الناس غارُّون[٣] ولا جموع لهم، وأمره أن يسرع السير قبل أن تجتمع الجموع، وأن يشنّها غارة. كذا في مختصر ابن عساكر. وقد ذكره في كنز العمال (٣١٢/٥) عن ابن عساكر من طريق الواقدي عن أسامة رضي الله عنه. وأشار إليه الحافظ في فتح الباري (١٠٧/٨).

﴿استئذان أسامة للرجوع إلى المدينة وإنكار أبي بكر عليه وقصته مع عمر في هذا﴾

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن الحسن بن أبي الحسن[٤] قال: ضرب رسول الله ﷺ بَعْثاً قبل وفاته على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأمَّر عليهم أسامة بن زيد رضي الله عنه، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ﷺ. فوقف أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه؛ يأذن لي فليرجع الناس، فإنَّ معي وجوههم وحدَّهم[٥]، ولا آمن على خليفة رسول الله وَثَقَل[٦] رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن أبى إلاَّ أن نمضي فأبلغه عنَّا واطلب إليه أن يولِّي أمرنا رجلاً أقدم سِنّاً من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة، فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر: **لو اختطفتني**

---

(١) عيناً: جاسوساً.

(٢) وفي الكنز: منفذاً ـ بدل: فغزا.

(٣) غارّون: غافلون.

(٤) من الكنز وابن سعد، وفي ابن عساكر: الحسين بن أبي الحسين. والحسن بن أبي الحسن هو الحسن البصري.

(٥) حدَّهم: شوكتهم وقوتهم.

(٦) ثَقَل رسول الله: عائلته.

الكلاب والذئاب لم أردَّ قضاءً قضاه رسول الله ﷺ. قال: فإن الأنصار أمروني أن أبْلِغك أنهم يطلبون إليك أن تولِّي أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة، فوثب أبو بكر - وكان جالساً - فأخذ بِلَحْية عمرَ وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب! **استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزِعه؟!** فخرج عمر إلى الناس؛ فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله!!

﴿ مشايعة أبي بكر جيش أسامة ﴾

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشجعهم وشيّعهم، وهو ماش وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنهم. فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، لتركبنّ أو لأنزلنّ، فقال: **واللهِ لا تنزل، ووالله لا أركب؛ وما عليّ أن أغبّر قدميَّ ساعة في سبيل الله، فإنَّ للغازي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة تكتب له، وسبع مائة درجة ترفع له، وتُمحى عنه سبع مائة خطيئة حتى إذا انتهى**. قال له: إنْ رأيت أن تعينني بعمر ابن الخطاب فافعل، فأذن له. كذا في مختصر ابن عساكر (١/١١٧)، وكنز العمال (٥/٣١٤). وذكره في البداية (٦/٣٠٥) عن سَيْف عن الحسن مختصراً.

﴿ إنكار أبي بكر على المهاجرين والأنصار إذ كلموه في إمساك جيش أسامة ﴾

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن عروة قال: لما فرغوا من البَيْعة واطمأن الناس، قال أبو بكر لأسامة: (امضِ لوجهك الذي بعثك له رسول الله ﷺ). فكلَّمه رجال من المهاجرين والأنصار وقالوا: أمسك أسامة وبَعْثه، فإنّا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر - وكان أحزمَهم أمراً - : **أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم!! والذي نفسي بيده، لأن تميل عليّ العرب أحبُّ إليَّ من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ!!** امضِ يا أسامة في جيشك للوجه الذي أمرت به، ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل

مؤتة، فإنَّ الله سيكفي ما تركت، ولكن إنْ رأيتَ أن تأذن لعمر بن الخطاب فأستشيره وأستعين به، **فإنه ذو رأي ومناصح للإسلام**، فافعل، ففعل أُسامة. ورجع عامة العرب عن دينهم، وعامة أهل المشرق وغَطَفان وبنو أسد، وعامة أشْجَع، وتمسك طيِّء بالإسلام.

وقال عامة أصحاب النبي ﷺ: أمسك أُسامة وجيشه، ووجِّهْهم إلى من ارتد عن الإسلام من غَطَفان وسائر العرب. فأبى أبو بكر أن يحبس أسامة وجيشه، وقال: **إنكم قد علمتم أنه قد كان من عَهْد رسول الله ﷺ إليكم في المشورة، فيما لم يمضِ من نبيكم فيه سنة، ولم ينزل عليكم به كتاب**، وقد أشرتم وسأشير عليكم فانظروا أرشدَ ذلك فأتمروا به، فإن الله لن يجمعكم على ضلالة؛ والذي نفسي بيده، ما أرى من أمر أفضل في نفسي من جهاد مَنْ منع منّا عِقالاً[1] كان يأخذه رسول الله ﷺ، فانقاد المسلمون لرأي أبي بكر، ورأوا أنَّه أفضل من رأيهم. فبعث أبو بكر حينئذ أسامة بن زيد لوجهه الذي أمره به رسول الله ﷺ، فأصيب في الغزو مصيبة عظيمة[2]، وسلَّمه الله وغنَّمه هو وجيشه وردّهم صالحين. وخرج أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين والأنصار حين خرج أسامة، وهربت الأعراب بذراريهم. فلما بلغ المسلمين هربُ الأعراب بذراريهم، كلّموا أبا بكر وقالوا: ارجع إلى المدينة وإلى الذراري والنساء، وأمِّرْ رجلاً من أصحابك على الجيش واعهد إليه بأمرك، فلم يزل المسلمون بأبي بكر حتى رجع، وأمّر خالد بن الوليد رضي الله عنه على الجيش، فقال له: إذا أسلموا وأعطَوا الصدقة؛ فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع؛ ورجع أبو بكر إلى المدينة. كذا في مختصر ابن عساكر (١/١١٨). وذكره في الكنز (٥/٣١٤).

وقد ذكره في البداية (٦/٣٠٤) عن سيف بن عمر عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنهما، قال: لما بويع أبو بكر وجمع الأنصار في الأمر الذي

(١) العقال: الحبل الذي يُعقل به البعير.
(٢) لعلَّ الصحيح فأصاب ـ أي أبو بكر ـ في الغزو إصابة عظيمة، وإلا فلم يُصَبْ جيش أسامة في هذا الغزو بل أصيب الأعداء.

افترقوا فيه وقال: ليتمّ بعث أسامة، وقد ارتدّت العرب إمّا عامة وإمّا خاصة في كل قبيلة، ونجم[١] النفاق وأشرأبت[٢] اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيِّهم ﷺ وقلّتهم وكثرة عدوّهم. فقال له الناس: إن هؤلاء جلّ المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، وليس ينبغي لك أن تفرِّق عنك جماعة المسلمين. فقال: (والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننتُ أنَّ السباع تخطَفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته!!) قال ابن كثير: وقد رُوي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. ومن حديث القاسم وعَمْرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة[٣] واشرأبَّ النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات[٤] لهاضها[٥]، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم مِعزى مطيرة في حش[٦] في ليلة مطيرة بأرض مُسْبِعة[٧]، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخَطَلِها[٨] وعِنانها وفَصْلها. انتهى. وقد أخرجه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها ـ بنحوه. قال الهيثمي (٩/ ٥٠) رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها ثقات.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أنَّ أبا بكر رضي الله عنه استُخلف ما عُبد الله!! ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة. فقيل له: مَهْ يا أبا هريرة. فقال: إن رسول الله ﷺ وجَّه أسامة بن زيد في سبع مائة[٩] إلى الشام. فلمّا نزل بذي خُشُب قُبض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة. فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) نجم: أي ظهر.
(٢) اشرأب للشيء وإليه: مدَّ عنقه لينظره.
(٣) كذا في الأصل وفي البداية. والصحيح أن العرب لم ترتد قاطبة، وإنما ارتدت بعض القبائل وأفرادٌ من قبائل أخرى.
(٤) الراسيات: الثوابت الرواسخ.
(٥) لهاضها: لكسرها.
(٦) حش: بستان ومجتمع نخل.
(٧) أرض مسبعة: أرض تكثر فيها السباع.
(٨) بفتح الخاء والطاء: الكلام الفاسد.
(٩) وفي رواية ابن عساكر ثلاثة آلاف وهو الأشهر.

فقالوا: يا أبا بكر رُدّ هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟! فقال: **والذي لا إله غيره لو جرّت الكلابُ بأرجلِ أزواج رسول الله ﷺ ما رددْتُ جيشاً وجَّهه رسول الله، ولاحللتُ لواءً عقده رسول الله.** فوجَّه أسامة، فجعل لا يمرُّ بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أنَّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقَوا الروم، فلقَوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام. كذا في البداية (٦/٣٠٥). وأخرجه أيضاً الصابوني في المائتين كما في الكنز (٣/١٢٩)، وابن عساكر كما في المختصر (١/١٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ بنحوه. قال ابن كثير: عبَّاد بن كثير ـ أي في إسناده ـ هذا أظنه البرمكي لرواية الفِرْيابي عنه، وهو متقارب الحديث، فأما البَصْري الثَّقَفي فمتروك الحديث. انتهى. وقال في كنز العمال: وسنده ـ أي حديث أبي هريرة ـ حسن. انتهى.

﴿ قول أبي بكر عند وفاته لعمر رضي الله عنهما ﴾

وأخرج ابن جرير الطبري (٤/٤٣) من طريق سيف: أنَّ أبا بكر مرض بعد مخرج خالد إلى الشام مرضته التي مات فيها بأشهر. فقدم المثنَّى رضي الله عنه وقد أشْفى[١]، وعقد[٢] لعمر رضي الله عنه فأخبره الخبر. فقال: عليّ بعمر. فجاء فقال له: اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إنِّي لأرجو أن أموت من يومي هذا ـ وذلك يوم الإثنين ـ، فإن أنا متُّ فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المثنَّى، وإن تأخّرتُ إلى الليل فلا تصبحنّ حتى تندب الناس مع المثنَّى، ولا يشغلنَّكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، وقد رأيتني مُتَوفَّى رسول الله ﷺ وما صنعتُ ولم يُصَب الخلق بمثله، وبالله لو أنّي أنِي[٣] عن أمر الله وأمر رسوله لخَذَلنا ولعاقَبَنا، فاضطرمت المدينة ناراً[٤]. انتهى.

---

(١) أشفى: أي على الموت.
(٢) عقد لعمر: أي عهد له بالخلافة.
(٣) أني: أتأخر.
(٤) كناَية عن استبسال أهلها وإقبالهم على الجهاد.

اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة

﴿ مشاورة أبي بكر المهاجرين والأنصار في القتال وخطبته في هذا الشأن ﴾

أخرج الخطيب في رواة مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قُبض النبي ﷺ اشرأبَّ النفاق بالمدينة، وارتد العرب وارتدت العجم، وأبرقت وتواعدوا نهاوند[١]، وقالوا: قد مات هذا الرجل الذي كانت العرب تُنصر به. فجمع أبو بكر رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وقال: إنَّ هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم، وإنَّ هذه العجم قد تواعدوا نهاوند ليجمعوا لقتالكم، وزعموا أنَّ هذا الرجل الذي كنتم تُنصرون به قد مات، فأشيروا عليّ فما أنا إلا رجلٌ منكم، وإنِّي أثقلكم حِملاً لهذه البليّة فأطرقوا طويلاً، ثم تكلّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أرى - والله - ياخليفة رسول الله أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة، فإنَّهم حديثو عهد بجاهلية لم يُعدَّهم الإسلام، فإمَّا أن يردَّهم الله عنه إلى خير، وإما أن يعزّ الله الإسلام فنقوى على قتالهم، فما لبقية المهاجرين والأنصار يَدان للعرب والعجم قاطبة. فالتفت إلى عثمان رضي الله عنه فقال مثل ذلك، وقال علي رضي الله عنه مثل ذلك، وتابعهم المهاجرون. ثم التفت إلى الأنصار فتابعوهم. فلما رأى ذلك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإنَّ الله بعث محمداً ﷺ والحقُّ قُلٌّ شريد، والإسلام غريبٌ طريد، قد رَثَّ[٢] حبلُه، وقلّ أهلُه، فجمعهم الله بمحمد ﷺ، وجعلهم الأمة الباقية الوُسْطى، والله لا أبـرح أقوم بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى ينجز الله لنا ويفي لنا عهده[٣]، فيقتل من قُتل منَّا شهيداً في الجنة، ويبقى من بقي منا خليفة الله في أرضه ووارث عباده. قضى الله الحقَّ؛ فإن الله

---

(١) كذا في الأصل والصحيح أن العجم لم يرتدوا حيث لم يكن هناك عجم قد أسلموا ولا تواعدوا نهاوند لأن المسلمين ما كانوا قد غزوهم حتى ذلك التاريخ هذا «ونهاوند»: مدينة عظيمة في قبلة همذان، بينهما ثلاثة أيام.

(٢) رثّ: أي ضعف.

(٣) لعل الصحيح (حتى ينجز الله لنا وعده ويوفي لنا عهده) كما سيأتي في رواية أخرى ص ٤٣٤.

تعالى قال ـ وليس لقوله خُلْف ـ: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قَبْلهم﴾[١] والله لو منعوني عِقالاً ممّا كانوا يُعطون رسول الله ﷺ، ثم أقبل معهم الشجر والمَدَر والجنُّ والإِنس لجاهدتهم حتى تلحق روحي بالله!! إنَّ الله لم يفرِّق بين الصلاة والزكاة ثم جمعهما. فكبَّر عمر وقال: والله قد علمت ـ والله حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم ـ أنَّه الحق. كذا في كنز العمال (١٤٢/٣).

وأخرج ابن عساكر عن صالح بن كَيْسان قال: لما كانت الردّة قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً ﷺ شريد[٢]، والإِسلام غريب (طريد)[٣]، قد رثّ حبلُه، وخَلَق عهدُه، وضلّ أهله عنه، ومَقَتَ[٤] الله أهل الكتاب فلم يعطهم خيراً لخير عندهم[٥]، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، وقد غيّروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس فيه، والعرب الأميون صِفْر من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، أجهدُهم عيشاً، وأضلُّهم ديناً، في ظَلَف[٦] من الأرض، معه فئة الصحابة؛ فجمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم ونصرهم على غيرهم حتى قبض الله نبيه ﷺ. فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم وبغَى هُلْكهم، ﴿وما محمدٌ إلَّا رسولٌ قد خَلَتْ من قبلِه الرسلُ؛ أفإنْ مات أو قُتِل انْقَلَبْتُم على أعقابكم، ومن ينقلبْ على عَقِبَيْه فلن يضرّ الله شيئاً، وسيجزي اللّـهُ الشاكرين﴾[٧]، إنَّ مَنْ حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم؛ ـ وإن رجعوا إليه ـ أزهدَ منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما فقدتم من بركة نبيكم ﷺ. ولقد

(١) سورة النور آية: ٥٥.
(٢) كذا في الكنز، وفيها نُقل في البداية عن ابن عساكر: والعلم شريد.
(٣) من البداية.
(٤) مقتهم: أبغضهم أشد البغض.
(٥) أي أعطاهم الخير تفضُّلاً منه سبحانه ومن غير استحقاق منهم له.
(٦) الظلف: الغليظ الصلب من الأرض. (٧) سورة آل عمران آية: ١٤٤.

وَكَلَكُم[1] إلى الكافي الأول الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه، وكنتم على شَفَا حُفْرة من النار فأنقذكم منها، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجزَ الله وعده، ويوفيَ لنا عهده؛ ويُقتلَ من قُتل شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وارثَه في أرضه، قضى الله الحق؛ وقوله الذي ـ لا خُلْف فيه ـ: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض﴾، ثم نزل. قال ابن كثير: فيه انقطاع بين صالح بن كَيْسان والصدِّيق، لكنه يشهد لنفسه بالصِّحَّة لجزالة ألفاظه وكثرة ما له من الشواهد. كذا في الكنز (٣/١٤٢). وقد ذكره في البداية (٦/٣١١) عن ابن عساكر بنحوه.

﴿ إنكار أبي بكر رضي الله عنه على من توقف أو أراد الإمهال في القتال ﴾

وأخرج العدني عن عمر رضي الله عنه قال: لما اجتمع رأي المهاجرين ـ وأنا فيهم ـ حين ارتدت العرب، فقلنا: يا خليفة رسول الله، اترك الناس يُصلُّون ولا يُؤدّون الزكاة، فإنَّهم لو قد دخل الإيمان في قلوبهم لأقرّوا بها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: **والذي نفسي بيده لأن أقعَ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أترك شيئاً قاتل عليه رسول الله ﷺ إلاَّ أقاتل عليه**. فقاتل العرب حتى رجعوا إلى الإسلام، فقال عمر: **والذي نفسي بيده، لذلك اليوم خير من آل عمر**. كذا في الكنز (٣/١٤١).

وعند الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال: لما قُبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب، وقالوا: نصلِّي ولا نزكِّي. فأتيت أبا بكر رضي الله عنه، فقلت: يا خليفة رسول الله، تألَّفِ الناس وارفِق بهم، فإنَّهم بمنزلة الوحش. فقال: **رجوتُ نصرتك، وجئتني بخذلانك!! جباراً في الجاهلية، خواراً[2] في الإسلام؟ ماذا عسيت أن أتألّفهم؟! بشعر مفتعل[3]، أو بسحر مفترى؟! هيهات، هيهات!! مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدنَّهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالاً**. قال عمر رضي

(١) أي الرسول عليه السلام.
(٢) خواراً: ضعيفاً.
(٣) أي بشعر مبتدع، أغرب فيه قائله.

الله عنه: فوجدته في ذلك أمضَى مني وأعزم مني، وأدَّب الناس على أمور هان عليَّ كثير من مؤونتهم حين وُلِّيتُهم. كذا في الكنز (٣/ ٣٠٠).

وأخرج الدِينَوري في المجالسة، وأبو الحسن بن بِشْران في فوائده، والبيهقي في الدلائل، واللالكائي في السُّنَّة عن ضَبَّة بن المحصن العَنَزي[١] قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنت خير من أبي بكر؟ فبكى وقال: **والله، لليلةٌ من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر**[٢]: هل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أما ليلته: فلمّا خرج رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة، خرج ليلاً فتبعه أبو بكر - فذكر الحديث في الهجرة كما تقدم (ص **٣٣٩**)؛ قال: وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب فقال بعضهم: نصلِّي ولا نزكِّي، وقال بعضهم: لا نصلِّي ولا نزكِّي. فأتيته - ولا آلو نصحاً -، فقلت يا خليفة رسول الله تألَّفِ الناسَ - فذكره بنحوه كما في منتخب كنز العمال (٤/ ٣٤٨).

وعند الإمام أحمد والشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب قال عمر رضي الله عنه: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن

(١) في الأصل: الغنوي وهو خطأ.

(٢) هناك قصة جرت لضبَّة العنزي هذا مع عمر خلاصتها: أن ضبَّة كان بالبصرة وكان واليها من قِبَل عمر أبو موسى الأشعري، وكان أبو موسى يدعو لعمر في خطبه فيعترضه ضبَّة ويقول له: أين أنت عن صاحبه أبي بكر تفضِّله عليه؟ ثم إن أبا موسى شكا ضبَّة إلى عمر، فأرسل عمر وراء ضبّة، فحضر هذا إلى المدينة فسلَّم على عمر، فسأله من أنت؟ قال: أنا ضبَّة العنزي، فقال له عمر: لا مرحباً بك ولا أهلاً. قال ضبَّة: أما الرحب فمن الله عز وجل، وأما الأهل فلا أهل ولا مال. فبمَ استحللت يا عمر إشخاصي من مِصْري بلا ذنب أذنبته؟ قال: إن عاملي على البصرة يشكوك. فقصّ عليه ضبَّة قصته مع أبي موسى وقال له: أنت خيرٌ من أبي بكر؟ فاندفع عمر باكياً وهو يقول: «والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر» ثم قال لضبَّة: هل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟ قال ضبَّة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين. ثم ردَّه عمر إلى البصرة وعاتب فيه أبا موسى. عن الرياض النَّضِرة. هذا ولا يُفهم من هذه القصة أن أبا موسى كان يفضل عمر على أبي بكر، والذي جرى أن أبا موسى كان يدعو للخليفة عمر ولا يذكر أبا بكر لأنه توفي رضي الله عنه، فكان ضبَّة يشغب عليه، ولهذا شكاه إلى عمر.

أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»؟. قال أبو بكر رضي الله عنه: **والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه!!** قال عمر: فوالله ما هو إلاَّ أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنَّه الحق. وأخرجه أيضاً الأربعة إلا ابن ماجه، وابن حِبَّان، والبيهقي كما في الكنز (٣/٣٠١).

اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإرسال الجيوش في سبيل الله، وترغيبه على الجهاد، ومشاورته للصحابة في جهاد الروم

﴿ ترغيب أبي بكر على الجهاد في سبيل الله في خطبة له ﴾

أخرج ابن عساكر (١/١٣٣) عن القاسم بن محمد ـ فذكر الحديث، وفيه: وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً، فحمد الله وصلَّى على رسول الله ﷺ، وقال: إنَّ لكل أمر جوامعَ، فمن بلغها فهو حَسْبه، ومن عمل لله عزّ وجلّ كفاه الله. عليكم بالجدِّ والقصد، فإنَّ القصد أبلَغ. ألاَ إنّه لا دين لأحد لا إيمان له[١]، ولا أجر لمن لا حِسْبة له، ولا عمل لمن لا نيَّة له. ألاَ وإنَّ في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، لَمَا ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ[٢] به، هي النجاة[٣] التي دل الله عليها ونجَّى بها من الخِزْي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة. كذا في المختصر. وذكره في الكنز (٨/٢٠٧) مثله. وأخرجه ابن جرير الطبري (٤/٣٠) عن القاسم ابن محمد بمثله.

﴿ كتاب أبي بكر إلى خالد ومن معه من الصحابة للجهاد في سبيل الله ﴾

وأخرج البيهقي في سننه (٩/١٧٩) عن ابن إسحاق بن يَسار في قصة

(١) من الكنز والطبري، وفي ابن عساكر: معه.
(٢) من الطبري، وفي الكنز: أن يحضره؛ وفي ابن عساكر: أن يحض به.
(٣) وفي الطبري: التجارة.

خالد بن الوليد رضي الله عنه حين فرغ من اليمامة. قال: فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد ـ وهو باليمامة ـ:

«من عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان: سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأعزَّ وليَّه، وأذلَّ عدوَّه، وغلب الأحزاب فرداً. فإن الله الذي لا إله إلا هو قال: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكننَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم ﴾[1] ـ وكتب الآية كلَّها وقرأ الآية ـ وعداً منه لا خُلْف له، ومقالاً لا ريب فيه. وفرض الجهاد على المؤمنين، فقال: ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كُرْه لكم ﴾[2] ـ حتى فرغ من الآيات؛ فاستتِمُّوا بوعد الله إيَّاكم، وأطيعوه فيما فرض عليكم وإن عظمت فيه المؤونة، واستبدت الرزيّة[3]، وبعدت المشقة، وفُجعتم في ذلك بالأموال والأنفس، فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله. فاغزوا ـ رحمكم الله ـ في سبيل الله ﴿ خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾[4] ـ كتب الآية ـ ألا وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق؛ فلا يبرحها حتى يأتيه أمري، فسيروا معه ولا تتثاقلوا عنه؛ فإنه سبيل يعظِّم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته، وعظمت في الخير رغبته. فإذا وقعتم العراق[5] فكونوا بها حتى يأتيكم أمري. كفانا الله وإياكم مهمات الدنيا والآخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ـ انتهى.

﴿ مشاورة أبي بكر أكابر الصحابة في غزو الروم وخطبته في ذلك ﴾

أخرج ابن عساكر (١/١٢٦) عن الزُّهري عن عبدالله بن أبي أوفَى

(١) سورة النور: آية: ٥٥.
(٢) سورة البقرة: آية: ٢١٦.
(٣) الرزية: المصيبة العظيمة.
(٤) سورة التوبة: آية: ٤١.
(٥) لعل الصواب: فإذا وقعتم على العراق.

الخُزاعي رضي الله عنه أنه قال: لما أراد أبو بكر رضي الله عنه غزو الروم دعا عليّاً، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه ـ قال عبدالله بن أبي أوفى: وأنا فيهم ـ. فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ الله عزّ وجلّ لا تُحصى نعماؤه، ولا تبلغ جزاءَها الأعمالُ، فله الحمد؛ قد جمع الله كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفَى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تُشركوا به، ولا تتخذوا إلٰهاً غيره؛ فالعرب اليوم بنو أم وأب. وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيّد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر، لأنه من هلك منهم هلك شهيداً، وما عند الله خير للأبرار؛ ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين. وهذا رأيي الذي رأيته، فلْيُشِر امرؤ عليّ برأيه.

﴿ خطبة عمر ومتابعته في إمضاء رأي أبي بكر في الجهاد ﴾

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: الحمد لله الذي يخصّ بالخير من شاء من خلقه، **والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**. قد ـ والله ـ أردتُ لقاءك بهذا الرأي الذي رأيتَ فما قُضِي أن يكون حتى ذكرتَه، فقد أصبتَ ـ أصاب الله بك سبيل الرشاد ـ سرِّبْ[١] إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود؛ فإنَّ الله ناصرٌ دينَه ومعزٌّ الإسلامَ وأهله.

﴿ رأي عبد الرحمن بن عوف في نوعية الجهاد بالنظر إلى نوعية الروم ﴾

ثم إنَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال: يا خليفة رسول الله، إنَّها الروم وبنو الأصفر!! حدٌّ حديد[٢] وركن شديد، ما أرى أن نقتحم

(١) سرب: أي أرسل قطعة قطعة.
(٢) المعنى: هم قوة قوية.

عليهم اقتحاماً، ولكن نبعث الخيل فتُغير في قواصي[١] أرضهم ثم ترجع إليك، وإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضرُّوا بهم، وغنموا من أداني أرضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم؛ ثم تبعث إلى أراضي اليمن وأقاصي ربيعة ومضر، ثم تجمعهم جميعاً إليك. ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم، ثم سكت وسكت الناس.

﴿ رأي عثمان في إمضاء ما رآه أبو بكر وموافقة بقية الصحابة رأي عثمان ﴾

ثم قال لهم أبو بكر: ما ترون؟ فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلاحاً، فاعزم على إمضائه فإنك غيرُ ظَنين[٢]. فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زَيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم: صَدَقَ عثمان، ما رأيتَ من رأي فأمْضِه، فإنَّا لا نخالفك ولا نتهمك، وذكروا هذا وأشباهه؛ وعليّ رضي الله عنه في القوم لم يتكلَّم.

﴿ تبشير علي أبا بكر وسروره بما قال علي وخطبته في استنفار الصحابة ﴾

فقال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرتَ إليهم بنفسك أو بعثتَ إليهم نُصرت عليهم إن شاء الله. فقال: بشّرك الله بخير! ومن أين علمت ذلك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهراً[٣] على كل من ناوأه[٤] حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون». فقال: سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث! لقد سررتني به سرَّك الله. ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله، وصلَّى على نبيِّه ﷺ، ثم قال: أيها الناس، إنَّ الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم

---

(١) قواصي: جمع قاصية، أي البعيدة.

(٢) غير ظنين: أي متهم؛ وفي الكنز: غير ضنين.

(٣) ظاهراً: غالباً.

(٤) ناوأه: خالفه وعانده.

بالجهاد، وفضَّلكم بهذا الدين على كل دين[١]، فتجهّزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مُؤمِّر عليكم أمراء، وعاقد لكم[٢] ألوية، فأطيعوا ربَّكم ولا تخالفوا أمراءكم لِتَحْسُنْ نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم، فإنَّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون.

﴿ما جرى بين عمر وعمرو بن سعيد وخطبة خالد أخيه في تأييد أبي بكر﴾

قال: فسكت القوم، فوالله ما أجابوا. فقال عمر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله، وقد دعاكم لما يحييكم؟ أمَا إنه لو كان عَرَضاً قريباً أو سفراً قاصداً لابتدرتموه. فقام عمرو بن سعيد رضي الله عنه فقال: يا ابن الخطاب، ألنا تضرب الأمثال أمثال المنافقين؟! فما منعك مما عبت[٣] علينا فيه أن تبدأ به[٤]؟! فقال عمر رضي الله عنه: إنَّه يعلم أني أجيبه لو يدعوني، وأغزو لو يُغزيني. فقال عمرو بن سعيد رضي الله عنه: ولكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا، إنما نغزو لله. فقال عمر: وفقك الله، فقد أحسنت!! فقال أبو بكر لعمرو: اجلس - رحمك الله - فإن عمر لم يُرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه[٥]، إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهاد.

فقام خالد بن سعيد رضي الله عنه فقال: صدق خليفة رسول الله، اجلس أيْ أخي، فجلس. وقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلا هو، الذي بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كلّه ولو كره المشركون، فالحمد لله[٦] منجزِ وعدِه، ومظهرِ وعدِه، ومهلِك عدوِّه، ونحن غير مخالفين

(١) لعل الصواب: وفضلكم بهذا الدين على (أهل) كل دين.
(٢) وفي الكنز: عاقد لهم.
(٣) وفي الكنز: إذ عبت.
(٤) وفي الكنز: أن تبتدي به.
(٥) تأنيبه: تعنيفه وتوبيخه.
(٦) وفي الكنز: فالله.

ولا مختلفين، وأنت الوالي الناصح الشفيق، ننفر إذا استنفرتنا، ونطيعك إذا أمرتنا. ففرح بمقالته أبو بكر رضي الله عنه وقال له: جزاك الله خيراً من أخ وخليل؛ فقد كنت أسلمت مرتغِباً(١)، وهاجرت محتسباً، قد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما ترضي الله(٢) ورسوله وتعلو كلمته، وأنت أمير الناس، فسِرْ يرحمك الله. ثم إنه نزل.

ورجع خالد بن سعيد رضي الله عنه فتجهّز. وأمر أبو بكر بلالاً فأذَّن في الناس أنِ انفِرُوا أيُّها الناس إلى جهاد الروم بالشام، والناس يَرَوْن أن أميرهم خالد بن سعيد، وكان الناس لا يشكُّون أن خالد بن سعيد أميرهم؛ وكان قد عسكر قبل كل أحد، ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة، وعشرين، وثلاثين، وأربعين، وخمسين، ومائة كل يوم حتى اجتمع أناس كثيرون. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم، فرأى عدّة حسنة لم يرضَ عدّتها للروم؛ فقال لأصحابه: ما ترون في هؤلاء إن أرسلتهم إلى الشام في هذه العِدّة؟ فقال عمر رضي الله عنه: ما أرضى هذه العِدة لجموع(٣) بني الأصفر. فقال لأصحابه: ماذا ترون أنتم؟ فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر، فقال: ألا أكتب كتاباً إلى أهل اليمن ندعوهم به إلى الجهاد ونرغِّبهم في ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه فقالوا: نِعْمَ ما رأيت، افعل. فكتب:

﴿ كتاب أبي بكر رضي الله عنه إلى أهل اليمن للجهاد في سبيل الله ﴾

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خليفة رسول الله إلى من قُرِىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن. سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنَّ الله

(١) وفي الكنز: مرتعباً؛ فالمرتغب بمعنى الراغب، والمرتعب بمعنى الخائف.
(٢) لكيما يطاع الله.
(٣) من الكنز، وفي ابن عساكر: بجموع.

تعالى كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم. وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك وقد حسنت بذلك نيَّتهم، وعظمت حسبتهم؛ فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسنْ نيتكم فيه؛ فإنكم إلى إحدى الحُسْنَيَيْن: إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة، فإن الله تبارك وتعالى لم يرضَ لعباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق، ويقرُّوا لحكم الكتاب. حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكّى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين»[١].

وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه. كذا في المختصر (٢/١٢٦)؛ والكنز (٣/١٤٣).

﴿ خطبة أبي بكر عند مسيرهم إلى الشام ﴾

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن جبير أن أبا بكر لمَّا وجّه (الجيش)[٢] قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم أمرهم بالمسير إلى الشام وبشّرهم بفتح الله إياها حتى يبنوا فيها المساجد، فلا يعلم أنكم إنما تأتونها تلّهياً[٣]، فالشام شبيعة يكثر لكم فيها من الطعام؛ فإياي والأشر[٤]. أما وربِّ الكعبة لتأشرُنّ ولتبطرُنّ، وإني موصيكم بعشر كلمات فاحفظوهن: لا تقتُلنَّ شيخاً فانياً ـ فذكر الحديث[٥]؛ كما في الكنز **٣/١٤٣**).

---

(١) استجاب أهل اليمن لنداء أبي بكر رضي الله عنه، وكانت أكثر الجيوش التي غزت بلاد الشام منهم.

(٢) في الأصل: (الحبشة) وهو خطأ.

(٣) تلهياً: تلعباً.

(٤) الأشر: الفرح والبطر.

(٥) انظر صفحة ٢١٣.

تحريض عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجهاد والنَّفر في سبيل الله ومشاورته للصحابة فيما وقع له

﴿ تحريض عمر على الجهاد وتأميره من انتدب أولاً ﴾

أخرج ابن جرير الطبري (٤/٦١) عن القاسم بن محمد قال: وتكلم المثنَّى بن حارثة فقال: يا أيها الناس، لا يعظمنَّ عليكم هذا الوجه[١]، فإنَّا قد تبحبحنا[٢] رِيف[٣] فارس وغلبناهم على خير شِقَّي السواد، وشاطرناهم، ونلنا منهم، واجترأ مَنْ قِبَلَنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها. وقام عمر رضي الله عنه في الناس فقال: إنَّ الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة[٤]، ولا يقوَى عليه أهلُه إلا بذلك، أين الطُّراء[٥] المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثَكُموها، فإنه قال: «ليظهره على الدين كلّه»[٦] والله مظهرُ دينِه، ومعزّ ناصرِه، ومُولي أهلِه مواريث الأمم، أين عبادُ الله الصالحون؟.

فكان أول منتدب أبو عُبيد بنُ مسعود، ثم ثنّى سعد بن عبيد - أو سَلِيط بن قيس - رضي الله عنهم. فلما اجتمع ذلك البَعْث قيل لعمر: أمِّرْ عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. قال: لا والله لا أفعل، إن الله إنَّما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدوّ، فإذا جبنتم وكرهتم اللِّقاء فأولى بالرياسة منكم مَنْ سبق إلى الدَّفْع وأجاب إلى الدعاء. والله لا أؤمر عليهم إلا أوّلهم انتداباً؛ ثم دعا أبا عُبيد وسَلِيطا وسعداً، فقال: أما إنكما لو سبقتماه لولّيتكما ولأدركتما بها إلى ما لَكما من القِدْمة؛ فأمَّر أبا عُبيدٍ على الجيش

---

(١) «كان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم، لشدّة سلطانهم وشوكتهم، وعزهم وقهرهم الأمم» عن الطبري، وكان عمر قد دعا الناس ثلاثة أيام فما استجاب أحد، وفي اليوم الرابع استجابوا.

(٢) تبحبحنا: تمكنا.

(٣) ريف فارس: أرض فيها زرع وخصب.

(٤) النجعة: طلب الكلأ في مواضعه.

(٥) الطرَّاء: جمع طارىء؛ أي وارد فجأة.

(٦) الفتح آية: ٢٨.

وقال لأبي عُبيد: اسمع من أصحاب النبي ﷺ، وأشرِكهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين؛ فإنَّها الحرب، **والحرب لا يُصلحها إلا الرجل المكِيث[١] الذي يعرف الفرصة والكفَّ[٢]**.

وأخرجه الطبري أيضاً (٤/٦١) من طريق الشَّعْبي، وفي حديثه: فقيل لعمر رضي الله عنه: أمِّر عليهم رجلاً له صحبة. فقال عمر: إنما فَضلَ الصحابة بسرعتهم إلى العدوّ وكفايتهم مَن أبَى؛ فإذا فعل فِعْلهم قومٌ واثّاقلوا كان الذين ينفِرون خفافاً وثقالاً أولى بها منهم، والله لا أبعث عليهم إلا أولَهم انتداباً، فأمّر أبا عُبَيد، وأوصاه بجنده. انتهى.

﴿ مشاورة عمر الصحابة في الخروج إلى فارس ﴾

أخرج الطبري أيضاً (٤/٨٣) عن عمر بن عبد العزيز قال: لما انتهى قتل أبي عُبيد بن مسعود إلى عمر واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى، نادى في المهاجرين والأنصار، وخرج حتى أتى صِرَاراً[٣]. وقدَّم طلحة بن عبيدالله حتى يأتي الأعوَص، وسمَّى لميمنته عبد الرحمن بن عوف ولميسرته الزبير بن العوام رضي الله عنهم، واستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة، واستشار الناس، فكلّهم أشار عليه بالسَّير إلى فارس، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بِصرَار ورجع طلحة، فاستشار ذوي الرأي فكان طلحة ممَّن تابع الناس، وكان عبد الرحمن بن عوف ممن نهاه. فقال عبد الرحمن: فما فَدَيْتُ أحداً بأبي وأمي بعد النبي ﷺ قبل يومئذ ولا بعده. فقلت: يا بأبي وأُمي، اجعل عَجْزها بي[٤]، وأقِم وابعثْ جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبلُ وبعدُ، فإنه إن يُهزم جيشك ليس كهزيمتك، وإنك إن تُقتل أو تُهزم في أُنْف الأمر[٥]، خشيتُ أن لا يكبِّر المسلمون وأن لا

(١) المكيث: الرزين المتأنّي.
(٢) الفرصة: فرصة القتال، والكف: الامتناع عن القتال، أي يعرف كيف يقدم ويحجم.
(٣) صرار: بئر قرب المدينة.
(٤) أي إن قال الناس: عجز أمير المؤمنين، فقل لهم: هذا رأي عبد الرحمن.
(٥) أنف الأمر: أوله.

يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً، وهو في ارتيادٍ[١] مِنْ رجل؛ وأتى كتاب سعد على حَفَف[٢] مشورتهم وهو[٣] على بعض صدقات نجد. فقال عمر: فأشيروا عليّ برجل. فقال عبد الرحمن: وجدتَه. قال: من هو؟. قال: **الأسدُ في براثنه؛ سعد بن مالك**[٤]، ومالأه أولو الرأي[٥]. انتهى.

ترغيب عثمان بن عفان رضي الله عنه على الجهاد

أخرج الإمام أحمد (١/٦٥) عن أبي صالح مولى عثمانَ بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنِّي كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهةَ تفرُّقِكم عنِّي، ثم بدا لي أن أحدثَكُموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل**».

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (١/٦١) عن مُصعب بن ثابت بن عبدالله ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ وهو يخطب على منبره ـ: إنِّي محدِّثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، ما كان يمنعني أن أحدثكم إلا الضنّ عليكم[٦]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حرسُ ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها**».

ترغيب علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الجهاد

أخرج الطبراني (٤/٩) عن زيد بن وَهْب: أن علياً رضي الله عنه قام في الناس فقال: الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض، وما أبرَم لا ينقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من

(١) ارتياد: طلب. (ولعل الوجه الصحيح للعبارة: وبينما هو في ارتياد رجل أتى كتاب سعد).
(٢) على حفف مشورتهم: أي حين مشورتهم.
(٣) أي سعد، وكان عمر قد ولاه على جبايتها.
(٤) مالك: هو المشهور بأبي وقّاص.
(٥) مالأه: وافقه.
(٦) الأصح: إلا الضن بكم أي حرصي على قربكم مني.

أمره، ولا جَحَد المفضول ذا الفضل فضله. وقد ساقتنا وهؤلاء القومَ الأقدار فلفَّت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجَّل النِقْمة وكان منه التغيير حتى يكذِّب الله الظالمَ، ويعلم الحق أين مصيره؛ ولكنّه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار؛ ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾[١]، ألا إنكم لاقو[٢] القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلُوا الله عزّ وجلّ النصر والصبر، والقَوهم بالجدّ والحزم وكونوا صادقين. ثم انصرف. انتهى.

﴿ تحريض علي رضي الله عنه يوم صفِّين ﴾

وأخرج أيضاً (٤/١١) عن أبي عَمْرة الأنصاري وغيره: أن علياً رضي الله عنه حرّض الناس يوم صِفِّين، فقال: إنَّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم، تُشفي بكم على الخير: الإيمانِ بالله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، والجهادِ في سبيل الله تعالى ذكرُه، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكنَ طيبةً في جنّات عدن؛ ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنَّهم بنيان مرصوص، فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدّموا الدارع[٣] وأخرّوا الحاسر[٤]، وعضّوا على الأضراس - فذكر الخطبة بطولها.

﴿ تحريض علي رضي الله عنه على قتال الخوارج ﴾

وأخرج أيضاً (٤/٥٧) عن أبي الوَدّاك الهَمْداني: أنّ علياً رضي الله عنه لما نزل بالنُّخَيلة وأيِسَ من الخوارج قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإنه من ترك الجهاد في الله وأدْهَن في أمره كان على شفا[٥] هُلْكِهِ؛ إلاَّ أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله، وقاتلوا من حادّ الله، وحاول أن

(١) سورة النجم آية: ٣١.
(٢) لاقو: أي ملاقو.
(٣) الدارع: من عليه الدرع.
(٤) الحاسر: من كان بلا درع أو بلا عمامة.
(٥) الشفا: حرف كل شيء وحدّه.

يطفىء نور الله الخاطئين الضالّين القاسطين[١] المجرمين، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن، ولا فقهاءَ في الدين، ولا علماءَ في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، والله لو وُلُّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كِسْرى وهِرَقْل. تيسَّروا وتهيَّؤوا للمسير إلى عدوِّكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدَموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شَخَصْنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انتهى.

﴿ خطبة علي على تثاقلهم في النَّفْر ﴾

وأخرج أيضاً (٦٧/٤) من طريق أبي مِخْنَف عن زيد بن وَهْب، أن عليّاً رضي الله عنه قال للناس ـ وهو أول كلام قال لهم بعد النهر ـ: أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القُربة إلى الله، ودَرْك الوسيلة عنده، حيارى[٢] في الحق، جُفاة[٣] عن الكتاب، نُكْبُ[٤] عن الدين، يعمهون[٥] في الطغيان، ويُعكَسون[٦] في غمرة الضلال، فأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكَّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله نصيراً.

قال: فلاهم نفروا ولا تيسَّروا، فتركهم أياماً حتى إذا أيسَ من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي يُنْظرهم[٧]؛ فمنهم المعتلّ، ومنهم المُكرَه، وأقلهم من نَشِط، فقام فيهم خطيباً فقال:

عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفِروا اثّاقلتم إلى الأرض؟! أرضيتم

---

(١) القاسطين: الظالمين.
(٢) حيارى: جمع حيران.
(٣) جفاة: جمع جاف.
(٤) نكب: جمع ناكب، أي المنحرفين عن الدين.
(٥) يعمهون: يتحيرون.
(٦) العكس: رَدُّك آخر الشيء إلى أوله.
(٧) ينظرهم: يؤخرهم.

بالحياة الدنيا من الآخرة؟! وبالذل والهوان من العزّ؟! أوَ كلما ندبتكم[١] إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سَكْرة، وكأن قلوبكم مألوسة[٢]، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كُمْه[٣] فأنتم لا تبصرون، لله أنتم!! ما أنتم إلا أسودُ الشرى[٤] في الدَّعَة[٥]، وثعالبُ روَّاغة حين تُدْعَون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة سجيسَ الليالي[٦]، ما أنتم بركب يُصال بكم ولا ذي عِزٍّ يعتصم إليه، لعمر الله لبئس حُشاش الحرب أنتم[٧]، إنكم تُكادون ولا تَكِيدون، ويُتنقَّص أطرافكم ولا تتحاشَوْن، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إنَّ أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذلٍ مَنْ وادَع[٨]، وغُلب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب.

ثم قال: أما بعد: فإنَّ لي عليكم حقاً وإنّ لكم عليَّ حقاً؛ فأما حقُّكم عليَّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فَيْئكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلَّموا. وأما حقِّي عليكم فالوفاء بالبَيْعة، والنصح لي في الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإنْ يُرِدِ الله بكم خيراً انتزِعُوا عما أكرَه وتَراجَعوا إلى ما أحب؛ تنالوا ما تَطلُبون وتُدرِكوا ما تأمُلون. انتهى.

﴿ نداء حَوْشَب الحميري علياً يوم صفِّين وجواب علي له ﴾

وأخرج ابن عبد البرِّ في الاستيعاب (١/٣١٥) عن عبد الواحد الدمشقي قال: نادى حوشب الحِمْيري علياً رضي الله عنه يوم صفِّين، فقال: انصرف عنا يا ابن أبي طالب، فإنَّا ننشدك الله في دمائنا ودمك، ونخلّي

(١) ندبتكم: دعوتكم.
(٢) المألوس: هو الذي اختلط عقله.
(٣) كمه: جمع أكمه وهو الذي اعترته ظلمة تطمس على بصره.
(٤) الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل.
(٥) الدّعة: الراحة.
(٦) يقال لا آتيك سجيس الليالي، أي أبداً.
(٧) حشاش الحرب: من حشَّ النار، إذا أشعلها.
(٨) وادع: سالم وصالح وتارك العداوة.

بينك وبين عِراقك، وتخلّي بيننا وبين شامنا؛ وتحقن دماء المسلمين. قال علي رضي الله عنه: هيهات يا ابن أم ظُلَيم واللهِ لو علمتُ أنَّ المداهنة تسعني في دين الله لفعلت، وكان أهون عليّ في المؤونة[1]، **ولكن الله لم يرضَ من أهل القرآن بالسكوت والإدْهان، إذا كان الله يُعصَى وهم يُطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمر الله**. انتهى.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/٨٥ مثله.

ترغيب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الجهاد

﴿ خطبة سعد يوم القادسية ﴾

أخرج ابن جرير الطبري (٤/٤٤) من طريق سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: خطب سعد ـ أي يوم القادسية ـ فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن الله هو الحق لاشريك له في الملك وليس لقوله خُلْف؛ قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ ولقد كتبنا في الزَّبورِ مِنْ بَعدِ الذِّكرِ أنَّ الأرضَ يَرِثُها عباديَ الصالحون ﴾[2] إنَّ هذا ميراثُكم وموعودُ ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حِجَج، فأنتم تطعَمون منها وتأكلون منها، وتقتلون أهلها وتَجْبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم[3]، وقد جاءكم منهم هذا الجمع[4]، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعزّ مَنْ وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقـرِّبُ ذلك[5] أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتَهنوا وتضعفوا تذهبْ ريحكم وتوبقوا آخرتكم[6].

﴿ خطبة عاصم بن عمرو يوم القادسية ﴾

وقام عاصم بن عمرو رضي الله عنه فقال: إن هذه بلاد قد أحلَّ الله

(١) المؤونة: الكلفة.
(٢) سورة الأنبياء: آية: ١٠٥.
(٣) المراد الأيام التي سبقت وقعة القادسية والتي فُتح فيها قسم كبير من سواد العراق على يد خالد ابن الوليد.
(٤) جمعُ جَمَعَهُ يزدجرد ملك الفرس وبلغ مائتي ألف.
(٥) أي القتال.
(٦) توبقوا: تهلكوا.

لكم أهلها، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم، وأنتم الأعلَون، والله معكم إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن، فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم، وإن خرتم[١] وفشِلتم[٢] ـ والله لكم من ذلك جار وحافظ ـ لم يبقِ هذا الجمع منكم باقية؛ مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك؛ اللّهَ اللّهَ، اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها، أوَ لا ترون أنّ الأرض وراءكم بسابسُ[٣] قفار[٤] ليس فيها خَمْر[٥] ولا وَزَر[٦] يُعقل إليه ولا يُمتنع به؟ اجعلوا همَّكم الآخرة. انتهى.

رغبة الصحابة رضي الله عنهم وشوقهم إلى الجهاد والنفر في سبيل الله

﴿ رغبة أبي أمامة في الجهاد ﴾

أخرج أبو نُعيم في الحِلية (٩/٣٧) عن أبي أمامة[٧] رضي الله عنه قال: (لما)[٨] همّ رسول الله ﷺ بالخروج إلى بدر. أجمع الخروج معه، فقال له (خاله) أبو بردة بن نيار[٩]: أقم على أمك. قال: بل أنت فأقم على أختك. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأمر أبا أمامة بالمُقام (على أمه). وخرج أبو بردة؛ فرجع رسول الله ﷺ وقد توفيت فصلَّى عليها[١٠].

﴿ رغبة عمر في السير في سبيل الله وقوله: إن الجهاد أفضل من الحج ﴾

وأخرج الإمام أحمد في الزهد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة

(١) خرتم: ضعفتم وفترتم.
(٢) فشلتم: جبنتم.
(٣) بسابس: جمع بسبس، أي البر المقفر الواسع.
(٤) قفار: جمع قفر، أي الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ.
(٥) خمر: ما واراك من شجر أو غيره.
(٦) وزر: ملجأ.
(٧) هو إياس بن ثعلبة ابن أخت أبي بردة بن نيار وليس أبا أمامة الباهلي.
(٨) من الإصابة والاستيعاب وكذلك الكلمات الأخرى المحصورة بين قوسين في هذا النص وبعض التصحيحات.
(٩) في الأصل: ابن دينار. وهو خطأ.
(١٠) أي النبي ﷺ.

وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: لولا ثلاثٌ لأحببت أن أكون لحقت بالله: لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جبهتي لله في التراب ساجداً، وأجالس قوماً يلتقطون طيِّب الكلام كما يلتقط طيب التمر. كذا في الكنز.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال: عليكم بالحج، فإنه عمل صالح أمر الله به، والجهاد أفضل منه. كذا في الكنز (٢/٢٨٨).

﴿ رغبة ابن عمر رضي الله عنهما في الجهاد ﴾

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عُرضت على رسول الله ﷺ يوم بدر فاستصغرني فلم يقبلني، فما أتت عليَّ ليلة قط مثلُها من السهر والحزن والبكاء إذ لم يقبلني رسول الله ﷺ، فلما كان من العام المقبل عُرضت عليه فقبلني، فحمدت الله على ذلك. قال رجل: يا أبا عبد الرحمن، تولّيتم يوم التقى الجمعان[١]. قال: نعم، فعفا الله عنا جميعاً، فله الحمد كثيراً. كذا في منتخب الكنز (٥/٢٣١).

﴿ قصة عمر مع رجل أراد الجهاد ﴾

وأخرج هنَّاد عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، احملني فإني أريد الجهاد. فقال عمر رضي الله عنه لرجل: خذ بيده، فأدخله بيت المال يأخذ ما شاء. فدخل فإذا بيضاء وصفراء، فقال: ما هذا؟ ما لي في هذا حاجة، إنما أردت زاداً وراحلة. فردُّوه إلى عمر فأخبروه بما قال، فأمر له بزادٍ وراحلة، وجعل عمر يُرَحِّل له بيده[٢]، فلما ركب رفع يده فحمد الله وأثنى عليه بما صنع به وأعطاه، وعمر يمشي خلفه يتمنى أن يدعو له. فلما فرغ قال: اللهمّ، وعمر فاجْزِه خيراً. كذا في الكنز (٢/٢٨٨).

﴿ قول عمر في فضيلة من يخرج ويحرس في سبيل الله ﴾

وأخرج ابن عساكر عن أرطاة بن منذر أن عمر رضي الله عنه قال

(١) أي يوم أحد.

(٢) يُرحِّل له: يضع الرَّحْل على الدابة.

لجلسائه: أي الناس أعظم أجراً؟ فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة، ويقولون: فلان وفلان بعد أمير المؤمنين. فقال: ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممّن ذكرتم ومن أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: رُويجل بالشام آخذ بلجام فرسه يكلأ مِنْ وراء بيضة المسلمين[١]، لايدري أسبع يفترسه، أم هامَّة[٢] تلدغه، أو عدوّ يغشاه؟ فذلك أعظم أجراً ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين. كذا في كنز العمال (٢/٢٨٩).

﴿ قصة عمر ومعاذ في الخروج مع أبي بكر ﴾

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب يقول: خرج معاذ إلى الشام لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى عليّ وقال: رجل أراد وجهاً يريد الشهادة فلا أحبسه. فقلت: والله إنَّ الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم الغنى عن مِصره. قال كعب بن مالك: وكان معاذ بن جبل يفتي الناس بالمدينة في حياة النبي ﷺ وأبي بكر. كذا في الكنز (٧/٨٧).

﴿ ترجيح عمر للمهاجرين الأولين على رؤساء القوم في المجلس ﴾

وأخرج ابن عساكر عن نوفل بن عمارة قال: جاء الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده وهو بينهما، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر فيقول: ها هنا يا سهيل، ها هنا يا حارث، فينحيهما عنهم[٣]. فجعل الأنصار يأتون عمر فينحيهما عنهم كذلك حتى صارا في آخر الناس. فلما خرجا من عند عمر قال الحارث بن هشام لسهيل ابن عمرو: ألم ترَ ما صنع بنا؟ فقال له سهيل: أيها الرجل لا لوم عليه، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا، دُعِيَ القوم فأسرعوا ودُعينا فأبطأنا[٤]. فلما قاموا من

(١) بيضة المسلمين: مركز الإسلام والمراد المدينة المنورة.
(٢) هامة: بتشديد الميم ما كان له سُمٌّ كالحية.
(٣) أي يصرفهما عن موضعهما.
(٤) أي إلى الدخول في الإسلام.

عند عمر أتياه فقالا له: يا أمير المؤمنين قد رأينا ما فعلتَ اليوم وعلمنا أنا أُتينا من (قِبَلِ)[١] أنفسنا، فهل (من) شيء نستدرك به (ما فاتنا من الفضل)؟ فقال لهما: لا أعلمه إلا هذا الوجه، وأشار لهما إلى ثغر[٢] الروم. فخرجا إلى الشام فماتا بها. كذا في كنز العمال (١٣٦/٧). وأخرجه أيضاً الزبير عن عمه مصعب عن نوفل بن عمارة بنحوه؛ كما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١١١/٢).

﴿ قول سهيل بن عمرو للرؤساء الذين قدَّم عمر المهاجرين عليهم ﴾

وأخرجه الحاكم (٢٨٢/٣) من طريق ابن المبارك عن جرير بن حازم عن الحسن[٣] يقول: حضر أناس باب عمر وفيهم: سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والشيوخ من قريش رضي الله عنهم. فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر كصهيب وبلال وعمار رضي الله عنهم ـ وقال: وكان والله بدرياً، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم ـ فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط! إنه يأذن لهذه العبيد ونحن جلوس لايلتفت إلينا. فقال سهيل بن عمرو ـ ويا له من رجل ما كان أعقله[٤]! ـ أيها القوم، إني ـ والله ـ قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعِيَ القوم ودُعيتم؛ فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لَمَا سبقوكم به من الفضل فيما يرون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تَنافَسون عليه، ثم قال: إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ولاسبيل لكم ـ والله ـ إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه، عسى الله عزّ وجلّ أن يرزقكم الجهاد والشهادة، ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام. قال الحسن: **صدق والله، لايجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه**. وهكذا ذكره في الاستيعاب (١١٠/٢) وأخرجه الطبراني أيضاً عن الحسن بمعناه ـ مطولاً. قال الهيثمي (٤٦/٨) رجاله رجال

---

(١) من الاستيعاب وكذلك الزيادات الأخرى المحصورة في هذا الأثَر.

(٢) الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار.

(٣) هو الحسن البصري رحمه الله.

(٤) هذه الجملة المعترضة من كلام الحسن البصري.

الصحيح، إلا أن الحسن لم يسمع من عمر. انتهى.

وأخرجه البخاري في تاريخه، والباوَرْدي من طريق حُميد عن الحسن بمعناه مختصراً، كما في الإصابة (٢/ ٩٤).

﴿ خروج سهيل ومقامه في سبيل الله حتى الموت ﴾

وأخرج ابن سعد (٥/ ٣٣٥) عن أبي سعد بن فُضالة ـ وكانت له صحبة ـ قال: اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو إلى الشام فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مُقام أحدكم في سبيل الله ساعة من عمره خير من عمله عمره في أهله». قال سهيل: فإنما أرابط حتى أموت، ولا أرجع إلى مكة. قال: فلم يزل مقيماً بالشام حتى مات في طاعون عَمَواس[١]. كذا في الإصابة (٢/ ٩٤). وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٨٢) عن أبي سعيد رضي الله عنه. مثله.

﴿ خروج الحارث بن هشام إلى الجهاد مع جزع أهل مكة عليه ﴾

وأخرج ابن المبارك عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: خرج الحارث بن هشام رضي الله عنه من مكة فجزع أهل مكة جزعاً شديداً، فلم يبق أحد يطعَم إلا خرج معهُ يشيِّعه، حتى إذا كان بأعلى البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك، وقف ووقف الناس حوله يبكون. فلما رأى جزع الناس قال: يا أيها الناس، إني ـ والله ـ ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيار بلد عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر[٢]، فخرجت فيه رجال من قريش ـ والله ـ ما كانوا من ذوي أسنانها ولا في بيوتاتها، **فأصبحنا ـ والله ـ ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله؛ ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة**، فاتَّقى الله امرؤ فعل. فتوجّه إلى الشام واتَّبعه ثَقَله[٣]، فأصيب شهيداً رحمه الله. كذا

---

(١) عمواس: كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس.
(٢) أي الإسلام.
(٣) ثقل المسافر: متاعه وحَشَمه وكل شيء نفيس مصون.

في الاستيعاب (١/ ٣١٠). وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٧٨). من طريق ابن المبارك. نحوه.

﴿ رغبة خالد بن الوليد في الجهاد وطلبه القتل في سبيل الله ﴾

وأخرج ابن سعد عن زياد مولى آل خالد قال: قال خالد رضي الله عنه عند موته: ما كان في الأرض من ليلة أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد[١] في سريّة من المهاجرين، أصبِّح بهم العدوّ؛ فعليكم بالجهاد. كذا في الإصابة (١/ ٤١٤). وأخرجه أبو يَعْلى عن قيس بن أبي حازم قال قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: ما ليلة تُهدى إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب، أو أُبشَّر فيها بغلام، بأحبَّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سريّة من المهاجرين أُصَبِّح بها العدوّ. كذا في المجمع (٩/ ٣٥٠) وقال: رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو يَعْلى أيضاً عن قيس بن أبي حازم قال: قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لقد منعني كثيراً من القراءة الجهادُ في سبيل الله. قال الهيثمي (٩/ ٣٥٠): رجاله رجال الصحيح. وذكره في الإصابة (١/ ٤١٤) عن أبي يَعْلى عن خالد رضي الله عنه: لقد شغلني الجهاد عن تعلّم كثير من القرآن.

وأخرج ابن المبارك في كتاب الجهاد عن عاصم بن بَهْدَلة عن أبي وائل قال: لما حضرتْ خالداً رضي الله عنه الوفاةُ قال: لقد طلبت القتل مظانّه فلم يُقدَّر لي إلَّا أن أموت على فراشي. وما من عملي شيءٌ أرجَى عندي بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بِتُّها وأنا متترِّس، والسماء تُهلِّني تمطر إلى الصبح حتى نُغير على الكفار. ثم قال: إذا أنا متّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عُدّةً في سبيل الله. فلما توفي خرج عمر رضي الله عنه إلى جنازته فقال: ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة[٢]. كذا في الإصابة، وقال (١/ ٤١٥): فهذا يدلُّ على أنه مات بالمدينة ولكن الأكثر على أنه مات بحِمص. انتهى. وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي

---

(١) ما يجمد على الأرض من الماء.

(٢) النقع: رفع الصوت وشق الجيب، واللقلقة، رفع الصوت واضطرابه.

وائل ـ بنحوه مختصراً. قال الهيثمي (٩/ ٣٥٠): وإسناده حسن. انتهى.

﴿ رغبة بلال في الخروج في سبيل الله ﴾

وأخرج الطبراني عن عبدالله بن محمد وعمر وعمار ابني حفص عن آبائهم عن أجدادهم قالوا: جاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما، فقال: يا خليفة رسول الله، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أفضل عمل المؤمنين جهاد في سبيل الله**». وقد أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت. فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا أنشدك بالله يا بلال، وحُرمتي وحقِّي، لقد كبرت سنّي وضعفت قوتي واقترب أجلي، فأقام بلال معه، فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له: مثل مقالة أبي بكر؛ فأبى بلال عليه. فقال عمر: فمن يا بلال[1]؟ قال: إلى سعد، فإنه قد أذَّن بقُباء على عهد رسول الله ﷺ. فجعل عمر الأذان إلى عقبة وسعد[2]. قال الهيثمي (٥/ ٢٧٤): وفيه عبد الرحمن ابن سهل بن عمار وهو ضعيف. انتهى. وأخرجه ابن سعد (٣/١٦٨) أيضاً بهذا الإسناد بنحوه.

وأخرج عن موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمي عن أبيه قال: لما توفي رسول الله ﷺ أذّن بلال رضي الله عنه ورسول الله ﷺ لم يقبر، فكان إذا قال: أشهد أنَّ محمداً رسول الله انتحب[3] الناس في المسجد. قال: فلما دفن رسول الله ﷺ قال له أبو بكر رضي الله عنه: أذّن. فقال: إن كنتَ إنما أعتقتني لأن أكون معك فسبيل ذلك، وإن كنت أعتقتني لله فخلّني ومن أعتقتني له. فقال: ما أعتقتك إلا لله. قال: فإني لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله ﷺ. قال: فذاك إليك. قال: فأقام حتى خرجت بعوث الشام فسار معهم حتى انتهى إليها. وعن سعيد بن المسيّب: أن أبا بكر لما قعد على المنبر يوم الجمعة قال له بلال: يا أبا بكر، قال: لبيك. قال: أعتقتني لله أو لنفسك؟ قال: لله. قال: فأْذن لي حتى أغزو في سبيل الله، فأذن له. فذهب

---

(١) أي لمن تترك الأذان.

(٢) كذا في الهيثمي. وفي ابن سعد: فدعا عمر سعداً فجعل الأذان إليه وإلي عَقِبه من بعده.

(٣) انتحبوا: بَكَوا.

إلى الشام فمات ثَمَّ. وأخرجه أبو نُعيم في الحِلية (١/ ١٥٠) عن سعيد - بنحوه.

﴿ إنكار المقداد على القعود عن الجهاد لآية النَفْر ﴾

وأخرج أبو نُعيم في الحلية (٩/ ٤٧) عن أبي يزيد المكي قال: كان أبو أيوب والمقداد رضي الله عنهما يقولان: أُمرنا أن ننفِر على كل حال، ويتأوَّلان هذه الآية: ﴿ انفروا خِفَافاً وثقالاً ﴾[1].

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ١٧٦) عن أبي راشد الحَبْراني قال: وافيت المقداد بن الأسود رضي الله عنه فارس رسول الله ﷺ جالساً على تابوت من تابوت[2] الصيارفة[3] بحمص، قد فَضَل عنها من عِظَمِه[4]، يريد الغزو؛ فقلت له: لقد أعذَر الله إليك. قال: أتت علينا سورة البعوث[5]: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾. وأخرجه الطبراني عن أبي راشد - بنحوه؛ قال: الهيثمي (٧/ ٣٠): وفيه بقيّة بن الوليد وفيه ضعف، وقد وُثِّق؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه الحاكم، وابن سعد (٣/ ١١٥) عن أبي راشد - بنحوه. وقال الحاكم (٣/ ٣٤٩): هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. انتهى. وأخرجه البيهقي (٩/ ٢١) عن جُبير بن نُفير قال: جلسنا إلى المقداد ابن الأسود رضي الله عنه بدمشق وهو على تابوت ما به عنه فَضْل. فقال له رجل: لو قعدت العام عن الغزو. قال: أتت علينا سورة البعوث يعني سورة التوبة؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ انفروا خِفافاً وثقالاً ﴾ فلا أجدني إلا خفيفاً.

﴿ قصة أبي طلحة في ذلك ﴾

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٥٥٠) عن حمَّاد بن سلمة عن

---

(١) سورة التوبة: آية: ٤١.

(٢) وفي المجمع عن الطبراني: توابيت.

(٣) الصيارفة جمع صيرفي: وهو بياع النقود بنقود غيرها.

(٤) عِظَمِهِ: ضخامة جسمه.

(٥) في ابن سعد: أبَتْ علينا سورة البعوث. وهو أقوى.

ثابت البُناني وعلي بن زيد عن أنس: أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ سورة براءة؛ فأتى على قوله تعالى: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾. فقال: **لا أرى ربَّنا إلَّا يستنفرنا شباباً وشيوخاً**؛ يا بَنـيَّ، جهّزوني جهّزوني. فقالوا له: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات، ومع عمر رضي الله عنه حتى مات؛ فدعنا نغزُ عنك. قال: لا، جهزوني، فغزا البحر فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه بها وهو لم يتغير. انتهى. وأخرجه ابن سعد (٣/٦٦) من طريق ثابت وعلي عن أنس ـ بنحوه مطوّلاً. وقد أخرجه البيهقي (٩/٢١): والحاكم (٣/٣٥٣) من طريق حَمَّاد عن ثابت وعلي عن أنس بمعناه مختصراً، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه. وأخرجه أيضاً أبو يعلى كما في المجمع (٩/٣١٢) مختصراً، وقال: رجاله رجال الصحيح.

﴿ قصة أبي أيوب في ذلك ﴾

وأخرج الحاكم (٣/٤٥٨) عن محمد بن سِيرين قال: شهد أبو أيوب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ بدراً، ثم لم يتخلَّف عن غزاة (للمسلمين إلا وهو في أخرى)[١] إلا عاماً واحداً؛ فإنه استُعمل على الجيش رجلٌ شاب فقعد ذلك العام؛ فجعل بعد ذلك (العام) يتلهّف ويقول: ماعلـيّ من استُعمل (عليّ ـ ثلاثاً ـ قال)، فمرض وعلى الجيش يزيد بن معاوية. فدخل عليه يعوده فقال: ما حـاجتك؟ فقال: حاجتي إذا أنا متّ، فاركب بي ثم سُغْ بي[٢] في أرض العدوّ ما وجدت مساغاً، فإذا لم تجد مساغاً فادفني، ثم ارجع (فلما مات ركب به ثم سار به في أرض العدو وما وجد مساغاً ثم دفنه ثم رجع). قال: وكان أبو أيوب رضي الله عنه يقول: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ انفِروا خِفافاً وثقالاً ﴾ فلا أجدُني إلا خفيفاً أو ثقيلاً.

---

(١) من ابن سعد. وفي الأصل: (ثم لم يتخلف عن غزاة المسلمين إلا هو فيها) والكلام الآخر المحصور في هذا النص من ابن سعد.

(٢) من ابن سعد، وفي المستدرك: اسع. مكان: سُغ بي. والمعنى: ادخل بي.

وأخرجه أيضاً ابن سعد (٣/٤٩) عن محمد ـ بنحوه، كما في الإصابة (١/٤٠٥). وقال. ورواه أبو إسحاق الفَزَاري عن محمد، وسمّى الشاب: عبد الملك بن مروان ـ انتهى.

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب (١/٤٠٤) عن أبي ظَبْيان عن أشياخه عن أبي أيوب رضي الله عنه: أنه خرج غازياً في زمن معاوية رضي الله عنه فمرض. فلما ثَقُل قال لأصحابه: إذا أنا متّ فاحملوني؛ فإذا صافَفتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم؛ ففعلوا ـ وذكر تمام الحديث. انتهى.

وأخرجه الإمام أحمد كما في البداية (٨/٥٩) عن أبي ظَبْيان قال: غزا أبو أيوب رضي الله عنه مع يزيدَ بن معاوية. قال فقال: إذا متّ فأدخلوني في أرض العدو، فادفنوني تحت أقدامكم حيث تلقَون العدوّ. قال: ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة». وأخرجه ابن سعد (٣/٤٩) نحو سياق ابن عبد البرّ.

﴿ قصة أبي خيثمة في ترك نعيم الدنيا والخروج في سبيل الله ﴾

وذكر ابن إسحاق أن أبا خيثمة رجع ـ بعد ما سار رسول الله ﷺ أياماً[١] ـ إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين[٢] لهما في حائطه[٣]، قد رشَّت[٤] كل واحدة منهما عريشها وبرَّدت (له)[٥] فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً. فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له. فقال: رسول الله ﷺ في الضِحِّ والريح والحرّ[٦]، وأبو خيثمة في ظلّ بارد وطعام مهيّأ وامرأة حسناء (مقيم) في ماله، **ما هذا بالنَّصَف**[٧]!! (ثم قال)

---

(١) وذلك في غزوة تبوك.
(٢) العريش: البيت الذي يُستظل به.
(٣) حائطه: بستانه.
(٤) رشَّت: نضحت ماءً.
(٥) من ابن هشام وكذلك الكلام الآخر المحصور في هذه القصة.
(٦) الضحّ بالكسر، ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض، وهو كالقمراء للقمر أي يكون رسول الله ﷺ بارزاً لحر الشمس وهبوب الرياح.
(٧) ما هذا بالنَّصف: ما هذا بالعدل والإنصاف.

والله، لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيِّئا (لي) زاداً، ففعلتا. ثم قدّم ناضحه[١] فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عميرُ بن وْهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دَنَوا من تبوك. قال أبو خيثمة لعُمير بن وهْب: إنَّ لي ذنباً فلا عليك أن تتخلَّف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ (وهو نازل بتبوك) قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل. فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خيثمة». فقالوا: يا رسول الله هو - والله - أبو خيثمة!! فلما (أناخ) أقبل فسلَّم على رسول الله ﷺ. فقال له: (رسول الله ﷺ): «أولى لك[٢] يا أبا خيثمة» ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر. فقال (له رسول الله ﷺ): خيراً، ودعا له بخير. وقد ذكر عُروة بن الزبير وموسى بن عُقبة قصَّة أبي خيثمة بنحو من سياق ابن إسحاق وأبسط، وذكر أنَّ خروجه إلى تبوك كان في زمن الخريف. كذا في البداية (٥/٧).

وأخرج الطبراني كما في المجمع (٦/١٩٢) عن سعد بن خيثمة[٣] رضي الله عنه قال: تخلّفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطاً، فرأيت عريشاً قد رُش بالماء، ورأيت زوجتي، فقلت: ما هذا بالإنصاف، إنَّ رسول الله ﷺ في السَّموم[٤] والحميم وأنا في الظلّ والنعيم!! فقمت إلى ناضح فاحتقبته[٥]، وإلى تمرات فتزوَّدتها، فنادت زوجتي: إلى أين يا أبا خيثمة؟ فخرجت أُريد رسول الله ﷺ حتى إذا كنت ببعض الطريق لقيني عُمير ابن وهْب، فقلت: إنك رجل جريء وإني أعرف جئت[٦] النبي ﷺ، وإني امرؤ

(١) ناضحه: بعيره.
(٢) أولى لك: دنوتَ من الهلكة.
(٣) الأصح في اسمه عبد الله أو مالك كما في الاستيعاب.
(٤) السموم: أي في الريح الحارة.
(٥) احتقبته: أي جعلت عليه حقيبتي؛ والحقيبة: الخريطة التي يضع المسافر فيها الزاد ونحوه، ج حقائب.
(٦) كذا في الأصل والمجمع. ولعلها: وإني أعرف (أنك) جئت النبي ﷺ.

مذنب، فتخلّف عني حتى أخلوَ برسول الله ﷺ؛ فتخلف عني عمير. فلما طلعت على العسكر فرآني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خيثمة». فجئت فقلت: كدتُ أهلِك يا رسول الله! فحدثته حديثي. فقال لي رسول الله ﷺ: خيراً، ودعا لي. قال الهيثمي (٦/١٩٣): وفيه يعقوب بن محمد الزهري، وهو ضعيف. انتهى.

حزن الصحابة رضي الله عنهم على عدم القدرة على الخروج والإنفاق في سبيل الله

﴿ قصة أبي ليلى وعبدالله بن مُغَفَّل ﴾

قال ابن إسحاق: بلغني أن ابن يامين النَّضْري لقي أبا ليلى وعبدالله ابن مُغَفَّل رضي الله عنهما وهما يبكيان. فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملَنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه. فأعطاهما ناضحاً له، فارتحلاه وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع النبي ﷺ. زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وأما عُلْبة بن زيد رضي الله عنه فخرج من الليل فصلّى من ليلته ما شاء الله ثم بكى وقال: **اللهمّ إنك أمرتَ بالجهاد ورغّبتَ فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوّى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدّق على كل مسلم بكل مظلِمة** أصابني (بها)[1] في مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس. فقال رسول الله ﷺ: «أين المتصدّق هذه الليلة؟» فلم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدّق، فلْيقم؟» فقام إليه فأخبره. فقال رسول الله ﷺ «**ابشر، فوالذي نفسي بيده لقد كُتبت في الزكاة المتقبّلة**». كذا في البداية (٥/٥)[2]. قال في الإصابة (٢/٥٠٠): ذكر ابن إسحاق الحديث بغير إسناد، وقد ورد مسنداً موصولاً من حديث مجمع بن جارية، ومن حديث عمرو بن عوف وأبي عبس

---

(١) من «الإصابة». وفي الأصل: (فيها).

(٢) وقبل هذا الكلام أتى ابن كثير على ذكر البكّائين السبعة الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم حتى يصحبوه في غزوته هذه، فلم يجدوا عنده من الظَّهْر ما يحملهم عليه، فرجعوا وهم يبكون تأسفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه. وانظر البداية.

ابن جَبْر، ومن حديث عُلْبة بن زيد وقتيبة. فقد روى ذلك ابن مردويه عن مجمع بن حارثة.

﴿ قصة علبة بن زيد رضي الله عنه ﴾

وروى ابن منده عن أبي عَبْس بن جَبْر قال: كان عُلبة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه رجلاً من أصحاب النبي ﷺ. فلما حضّ على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده. فقال عُلبة بن زيد: اللهمَّ إنَّه ليس عندي ما أتصدّق به. اللهمَّ إنِّي أتصدّق بعِرضي على من ناله من خلقك. فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فنادى: «أين المتصدِّق بعرضه البارحة؟». فقام علبة فقال: «قد قُبلت صدقتك».

وروى البزار عن عُلبة بن زيد رضي الله عنه نفسِه قال: حثّ رسول الله ﷺ على الصدقة ـ فذكر الحديث. قال البزّار: عُلبة هذا رجل مشهور من الأنصار، ولانعلم له غير هذا الحديث. وروى ابن أبي الدنيا، وابن شاهين من طريق كَثِير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده نحوه ـ انتهى مختصراً. وأخرجه ابن النجار عن عُلبة بن زيد ـ مختصراً؛ كما في كنز العمال (٧/ ٨٠).

الإنكار على من أخّر الخروج في سبيل الله

﴿ إنكار النبي ﷺ على ابن رواحة ﴾

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث إلى مؤتة، فاستعمل زيداً، فإنْ قتل زيد فجعفر، فإنْ قتل جعفر فابن رواحة؛ فتخلّف ابن رواحة. فجمَّع[١] مع النبي ﷺ، فرآه فقال: ما خلّفك؟ فقال: أجمِّع معك. قال: «لَغَدوة أو رَوْحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» ـ كذا في البداية (٤/ ٢٤٢). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة عن ابن عباس ـ نحوه؛ كما في الكنز (٥/ ٣٠٩).

وأخرج الإمام أحمد أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث

(١) جمّع معه: صلَّى معه الجمعة.

رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه في سريّة، فوافق ذلك يوم الجمعة. قال: فقدَّم أصحابه وقال: أتخلَّف فأصلِّي مع رسول الله ﷺ الجمعة، ثم ألحقهم. قال: فلما صلَّى رسول الله ﷺ رآه، فقال: «ما منعك أن تغدوَ مع أصحابك؟» فقال: أردتُ أن أصلِّي معك الجمعة ثم ألحَقهم. فقال رسول الله ﷺ: «لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركت غَدْوتهم». وهذا الحديث قد رواه الترمذي ثم علَّله بما حكاه عن شُعبة أنه قال: لم يسمع الحكم عن مُقَسِّم إلا خمسةَ أحاديث، وليس هذا منها. كذا في البداية (٤/٢٤٢).

﴿ إنكاره ﷺ على رجل من أصحابه تأخيره الخروج ﴾

وأخرج الإمام أحمد أيضاً عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أمر أصحابه بالغزو. فقال رجل لأهله: أتخلَّف حتى أصلي مع رسول الله ﷺ، ثم أسلِّم عليه وأودّعه، فيدعو لي بدعوة تكون سابقة يوم القيامة. فلما صلَّى النبي ﷺ أقبل الرجل مسلِّماً عليه. فقال له رسول الله ﷺ: «أتدري بكم سبقك أصحابك؟» قال: نعم، سبقوني اليوم بغدوتهم. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سبقوك بأبعدَ ممّا بين المشرقين والمغربين في الفضيلة». قال الهيثمي (٥/٢٨٤): وفيه زَبَّان بن فائد وثَّقه أبو حاتم، وضعَّفه جماعة؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

﴿ أمره عليه السلام سرية بالخروج في الليل ﴾

وأخرج البيهقي (٩/١٥٨) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بسرِّية تخرج. فقالوا: يارسول الله، أنخرج الليلة أم نمكث حتى نصبِّح؟ فقال: «أوَلا تحبون أن تبيتوا في خريف من خرائف الجنة؟» ـ والخريف: الحديقة ـ وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي هريرة ـ بنحوه: قال الهيثمي (٥/٢٧٦): وشيخه بكر بن سهل الدِمياطي؛ قال الذهبي: مقارب الحديث؛ وقال النَّسائي: ضعيف، وفيه ابن لهيعة أيضاً. انتهى.

﴿ إنكار عمر على معاذ بن جبل تأخيره الخروج ﴾

أخرج ابن راهَوَيْهِ، والبيهقي عن أبي زُرعة بن عمر بن جرير قال:

بعث عمر بن الخطاب جيشاً وفيهم معاذ بن جبل رضي الله عنهما، فلما ساروا رأى معاذاً، فقال: ما حبسك؟ قال: أردت أن أصلِّي الجمعة ثم أخرج. فقال عمر: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الغَدْوة والرَّوْحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها؟!**» كذا في كنز العمال (٢/ ٢٨٩).

العتاب على من تخلَّف عن سبيل الله وقصَّر فيه

﴿ قصة كعب بن مالك الأنصاري ﴾

أخرج البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلّفت في غزوة بدرٍ ولم يعاتِب أحداً تخلّف عنها؛ إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عِيرَ قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا[١] على الإسلام، وما أحبّ أن لي بها مشهد بدر؛ وإن كانت بدر أذكَرَ في الناس منها. وكان من خبري: أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلَّفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً[٢] ومفازاً وعدوّاً[٣] كثيراً. فجلَّى[٤] للمسلمين أمرهم ليتأهبوا[٤] أهبة[٥] غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد. والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ. قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنّ أنْ سيخفى[٦] له ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهّز

---

(١) من البخاري وفي البداية حيث ينقل المؤلف منها النص: حتى تواثبنا.
(٢ ـ ٣) من البخاري، وفي البداية: عدداً وعداداً.
(٤) جلَّى: كشف وأظهر.
(٤) ليتأهبوا: ليتهيؤوا.
(٥) الأهبة: العدة.
(٦) من البخاري، وفي البداية: يستخفي.

رسول الله ﷺ والمسلمون معه. فطفقت أغدو لكي أتجهَّز معهم فأرجع ولم أقضِ شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادَى بي حتى اشتد بالناس الجدّ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه، ولم أقضِ من جَهازي[1] شيئاً، فقلت: أتجهز بعد يوم أو يومين، ثم ألحقهم؛ فغدوت بعد أن فَصَلوا لأتجهّز، فرجعت ولم أقض شيئاً. ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً. فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط[2] الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، ـ وليتني فعلت ـ فلم يقدَّر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلَّا رجلاً مغموصاً[3] عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك. فقال ـ وهو جالس في القوم بتبوك ـ: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلِمة: يا رسول الله، حبسه بُرداه ونَظَرُه في عِطْفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همِّي، وطفقت أتذكَّر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ واستعنتُ على ذلك بكل ذي رأيٍ من أهلي. فلما قيل: إنَّ رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أنِّي لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه. وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، فكان إذا قدمَ من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ـ وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً ـ فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكَل سرائرهم إلى الله عزّ وجلّ. فجئته، فلما سلّمت عليه تَبَسَّم تَبسُّمِ المُغْضَب، ثم قال: «تعالَ». فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: «ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظَهْرك؟» فقلت:

(١) الجَهاز: ما يحتاج إليه الغازي في غزوه والمسافر في سفره.
(٢) تفارط: أي فات وقته.
(٣) مغموصاً عليه النفاق: أي مطعوناً في دينه، متهماً بالنفاق.

بلى، إني ـ والله ـ لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدلاً[١]، ولكني ـ والله ـ لقد علمتُ لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضَى به عني ليوشِكَنَّ الله أنْ يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد[٢] عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا واللّـهِ ما كان لي من عذر، ووالله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أمّا هذا فقد صدق، فقم حتى يقضيَ الله فيك». فقمت. فثار رجال من بني سَلِمة فاتَّبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا؟ ولقد عَجزَت أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلّفون، وقد كان كافيكَ ذنبَكَ استغفارُ رسول الله ﷺ لك. فوالله ما زالوا يؤنّبونني[٣] حتى هممت أن أرجع فأكذّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان. قالا مثل ما قلت، وقيل لهما: مثل ما قيل لك. فقلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العَمْري، وهِلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أُسوة، فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلّف عنه، فاجْتَنَبَنَا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرضُ، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا[٤] وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم وأجلَدهم؛ فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلّمُ عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، وأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلّي قريباً منه فأسارقه النظر[٥]، فإذا

(١) الجدل: مقابلة الحجة بالحجة.
(٢) تجد: تغضب عليَّ.
(٣) يؤنبونني: يلومونني.
(٤) استكانا: خضعا وذلاً.
(٥) أسارقه النظر: أي أنظر إليه اختلاساً بحيث لا يشعر.

أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفتّ نحوه أعرض عني. حتى إذا طال عليّ ذلك من جَفْوة[١] الناس مشيت حتى تسورت[٢] جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمّي وأحبُّ الناس إليّ - فسلَّمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام؛ فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدت له فنَشَدته، فسكت. فعدت له فنَشَدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتولّيت حتى تسوَّرتُ الجدار.

قال: وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطيٌ من أنباط أهل الشام ممّن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان[٣] (في سَرَقة[٤] من حرير)[٥] فإذا فيه:

«أما بعد: فإنه قد بلغني أنَّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هَوانٍ ولا مَضْيَعة، فالحقْ بنا نواسِك».

فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت[٦] بها التنور فسجرته[٧] بها.

(فأقمنا على ذلك)، حتى إذا مضَت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلّقها أم ماذا أفعل؟ قال: «لا، بل اعتزلها ولا تقربها»، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أُمية إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله إنَّ هلال بن أُمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره

---

(١) الجفوة: الغلظ في المعاشرة.
(٢) تسوَّرت: صعدت عليه.
(٣) هو جبلة بن الأيهم.
(٤) سرقة من حرير: قطعة من جيد الحرير.
(٥) هذه الجملة ليست في رواية البخاري وقال عنها القسطلاني: إنها عند ابن مردويه.
(٦) تيممت: قصدت.
(٧) سجرته: أي أدخلتها في التنور.

أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربْك». قالت: إنه ـ والله ـ ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنتَ رسول الله ﷺ في امرأتك كما استأذن هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يُدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟!.

قال: فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عزّ وجلّ قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت[١] ـ سمعت صوت صارخ أوفى[٢] على جبل سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب أبشر، فخررت[٣] ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج. وآذن[٤] رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشّروننا، وذهب قِبل صاحبيَّ مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلَم فأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، ووالله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ؛ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة يقولون: لتهنِكَ توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ جالسٌ حولَه الناس؛ فقام إليّ طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه يهرول[٥] حتى صافحني وهنّأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيرُه؛ ولا أنساها لطلحة[٦]. قال كعب: فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ ـ وهو يبرق وجهه من السرور ـ «**أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك**» قال قلت: أمِنْ عندك

(١) رحبت: وسعت.

(٢) أوفى: أشرف.

(٣) خررت: سقطت.

(٤) آذن: أعلم.

(٥) يهرول: يسرع في مشيه.

(٦) كان النبي ﷺ قد آخى بينه وبين كعب.

يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار[١] وجهه حتى كأنه قطعة قمر؛ وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صَدَقةً إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله إنَّ الله إنما نجّاني بالصدق، وإن من توبتي، ألا أُحدِّث إلا صدقاً ما بقيت؛ فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت[٢] منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار - إلى قوله - وكونوا مع الصادقين ﴾[٣]، فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلِك كما هلَك الذين كذبوا؛ فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد؛ قال الله تعالى: ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم - إلى قوله - فإنَّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾[٤].

قال كعب: وكنا خُلِّفنا[٥]- أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ[٦] رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله تعالى: ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا ﴾[٧]، ليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا من الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا

---

(١) استنار: أضاء.
(٢) من البخاري، وفي الأصل: ما شهدت.
(٣) سورة التوبة آية: ١١٧.
(٤) سورة التوبة آية: ٩٥ - ٩٦.
(٥) في الأصل: تخلّفنا. وما ذكرت أحسن فهو تعبير القرآن الكريم.
(٦) أرجأ: أخّر.
(٧) سورة التوبة آية: ١١٨.

وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منهم[1]. وهكذا رواه مسلم، وابن إسحاق. ورواه الإمام أحمد بزيادات يسيرة. كذا في البداية (٥/٢٣). وأخرجه أيضاً أبو داود، والنَّسائي بنحوه مفرقاً مختصراً. وروى الترمذي قطعة من أوله، ثم قال: وذكر الحديث. كذا في الترغيب (٤/٣٦٦). وأخرجه البيهقي (٩/٣٣) بطوله.

التهديد على من أقام في الأهل والمال وترك الجهاد

﴿ تحقيق أبي أيوب في مراد آية «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» ﴾

أخرج البيهقي (٩/٤٥) عن أبي عِمران رضي الله عنه قال: كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عُقبة بن عامر، وعلى أهل الشام رجل ـ يريد فَضالة بن عبيد ـ رضي الله عنهما، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، فصففنا لهم، فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل فيهم ثم خرج علينا، فصاح الناس إليه فقالوا: سبحان الله! ألقى بيده إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ـ صاحبُ رسول الله ﷺ ـ فقال: يا أيها الناس، إنكم لتأوِّلون هذه الآية على هذا التأويل، إنما أُنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنَّا لما أعزّ الله دينه وكَثُر ناصروه فقلنا ـ فيما بيننا بعضنا لبعض سراً من رسول الله ﷺ ـ: إنَّ أموالنا قد ضاعت، فلو أقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله عزّ وجلّ ـ يردّ علينا ما هممنا به ـ فقال: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾[2]، **فكانت التهلكة في الإقامة التي أردنا أن نقيم في أموالنا نصلحها**. فأمرنا بالغزو فما زال أبو أيوب رضي الله عنه غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله عزّ وجلّ.

وأخرجه أيضاً البيهقي (٩/٩٩) من وجه آخر عن أبي عمران رضي الله عنه قال: غزونا المدينة ـ يريد القُسطنطينية ـ، وعلى الجماعة عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة. فحمل رجل على

(١) وفي البخاري: منه.
(٢) سورة البقرة آية: ١٩٥.

العدوّ. فقال الناس: مَهْ مَهْ[1]! لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب رضي الله عنه: إنما أُنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار؛ لمّا نصر الله نبيه وأظهر الإسلام. قلنا: هَلُمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها. فأنزل الله تعالى: ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾، فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحَها وندعَ الجهاد. قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقُسطنطينية.

وأخرج أبو داود، والترمذي، والنَسائي عن أبي عمران رضي الله عنه قال: حمل رجل من المهاجرين بالقُسطنطينية على صفِّ العدوّ حتى خرقه؛ ومعنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه. فقال ناس: ألقَى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا. صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا[2] الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبّباً[3]، فقلنا: قد أكرمنا الله بصبحة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما؛ فنزل فينا ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. وأخرجه أيضاً عبد بن حُميد في تفسيره، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن مَرْدَوَيْه، وأبو يَعْلى في مسنده، وابن حِبَّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه. كذا في التفسير لابن كثير (١/٢٢٨).

التهديد والترهيب لمن اشتغل بالزراعة وترك الجهاد

﴿ إنكار عمر على عبدالله العنسي ﴾

أخرج ابن عائذ في المغازي عن يزيد بن أبي حبيب قال: بلغ عمر ابن

---

(١) مَهْ: اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكفف.

(٢) فشا: شاع.

(٣) كذا في الأصل ولعلها: تخفياً.

الخطاب أنَّ عبدالله بن الحرّ العنسي رضي الله عنهما زرع أرضاً بالشام، فأنهب زرعه[١] وقال: انطلقت إلى ذلٍّ وصَغار في أعناق الكبار[٢]، فجعلته في عنقك. كذا في الإصابة (٣/٨٨).

﴿ إنكار عبدالله بن عمرو بن العاص على رجل ترك الجهاد ﴾

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/٢٩١) عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: مرّ بعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما نفر من أهل اليمن، فقالوا له: ما تقول في رجل أسلم فحسن إسلامه، وهاجر فحسنت هجرته، وجاهد فحسن جهاده، ثم رجع إلى أبويه باليمن فبرّهما ورحمهما؟ قال: ما تقولون أنتم؟ قالوا نقول: قد ارتدّ على عقبيه. قال: بل هو في الجنة؛ ولكن سأخبركم بالمرتد على عقبيه: رجل أسلم فحسن إسلامه، وهاجر فحسنت هجرته، وجاهد فحسن جهاده، ثم عَمَدَ إلى أرض نَبَطيّ[٣] فأخذها منه بجزيتها[٤] ورزقها[٥]، ثم أقبل عليها يعمّرها وترك جهاده، فذلك المرتد على عقبيه.

السرعة في السير في النفر في سبيل الله لاستئصال الفتنة

﴿ قصة غزوة المُرَيْسيع ﴾

أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة. - قال سفيان[٦] مرة: في جيش - فكسع[٧] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار؛ فقال الأنصاري: يا لَلأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى جاهلية؟» قالوا: يا رسول

---

(١) أنهب زرعه: أباحه للمسلمين.

(٢) كذا في الأصل والإصابة ولعل الصحيح «الكفار» إذ الذل والصغار في أعناق الكفار الذين يدفعون الخراج والجزية.

(٣) نبطي: فلاح من فلاحي الشام.

(٤) الجزية: الخراج.

(٥) الرزق: حنطة وزيت وغيره كان يفرضه عمر على الأنباط أصحاب الأراضي.

(٦) أحد الرواة.

(٧) كسع: ضرب الدُّبُر بيده.

الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنَّها منتنة». فسمع بذلك عبدالله بن أبيّ فقال: فَعَلوها ؟!؛ ـ والله ـ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرِجنّ الأعزّ منها الأذلّ. فبلغ النبي ﷺ، فقام عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله دَعْني أضربْ عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «دَعْه، لا يتحدّث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه». وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد. وأخرجه أيضاً مسلم، والإمام أحمد، والبيهقي عن جابر رضي الله عنه ـ بنحوه؛ كما في التفسير لابن كثير (٤/ ٣٧٠).

وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المُرَيْسيع، ـ وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلّل[1] وبين البحر ـ فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فكسر مَناة، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك، أحدهما من المهاجرين والآخر من بَهْز ـ وهم حلفاء الأنصار ـ فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزيّ، فقال: يا معشر الأنصار، فنصره رجال من الأنصار. وقال المهاجريّ: يا معشر المهاجرين، فنصره رجال من المهاجرين، حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال. ثم حُجز[2] بينهم، فانكفأ[3] كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبدالله بن أبيّ بن سلول. فقال: قد كنت تُرجى وتَدفع فأصبحت لا تضرّ ولا تنفع، قد تناصرت علينا الجلابيب ـ وكانوا يَدْعون كل حديثِ الهجرة الجلابيب ـ فقال عبدالله بن أُبيّ ـ عدو الله ـ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. قال مالك ابن الدُّخشُن ـ وكان من المنافقين ـ: ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عندَ رسول الله حتى ينفَضُّوا؟ فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقبل حتى أتى

(١) المشلّل: اسم لجبل.
(٢) حجز: حيل بينهم.
(٣) انكفأ: رجع.

رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضربْ عنقه ـ يريد عمر رضي الله عنه عبدالله بن أُبيّ ـ. فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أوَ قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» فقال: عمر: **نعم ـ والله ـ لئن أمرتني بقتله لأضربنَّ عنقه**. فقال رسول الله ﷺ: اجلس. فأقبل أُسَيد ابن حُضَير رضي الله عنه وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضربْ عنقه. فقال رسول الله ﷺ: أوَقاتله أنت إن أمرتك بقتله؟ قال: **نعم ـ والله ـ لئن أمرتني بقتله لأضربنّ بالسيف تحت قُرْط أُذنيه**. فقال رسول الله ﷺ: اجلس؛ ثم قال رسول الله ﷺ: «آذنوا[١] بالرحيل». فهجَّر بالناس[٢]، فسار يومه وليلته والغد حتى متع[٣] النهار؛ ثم نزل ثم هجَّر بالناس مثلها حتى صبَّح في ثلاث سارها من قفا المشلّل. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه، فقال رسول الله ﷺ: «أيْ عمر، أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟» فقال عمر: نعم. فقال رسول الله ﷺ: والله لو قتلته يومئذ لأرغمت[٤] أنوف رجال، لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه، فيتحدّث الناس أنِّي قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صَبْراً[٥] وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿هم الذين يقولون لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفَضُّوا ـ إلى قوله تعالى ـ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة﴾[٦] ـ الآية. قال ابن كثير في تفسيره (٤/٣٧٢): هذا سياق غريب، وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه، انتهى. وقال ابن حجر في فتح الباري (٨/٤٥٨): وهو مرسل جيد. انتهى. وقد ذكر ابن إسحاق القصة بطولها كما في البداية (٤/١٥٧)، وفي سياقه: ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح،

(١) آذنوا: أعلموا.
(٢) هجّر بالناس: سار بهم في الهاجرة: أي وقت اشتداد الحر.
(٣) متع: أي امتد وطال.
(٤) كذا في الأصل والمحفوظ: لأرعدت. أي غضبت.
(٥) قتل الصبر: هو أن يحبس ويرمى حتى يموت.
(٦) سورة المنافقين آية: ٧ ـ ٨.

وصَدْرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبدالله بن أُبيّ.

الإنكار على من لم يتم الأربعين في سبيل الله

أخرج عبد الرزاق عن زيد بن أبي حبيب قال: جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فقال: أين كنت؟ قال: كنت في الرباط. قال: كم رابطت؟ قال: ثلاثين. قال: فهلاَّ أتممت أربعين[1]. كذا في كنز العمال (٢/ ٢٨٨).

الخروج لثلاثة أربعينات في سبيل الله

﴿ قصة امرأة وما قضى عمر في الخروج في سبيل الله ﴾

أخرج عبد الرزاق عن ابن جُريج قال: أخبرني من أصدِّق أن عمر رضي الله عنه بينا هو يطوف سمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليلُ واسودَّ جانبهْ وأرَّقني أنْ لا حبيبَ ألاعبُهْ

فلولا حِذارُ الله لا شيءَ مثلُه لزُعزع من هذا السرير جوانبُهْ

فقال عمر رضي الله عنه: مالك؟ قالت: أغرَبْت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه. قال: أردتِ سوءاً. قالت: معاذ الله! قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه. فبعث إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمّني فأفرجيه عني، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفَضَت رأسها واستحيت. قال: فإن الله لا يستحيي من الحق. فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر. فكتب عمر رضي الله عنه أن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر. كذا في الكنز (٨/ ٣٠٨).

وأخرجه البيهقي (٩/ ٢٩) من طريق مالك عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الليل فسمع امرأة تقول:

---

(١) أي أربعين يوماً.

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرَّقني أنْ لا حبيبَ ألاعبُـهْ

فقال عمر بن الخطاب لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما: كم أكثرَ ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستةَ أو أربعةَ أشهر. فقال عمر: لا أحبس الجيش أكثر من هذا.

رغبة الصحابة في تحمُّل الغبار في سبيل الله

﴿ إنكاره عليه السلام على كراهية الغبار في سبيل الله ﴾

أخرج الطبراني عن ربيعِ بن زيد[1] قال: بينما رسول الله ﷺ يسير معتدلاً إذ أبصر شاباً من قريش يسير معتزلاً (عن الطريق)[2]. فقال: «أليس ذاك فلاناً؟» قالوا نعم. قال: «فادعوه»، فجاء فقال له النبي ﷺ: «مالك اعتزلت عن الطريق؟» قال: كرهت الغبار. قال: «**فلا تعتزله، فوالذي نفسي بيده إنه لذريرة[3] الجنة**».

قال الهيثمي (٥/٢٨٧): رواه الطبراني، ورجاله ثقات. انتهى.

﴿ قصة جابر بن عبدالله في الباب ﴾

وأخرج ابن حِبَّان في صحيحه عن أبي المُصبِّح المُقْرائي قال: بينما نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها مالك بن عبدالله الخثعمي، إذ مرّ مالك بجابر بن عبدالله رضي الله عنهما وهو يقود بغلاً له، فقال له مالك: أيْ أبا عبدالله اركب فقد حملك الله. فقال جابر: أصلح دابتي[4]، وأستغني عن قومي، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اغبرت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار**». فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت نادى بأعلى صوته: يا أبا عبدالله اركب فقد حملك الله، فعرف جابر الذي يريد، فقال: أصلح دابتي، وأستغني عن قومي، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار». فتواثب الناس عن دوابهم، فما

---

(١) في الترغيب: زياد. وهو الأشهر.

(٢) من الترغيب.

(٣) الذريرة: نوع من الطيب.

(٤) أصلح دابتي: أريح دابتي.

رأيت يوماً أكثر ماشياً منه. ورواه أبو يَعْلى بإسناد جيِّد إلا أنه قال: عن سليمان بن موسى قال: بينما نحن نسير ـ فذكره بنحوه؛ وقال فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله إلا حرّم الله عليهما النار»؛ فنزل مالك ونزل الناس يمشون، فما رئي يومٌ[1] أكثر ماشياً منه. كذا في الترغيب (٢/٣٩٦). قال الهيثمي (٥/٢٨٦): رواه أبو يَعلى، ورجاله ثقات. انتهى. وقال في الإصابة (٣/١٢٦): وهذا الحديث قد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده بسنده المذكور ـ أي عن أبي المُصَبِّح ـ فقال فيه: إذ مرّ جابر[2] بن عبدالله. وكذا أخرجه ابن المبارك في كتاب الجهاد؛ وهو في مسند الإمام أحمد؛ وصحيح ابن حِبَّان من طريق ابن المبارك. انتهى. وأخرجه البيهقي (٩/١٦٢) من طريق أبي المُصَبِّح ـ بنحوه.

الخدمة في الجهاد في سبيل الله

﴿ خدمة المفطرين للصائمين في سبيل الله ﴾

أخرج مسلم (١/٣٥٦) عن أنس رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في السفر، فمنّا الصائم، ومنَّا المفطر. قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكِساء؛ ومنَّا من يتقي الشمس بيده. قال: فسقط الصُوَّام وقام المفطرون فضربوا الأبنية، وسقَوا الركاب. فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر». وأخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ أكثرنا ظلاًّ من يستظل بكِسائه؛ وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب، وامتهنوا[3]، وعالجوا[4] فقال النبي ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر».

﴿ خدمة الصحابة لرجل يشتغل بالقرآن والصلاة ﴾

وأخرج أبو داود في مراسيله عن أبي قِلابة رضي الله عنه: أن ناساً من

(١) من مجمع الزوائد وفي الأصل: يوماً.
(٢) في الأصل عامر: والصحيح جابر كما في الإصابة في ترجمة مالك بن عبد الله الخثعمي.
(٣) امتهنوا: ابتَذَلوا في الخدمة.
(٤) عالجوا: أي عملوا.

أصحاب النبي ﷺ قدموا يُثْنون على صاحب لهم خيراً. قالوا: ما رأينا مثل فلان قط[١]، ما كان في مسير إلا كان في قراءة، ولا نزلنا في منزل إلا كان في صلاة. قال: «فمن كان يكفيه ضيعته»[٢] ـ حتى ذكر ـ: ومن كان يعلف جمله أو دابته؟» قالوا: نحن. قال: «فكلّكم خير منه». كذا في الترغيب (٤/١٧٢).

﴿ حمل سفينة مولى رسول الله ﷺ متاع الصحابة ﴾

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/٣٦٩) عن سعيد بن جُمْهان قال: سألت سفينة عن اسمه. فقال: إني مخبرك باسمي: سمّاني رسول الله ﷺ سفينة. قلت: لِمَ سماك سفينة؟ قال: خرج ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم. فقال: «ابسط كساءك». فبسطته، فجعل فيه متاعهم ثم حَمَلَه عليّ. فقال: «احمل ما أنت إلا سفينة». قال: فلو حملت يومئذ وِقْرَ بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل عليّ.

﴿ قصة أحمر مولى أم سلمة ومجاهد مع ابن عمر ﴾

وأخرج الحسن بن سفيان، وابن مَنْدَه، والمالِيني، وأبو نُعيم عن أحمَرَ مولى أم سَلَمة رضي الله عنها قال: كنَّا مع النبي ﷺ في غَزاة، فمررنا بوادٍ فجعلت أعبُرُ الناس. فقال لي النبي ﷺ: «ما كنت في هذا اليوم إلا سفينة». كذا في المنتخب (٥/١٩٤). وأخرج أبو نُعيم في الحلية (٣/٢٨٥) عن مجاهد قال: كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنهما في السفر، فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي، وإذا ركبت سوّى ثيابي. قال مجاهد: فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك. فقال: يا مجاهد إنَّك ضيِّق الخُلُق.

الصوم في سبيل الله

﴿ صوم النبي ﷺ والصحابة في سبيل الله مع شدة الحر ﴾

أخرج مسلم (١/٣٥٧) عن أم الدَرْداء قالت: قال أبو الدَرْداء: لقد

---

(١) في الأصل: ما رأينا مثل فلان (هذا) قط. والصحيح بحذف «هذا» كما في الترغيب وهو الأحسن.

(٢) أي شؤونه.

رأيتُنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم شديد الحرّ، حتى إنَّ الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدالله ابن رواحة. وفي رواية أخرى له عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حرّ شديد ـ فذكره. وأخرج مسلم أيضاً (١/٣٥٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنّا الصائم ومنّا المفطر، فلا يجد[١]، الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم، يَرَوْن أنّ من وَجَد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أنَّ من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن.

﴿ صوم عبدالله بن مخرمة يوم اليمامة ﴾

وأخرج ابن عبد البَرِّ في الاستيعاب (٢/٣١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتيت على عبدالله بن مَخْرَمة رضي الله عنه صريعاً يوم اليمامة فوقفت عليه. فقال: يا عبدالله بن عمر هل أفطر الصائم؟ قلت: نعم. قال: فاجعل في هذا المِجَنِّ ماءً لعلِّي أفطر عليه. قال: فأتيت الحوض وهو مملوء ماء فضربته بحَجَفة[٢] معي، ثم اغترفت فيه[٣]؛ فأتيت به فوجدته قد قضى[٤] نحبه. وأخرجه أيضاً ابن أبي شَيْبة، والبخاري في التاريخ؛ كما في الإصابة (٢/٣٦٦)، قال: وأخرجه ابن المبارك في الجهاد من وجه آخر عن ابن عمر أتم منه.

﴿ صوم عوف بن أبي حيَّة وقول عمر فيه ﴾

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنَّفه بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم عن مُدْرِك بن عوف الأحْمسي قال: بينما أنا عند عمر رضي الله عنه إذ أتاه رسول النعمان بن مقرِّن، فسأله عمر عن الناس. فذكر من أصيب من

(١) يجد: يغضب.
(٢) الحجفة: الترس من جلد بلا خشب.
(٣) أي في المجن.
(٤) قضى نحبه: أي قد مات.

المسلمين[١] وقال: قتل فلان وفلان، وآخرون لا نعرفهم، فقال عمر: **لكنَّ الله يعرفهم**. قالوا: ورجل اشترى نفسه - يعنون عوف بن أبي حيَّة الأحمسي أبا شَبِيل - قال مدرك بن عوف: يا أمير المؤمنين، والله خالي يزعم الناس أنه ألقى بيده إلى التهلكة. فقال عمر: **كذب أولئك، ولكنه اشترى الآخرة بالدنيا**. قال: وكان أصيب وهو صائم، فاحتُمل وبه رمق، فأبى أن يشرب حتى مات. كذا في الإصابة (٣/١٢٢).

﴿ صوم أبي عمرو الأنصاري ﴾

وقد تقدم (ص ٣٢٤) حديث محمد بن حنفية في «تحمُّل شدّة العطش» قال: رأيت أبا عمرو الأنصاري رضي الله عنه - وكان بَدْرِياً عَقَبِياً أُحُدِياً - وهو صائم يتلوّى من العطش، وهو يقول لغلامه: ويحك تَرِّسْني، فترسه الغلام حتى نزع بسهم نزعاً ضعيفاً - فذكر الحديث، وفيه: فقتل قبل غروب الشمس. أخرجه الطبراني، والحاكم.

الصلاة في سبيل الله

﴿ صلاة النبي عليه السلام يوم بدر ﴾

أخرج ابن خُزيمة عن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائم؛ إلا رسولَ الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح. كذا في الترغيب (٤/٣١٦).

﴿ صلاة النبي عليه السلام في عسفان ﴾

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ بعُسْفان؛ فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة؛ فصلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر. فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غِرَّتهم[٢]، ثم قالوا: **تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم**. قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر: «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة»[٣] - فذكر صلاة الخوف.

(١) في الأصل: من الناس. والصحيح ما ذكرت كما في الإصابة.
(٢) غرّتهم: غفلتهم. (٣) سورة النساء آية: ١٠٢.

وعند مسلم عن جابر رضي الله عنه قالوا: **إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد**. كذا في البداية (٤/٨١).

﴿ صلاة عباد بن بشر الأنصاري في سبيل الله ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِقاع من نخل[١]، فأصاب رجل امرأة رجلٍ من المشركين. فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجُها ـ وكان غائباً ـ فلما أُخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يُهَرِيقَ في أصحاب محمد دماً. فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: «من (رجل)[٢] يكلؤنا[٣] ليلتَنا؟» فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله. قال: «فكونا بفم الشِّعب من الوادي» وهما: عمار بن ياسر وعبَّاد ابن بشر. فلما خرجا إلى فم الشِّعب قال الأنصاري للمهاجري: أيُّ الليل تحب أن أكفيكَهُ أولَه أم آخرَه؟ قال: بل أكفني أوّلَه، فاضطجع المهاجري فنام؛ وقام الأنصاري يصلِّي. قال: وأتى الرجل؛ فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئةُ[٤] القوم، فرمى بسهم فوضعه فيه، فانتزعه ووضعه وثبت قائماً. قال: ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً. قال: ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ[٥] صاحبه، فقال: اجلس فقد أُثْبِتُّ[٦]. قال: فوثب الرجل، فلما رآهما عرف أنه قد نذِرا[٧] به، فهرب. قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحبَّ أن أقطعها حتى أنفذَها. فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وايْمُ الله، لولا أن أضيِّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقَطَع نفسي قبل أن

(١) نخل: اسم مكان.
(٢) كما في البداية.
(٣) يكلؤنا: يحرسنا.
(٤) الربيئة: العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو.
(٥) أهبّ: أيقظ.
(٦) أثبت: طعنت وحبست في مكاني.
(٧) نذرا به: علما به.

أقطعها أو أنفذها[١]. ورواه أبو داود (١/٢٩) من طريقه ـ كذا في البداية (٤/٨٥). وأخرجه أيضاً ابن حِبَّان في صحيحه، والحاكم في المستدرك ـ وصححه ـ والدارقطني، والبيهقي في سننهما؛ وعلقه البخاري في صحيحه كما في نصب الراية (١/٤٣). ورواه البيهقي في دلائل النبوة وقال فيه: فنام عمار بن ياسر، وقام عبَّاد بن بشر رضي الله عنهما يصلي، وقال: كنت أصلي بسورة وهي الكهف، فلم أحب أن أقطعها. إهـ.

﴿ صلاة عبدالله بن أنيس في سبيل الله ﴾

وأخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن أُنَيس رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيح الهُذلي يجمع لي الناس ليغزوَني وهو بعُرنَة[٢] فأْتِهِ فاقتله». قال قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفَه. قال: «إذا رأيتَه وجدتَ له قُشعريرة[٣]». قال: فخرجت متوشِّحاً[٤] بسيفي[٥] حتى وقعت عليه وهو بعُرنَة مع ظُعُن[٦] يرتاد لهنَّ منزلاً وحين كان وقت العصر. فلما رأيتُه وجدتُ ما وصف لي رسول الله ﷺ من القُشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيتُ أن يكون بيني وبينه مجاولة[٧] تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه أُومىء برأسي للركوع والسجود. فلما انتهيت إليه قال: مَنِ الرجل؟ قلت: رجل من العرب، سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال: أجلْ، أنا في ذلك.

قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُكِبَّات عليه. فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني

(١) كذا في الأصل: ولعل الصحيح لَقَطْعُ نفسي أحبُّ إليَّ من أنْ أقطعها. أي إن موتي أحب إلي من قطع الصلاة.
(٢) عرنة: واد بحذاء عرفات.
(٣) قشعريرة: برد خفيف يتقدم نوبة الحمى.
(٤) متوشحاً: أي متقلداً.
(٥) من أحمد، وفي البداية: سيفي.
(٦) الظُعُن: النساء مفردها: ظعينة.
(٧) في أحمد: محاولة.

قال: «أفلح الوجه». قال: قلت: قتلتـه يا رسول الله. قال: «صدقت». قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصاً، فقال: «أمسك هذه عندك يا عبدالله بن أُنَيس». قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكَها. قالوا: أوَلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقلَّ الناس المتخصِّرون[1] يومئذ». قال: فقرنها عبدالله بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت في كفنه، ثم دُفِنا جميعاً. كذا في البداية (٤/١٤٠).

﴿ قيام الليل في سبيل الله ﴾

وأخرج الطبري (٢/٦١٠) عن عروة رضي الله عنه قال: لما تدانى العسكران يوم اليرموك بعث القُبُقْلار[2] رجلاً عربياً ـ فذكر الحديث؛ وفيه: فقال له: ما وراءك؟ قال: **بالليل رهبان وبالنهار فرسان**.

وأخرج أحمد بن مروان المالكي عن أبي إسحاق ـ فذكر الحديث، وفيه: قال هِرَقل: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم **يقومون الليل ويصومون النهار**. وأخرجه ابن عساكر (١/١٤٣) عن ابن إسحاق.

وستأتي تلك الأحاديث في «أسباب التأييدات الإلٰهية». وقد تقدم (ص ٢٥٥) حديث هند بنت عتبة عند ابن منده في «بيعة النساء»، قالت هند: إني أريد أن أبايع محمداً. قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين. قالت: إي والله. **والله ما رأيت الله تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إنْ باتوا إلاّ مصلِّين قياماً وركوعاً وسجوداً**.

---

(١) من المنتخب والطبري، وفي البداية: المنحصرون. (والمتخصِّرون: حاملو المخصرة وهي العصا).

(٢) القُبُقْلار: قائد رومي.

الذكر في سبيل الله

﴿ ذكر الصحابة في ليلة الفتح ﴾

أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيِّب قال: لمَّا كان ليلةُ دخل الناس مكة ليلةُ الفتح: لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا. فقال أبو سفيان لهند: أَتَرين[١] هذا من الله؟ قالت: نعم، هذا من الله. قال: ثم أصبح أبو سفيان فغدا على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قلتَ لهند: أترَين[٢] هذا من الله؟ قالت: نعم، هذا من الله». فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبدالله ورسوله؛ والذي يَحلِف به (أبو سفيان)[٣] ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند. كذا في البداية (٤/٣٠٤). وأخرجه ابن عساكر عن سعيد مثله، كما في الكنز (٥/٢٩٧)؛ وقال: سنده صحيح.

﴿ ذكر الصحابة عند الإشراف على وادٍ بغزوة خيبر ﴾

وأخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر ـ أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر ـ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أرْبِعوا[٤] على أنفسكم، إنكم لا تدعُون أصمّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم». وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال: «يا عبدالله ابن قيس»[٥] قلت: لبيك يا رسول الله قال: «ألاَ أدلك على كلمة من كنز الجنة». قلت: بلى، يا رسول الله فِداك أبي وأمي. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». وقد رواه بقية الجماعة. والصواب أنه كان مرجعَهم من خيبر، فإن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر. كذا في البداية (٤/٢١٣).

---

(١) من الكنز (ج ٥ ص ٢٩٧). وفي البداية: أتري.
(٢) من الكنز، وفي البداية: أتري.
(٣) من الكنز.
(٤) ارفقوا على أنفسكم.
(٥) عبد الله بن قيس: اسم أبي موسى الأشعري.

﴿ تكبير الصحابة وتسبيحهم عند الصعود والنزول ﴾

وأخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كنا إذا صَعِدنا كبَّرنا، وإذا نزلنا سبّحنا. وفي رواية أخرى عنده عنه: قال: كنا إذا صعِدنا كبّرنا، وإذا تصوّبنا[١] سبّحنا. وأخرجه أيضاً النسائي في «اليوم والليلة» عن جابر ـ نحوه؛ كما في العيني (٧/٣٦).

﴿ قول ابن عمر في أنَّ الغزو جزءان ﴾

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الناس في الغزو جزءان: فجزء خرجوا يكثرون ذكر الله والتذكير به، ويجتنبون الفساد في السير، ويواسون[٢] الصاحب، وينفقون كرائم أموالهم، فهم أشدّ اغتباطاً بما أنفقوا من أموالهم منهم بما استفادوا من دنياهم، فإذا كانوا في مواطن القتال استحيَوا من الله في تلك المواطن أن يطّلع على ريبة في قلوبهم أو خذلانٍ للمسلمين، فإذا قدروا على الغلول[٣] طهَّروا منه قلوبهم وأعمالهم؛ فلم يستطع الشيطان أن يفتنهم ولا يُكلِّم قلوبهم؛ فبهم يعزّ الله دينه ويَكبت عدوّه. وأما الجزء الآخر: فخرجوا فلم يكثروا ذكر الله ولا التذكير به، ولم يجتنبوا الفساد، ولم ينفقوا أموالهم إلا وهم كارهون، وما أنفقوا من أموالهم رأوه مَغْرَماً[٤] وحدَّثهم به الشيطان، فإذا كانوا عند مواطن القتال كانوا مع آخرِ الآخرِ والخاذل الخاذل، واعتصموا برؤوس الجبال ينظرون ما يصنع الناس؛ فإذا فتح الله كانوا أشدهم تخاطباً بالكذب؛ فإذا قدروا على الغلول اجترؤوا فيه على الله، وحدثهم الشيطان أنها غنيمة؛ وإن أصابهم رَخاء بطِروا، وإن أصابهم حَبْس فتنهم الشيطان بالعَرَض[٥]؛ فليس لهم من أجر المؤمنين شيء غير أن أجسادهم مع أجسامهم، وسَيْرهم مع سيرهم، ونياتهم

---

(١) تصوبنا: تسفلنا، أي تنزلنا.

(٢) يواسون: يعاونون.

(٣) الغلول: السرقة من الغنيمة قبل قسمتها.

(٤) المغرم: ما يلزم أداؤه.

(٥) العرض: أي عرض الدنيا.

وأعمالهم شتى حتى يجمعهم الله يوم القيامة ثم يفرق بينهم. كذا في الكنز (٢/٢٩٠).

الاهتمام بالدعوات في الجهاد في سبيل الله

الدعاء عند الخروج من قريته

﴿ دعاؤه عليه السلام عند الخروج من مكة وقت الهجرة ﴾

أخرج أبو نُعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: «الحمد لله الذي خلقني ولم أكُ شيئاً. اللهمّ أعنّي على هول الدنيا، وبوائق[1] الدهر، ومصائب الليالي والأيام. اللهم اصحبني في سفري، واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقتني، ولك فذلّلني، وعلى صالح خُلُقي فقوّمني، وإليك رب فحبّبني، وإلى الناس فلا تكلني. ربَّ المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض وكُشفت به الظلمات، وصَلَح عليه أمر الأوّلين أن تُحلَّ عليّ غضبك، وتُنزل بي سخطك. أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجاءة نقمتك، وتحول عافيتك، وجميع سَخَطك. لك العُتْبى عندي خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بك». كذا في البداية (٣/١٧٨).

الدعاء عند الإشراف على القرية

﴿ دعاؤه عليه السلام عند الإشراف على خيبر ﴾

أخرج البيهقي عن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر؛ حتى إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ للناس: «قفوا». فوقف الناس، فقال: «اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وما أظللنَ، وربَّ الأرضين السبع وما أقللن[2]، ورب الشياطين وما أضللن، (وربَّ الرياح وما أَذْرَيْن)[3]، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما

(١) بوائق: جمع بائقة، أي الداهية.
(٢) أقللن: رفعن.
(٣) من ابن هشام.

فيها، ونعوذ بك من شرّ هذه القرية وشرّ أهلها وشرّ ما فيها. أقدِموا بسم الله الرحمن الرحيم». وأخرجه ابن إسحاق من طريق أبي مروان عن أبي مُعَتّب. كما في البداية (٤/١٨٣). وأخرجه الطبراني عن أبي معتّب بن عمرو ـ نحوه؛ وزاد في آخره: وكان يقولها لكل قرية يريد يدخلها. قال الهيثمي (١٠/١٣٥): وفيه راوٍ لم يُسمَّ، وبقية رجاله ثقات.

الدعاء عند افتتاح الجهاد

﴿ دعاؤه عليه السلام في وقعة بدر ﴾

أخرج الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاث مائة ونيِّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزارُه، ثم قال: «اللهمَّ أنجز لي ما وعدتني. اللهمَّ إن تهلك هذه العِصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد في الأرض أبداً»، فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه. فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرده، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا رسول الله، كفاك مناشدَتُك ربَّك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنِّي مُمدُّكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفِين﴾[1] ـ وذكر تمام الحديث. وقد رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن جرير وغيرهم؛ وصحَّحه علي بن المديني، والترمذي. كذا في البداية (٣/٢٧٥). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة. وأبو عَوانة، وابن حِبَّان، وأبو نعيم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مَرْدَوَيْه، والبيهقي؛ كما في الكنز (٥/٢٦٦).

وأخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج يوم بدر في ثلاث مائة وخمسة عشر رجلاً، فلما انتهى إليها قال: «اللهم إنهم حُفاةٌ[2] فاحملهم. اللهمَّ إنهم عراةٌ[3] فاكسهم. اللهمَّ إنهم

---

(١) سورة الأنفال: آية ٩. ومردفين: متتابعين يردف بعضهم بعضاً.

(٢) حفاة: جمع حافٍ، وهو الماشي بلا خف ولا نعل.

(٣) عراة: جمع عارٍ، وهو الذي لا ثياب له.

جياعٌ فأشبعهم». ففتح الله بهم يوم بدر، فانقلبوا ما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسَوا وشبعوا. كذا في جمع الفوائد (٢/٣٨). وأخرجه البيهقي (٩/٥٧) مثله، وابن سعد (٢/١٣) بنحوه. وأخرج النَّسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما سمعت مناشداً ينشد أشدّ من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر[١]، جعل يقول: «اللهمَّ إني أنشدك عهدك ووعدك. اللهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة لا تعبد»، ثم التفت وكأن شِقَّ وجهه[٢] القمرُ، وقال: «كأني أنظر إلى مصارع القوم عشيّة». كذا في البداية (٣/٢٧٦). وأخرجه الطبراني بنحوه؛ قال الهيثمي (٦/٨٢): ورجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

﴿ دعاؤه عليه السلام في وقعة أحد والخندق ﴾

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد: «اللهمَّ إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض». ورواه مسلم. كذا في البداية (٤/٢٨).

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: «نعم. اللهمّ استر عوراتِنا، وآمن رَوْعاتنا». قال: فضرب الله وجوه أعدائه (بالريح)[٣]. وأخرجه ابن أبي حاتم.

وأخرج الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب[٤]، فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصلِّ. قال: ثم جاء ودعا عليهم وصلَّى. وثبت في الصحيحين عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهمَّ مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اهزِم الأحزاب. اللهمَّ اهزِمهم وزلزلهم». وفي

(١) الأصح أن يقال: من مناشدة محمد ﷺ (ربه) يوم بدر.
(٢) شق وجهه: جانب وجهه.
(٣) من البداية.
(٤) مسجد بُنِيَ فيما بعد في المكان الذي نزلت فيه الأحزاب.

رواية: «اللهمَّ اهزِمهم وانصرنا عليهم». وعند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده». كذا في البداية (٤/١١١).

الدعاء عند الجهاد

﴿ دعاؤه عليه السلام في وقعة بدر عند اشتغالهم في القتال ﴾

أخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل. قال: فجئت فإذا هو ساجد يقول: «يا حيٌّ يا قيّوم، يا حيٌّ يا قيُّوم،» لا يزيد عليها. فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً. فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك حتى فتح الله على يديه. وقد رواه النسائي في «اليوم والليلة». كذا في البداية (٣/٢٧٥). وأخرجه أيضاً البزّار، وأبو يَعْلى، والفِرْيابي، والحاكم بمثله؛ كما في كنز العمال (٥/٢٦٧).

الدعاء في الليل

﴿ دعاؤه عليه السلام في ليلة بدر ﴾

أخرج ابن مَرْدَوَيْه، وسعيد بن منصور عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلِّي تلك الليلة: ليلة بدر وهو يقول: «اللهمَّ إن تَهْلِك هذه العصابة لا تعبد»، وأصابهم تلك الليلة مطر. وعند أبي يَعْلى، وابن حِبَّان عنه قال: لما أصبح النبي ﷺ ببدر من الغد أحيا تلك الليلة كلَّها وهو مسافر. كذا في كنز العمال (٥/٢٦٧).

الدعاء بعد الفراغ

﴿ دعاؤه عليه السلام حين فرغ من وقعة أحد ﴾

أخرج الإمام أحمد عن رِفاعة الزُّرَقي رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أُثني على ربي عزّ وجلّ»؛ فصاروا خلفه صفوفاً. فقال: «اللهم لك الحمد كلُّه، اللهم

لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضلّ لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرّب لما باعدت، ولا مبعِّد لما قرَّبت. اللهمَّ ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهمَّ إنِّي أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهمَّ إني أسألك النعيم يوم العَيْلة(١) والأمن يوم الخوف. اللهمَّ إني عائذ بك من شرّ ما أعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهمَّ توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا(٢) ولا مفتونين. اللهمَّ قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك، ويصدّون عن سبيلك، واجعل عليهم رِجْزك وعذابك. اللهمَّ قاتل الكفرة الذين أُوتوا الكتاب، إله الحق». ورواه النسائي في «اليوم والليلة». كذا في البداية (٤/٣٨).

وأخرجه أيضاً البخاري في «الأدب»، والطبراني، والبغوي، والباوَرْدي، وأبو نُعيم في «الحلية»، والحاكم، والبيهقي. قال الذهبي: الحديث مع نظافة إسناده(٣) منكر أخاف أن يكون موضوعاً(٤). كذا في كنز العمال (٥/٢٧٦). وقال الهيثمي (٦/١٢٢) بعد ما ذكر الحديث: رواه الإمام أحمد، والبزار؛ ورجال أحمد رجال الصحيح. انتهى. وقد تقدم (ص ٢٧٧) دعاؤه ﷺ بعد فراغه من عرض الدعوة على أهل الطائف في «تحمُّل النبي ﷺ الشدائد والأذى في الدعوة إلى الله».

الاهتمام بالتعليم في الجهاد في سبيل الله

﴿ قول ابن عباس في معنى الآية «وما كان المؤمنون لينفروا كافة» ﴾

أخرج البيهقي (٩/٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الله

(١) العيلة: الفقر. والمحفوظ (اللهم إني أسألك العَوْن يوم العيلة).
(٢) خزايا: جمع خزيان وهو المستحيي.
(٣) أي ليس فيه وضّاع ولا كذاب.
(٤) روى الحاكم هذا الحديث في موضعين، ووافقه الذهبي على تصحيحه في أحدهما، وقال الكلام المثبت في الأعلى في موضع آخر.

تبارك وتعالى: ﴿خذوا حِذْركم فانفِروا ثُباتٍ أو انفروا جميعاً﴾ وقال: ﴿انفِروا خِفافاً وثقالاً﴾ وقال: ﴿إلَّا تنفروا يُعَذِّبْكُم عذاباً أليماً﴾، ثم نسخ[1] هذه الآيات فقال: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾. قال: فتغزو طائفة مع رسول الله ﷺ وتقيم طائفة. قال: فالماكثون مع رسول الله ﷺ هم الذين يتفقهون في الدين، وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم من الغزو، لعلَّهم يحذرون ما نزَّل الله من كتابه وفرائضه وحدوده.

﴿كتاب عمر إلى الأمراء للتفقه في الدين﴾

وأخرج آدم بن أبي إياس في «العلم» عن الأحوص بن حكيم بن عمير العبسي قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: تفقَّهوا في الدين فإنه لا يُعذر أحد باتباع باطل وهو يرى أنه حق، ولا بترك حق وهو يرى أنه باطل. كذا في كنز العمال (٥/٢٢٨).

﴿جلوس الصحابة حِلَقاً في السفر﴾

وأخرج عبد الرزاق عن حِطَّان بن عبدالله الرَّقَاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دِجلة، إذ حضرت الصلاة فنادى منادِيه للظهر؛ فقام الناس إلى الوضوء فتوضأ، ثم صلّى بهم، ثم جلسوا حِلَقاً. فلما حضرت العصر نادى منادِي العصر، فهبَّ الناس[2] للوضوء أيضاً. فأمر منادَيه: ألا لا وضوء إلَّا على من أحدث. قال أوشك

(١) قال الطبري في تفسيره: وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة، ثم أخرج عن عكرمة والحسن البصري أنهما قالا: إن الآيتين منسوختان نسخهما قوله تعالى: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة»، ثم قال الطبري: ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا يجب التسليم له، ولا حجة تأتي بصحة ذلك، وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين؛ وجائز أن يكون قوله: «إلَّا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً» لخاص من الناس، ويكون المراد به من استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه استنفر حياً من أحياء العرب فتثاقلوا عنه ـ الحديث. فإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة» نهياً من الله للمؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمنٍ مقيم فيها، وإعلاماً من الله لهم أن الواجب النَّفْر على بعضهم دون بعض، وذلك على من استُنفر منهم دون من لم يُستنفر. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى. وكان حكم كل واحدة منهما ماضياً فيما عُنِيَتْ به. انتهى. كذا في بذل المجهود (٣/٢٠٣).

(٢) هب الناس: أي نهضوا.

العلم أن يذهب، ويظهر الجهل حتى يضرب الرجل أمه بالسيف من الجهل. كذا في الكنز (٥/١١٤). وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/٢٧) مختصراً.

النفقة في الجهاد في سبيل الله

﴿ إنفاق بعض الصحابة في سبيل الله ﴾

أخرج مسلم (٢/٣٧) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة[١]. فقال: هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يومَ القيامة سبع مائة ناقة. كلُّها مخطومة». وأخرجه أيضاً النَّسائي، كما في جمع الفوائد (٢/٣).

وأخرج الإمام أحمد ـ ورجاله رجال الصحيح ـ عن عبدالله ابن الصامت قال: كنت مع أبي ذرّ رضي الله عنه فخرج عطاؤه ومعه جارية له. قال: فجعلت تقضي حوائجه، ففضل معها سبعة[٢]، فأمرها أن تشتري به فلوساً[٣]، قال قلت: لو أخَّرتَه للحاجة تنوبك أو للضيف ينزل بك. قال: إنَّ خليلي[٤] عهد إليّ أنْ «أيّما ذهبٍ أو فضةٍ أُوكِيَ[٥] عليه فهو جَمْر على صاحبه حتى يفرغَه في سبيل الله عزّ وجلّ». وعند أحمد أيضاً والطبراني ـ واللفظ له ـ: «من أوكَى على ذهب أو فضة ولم ينفقه في سبيل الله كان جمراً يوم القيامة يكوى به». كذا في الترغيب (٢/١٧٨).

وأخرج الطبراني في الأوسط عن قيس بن سَلْـعٍ الأنصاري رضي الله عنه أن إخوته شكَوه إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه يبذِّر ماله، وينبسط فيه. قلت: يا رسول الله، آخذ نصيبي من التمر، فأنفقه في سبيل الله وعلى من صحبني. فضرب رسول الله صدره وقال: «أنفق ينفقِ الله عليك» ثلاث

(١) خطمتَ البعير: إذا كويته خطاً من الأنف إلى أحد خديه. عن النهاية.
(٢) أي سبعة دراهم وهي من ذهب أو فضة والآية إنما تحرم كنز الذهب والفضة.
(٣) هي من النحاس.
(٤) خليلي: يريد به الرسول عليه السلام.
(٥) أوكي عليه: أي جعل عليه الوكاء. والوكاء: الخيط الذي تشد به الصرة أو الكيس.

مرات. فلما كان بعد ذلك خرجت في سبيل الله ومعي راحلة، وأنا أكثر أهل بيتي اليوم وأيسره. كذا في الترغيب (٢/١٧٣). وأخرجه أيضاً ابن مَنْده. وهو عند البخاري من هذا الوجه باختصار، كما في الإصابة (٣/٢٥٠).

﴿ ثواب الإنفاق في الجهاد ﴾

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله تعالى، فإنَّ له بكل كلمة سبعين ألف حسنة، كل حسنة منها عشرة أضعاف مع الذي له عند الله من المزيد». قيل: يا رسول الله النفقة؟ قال: «النفقة على قدر ذلك». قال عبد الرحمن: فقلت لمعاذ رضي الله عنه: إنّما النفقة بسبع مائة ضعف. فقال معاذ: قلّ فهمك! إنما ذاك إذا أنفقوها وهم مقيمون بين[1] أهليهم غير غُزاة. فإذا غزوا وأنفقوا خبَّأ الله لهم من خزائن رحمته[2] ما ينقطع عنه علم العباد ووصفهم[3]، فأولئك حزب الله، وحزب الله هم الغالبون. قال الهيثمي (٥/٢٨٢) وفيه رجل لم يسمَّ. انتهى.

وقد أخرجه القزويني بمجهول وإرسال، كما في جمع الفوائد (٢/٣) عن الحسن عن علي، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وابن عمرو ابن العاص، وجابر، وعمران بن حصين رضي الله عنهم رَفَعوه: «من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبع مائة درهم. ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعُ مائة ألف درهم» ثم تلا هذه الآية: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾. وقد تقدم (ص٤٢١) ما أنفق أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس، وسعد ابن عبادة، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في «تحريض النبي ﷺ على الجهاد وإنفاق الأموال». وسيأتي التفصيل في تلك القصص وغير ذلك في «نفقات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين».

---

(١) في الترغيب: في أهليهم. وهو أحسن.

(٢) من الترغيب: وفي الأصل: من خزانته رحمة. والصحيح ما في الترغيب.

(٣) من الترغيب: وفي الأصل: وصفتهم. وهو خطأ.

إخلاص النية في الجهاد في سبيل الله

﴿ لا أجر لمن يريد الدنيا والذكر ﴾

أخرج أبو داود، وابن حِبَّان في صحيحه، والحاكم باختصار، ـ وصححه ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله: رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضاً من الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له». فأعظمَ ذلك الناس، فقالوا للرجل عُدْ لرسول الله ﷺ فلعلَّك لم تُفهمه. فقال الرجل: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا. فقال (رسول الله ﷺ)[1] «لا أجر له». فأعظمَ ذلك الناس، وقالوا عُدْ لرسول الله ﷺ. فقال له الثالثة: رجل يريد الجهاد (في سبيل الله)[2] وهو يبتغي عرضاً من الدنيا. فقال: «لا أجر له». كذا في الترغيب (٢/٤١٩).

وعند أبي داود، والنَّسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذِكْر[3]، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء لـه». فأعادها ثلاث مرات، يقول رسول الله ﷺ: «لا شيء له»؛ ثم قال: «إنَّ الله لا يقبـل من العمل إلَّا ما كان خالصاً وابتُغي به وجهُه». كذا في الترغيب (٢/٤٢١).

﴿ قصة قزمان ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة رضي الله عنه قال: كان فينا رجل أَتِيّ[4] لا يُدرى من هو يقال له «قُزْمان»، فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر: «إنه لمن أهل النار». قال: فلما كان يوم أُحد قاتل قتالاً شديداً، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتُمل إلى دار بني ظَفَـر قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قُزْمان فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ فوالله إنْ قاتلت

(١ ـ ٢) من الترغيب.

(٣) الذكر: الصيت.

(٤) أتِيّ: غريب.

إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كِنانته فقتل به نفسه. كذا في البداية (٤/٣٦).

﴿ قصة الأصيرم ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه كان يقول: حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلّ قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول: أُصَيْرِم بني عبد الأشهل: عمرو بن ثابت بن وَقْش. قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد[١]: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه. فلما كان يوم أُحد بَدَا له فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عُرْض الناس فقاتل حتى أثبتته[٢] الجراحة. قال: فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إنَّ هـذا للأُصَيْرِم ما جاء به؟! لقد تركناه؛ وإنه لمنكر لهذا الحديث[٣]. فسألوه فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أَحَدَب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله، وأسلمت؛ ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. فلم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ. فقال: «إنَّه من أهل الجنة». كذا في البداية (٤/٣٧). قال في الإصابة (٢/٥٢٦): هذا إسناد حسن، رواه جماعة من طريق ابن إسحاق. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نعيم في «المعرفة» بمثله، كما في الكنز (٧/٨)؛ والإمام أحمد بمثله، كما في المجمع (٩/٣٦٢)؛ وقال: ورجاله ثقات.

وأخرجه أبو داود، والحاكم من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن عمرو بن أُقيش كان له رِبا في الجاهلية فكره أن يسلم، حتى يأخذه؛ فجاء (في)[٤] يوم أُحد فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأُحُد. قال: بأُحُد؛

---

(١) وفي المجمع: لمحمود بن لبيد.

(٢) أثبتته: أثقلته فلم يتحرك.

(٣) أي الإسلام.

(٤) من الإصابة.

فلبس لأمته، وركب فرسه؛ ثم توجه قِبَلهم. فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنّا يا عمـرو، قال: إني قد آمنت، فقاتل قتالاً حتى جرح فحمل إلى أهله جريحاً. فجاءه سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لأخيه سلَمة: حمية لقومه أو غضباً لله ورسوله؟ قال: بل غضباً لله ورسوله. فمات فدخل الجنة؛ وما صلى لله صلاة. قال في الإصابة (٢/٥٢٦): هذا إسناد حسن. وأخرجه البيهقي (٩/١٦٧) بهذا السياق - بنحوه.

﴿ قصة رجل من الأعراب ﴾

وأخرج البيهقي عن شدّاد بن الهادِ: أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتّبعه، فقال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه. فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ فقسمه، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له؛ وكان يرعى ظَهْرهم. فلما جاء دفعوه إليه؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ. فقال: **ما على هذا اتّبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت؛ فأدخل الجنة**. فقال: «إن تصدقِ الله يَصْدُقْك». ثم نهضوا إلى قتال العدوّ. فأُتيَ به رسول الله ﷺ يُحمل، وقد أصابه سهم حيث أشار. فقال النبي ﷺ: «هُوَ هُوَ!» قالوا: نعم. قال: «صدق الله، فصدقه»؛ وكفَّنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدَّمه فصلَّى عليه؛ وكان ممّا ظهر من صلاته: «اللهمّ هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، قتل شهيداً؛ وأنا عليه شهيد». وقد رواه النسائي - نحوه. كذا في البداية (٤/١٩١). وأخرجه الحاكم (٣/٥٩٥) بنحوه.

﴿ قصة رجل أسود ﴾

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، لا مـالَ لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنة؟ قال: «نعم». فتقدّم فقاتل حتى قتل. فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول. فقال: «لقد حسّن الله وجهك، وطيّب

ريحك، وكثّر مالك»؛ وقال: «لقد رأيتُ زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيها بين جلده وجبته». كذا في البداية (٤/١٩١). وأخرجه الحاكم أيضاً ـ بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم، كما في الترغيب (٢/٤٤٧).

﴿ قصة عمرو بن العاص ﴾

وأخرج الإمام أحمد ـ بسند حسن ـ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بعث إليّ النبي ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني». فأتيته فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلِّمَك الله ويُغْنِمَك، وأرغب[١] لك من المال رغبة صالحة». فقلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، بل أسلمت رغبة في الإسلام. قال: «يا عمرو، نِعمّا المال[٢] الصالح للمرء الصالح». كذا في الإصابة (٣/٣).

وأخرجه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال فيه: ولكن أسلمت رغبة في الإسلام، وأكون مع رسول الله ﷺ. فقال: «نعم؛ ونِعمّا المال الصالح للمرء الصالح. كذا في المجمع (٩/٣٥٣)، وقال: رجال أحمد، وأبي يَعلى رجال الصحيح. انتهى.

﴿ أقوال عمر في الشهداء ﴾

وأخرج الحارث عن أبي البَخْتري الطائي: أن ناساً كانوا بالكوفة مع أبي المختار يعني: والد المختار بن أبي عُبيد حيث قتل بجسر أبي عُبيد. قال: فقتلوا إلا رجلين حملا على العدوّ بأسيافهما فأفرجوا لهما فنجيا ـ أو ثلاثة ـ، فأتَوا المدينة. فخرج عمر رضي الله عنه وهم قعود يذكرونهم، فقال عمر: عمّ قلتم لهم؟. قالوا: استغفرنا لهم ودعونا لهم. قال: لتحدثُنّي بما قلتم لهم أو لتلقون مني بَرْحاً[٣]. قالوا: إنا قلنا إنهم شهداء. قال: والذي لا إله

---

(١) أرغب: أحب.

(٢) في الأصل: نعمّا بالمال الصالح. والصحيح نعمّا المال الصالح؛ جاء في القرآن الكريم: «فنعمّا هي». ويظهر أن الكلمة قد صُحِّفَتْ من قِبَل النُّسَّاخ.

(٣) بَرْحاً: شدة.

غيره، والذي بعث محمداً بالحق، لا تقوم الساعة إلا بإذنه، لا تعلم نفس حيّة ماذا عند الله لنفس ميتة إلا نبي الله، فإن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر. والذي لا إله غيره والذي بعث محمداً بالحق والهدى، لا تقوم الساعة إلَّا بإذنه. إن الرجل يقاتل رياءً، ويقاتل حمية، ويقاتل يريد الدنيا، ويقاتل يريد المال؛ **وما للذين يقاتلون عند الله إلا ما في أنفسهم**. كذا في كنز العمال (٢/٢٩٢)، وقال: قال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات إلا أنه منقطع. انتهى.

وأخرج تَمَّام عن مالك بن أوس بنِ الحَدَثان رضي الله عنه قال: تحدثنا بيننا عن سرية أصيبت في سبيل الله على عهد عمر رضي الله عنه. فقال قائلنا: عمال الله، في سبيل الله، وقع أجرهم على الله. وقال قائلنا: يبعثهم الله على ما أماتهم عليه. فقال عمر: أجل - والذي نفسي بيده - ليبعثهم الله على ما أماتهم عليه؛ إنَّ مِنَ الناس من يقاتل رياءً وسمعة، ومنهم من يقاتل ينوي الدنيا؛ ومنهم من يلحمه[1] القتال فلا يجد من ذلك بُدّاً. ومنهم من يقاتل صابراً محتسباً فأولئك هم الشهداء، مع أني لا أدري ما هو مفعول بي ولا بكم؛ غير أني أعلم أن صاحب هذا القبر - يعني رسول الله ﷺ - قد غُفر له ما تقدم من ذنبه.

وعند ابن شيبة عن مسروق قال: إن الشهداء ذكروا عند عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؛ فقال عمر للقوم: ما ترون الشهداء؟ قال القوم: يا أمير المؤمنين هم من يقتل في هذه المغازي. فقال عند ذلك: إن شهداؤكم إذاً لكثير، إني أخبركم عن ذلك: إن الشجاعة والجبن غرائز[2] في الناس يضعها الله حيث يشاء، فالشجاع يقاتل من وراء لا يبالي أن يؤوب إلى أهله. والجبان فارّ عن حليلته[3]، . ولكن الشهيد من احتسب بنفسه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. كذا في

(١) يلحمه: يفجؤه.
(٢) غرائز: جمع غريزة، وهي الطبيعة.
(٣) حليلته: زوجته.

كنز العمال (٢/٢٩٢).

﴿ قصة عبدالله بن الزبير وأمه ﴾

وأخرج نعيم بن حمّاد في «الفتن» عن ضِمام: أن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أرسل إلى أمه أن الناس قد انفضُّوا عني وقد دعاني هؤلاء إلى الأمان. فقالت: إن خرجت لإحياء كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فَمُتْ على الحق، وإن كنت إنما خرجت على طلب الدنيا فلا خير فيك حيّاً ولا ميّتاً. كذا في الكنز (٧/٥٧).

امتثال أمر الأمير في الجهاد والنَّفْر في سبيل الله

﴿ إنكار أبي موسى الأشعري على رجل لم يمتثل أمره وقوله له ﴾

أخرج ابن عساكر عن أبي مالك الأشعري قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، وأمّر علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. فسرنا حتى نزلنا منزلاً، فقام رجل فأسرج دابته، فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد العلف، فقلت له: لا تفعل حتى نسأل صاحبنا، فأتينا أبا موسى الأشعري[1]، فذكرنا ذلك له. فقال: لعلك تريد أن ترجع إلى أهلك، قال: لا، قال: انظر ما تقول، قال: لا. قال: فامض راشداً. فانطلق فبات مليّاً، ثم جاء، فقال له أبو موسى: لعلك أتيت أهلك. قال لا، قال: فانظر ما تقول. قال: نعم. قال أبو موسى: فإنك سرت في النار إلى أهلك، وقعدت في النار، وأقبلت في النار، واستقبلْ[2]. كذا في الكنز (٣/١٦٩).

انضمام بعضهم إلى بعض في النَّفْر والجهاد في سبيل الله

﴿ إنكار النبي ﷺ على التفرق في الجهات والأودية وإنكاره على تضييق المنازل ﴾

أخرج أبو داود، والنَّسائي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلوا تفرّقوا في الشِّعاب والأودية. فقال رسول الله ﷺ: «إن تفرقكم في الشِّعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان»؛ فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلاَّ انضم بعضهم إلى بعض. كذا في الترغيب

(١) لعل أبا موسى كان أميراً على جماعة من السرية.
(٢) استقبلْ: اعمل شيئاً جديداً تكفِّر به عن ذنبك.

(٥/ ٤٠). وأخرجه البيهقي (١٥٢/٩) نحوه، وزاد: حتى يقال: لو بُسط عليهم ثوب لعمّهم. وهكذا أخرجه ابن عساكر، كما في الكنز (٣٤١/٣)، ولفظه: حتى لو بسط عليهم ثوب لوسعهم.

وأخرجه البيهقي أيضاً (١٥٢/٩) عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة كذا وكذا، فضيّق الناس المنازل وقطعوا الطريق. فبعث نبي الله ﷺ منادياً ينادي في الناس: «إن من ضيّق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له». وأخرجه أيضاً أبو داود بمثله؛ كما في المشكاة (ص ٣٣٢).

الحراسة في سبيل الله

﴿ حراسة أنس بن أبي مرثد ﴾

أخرج أبو داود عن سهل بن الحنظليَّة رضي الله عنه أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حُنَين، فأطنبوا السير[١] حتى كانت عشيّة؛ فحضرتُ صلاة (الظهر مع)[٢] رسول الله ﷺ. فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت (على) جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم[٣] بظُعنِهم[٤] ونَعَمهم وشاءَهم اجتمعوا إلى حنين. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»، (ثم) قال: «من يحرسنا الليلة؟» قال أنس بن (أبي) مرثد الغنوي رضي الله عنه: أنا يا رسول الله؟ قال: «فاركب»، فركب فرساً له، وجاء إلى رسول الله ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: «استقبل هذا الشِّعْب حتى تكون في أعلاه، ولا نُغْرر[٥] من

---

(١) أطنبوا: أي بالغوا فيه.

(٢) من الترغيب. وفي الأصل: فحضرت صلاة عنده. وكذلك بعض التصحيحات الأخرى والكلمات المحصورة فهي من الترغيب.

(٣) على بكرة أبيهم: قال في المجمع: يريدون بها الكثرة ومجيء جميعهم وليس هناك بكرة. قال الطيبي: على بمعنى مع، وهو مثل أصله أن جمعاً عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعاً حتى أخذوا بكرة أبيهم، وهي التي يستقي عليها. كذا في بذل المجهود (٣٠٢/٣).

(٤) بظُعنِهم: أي بنسائهم.

(٥) من المنتخب وأبي نعيم، وفي أبي داود: لا نغرنَّ. أي لا نُأخْذ على غِرَّة: أي غفلة.

قِبَلك الليلة». فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاَّه فركع ركعتين، ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: يا رسول الله ما أحسسناه. فثُوِّب بالصلاة(١)، ؛ فجعل رسول الله ﷺ - وهو يصلي - يلتفت إلى الشِّعب، حتى إذا قضى (رسول الله ﷺ) صلاته وسلَّم. فقال: «ابشروا فقد جاءكم فارسكم». فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ؛ فسلّم وقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ. فلما أصبحت اطَّلعت الشِّعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحداً. فقال له رسول الله ﷺ: «هل نزلت الليلة؟» قال: لا، إلا مصلياً أو قاضياً حاجة. فقال له رسول الله ﷺ «قد أوجبتَ(٢)، فلا عليك أن لا تعمل بعدها». وأخرجه البيهقي أيضاً بمثله (٩/١٤٩). وأخرجه أبو نعيم عن سهل بن الحنظلية - نحوه؛ كما في المنتخب (٥/١٤٣).

﴿ حراسة رجل في هذا الباب ﴾

وأخرج الطبراني عن أبي عطية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس فحُدِّث أن رجلاً توفي، فقال: «هل رآه أحد منكم على عمل من أعمال الخير؟» فقال رجل: نعم، حرست معه ليلة في سبيل الله. فقام رسول الله ﷺ ومن معه، فصلَّى عليه. فلما أُدخل القبر حثا رسول الله ﷺ بيده من التراب، ثم قال: «إن أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة»؛ ثم قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تسأل عن أعمال الناس، ولكن سل عن الفِطرة». قال الهيثمي (٥/٢٨٨): إبراهيم بن محمد بن عِرق الحمصي شيخ الطبراني ضعفه الذهبي. إهـ.

وأخرجه أيضاً ابن عساكر عن أبي عطية رضي الله عنه أن رجلاً توفي على عهد رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: يا رسول الله لا تصلّ عليه. فقال رسول الله ﷺ: «هل رآه؟» فذكره؛ كما في الكنز (٢/٢٩١). وأخرجه

---

(١) ثُوِّب بالصلاة: أقيمت الصلاة.

(٢) أوجبتَ: أتيت بفعل أوجب لك الجنة.

البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن ابن عائذ رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل. فلما وُضع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تصلِّ عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر. فالتفت رسول الله ﷺ إلى الناس فقال: «هل رآه؟» فذكره - بنحوه؛ كما في المشكاة (ص ٣٢٨).

﴿ حراسة أبي ريحانة وعمّار وعبَّاد رضي الله عنهم ﴾

وقد تقدم (ص ٣٢٥) حديث أبي رَيْحانة رضي الله عنه في «تحمُّل شدة البرد»، وفيه: قال: «من يحرسنا الليلة فأدعو له بدعاء يصيب فضله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، قال: «من أنت؟» قال: فلان، قال: «ادنهْ»، فدنا، فأخذ ببعض ثيابه ثم استفتح الدعاء. فلما سمعت قلت: أنا رجل. قال: «من أنت؟» قال: أبو ريحانة، قال: فدعا لي دون ما دعا لصاحبي ثم قال: «حُرِّمت النار على عين حرست في سبيل الله». أخرجه الإمام أحمد، والنَّسائي، والطبراني، والبيهقي. وحديث جابر رضي الله عنه في الصلاة في سبيل الله، وفيه: فقال: من يكلؤنا ليلنا؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، قال: فكونا بفم الشِّعب من الوادي؛ وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر - فذكر الحديث بطوله[1]. أخرجه ابن إسحاق وغيره.

تحمل الأمراض في الجهاد والنفر في سبيل الله

﴿ قصة أبيّ بن كعب ودعاؤه لتحمل الحمَّى ﴾

أخرج ابن عساكر عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء يصيب المؤمن في جسده إلا كفّر الله عنه به من الذنوب». فقال أُبيّ ابن كعب رضي الله عنه: اللهمَّ إني أسألك أن لا تزال الحمَّى مصارعة لجسد أُبيّ بن كعب حتى يلقاك؛ لا تمنعه من صلاة، ولا صيام، ولا حجٍ، ولا عُمْرة، ولا جهاد في سبيلك. فارتكبته الحمَّى مكانه، فلم تفارقه[2] حتى

(١) انظر (ص ٤٨١).
(٢) في الأصل: فلم تزل تفارقه. وهو خطأ.

مات. وكان في ذلك يشهد الصلاة، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ويغزو.

وعنده أيضاً، وعند الإمام أحمد، وأبي يَعلى من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا، ما لنا بها؟ قال: «كفَّارات» قال له أُبيّ: وإنْ قلَّت؟ قال: «وإنْ شوكة فما فوقَها». قال: فدعا أبيّ على نفسه أن لا يفارقه الوعك[1] حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج[2]، ولا عمرة، ولا جهاد في سبيل الله، ولا صلاة مكتوبة في جماعة. فما مسَّه إنسان إلاَّ وجد حرّه حتى مات. كذا في الكنز (٢/١٥٣). قال في الإصابة (١/٢٠): رواه الإمام أحمد، وأبو يَعلى، وابن أبي الدنيا؛ وصحَّحه ابن حِبّان؛ ورواه الطبراني من حديث أبيّ بن كعب بمعناه، وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه ابن عساكر كما في الكنز (٧/٢)؛ وأبو نُعيم في «الحلية» (١/٢٥٥) عن أبيّ بن كعب بمعناه.

الطعن والجراحة في الجهاد في سبيل الله

﴿ جراحة النبي عليه السلام ﴾

أخرج البخاري (ص ٩٨) عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر، فدَميت أصبُعه. فقال: –

هل أنتِ إلاّ أصبعٌ دَمِيتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

وقد تقدم (ص ٢٧٨) في ذكر «تحمل النبي ﷺ الشدائد والأذى» من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كُسرت رَباعِيَتُه يوم أحد، وشُجَّ في رأسه ـ فذكر الحديث. أخرجه الشيخان وغيرهما.

﴿ جراحة طلحة بن عُبيدالله وعبد الرحمن بن عوف ﴾

وقد تقدم (ص ٢٧٩) من حديث عائشة رضي الله عنها عند الطيالسي قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكرَ يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة

(١) الوعك: الحمَّى.

(٢) في الأصل: «حتى أن يموت في أن لا يشغله عن حج». وقد صححنا هذه الجملة من الترغيب والإصابة.

ثم أنشأ يحدّث ـ فذكر الحديث، وفيه: فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرت رباعيته، وشُجَّ في وجهه، وقد دخل في وجنته حَلقتان من حِلق المِغفر[١]. قال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما» ـ يريد طلحة رضي الله عنه ـ وقد نزف، فذكر الحديث وفيه: ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار[٢]، فإذا به بضع وسبعون بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه؛ فأصلحنا من شأنه.

وأخرج أبو نُعيم عن إبراهيم بن سعد قال: بلغني أن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه جرح يوم أحد إحدى وعشرين جراحة، وجرح في رجله فكان يعرج منها. كذا في المنتخب (٥/٧٧).

﴿ جراحة أنس بن النضر ﴾

وأخرج البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم والنَّسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليَرَيَنَّ الله ما أصنع!! فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون فقال: اللهمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ، ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر! إني أجد ريحها (من)[٣] دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع[٤]. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم؛ ووجدناه قد قُتل، وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. فقال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»[٥] ـ إلى آخر الآية. كذا في الترغيب (٢/٤٣٦). وأخرجه

---

(١) المغفر: ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه.

(٢) الجفار: جمع جفرة بضم الجيم وسكون الفاء: وهي حفرة في الأرض.

(٣) من البخاري.

(٤) في الأصل: «أصنع ما صنع». ولم أجده في البخاري.

(٥) سورة الأحزاب آية: ٢٣.

أيضاً الإمام أحمد، والترمذي عن أنس رضي الله عنه بنحوه.

وعند الإمام أحمد أيضاً من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه قال: عمي سُمِّيتُ به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر. قال: فشقَّ عليه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليَرَينَّ الله ما أصنع!! قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد. قال: فاستقبل سعدَ بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واهاً لريح الجنة[1]!! أجده دون أحد. قال: فقاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية. قال: فقالت أخته: عمتي الرُّبَيِّعُ بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه: ونزلت هذه الآية: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدَّلوا تبديلاً﴾، قال. فكانوا يَرَوْن أنها نزلت فيه وفي أصحابه. ورواه الترمذي، والنَّسائي؛ وقال الترمذي: حسن صحيح. كذا في البداية (٤/٣٢). وأخرجه أيضاً الطيالسي، وابن سعد، وابن أبي شيبة، والحارث، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، كما في الكنز، (٧/١٥). وأبو نعيم في الحلية (١/١٢١): والبيهقي (٩/٤٤).

﴿جراحة جعفر بن أبي طالب﴾

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر؛ وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة». قال عبدالله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى؛ ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية. وزاد في أخرى عنه: ليس منها شيء في دُبُرِه. كذا في البداية (٤/٢٤٥). وأخرجه الطبراني أيضاً عن ابن عمر ـ نحوه؛ كما في الإصابة (١/٢٣٨). وأبو نعيم في الحلية (١/١١٧)؛ وابن سعد (٤/٢٦).

---

(١) واهاً: أي أعجَبُ.

﴿ جراحة سعد بن معاذ ﴾

وأخرج ابن أبي شيبة عن عمرو بن شرحبيل رضي الله عنه قال: لما أُصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه بالرَّمية يوم الخندق جعل دمه يسيل على النبي ﷺ. فجاء أبو بكر رضي الله عنه فجعل يقول: وا انقطاعَ ظهراه، فقال النبي ﷺ ـ «مَهْ يا أبا بكر»، فجاء عمر رضي الله عنه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. كذا في الكنز (١٢٢/٨).

﴿ إصابة عين أبي سفيان يوم الطائف ﴾

وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبيد الثقفي رضي الله عنه قال: رأيت أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه يوم الطائف قاعداً في حائط أبي يعلى يأكل، فرميته فأصيبت عينه. فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه عيني أصيبت في سبيل الله. فقال النبي ﷺ: «إن شئت دعوتُ الله فرُدّت عليك، وإن شئت فالجنة». قال: فالجنة. كذا في الكنز (٣٠٧/٥). وأخرجه أيضاً الزبير بن بكّار ـ نحوه؛ كما في الكنز (١٧٨/٢).

﴿ إصابة عين قتادة بن النعمان ورفاعة بن رافع يوم بدر ﴾

وأخرج البغوي، وأبو يعلى عن عاصم بن عمر بن قتادة عن قتادة ابن النعمان رضي الله عنه أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته؛ فأرادوا أن يقطعوها ـ فذكر الحديث؛ كما سيأتي في «باب كيف أُيِّدت الصحابة».

وأخرج البزار، والطبراني عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية بن خَلَف؛ فأقبلنا إليه. فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، فأطعنه بالسيف طعنة، ورُمِيت يوم بدر بسهم، ففقئت عيني؛ وبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فيها، فما آذاني شيء. قال الهيثمي (٨٢/٦): وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف. انتهى.

﴿ قصة رافع بن خديج ورجلين من بني عبد الأشهل ﴾

وقد تقدّم (ص ٤٩٣) حديث يحيى بن عبد الحميد عن جدته: أن رافع بن خديج رضي الله عنه رُمي بسهم في ثُنْدُوَته[1]. وحديث أبي السائب رضي الله عنه في احتمال الجراح والأمراض (ص ٣٣٢): أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أُحُداً أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين - فذكر الحديث، وفيه: والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه؛ فكان إذا غُلب حملته عُقبة ومشى عُقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

﴿ جراحة البراء بن مالك وذهاب لحم عظامه ﴾

وأخرج خليفة عن أنس رضي الله عنه قال: رمى البراء رضي الله عنه بنفسه عليهم - أي على أهل الحديقة[2] يوم قتال مسَيْلِمَة -، فقاتلهم حتى فتح الباب؛ وبه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة. فحمل إلى رَحْله يُداوَى، وأقام عليه خالد رضي الله عنه شهراً. وأخرجه أيضاً بقيّ ابن مَخْلَد في مسنده عن خليفة بإسناده مثله؛ كما في الإِصابة (١/ ١٤٣).

وأخرج الطبراني عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة رضي الله عنه قال: بينما أنس بن مالك وأخوه عند حصن من حصون العدوّ يعني بالحريق - بالعراق -، وكانوا يلقون كلاليب[3] في سلاسل محمَّاة، فتعلق بالإِنسان فيرفعونه إليهم؛ ففعلوا ذلك بأنس. فأقبل البراء حتى تراءى في الجدار، ثم قبض بيده على السلسلة؛ فما برح حتى قطع الحبل. ثم نظر إلى يده، فإذا عظامها تلوح، قد ذهب ما عليها من اللحم. وأنجى الله أنس بن مالك بذلك. كذا في الإِصابة (١/ ١٤٣).

وذكره في المجمع عن الطبراني، وفيه: فعَلِق بعض تلك الكلاليب

---

(١) الثندوة: للرجل بمنزلة الثدي للمرأة.

(٢) الحديقة: بستان كان لمسيلمة الكذّاب، وقد حصلت معركة قوية عنده وقُتل فيه.

(٣) كلاليب: جمع كلّوب بتشديد اللام: حديدة معوجة الرأس.

بأنس بن مالك رضي الله عنه، فرفعوه حتى أقلّوه من الأرض؛ فأُتي أخوه البراء فقيل له: أدرك أخاك ـ وهو يقاتل الناس ـ، فأقبل يسعى حتى نزا[1] في الجدار؛ ثم قبض بيده على السلسلة وهي تُدار، فما برح يجرّهم ويداه تُدَخِّنان حتى قطع الحبل. ثم نظر إلى يديه ـ فذكره؛ قال الهيثمي (٩/٣٢٥): وإسناده حسن. انتهى.

تمني الشهادة والدعاء لها

﴿ تمني النبي عليه السلام القتل في سبيل الله ﴾

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلّفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه؛ ما تخلَّفت عن سريّة تغزو في سبيل الله. والذي نفسي بيده، لوددتُ أنِّي أُقتل في سبيل الله ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا. ثم أُقتل».

وأخرج مسلم (٢/١٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمّن الله لمن خرج في سبيله؛ لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمانٌ بي، وتصديقٌ برسلي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أَرْجِعَهُ إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده، ما من كَلْم يُكْلَم في سبيل الله تعالى إلا جاء يوم القيام كَهَيْأَتِهِ حين كُلِم، لونه لون الدم وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشقَّ على المسلمين ما قعدت خِلاف سَريّة تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سَعَة فأحملهم، ولا يجدون سَعَة ويشق عليهم أن يتخلَّفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددتُ أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل». وأخرج الحديث أيضاً الإمام أحمد، والنَّسائي، كما في كنز العمال (٢/٢٥٥).

---

(١) نزا: وثب.

﴿ تمني عمر الشهادة ﴾

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن قيس بن أبي حازم قال: خطب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الناس ذات يوم فقال في خطبته: إنَّ في جنات عَدْن قصراً له خمس مائة باب، على كل باب خمسة آلاف من الحور العين، لا يدخله إلا نبي. ثم التفت إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: هنيئاً لك يا صاحب (هذا)[1] القبر. ثم قال: أو صدِّيق، ثم التفت إلى قبر أبي بكر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا أبا بكر. ثم قال: أو شهيد، ثم أقبل على نفسه فقال: وأنَّى لك الشهادةُ يا عمر؟ ثم قال: إنَّ الذي أخرجني من مكة إلى هجرة المدينة قادر أن يسوق إليّ الشهادة. كذا في كنز العمال (٧/٢٧٥). وزاد في مجمع الزوائد (٩/٥٥) عن الطبراني: قال ابن مسعود رضي الله عنه: فساقها الله إليه على يد شرّ خلقه عبد مملوك للمغيرة. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير شَرِيك النَخعي وهو ثقة، وفيه خلاف. إهـ.

وأخرج البخاري عن أسْلَم عن عمر رضي الله عنه: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ. وأخرجه الإسماعيلي عن حَفْصَة رضي الله عنها قالت: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: اللهم قتلاً في سبيلك، ووفاةً ببلد نبيك ﷺ. قالت: فقلت: وأنّى يكون هذا؟ قال: يأتي به الله إذا شاء. كذا في فتح الباري (٤/٧١).

﴿ تمني عبدالله بن جحش الشهادة ﴾

وأخرج الطبراني عن سعد بن أبي وقاص أن عبدالله بن جحش قال له يوم أُحد: ألا تدعو الله؟ فَخَلَوَا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب، إذا لقيت العدوّ فلقّني رجلاً شديداً بأسُه، شديداً حَرَدُه، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه، حتى أقتله وآخذ سَلَبه؛ فأمَّن عبدالله بن جحش. ثم قال: اللهم، ارزقني رجلاً شديداً حَرَدُه، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع[2] أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلتَ: من جدع أنفك

---

(١) من مجمع الزوائد.

(٢) يجدع: يقطع.

وأذنك؟[١] فأقول: فيك وفي رسولك ﷺ. فتقول: صدقتَ. قال سعد: يا بُنيّ، كانت دعوة عبدالله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلَّقان في خيط. قال الهيثمي (٩/٣٠١): رجاله رجال الصحيح. إهـ. وهكذا أخرجه البغوي كما في الإصابة (٢/٢٨٧)، وابن وَهْب كما في الاستيعاب (٢/٢٧٤)؛ والبيهقي (٦/٢٠٧) - مثله. وهكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/١٠٩)، إلا أنه لم يذكر دعاء سعد، واقتصر على دعاء عبدالله.

وأخرجه الحاكم (٣/٢٠٠) عن سعيد بن المسيِّب قال: قال عبدالله ابن جحش رضي الله عنه: اللهم إنِّي أُقسم عليك أن ألقى العدوّ غداً، فيقتلوني ثم يبقروا[٢] بطني، ويجدعوا أنفي وأذني، ثم تسألني بمَ ذاك؟ فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيِّب: إني لأرجو أن يبرّ الله آخر قسمه كما برّ أوله. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: مرسل صحيح - إهـ. وهكذا أخرجه ابن شاهين، وابن المبارك في الجهاد، كما في الإصابة (٢/٢٨٧)، وأبو نُعَيم في الحلية (١/١٠٩)، وابن سعد (٣/٦٣).

﴿ تمني البراء بن مالك الشهادة ﴾

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ربّ ذي طِمْرَين[٣] لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّه، منهم البراء ابن مالك» رضي الله عنه. فلما كان يومُ تُسْتَرَ انكشف الناس فقالوا: يا براء، أقسمْ على ربك. فقال: (أقسمت عليك يا رب)[٤] لَمَّا[٥] منحتنا أكتافهم

---

(١) كذا في الأصل. وفي الاستيعاب: فيمَ جُدِعَ أنفك وأُذنك؟ وهو أحسن لأنه يوافق الجواب: «فيك وفي رسولك».
(٢) يبقروا: يشقُوا.
(٣) الطِمر: الثوب البالي.
(٤) من الإصابة. وفي الأصل: «أقسم على ربي، عليك أي ربّ» وهو كلام غير فصيح.
(٥) لَمَّا: بمعنى إلا.

وألحقني بنبيك ﷺ (قال)[1]، فاستُشهد. كذا في الكنز (٧/ ١١). وأخرجه الترمذي ـ نحوه؛ كما في الإِصابة (١/ ١٤٤).

وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٩١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيف متضعّف ذي طِمْرين، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه، منهم البراء بن مالك» رضي الله عنه؛ فإن البراء لقي زحفاً من المشركين ـ وقد أوجع المشركون في المسلمين ـ فقالوا: يا براء، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنك لو أقسمت على الله لأبرّك». فأقسم على ربك. فقال: أقسمت عليك يا ربّ لَمَّا منحتنا أكتافَهم، ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين.. فقالوا له: يا براء أقسمْ على ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لَمَّا منحتنا أكتافهم، وألحقني بنبيك ﷺ، فمُنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً. قال الحاكم (٣/ ٢٩٢): هذا حديث صحيح الإِسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧) ـ نحوه.

﴿ تمني حممة الشهادة ﴾

وأخرج أبو داود، ومُسدِّد، والحارث، وابن أبي شيبة، وابن المبارك من طريق حميد بن عبد الرحمن الحميري: أن رجلاً يقال له حُمَمة من أصحاب النبي ﷺ غزا إصبهان زمن عمر رضي الله عنه، فقال: اللهمَّ إنَّ حُمَمة يزعم أنه يحب لقاءك. اللهم إن كان صادقاً فاعزم له بصدقه[2]، وإن كان كاذباً فاحمل عليه وإن كره ـ الحديث، وفيه: أنه استشهد، وأن أبا موسى قال: إنه شهيد. كذا في الإِصابة (١/ ٣٥٥).

وأخرجه أيضاً الإِمام أحمد، وزاد: وإن كان كارهاً فاعزم له وإن كره. اللهم لا يرجع حُمَمة من سفره هذا، فأخذه الموت ـ قال عفان[3] مرة: البطن[4] ـ فمات بإصبهان. قال: فقام أبو موسى رضي الله عنه فقال:

---

(١) من الإِصابة.
(٢) فاعزم له بصدقه: أي قَوِّه وصبّره بسبب صدقه.
(٣) أحد الرواة.
(٤) أي مات في مرض البطن.

يا أيها الناس، والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ، وما بلغ علمنا إلا أنَّ حُمَمة شهيد. قال الهيثمي (٩/ ٤٠٠): رجاله رجال الصحيح، غير داود ابن عبدالله الأودي، وهو ثقة؛ وفيه خلاف. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم - نحوه؛ كما في المنتخب (٥/ ١٧٠).

﴿ تمني النعمان بن مقرِّن الشهادة ﴾

وأخرج الطبري (٤/ ٢٤٩) عن مَعْقِل بن يَسَار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور الهُرْمُزان. فقال: ما ترى، أبدأ بفارس، أو بأذْرَبيجان، أم بإصبهان؟ فقال: إنّ فارس وأذربيجان: الجناحان، وإصبهان: الرأس؛ فإن قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر؛ فإن قطعت الرأس وقع الجناحان؛ فابدأ بالرأس. فدخل عمر رضي الله عنه المسجد والنعمانُ ابن مقرِّن رضي الله عنه يصلِّي، فقعد إلى جنبه. فلما قضى صلاته قال: إني أريد أن أستعملك. قال: (أما)[1] جابياً[2]، فلا؛ ولكن غازياً. قال: فأنت غاز. فوجّهه إلى إصبهان - فذكر الحديث، وفيه: فقال المغيرة للنعمان: يرحمك الله، إنه قد أسرع في الناس[3]، فاحمل. فقال: والله إنك لذو مناقب[4]، لقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ القتال، وكان إذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر. قال: ثم قال: إني هازٌّ لوائي ثلاث مرات: فأما الهزة[5] الأولى فقَضَى رجل حاجته وتوضأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه، وفي شِسْعه[6] فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوِينّ أحد على أحد، وإن قُتل النعمان فلا يَلْو[7] عليه أحد، فإني أدعو الله عزّ وجلّ بدعوة، فعزمت على كل امرىء منكم لَمَّا أمّن عليها: اللهم أعطِ

---

(١) من الحاكم والهيثمي.

(٢) جابياً: من جبى الخراج أي جمعه.

(٣) إنه قد أسرع في الناس: أي الرمي. ويريد به رمي الفرس للمسلمين بالنبل في المعركة.

(٤) مناقب: جمع نقيبة وهي: العقل والمشورة ونفاذ الرأي.

(٥) الهزة: التحريكة.

(٦) الشسع: زمام للنعل بين الأصبع الوسطى والتي تليها.

(٧) يلوِ: يقف.

اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين، وافتح عليهم.

وهز لواءه أول مرة، ثم هزّ الثانية؛ ثم هزَّ الثالثة، ثم شل[١] درعه؛ ثم حمل فكان أول صريع. فقال معقِل: فأتيت عليه، فذكرت عزمته[٢]، فجعلت عليه علماً[٣]، ثم ذهبت ـ وكنا إذا قتلنا رجلاً شَغَل عنا أصحابه ـ ووقع ذو الحاجبين[٤] عن بغلته، فانشقَّ بطنه، فهزمهم الله. ثم جئت إلى النعمان ومعي إداوة[٥] فيها ماء، فغسلت عن وجهه التراب. فقال: من أنت؟ قلت: معقِل بن يَسَار. قال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم. قال: الحمد لله. اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضت نفسه. وعند الطبري (٢٣٥/٤) أيضاً عن زياد بن جبير عن أبيه رضي الله عنه ـ فذكر الحديث بطوله في وقعة نهاوند، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجِّل حتى تحضر الصلاة، وتهب الأرواح[٦]، ويطيب القتال فما منعني إلا ذلك. اللهمَّ إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإسلام، وذلّ يذِلّ به الكفار؛ ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة. أمِّنوا ـ يرحمكم الله ـ فأمّنّا وبكينا.

وقد أخرج الطبراني حديث معقِل بن يسار رضي الله عنه ـ بطوله مثل ما روى الطبري. قال الهيثمي (٢١٧/٦): رجاله رجال الصحيح غير علقمة ابن عبدالله المُزَني، وهو ثقة. انتهى. وأخرجه الحاكم أيضاً (٢٩٣/٣) عن معقل ـ بطوله.

رغبة الصحابة في الموت والقتل في سبيل الله يوم بدر

﴿ قصة خيثمة وابنه سعد في استهامهما الخروج ﴾

أخرج الحاكم (١٨٩/٣) عن سليمان بن بلال رضي الله عنه: أن

---

(١) شل درعه: نزعها وأخرجها.

(٢) عزمته: أي قوله: وإن قتل النعمان فلا يلوِ عليه أحد.

(٣) علماً: علامة.

(٤) ذو الحاجبين: هو القائد الفارسي.

(٥) إداوة: وعاء في جلد.

(٦) الأرواح: جمع ريح.

رسول الله ﷺ لَمَّا خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعاً الخروج معه، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فأمر أن يخرج أحدهما. فاسْتَهما[١]، فقال خيثمة ابن الحارث لابنه سعد ـ رضي الله عنهما ـ: إنه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم، فأقِمْ مع نسائك، فقال سعد: **لو كان غيرَ الجنة لآثرتك به، إنِّي أرجو الشهادة في وجهي هذا**، فاستهما، فخرج سهم سعد؛ فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر. فقتله عمرو بن عبد ودّ، وأخرجه أيضاً ابن المبارك عن سليمان وموسى ابن عقبة عن الزهري؛ كما في الإصابة (٢/٢٥).

﴿ قصة شهادة عبيدة بن الحارث ﴾

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن علي بن الحسين قال: لما كان يوم بدر فدعا عتبة إلى البراز؛ قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الوليد ابن عتبة، وكانا مُشْتَبِهَيْن[٢] حَدَثين[٣]، وقال بيده[٤]، فجعل باطنها إلى الأرض فقتله. ثم قام[٥] شيبة بن ربيعة، فقام إليه حمزة رضي الله عنه، وكانا (مشتبِهين)[٦]، وأشار بيده فوق ذلك فقتله. ثم قام عتبة بن ربيعة، فقام إليه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه وكانا مثل هاتين الأسطوانتين، فاختلفا ضربتين، فضربه عبيدة ضربة أرخت عاتقه الأيسر؛ فأسفَّ[٧] عتبة لرجل عبيدة، فضربها بالسيف فقطع ساقه؛ ورجع حمزة وعلي رضي الله عنهما على عتبة، فأجهزا[٨] عليه، وحملا عبيدة إلى النبي ﷺ في العريش، فأدخلاه عليه فأضجعه رسول الله ﷺ، ووسَّده رجله وجعل يمسح الغبار عن وجهه. فقال عبيدة: أما ـ والله ـ يا رسول الله، لو (رآني)[٩] أبو طالب لعلم أنِّي أحقُّ بقوله منه حين يقول:

(١) اسْتَهما: اقترعا.
(٢) مُشْتَبِهَيْن: من المنتخب، وفي الكنز: مشتبهتين.
(٣) حَدَثين: شابين.
(٤) المعنى: فَعَل بيده.
(٥) من المنتخب، وفي الكنز: قيامه.
(٦) مشتبِهين: من المنتخب.
(٧) أسفَّ: دنا.
(٨) من المنتخب، وفي الكنز: فأجهرا.
(٩) رآني: من البداية. وفي الأصل: رآك. وما في البداية أحسن.

ونُسلِمُه حتى نُصرَّعَ حولَه ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحلائلِ[1]

ألستُ شهيداً؟ قال: «بلى، وأنا الشاهد عليك»، ثم مات. فدفنه رسول الله ﷺ بالصَّفْراء[2]، ونزل في قبره وما نزل في قبر أحد غيره. كذا في كنز العمال (٥/٢٧٢).

وأخرجه الحاكم (٣/١٨٨) عن الزهري قال: اختلف عتبة وعبيدة رضي الله عنه بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعلي رضي الله عنهما على عتبة، فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة رضي الله عنه، فجاءا به إلى النبي ﷺ وقد قطعت رجله، ومخُّها يسيل، فلما أتَوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: بلى. فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلم أنَّا أحق بما قال منه حيث يقول:

ونُسلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حولهُ ونَذهلَ عن أبنائنا والحلائل

يوم أحد

﴿ قصة عمر وأخيه زيد في ترك الدرع لإرادة الشهادة ﴾

أخرج الطبراني عن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه قال يوم أُحد لأخيه: خذ درعي يا أخي. قال أريد من الشهادة مثل الذي تريد، فتركاها جميعاً. فقال الهيثمي (٥/٢٩٨): رجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه ابن سعد (٣/٢٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٦٧) ـ نحوه.

﴿ قصة حملة علي بن أبي طالب للقتل في سبيل الله ﴾

وأخرج أبو يَعلى، وابن أبي عاصم، والبورَقي، وسعيد بن منصور عن علي رضي الله عنه قال: لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت في القتلى، فلم أرَ رسول الله ﷺ، فقلت: والله ما كان ليفرّ، وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا؛ فرفع نبيه، فما (لي)[3] خير

---

(١) الحلائل: الزوجات مفردها حليلة ومعنى البيت: نُسْلِمُ محمداً حين نقع جميعاً صرعى حوله ونحن ندافع عنه. وحين نذهل عن أبنائنا ونسائنا لشغلنا واهتمامنا به وحده.

(٢) الصفراء: اسم واد بين المدينة وبدر.

(٣) (لي) من الهيثمي. وفي الأصل: (فيَّ).

من أن أقاتل حتى أقتل؛ فكسرت جفن سيفي[١] ثم حملت على القوم، فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم. كذا في كنز العمال (٥/٢٧٤). قال الهيثمي (٦/١١٢): رواه أبو يَعلى، وفيه محمد بن مروان العُقَيلي وثَّقه أبو داود وابن حبّان، وضعّفه أبو زُرْعة وغيره؛ وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

﴿ قصة أنس بن النضر ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عديٍّ بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر ابن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ـ وقد ألقَوا بأيديهم ـ فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا، فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ. ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل. كذا في البداية (٤/٣٤).

﴿ قصة ثابت بن الدحداحة ﴾

وأخرج الواقدي عن عبدالله بن عمّار الخَطْمي قال: أقبل ثابت ابن الدَحْداحة رضي الله عنه يوم أحد والمسلمون أوزاع[٢]، قد سُقِط في أيديهم[٣]، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار، إليّ إليّ. أنا ثابت ابن الدحداحة، **إن كان محمد ﷺ قد قتل، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت؛ فقاتلوا عن دينكم فإنَّ الله مظهركم وناصركم**. فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خَشْناء فيها رؤساؤهم: خالد ابن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، فجعلوا يناوشونهم[٤]، وحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه فأنفذه، فوقع (ميتاً)[٥]، وقتل من كان معه من الأنصار. فيقال: إن هؤلاء آخر من قتل من

(١) جفن سيفي: بيت سيفي.
(٢) أوزاع: متفرقون.
(٣) سُقط في أيديهم: تحيّروا.
(٤) يناوشونهم: يقاتلونهم.
(٥) من الاستيعاب. وفي الأصل: «فوقع فيها».

المسلمين (يومئذ)[١] كذا في الاستيعاب (١/١٩٥).

﴿ قصة رجل من الأنصار مع رجل من المهاجرين ووصيته له ﴾

وأخرج البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق ابن أبي نَجيح عن أبيه رضي الله عنه قال: مرّ رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه[٢]، فقال له: يا فلان، أشعرت أن محمداً ﷺ قد قُتل؟ فقال الأنصاري: **إن كان محمد ﷺ قد قتل فقد بلَّغ الرسالة، فقاتلوا عن دينكم**. فنزل: «وما محمد إلا رسول»[٣]. كذا في البداية (٤/٣١).

﴿ قصة سعد بن الربيع ﴾

وأخرج الحاكم (٣/٢٠١) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحد لطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه، وقال لي: «إن رأيته فاقرأه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ـ: كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم. فقلت له: يا سعد، إنَّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرني كيف تجدك؟» قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: **يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة؛ وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخْلَصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر[٤] يطرِف**. قال: وفاضت نفسه ـ رحمه الله ـ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي. صحيح. ثم أخرج الحاكم من طريق ابن إسحاق أن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة حدَّثه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من ينظر لي ما فعل سعد ابن الربيع»؟ فذكر الحديث بنحو منه. وقال: فقال سعد: أخبر رسول الله ﷺ أني في الأموات؛ واقرأه السلام، وقل له: يقول سعد: جزاك الله عنا وعن

(١) من الاستيعاب.

(٢) يتشحط في دمه: يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ. عن النهاية.

(٣) آل عمران آية: ١٤٤.

(٤) الشُّفر بالضم وقد يفتح: حرفُ جفنِ العين الذي ينبت عليه الشعر. عن النهاية.

جميع الأمة خيراً. قال الذهبي: مرسل[1] ـ إهـ. وقد ذكر في البداية (٤/ ٣٩) رواية ابن إسحاق بتمامها. وذكره مالك في الموطأ (ص ١٧٥) عن يحيى ابن سعيد بمعناه مختصراً. وهكذا أخرجه ابن سعد (٣/ ٥٢٣) عن معن عن مالك عن يحيى ـ مختصراً.

﴿ قصة سبعة من الأنصار قتلوا يوم أحد ﴾

وأخرج الإِمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن المشركين لمّا رَهِقوا[2] النبي ﷺ يوم أُحد ـ وهو في سبعة من الأنصار، ورجل من قريش ـ قال: «مَنْ يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟» فجاء رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل. فلما رهقوه أيضاً قال: «من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟» حتى قتل السبعة. فقال رسول الله ﷺ: «ما أنصفْنا أصحابَنا»[3]. ورواه مسلم أيضاً.

وعند البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار، وطلحة بن عبيد وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون. فقال: «ألا أحد لهؤلاء؟» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: «كما أنت يا طلحة» فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه. وصعِد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قتل الأنصاري، فلحقوه. فقال: «ألا رجل لهؤلاء؟» فقال طلحة مثل قوله. فقال رسول الله ﷺ مثل قوله. فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل، وأصحابه يصعدون؛ ثم قتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول، ويقول طلحة أنا يا رسول الله، فيحبسه[4]، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال، فيأذن له، فيقاتل مثل من كان قبله؛ حتى لم يبق معه إلا طلحة؛ فغشُوهما. فقال رسول الله ﷺ: «من لهؤلاء؟» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع

(١) الحديث المُرسل: ما سقط منه الصحابي.
(٢) رهقوه: أتوه وأحاطوا به.
(٣) ما أنصفنا أصحابنا: أي الأنصار. وإنما قال النبي ﷺ كلمته هذه لأن الأنصار السبعة قُتلوا دونه، ولم يقتل مثل هذا العدد أو أقل منه من المهاجرين.
(٤) يحبسه: لا يأذن له بالقتال.

من كان قبله، وأصيبت أنامله، فقال حَسِّ[1]. فقال: «لو قلت: بسم الله، لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جوّ السماء»؛ ثم صعِد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون. كذا في البداية (٤/٢٦).

﴿ قصة شهادة اليمان وثابت بن وقش ﴾

وأخرج الحاكم (٣/٢٠٢) عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد رُفع اليمان بن جابر أبو حذيفة[2] وثابت بن وَقْش ابن زعوراء في الآطام[3] مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما ننتظر؟ فوالله، ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظِمْءُ حمار[4]، إنما نحن هامَة اليوم[5] (أو غداً)[6] ألا نأخذ أسيافنا؟ ثم نلحق برسول الله ﷺ؟ فدخلا في المسلمين ولا يعلمون بهما. فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون. وأما أبو حذيفة فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه. فقال حذيفة: أبي أبي! فقالوا: والله ما عرفناه وصَدَقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه[7]؛ فتصدَّق به حذيفة على المسلمين؛ فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم عن محمود ـ نحوه كما في المنتخب (٥/١٦٧)، وزاد: ثم نلحق برسول الله ﷺ لعلَّ الله أن يرزقنا الشهادة مع رسول الله ﷺ، فأخذا أسيافهما حتى دخلا في الناس، ولا يُعلم بهما. وفي آخره: فزاده عند رسول الله ﷺ خيراً.

---

(١) حَسِّ: بكسر السين والتشديد، كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مضَّه وأحرقه غفلة كالجمرة والضربة ونحوهما.

(٢) من المنتخب: وفي الحاكم: أب.

(٣) الآطام: جمع الأطُم، وهو الحصن.

(٤) أي شيء يسير، وإنما خص الحمار لأنه أقل الدواب صبراً عن الماء.

(٥) من أُسْدِ الغابة والمنتخب، وفي الحاكم: هامة القوم (وأصل الهامة: طائر يصرخ إذا قتل القتيل، فيكنّون عن الموت بالهامة. والمعنى نحن سنموت اليوم أو غداً).

(٦) من أسد الغابة والمنتخب.

(٧) يديه: أن يؤدي الدية إليه.

يوم الرَّجيع(١)

﴿ قصة قتل عاصم وخبيب وأصحابهما ﴾

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية عيناً(٢)، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه ـ وهو جدّ عاصم(٣) بن عمر بن الخطاب ـ فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفان ومكة، ذُكروا لحيٍّ من هُذَيل يقال لهم بنو لِحْيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصُّوا آثارهم حتى أتَوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نَوى تمر تزوَّدوه من المدينة. فقالوا: هذا تمر يثرب؛ فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم. فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فَدْفَد(٤)، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: **أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. اللهمّ أخبر عنا نبيك**، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل. وبقي خُبيب وزيد ورجل آخر رضي الله عنهم، فأعطَوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلُّوا أوتار قسيّهم(٥) فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغَدر، فأبى أن يصحبهم، فجرَّروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه.

وانطلقوا بخُبَيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث ابن عامر بن نوفل ـ وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ـ، فمكث عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسَى(٦) من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها(٧)، فأعارته. قالت: فغفلت عن صبيٍّ لي، فدَرَج إليه(٨) حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعتُ فَزْعةً، عرف ذاك مني وفي يده الموسى. فقال: أتخشَين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك ـ إن شاء الله

(١) الرَّجيع: ماء لهذيل، وبه كانت غزوة الرجيع.
(٢) عيناً: أي للتجسس.
(٣) الصحيح: أنه خاله وليس جده.
(٤) الفَدْفَد: الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع.
(٥) القسّي: جمع قوس.
(٦) الموسى: آلة يحلق بها.
(٧) يستحدّ بها: يحلق بها عانته.
(٨) درج إليه: مشى إليه.

تعالى ـ. وكانت تقول: **ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خُبَيب، لقد رأيته يأكل من قِطْف**[1] **عنب وما بمكة يومئذ ثمرةٌ، وإنه لَموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله**. فخرجوا به من الحَرَم ليقتلوه. فقال: دعوني أصلِّ ركعتين، ثم انصرف إليهم. فقال: لولا أن تَروا أنَّ ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل هو؛ ثم قال: اللهمَّ أحصهم عدداً، ثم قال:

وما إن أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أيّ شِقٍّ كان لله مصرعي
وذلك في ذاتَ الإله وإن يشأ ... يباركْ على أوصال[2] شِلْو[3] ممزّع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وبعثت قريش إلى عاصم ليُؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ـ وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر ـ فبعث الله عليه مثل الظُّلَّة من الدَّبْر[4]، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء. وأخرجه البيهقي (٩/١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ نحوه. وهكذا أخرجه عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في الاستيعاب (٣/١٣٢)، وقال: أحسن أسانيد خبره في ذلك ما ذكره عبد الرزاق ـ فذكره. وأبو نُعيم في الحلية (١/١١٢) ـ نحوه.

وأخرج ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحد رهط من عَضَل والقارَة، فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك، يفقّهوننا في الدين، ويقرؤوننا القرآن، ويعلّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه ـ فذكرهم. فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرَّجِيع ـ ماءٌ لِهُذيل بناحية الحجاز على صدور الهَدْأة[5] ـ غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلاً،

(١) القِطْف: العنقود.
(٢) أوصال: جمع وصل، بكسر الواو وضمها: كل عضو على حدة.
(٣) الشلو: العضو.
(٤) الدبر: بسكون الباء: النحل؛ وقيل الزنابير. (٥) الهدأة: موضع بين عسفان ومكة.

فلم يَرُع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشُوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم: إنا ـ والله ـ ما نريد قتلكم ولكنّنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم؛ فأمّا مرثد وخالد بن البُكَير وعاصم بن ثابت رضي الله عنهم فقالوا: **والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً.**

﴿ أبيات عاصم حين قتله وحفاظ جسده عن المشركين ﴾

وقال عاصم بن ثابت:

ما عِلَّتي وأنا جَلْدٌ[١] نابِلُ[٢] والقَوسُ فيها وترٌ عنابلُ[٣]
تزلُّ عن صفحتها المَعابلُ[٤] الموت حقٌّ والحياة باطلُ
وكل ما حَمَّ[٥] الإلهُ نازل بالمرء والمرء إليه آيلُ[٦]
إن لم أقاتلكم فأمِّي هابلْ[٧]

وقال أيضاً:

أبو سليمان[٨] وريشُ المُقْعَدِ[٩] وضالَةٌ[١٠] مثل الجحيم الموقدِ
إذا النواجي[١١] افترشت[١٢] لم أُرعَدِ ومُجْنأ[١٣] من جلد ثور أجرَدِ[١٤]
ومؤمن بما على محمدِ

وقال أيضاً:

أبو سليمان ومِثلي رامَى وكان قومي معشراً كراما

(١) الجلد: القوي الشديد.
(٢) النابل: صاحب النبال والرامي بها.
(٣) عنابل: بالضم: الصلب المتين، والجمع بالفتح.
(٤) المعابل: نصال عراض طوال، الواحدة مَعْبَلة.
(٥) حمّ: قدِّر. (٦) آيل: صائر.
(٧) هابل: ثاكل وهذا منه دعاء على نفسه.
(٨) أبو سليمان: كنية عاصم رضي الله عنه.
(٩) المُقعد: رجل كان يريش النبل: أي يضع لها الريش.
(١٠) الضالة: شجرة تُصنع منها القسّي والسهام، ويعني بالضالة هنا: القوس.
(١١) النواجي: جمع ناجة وهي الإبل السريعة. (١٣) مجنأ: الترس لا حديد فيه.
(١٢) افترشت: ركبها الشجعان. (١٤) والأجرد: الأملس.

قال: ثم قاتل حتى قتل؛ وقتل صاحباه. فلما قتل عاصم أرادت هُذَيل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن (شُهيد)(١)، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنها يوم أُحد: لئن قَدَرت على رأس عاصم لتشربنّ في قِحْفه(٢) الخمر؛ فمنعته الدَّبْر. فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعُوه حتى يمسي فيذهب عنه، فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسَّه مشرك ولا يمسَّ مشركاً أبداً تنجُّساً. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ـ حين بلغه: أن الدَّبْر منعته ـ: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

﴿ قصة زيد بن الدَّثِنة وما قاله في حب النبي ﷺ ﴾

وأما خُبَيب، وزيد بن الدَّثِنة، وعبد الله بن طارق ـ رضي الله عنهم ـ، فلانوا ورقُّوا ورغبوا في الحياة، وأعطَوا بأيديهم فأسروهم. ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهران(٣) انتزع عبدالله بن طارق يده من القِرَان(٤)، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرمَوه بالحجارة حتى قتلوه؛ فقبره بالظهران. وأما خُبَيب بن عديّ وزيد بن الدَثِنة فقدموا بهما مكة، فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذَيل كانا بمكة، فابتاع خبيباً حُجَيرُ بن أبي إهاب التميمي. وأما زيد بن الدَّثِنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه؛ فبعثه مع مولى له يقال له نِسْطاس إلى التَّنْعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله. واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان ـ حين قُدِّم ليقتل ـ: أنشدك بالله ـ يا زيد ـ أتحبُّ أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك قال: **والله ما أحب أنَّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي!!** قال: يقول أبو

---

(١) في الأصل: (سهيل) والصحيح ما ذكرت.

(٢) قحف الرأس: الذي فوق الدماغ، وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل.

(٣) واد قرب مكة، وعنده قرية يقال لها «مرّ»، تضاف إلى هذا الوادي فيقال: مرّ الظهران.

(٤) القران: الحبل.

سفيان: **ما رأيت من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمدٍ محمداً**. قال: ثم قتله نِسْطاس.

﴿ قصة حبس خبيب بمكة وقصة صلاته عند القتل ﴾

قال: وأما خُبَيب بن عديّ فحدثني عبدالله بن أبي نَجِيح أنه حُدِّث عن ماوِيَّة مولاة حجير بن أبي إهاب ـ وكانت قد أسلمت ـ، قالت: كان عندي خبيب حبس في بيتي، فلقد اطَّلعت عليه يوماً وإن في يده لقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه؛ وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل!!.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي نَجِيح أنهما قالا: قالت: قال لي حين حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهَّر بها للقتل. قالت: فأعطيت غلاماً من الحيِّ الموسى، فقلت: ادخلْ بها على هذا الرجل البيت. فقالت: فوالله إنْ هو إلا أن ولَّى الغلام بها إليه، فقلت: ماذا صنعتُ؟ أصاب ـ والله ـ الرجل ثأره؛ يقتل هذا الغلام؛ فيكون رجلاً برجل. فلما ناوله الحديدة أخذها من يده، ثم قال: لعمرك، ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليَّ؟! ثم خلَّى سبيله. قال ابن هشام: ويقال إنَّ الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخُبَيب رضي الله عنه حتى إذا جاؤوا به إلى التَّنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تَدَعوني حتى أركع ركعتين، فافعلوا. قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: **أما والله، لولا أن تظنوا أنِّي إنما طوَّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة**. قال: فكان خُبَيب رضي الله عنه أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبة، فلمّا أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلِّغه الغداةَ ما يُصنع بنا. ثم قال: اللهمّ أحصِهم عَدَداً، واقتلهم بِدَداً[١]، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه.

---

(١) يروى بكسر الباء، جمع بدّة وهي الحصة والنصيب، أي اقتلهم حصصاً مقسّمة لكل واحد حصته ونصيبه؛ ويروى بالفتح أي متفرقين في القتل واحداً بعد واحد من التبديد. وقال أبو ذرّ الخشني: بِدد: المتفرقون، وبَدَد: المصدر وأصله من التبدد وهو التفرق.

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ مع مَنْ حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فَرَقاً[١] من دعوة خُبَيب، وكانوا يقولون: إنَّ الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زلَّت عنه.

وفي مغازي موسى بن عقبةَ: أن خبيباً وزيد بن الدّثِنَة ـ رضي الله عنهما ـ قُتلا في يوم واحد، وأنَّ رسول الله ﷺ سُمع يوم قُتلا وهو يقول: «وعليكما ـ أو عليك ـ السلام. خُبَيب قتلته قريش». وذُكر أنَّهم لما صلبوا زيد ابن الدَّثِنَة رمَوه بالنبل ليفتنوه عن دينه، فما زاده إلا إيماناً وتسليماً. وذكر عروة وموسى بن عقبة رضي الله عنهما: أنهم لما رفعوا خُبَيباً على الخشبة نادَوه يناشدونه: أتحب أنَّ محمداً مكانك؟ قال: **لا والله العظيم!! ما أحب أن يفديني بشوكة يُشاكها في قدمه**، فضحكوا منه. وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدَّثِنَة ـ فالله أعلم. كذا في البداية (٤/٦٣).

﴿ ما قاله خبيب في حب النبي ﷺ وأشعاره عند القتل ﴾

وقد أخرج الطبراني حديث عروة بن الزبير بطوله، وفيه: وقتَل خبيباً[٢] رضي الله عنه أبناءُ المشركين الذين قُتلوا يوم بدر. فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادَوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانـك؟ فقال: **لا والله العظيم!! ما أحب أن يفديني بشوكة يُشاكها في قدمه**؛ فضحكوا. وقال خبيب رضي الله عنه حين رفعوه إلى الخشبة:

لقد جَمَّع الأحزاب حولي وألّبوا[٣] قبائلهم واستجمعوا كـل مَجْمع
وقـد جمَّعـوا أبنـاهم ونسـاءهم وقُرِّبتُ من جِذْع طويل مُمنَّـعِ
إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي وما أرصد[٤] الأحزاب[٥] لي عند مصرعي
فذا العرش صبِّرني على ما يُراد بي فقد بضَّعوا[٦] لحمي وقَدْبان[٧] مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبـارك على أوصـال شِلْوٍ ممزَّع

(١) فَرَقاً: خوفاً.
(٢) وفي المجمع: خبيب.
(٣) ألّبوا: جمعوا.
(٤) أرصد: أعدَّ.
(٥) وعند ابن إسحاق: الأعداء.
(٦) بضّعوا: قطعوا.
(٧) وعند ابن إسحاق: ياس بدل (بان) وهي لغة في يئس.

لعمري ما أحفِلْ[١] إذا متّ مسلماً على أيّ حال كان لله مضجعي

قال الهيثمي (٦/٢٠٠): رواه الطبراني، وفيه ابن لَهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف. انتهى. وقد ذكر الأبيات ابن إسحاق؛ كما في البداية (٦٧/٤)، فزاد بعد البيت الأول:

وكلُّهم مُبدي العداوةِ جاهدٌ علَيّ لأني في وثاق بمَضْيَع

وزاد بعد البيت الخامس:

وقد خيَّروني الكفر والموتُ دونَه وقد هَملت[٢] عيناي من غير مجزع[٣]

وما بي حِذارُ الموت إنّي لميتٌ ولكن حِذاري جَحْمِ نار مُلَفَّع[٤]

فوالله ما أرجو[٥] إذا متُّ مسلماً على أيّ جنب كان في الله مضجعي

فلست بمُبْدٍ للعدوّ تخشُّعاً[٦] ولا جَزَعاً إنّي إلى الله مرجعي

يوم بئر معونة

﴿ قصة أصحاب بئر معونة رضي الله عنهم ﴾

أخرج ابن إسحاق عن المغيرة بن عبد الرحمن وعبدالله[٧] بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: قدم أبو بَراء عامرُ ابن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأسنَّة على رسول الله ﷺ المدينة. فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه؛ فلم يسلم ولم يَبْعُد (من الإسلام) وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد، فدعوهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نَجْد». فقال أبو بَراء: أنا لهم جارٌ، (فابعثهم فلْيدعوا الناس إلى أمرك).

(١) ما أحفل: ما أبالي.
(٢) هملت: سالت.
(٣) مجزع: خوف وحزن.
(٤) ملفّع: مأخوذ من لَفَعَتْك النار أي شملتك من نواحيك وأصابك لهبها.
(٥) ما أرجو: ما أخاف.
(٦) تخشّعاً: تذلّلاً.
(٧) في الأصل عبد الرحمن، والصحيح: عبد الله وكما في السيرة لابن هشام وقد صححنا هذا النص من السيرة.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة - المُعْنِق ليموت[١] - في أربعين[٢] رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين: الحارث ابن الصِّمَّة، وحَرام بن مِلْحان أخو بني عدي بن النجار، وعُروة بن أسماء ابن الصَّلت السُّلَمي، ونافع بن بُدَيل بن ورقاءَ الخزاعي، وعامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر - رضي الله عنهم - في رجالٍ من خيار المسلمين. فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيم -. فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلحان رضي الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطُّفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر؛ فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم (إليه) وقالوا: لن نخفر أبا براء[٣] وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيم: عُصَيَّة ورِعْلاً وذَكْوان[٤]، فأجابوه إلى ذلك. فخرجوا حتى غَشُوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم، ثم قاتلوا القوم حتى قُتلوا عن آخرهم - يرحمهم الله -، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار ابن النجار فإنهم تركوه وبه رَمَق[٥]، فارتُثَّ[٦] من بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق.

وكان في سَرْح القوم[٧] عمرو بن أُمية الضَّمْري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف، فلم ينبئهما بمُصاب القوم إلا الطير تحوم[٨] على العسكر. فقالا: والله إنَّ لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم،

(١) المعنق ليموت: أي المسرع ليموت، وقد صار هذا له لقباً بعد استشهاده رضي الله عنه وهو من النقباء الاثني عشر.

(٢) الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلاً كما في الصحيحن.

(٣) لن نخفر أبا براء: لن ننقض عهده.

(٤) في الأصل: عصيّة ورعلاً وذكوان (والقارَة) والصحيح أن القارَة بطن من بني الهون بن خزيمة فلا قرابة بينهم وبين بني سُلَيم، وذكرهم هنا سهوٌ من ابن كثير.

(٥) الرمق: بقية الروح وآخر النفس.

(٦) الارتثات: أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح.

(٧) سرح القوم: ماشِيَتهم.

(٨) تحوم: تدور حول العسكر أي المخيم.

وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أُمية: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن نلحَق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المنذرُ بن عمرو، وما كنتُ لتخبرني عنه الرجال[١]، فقاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عَمْراً أسيراً. فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقه عامر بن الطّفيل، وجزَّ ناصيته[٢]، وأعتقه عن رَقَبة كانت على أُمه فيما زعم[٣]. كذا في البداية (٤/٧٣). وأخرجه الطبراني أيضاً من طريق ابن إسحاق. قال الهيثمي (٦/١٢٩): ورجاله ثقات إلى ابن إسحاق. انتهى.

﴿ قول حَرَام عند القتل وإسلام قاتله على قوله ﴾

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث حراماً ـ أخاً لأم سُلَيم ـ في سبعين راكباً، وكان رئيس المشركين عامر ابن الطفيل خَيَّرَ رسولَ الله ﷺ بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المَدَر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف. فطُعن[٤] عامر في بيت أم فلان، فقال: غُدّة كغُدّة البَكْر[٥] في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي؛ فمات على ظهر فرسه. فانطلق حَرام ـ أخو أم سُلَيم ـ وهو[٦] رجل أعرج ورجل من بني فلان، وقال: كونا قريباً حتى آتيهم، فإن آمنوني كنتم قريباً، وإن قتلوني أتيتم أَصحابكم. فقال: أتُؤمنونني حتى أبلِّغ رسالة رسوْل الله ﷺ؟ فجعل يحدِّثهم، وأومأوا إلى رجل، فأتاه من

(١) ما كنت لتخبرني عنه الرجال: لا أريد أن أحيا حتى يحدثني الناس عنه أنه قتل.
(٢) جز ناصيته: قطع مقدمة شعر رأسه.
(٣) أي أن أمه كانت قد نذرت أن تعتق رقبة.
(٤) طعن: أصيب بالطاعون.
(٥) البَكْر: فتى الإبل وغدة البكر: طاعون الإبل.
(٦) كذا في البخاري، قال الحافظ (٧/٢٧٢)، كذا: هنا على أنها صفة حَرام وليس كذلك، بل الأعرج غيره، وقد وقع في رواية عثمان: فانطلق حرام ورجلان معه: رجل أعرج، ورجل من بني فلان، فالذي يظهر أن الواو في قوله: وهو قدمت سهواً من الكاتب، والصواب تأخيرها؛ وصواب الكلام: فانطلق حرام هو ورجل أعرج. انتهى.

خلفه فطعنه. ـ قال همَّام[1]: أحسبه حتى أنفذه بالرمح ـ فقال: **الله أكبر! فزت وربِّ الكعبة!** فلُحِقَ الرجل، فقتلوا كلهم غير الأعرج، ـ وكان في رأس جبل ـ، فأنزل الله تعالى علينا، ثم كان من المنسوخ: «إنا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا». فدعا النبي ﷺ ثلاثين صباحاً على رِعْل، وذَكْوان، وبني لحيان، وعُصَيَّة الذين عصوا الله ورسوله ﷺ. وعند البخاري أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: لما طُعن حَرَام بن مِلْحان ـ وكان خاله ـ يوم «بئر معونة» قال بالدم[2] هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه؛ ثم قال: فُزْت وربِّ الكعبة. وعند الواقدي أن الذي قتله جبّار بن سَلْمى الكِلابي. قال: ولما طعنه بالرمح قال: فُزْتُ وربِّ الكعبة! ثم سأل جبار بعد ذلك ما معنى قوله: «فزت». قالوا: يعني بالجنة. فقال: صدق والله! ثم أسلم جبَّار بعد ذلك لذلك[3]. كذا في البداية (٤/ ٧١).

يوم مؤتة

﴿ بكاء ابن رواحة عند الخروج وأبياته في سؤال الشهادة ﴾

أخرج ابن إسحاق عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس»، فتجهَّز الناس ثم تهيأوا للخروج؛ وهم ثلاثة آلاف. فلمّا حضر خروجهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم، فلمّا وُدِّع عبدالله بن رواحة مع من وُدِّع بكى، فقالوا: ما يُبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: ـ والله ـ ما بي حبُّ الدنيا ولا صَبَابة بكم، ولكنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿ وإن منكم إلا واردُها، كان على ربك حتماً مَقْضِيّاً»[4] فلست أدري كيف لي بالصَّدَر[5] بعد الورود؟! فقال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم

---

(١) همام: أحد الرواة.
(٢) قال بالدم: فَعَل بالدم.
(٣) لذلك: أي لقول حرام: فزت وربِّ الكعبة.
(٤) سورة مريم آية: ٧١.
(٥) الصدَر: الرجوع.

وردَّكم إلينا صالحين. فقال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

لكنني أَسأل الرحمن مغفرة وضَرْبةً ذات فَرْغٍ تقذف الزَّبدا[١]
أو طعنةً بيدَيْ حرّان[٢] مُجْهِزة[٣] بحربة تُنْفِذ[٤] الأحشاء والكبدا
حتى يقال[٥] إذا مرُّوا على جَدَثي[٦] أرشَدَه الله من غازٍ وقد رَشَدا

ثم إنَّ القوم تهيأوا للخروج، فأتى عبدالله بن رواحة رضي الله عنه رسول الله ﷺ فودّعه، ثم قال:

فثبّت اللَّـهُ ما آتاك حَسَن تَثْبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصروا
إنّي تفرستُ فيك الخير نافلةً الله يعلم أني ثابت البصر[٧]
أنت الرسول فمن يُحرم نوافلَه والوجهَ منه فقد أزرى به القدر[٨]

ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ يشيّعهم حتى إذا ودَّعهم وانصرف. قال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

خَلَف السّلامُ على امرىء ودّعتُهُ في النَّخل خيرَ مُشَيِّع وخليل[٩]

﴿ تشجيع ابن رواحة الناس على الشهادة ﴾

ثم مضوا حتى نزلوا «معاناً» من أرض الشام، فبلغ الناس أن هِرَقْل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لَخْم وجُذام والقَيْن وبَهْراء[١٠] وَبَليّ[١١] مائة ألف منهم، عليهم رجل من بَليّ، ثم

(١) الفرغ: السّعة. الزبد: رغوة الدم. عن أبي ذر الخشني.
(٢) الحرّان: الشديد العطش.
(٣) أجهز على الجريح: شدَّ عليه وأتم قتله.
(٤) تُنفِذ: تخترق.
(٥) وفي المجمع: حتى يقولوا.
(٦) جدثي: قبري.
(٧) وفي المجمع: فراسة خالفتهم في الذي نظروا.
(٨) النوافل: العطايا والمواهب. الوجه منه: أي رؤيته. أزرى به القدر: قصَّر به.
(٩) وفي المجمع: في النخل غير مودع وكليل.
(١٠) بهراء بالألف والهمزة؛ وفي المجمع: بهرام.
(١١) هذه القبائل الخمسة من نصارى العرب.

أحد إراشة يقال له مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على «مَعان» ليلتين ينظرون في أمرهم؛ وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يُمِدَّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. فشجع الناسَ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه وقال: يا قوم، ـ والله ـ إنَّ التي **تكرهون لَلَّتي خرجتم تطلبون: الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به؛ فانطلِقوا فإنَّما هي إحدى الحُسْنَيين: إما ظهور وإما شهادة.** فقال الناس: قد ـ والله ـ صدق ابن رواحة.

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم[١] البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها «مَشارف»، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها «مُؤتة»، فالتقى الناس عندها. فتعبَّى لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة يقال له قُطْبَة بن قَتادة رضي الله عنه، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عَباية بن مالك رضي الله عنه، ثم التقى الناس فاقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه براية رسول الله ﷺ حتى شاط[٢] في رماح القوم، ثم أخذها جعفر رضي الله عنه فقاتل القوم حتى قُتل، فكان جعفر أول المسلمين عَقَر في الإسلام. كذا في البداية (٤/٢٤١).

وأخرجه الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما ـ مثله، وفيه: ثم أخذها جعفر رضي الله عنه فقاتل بها حتى إذا ألحَمه[٣] القتال اقتحم عن فرس له[٤] «شقراء» فعقرها[٥]، فقاتل القوم حتى قتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عَقَر في الإسلام. قال الهيثمي (٦/١٥٧): رواه الطبراني،

---

(١) التخوم: الحدود الفاصلة بين أرض وأرض. واحدها تخم.
(٢) شاط: أي هلك ويقال: شاط الرجل إذا سال دمه فهلك.
(٣) ألحمه القتال: نشب فيه فلم يجد مخلصاً.
(٤) اقتحم عن فرس له: رمى بنفسه عنها.
(٥) عقرها: ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف، وذلك حتى لا يستفيد منها الأعداء.

ورجاله ثقات إلى عروة. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في الحِلية (١/١١٨) عن عروة رضي الله عنه ـ مختصراً.

﴿ أبيات ابن رواحة في مسيره في الشوق إلى الشهادة ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت يتيماً لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه في حِجْره، فخرج بي في سفره ذلك مُرْدِفي على حقيبة[١] رَحْله، فوالله إنه ليسير ليلتئذ سمعته وهو يُنْشِد أبياته:

إذا أدنيتِني[٢] وحملت رَحْلي ... مسيرة أربع بعد الحِساء[٣]
فشأنك أنعمٌ[٤] وخلاك ذمٌ ... ولا أرجعْ[٥] إلى أهلي ورائي
وجاء[٦] المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مستنهى[٧] الثواء
وردَّك كل ذي نَسَب قريب ... إلى الرحمن منقطعَ الإخاء
هنالك لا أُبالي طلع بَعْل ... ولا نخل أسافلها رِواء[٨]

قال: فلما سمعتُهن منه بكيت، فخفقني بالدِّرة وقال: ما عليك يا لُكع[٩] أن يرزقني الله الشهادة؟! وترجع بين شعبتي الرَّحْل[١٠]! كذا في البداية (٤/٢٤٣). وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (١/١١٩)، والطبراني من طريق ابن إسحاق عن زيد كما في المجمع (٦/١٥٨).

---

(١) أي الزيادة التي تجعل في مؤخر القَتَب، والوعاء الذي يجمع فيه الرجل زاده.
(٢) الخطاب للناقة.
(٣) الحساء: جمع حَسِيّ وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخراً، فإذا بُحث عنه وُجد.
(٤) في الحلية والإصابة: فانعمي. ومعنى فشأنك أنعم: أي لا أكلفك سفراً بعد ذلك، وإنما تنعمين مطلقة لأني عازم على الموت وعدم الرجوع.
(٥) قال أبو ذر الخشني: هو مجزوم على الدعاء، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله.
(٦) وفي الحلية: وآب. وفي الإصابة عن ابن إسحاق: وجاء المؤمنون وخلَّفوني.
(٧) وفي الإصابة عن ابن إسحاق: مشهور الثواء. وفي الحلية: مشتهى الثواء. قلت: مستنهى: مستفعل من النهاية والانتهاء: أي حيث انتهى مثواه. عن الروض الأنف.
(٨) البعل: الذي يشرب بعروقِهِ من الأرض. رواء: صفة النخل. عن أبي ذر.
(٩) اللكع: اللئيم.
(١٠) شعبتي الرحل: طرفاه المقدّم والمؤخر.

﴿ أبيات ابن رواحة عند القتال ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: حدثني أبي الذي أرضعني[١] ـ وكان أحد بني مرة[٢] بن عوف ـ قال: فلما قتل جعفر رضي الله عنه أخذ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه الراية، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردّد ويقول:

أقسمت يا نفسُ[٣] لتنزِلَنَّهْ ... لتنزِلِنَّ[٤] أو لتُكْرِهِنَّهْ
إن أجلبَ الناس وشدُّوا الرَّنَّة[٥] ... ما لي أراك تكرهين الجَنَّة؟[٦]
قد طال ما قد كنتِ مطمئنة[٧] ... هل أنت إلا نُطفة في شَنَّة[٨]

وقال أيضاً:

يا نفسُ إن لا تُقتلي تموتي ... هذا حِمامُ الموت قد صُلِيتِ
وما تمنيتِ فقد أعطيتِ ... إن تفعلي فعلهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً رضي الله عنهما، ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعَرْق[٩] من لحم، فقال: شُدّ بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت. فأخذه من يده فانتهس منه نَهْسة[١٠]، ثم سمع الحَطْمة[١١] في

(١) أي أرضعتني زوجته.
(٢) في الأصل: وكان أحد بني عمرو بن عوف. وهو خطأ.
(٣) وفي الطبراني: يا نفسي.
(٤) وفي الطبراني: طائعة.
(٥) الرنة: صوت يشبه البكاء.
(٦) وفي الطبراني:
مالي أراك تكرهين الجنة ... إن أجلب الناس وشدوا الرَّنَّة
(٧) وفي الطبراني: لطالما قد كنت مطمئنة.
(٨) النطفة: الماء القليل الصافي. والشنة: السِقاء البالي، أي فيوشك أن تهراق النطفة، أو ينخرق السِقاء، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.
(٩) العرق بالسكون: العظم، إذا أخذ عنه معظم اللحم.
(١٠) في الأصل: فانتهش منه نهشةً والمعنى أخذ منه بفمه كثيراً. ومعنى انتهس منه نهسةً. أخذ منه يسيراً. عن أبي ذر.
(١١) الحطمة: أي الازدحام، وحَطَم بعض الناس بعضاً.

ناحية الناس. فقال: وأنت في الدنيا؟! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. كذا في البداية (٤/٢٤٥). وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (١/١٢٠)؛ والطبراني: ورجاله ثقات. كما قال الهيثمي (٦/١٦٠).

﴿ عقر جعفر فرسه وما قال من الأشعار عند القتل ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: حدثني أبي الذي أرضعني ـ وكان أحد بني مرة بن عوف ـ وكان في تلك الغزوة «غزوة مؤتة» قال: والله لكأنِّي أنظر إلى جعفر رضي الله عنه حين اقتحم عن فرس له «شقراء» ثم عقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل؛ وهو يقول:

يا حبَّذا الجنّة واقترابُها طيبةٌ وباردٌ شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
عليَّ إذ لاقيتها ضِرابُها

كذا في البداية (٤/٢٤٤). وأخرجه أبو داود من هذا الوجه؛ كما في الإصابة (١/٢٣٨). وأبو نُعيم في الحلية (١/١١٨).

يوم اليمامة

﴿ تشجيع زيد بن الخطاب وأصحابه على الثبات واستشهاده رضي الله عنه ﴾

أخرج الحاكم (٣/٢٢٧) عن عمر بن عبد الرحمن ـ من ولد زيد ابن الخطاب ـ عن أبيه رضي الله عنه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، وقد انكشف المسلمون حتى ظهرت حنيفة على الرجال[١]، فجعل زيد بن الخطاب يقول: أما الرحال فلا رحال[٢]، وأما الرجال فلا رجال[٣]؛ ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهمَّ إني أعتذر إليك من

---

(١) الرجال: المشاة.

(٢ ـ ٣) من ابن سعد، وفي الحاكم: أما الرجال فلا رجال، وأما الرجال فلا رجال. قلت: ما في ابن سعد أصح ومعنى أما الرحال فلا رحال: أي لا ترجعوا إلى منازلكم. ومعنى أما الرجال فلا رجال: أي أن المشاة قد هلكوا أو انهزموا.

فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مُسَيلِمة ومُحَكَّم بن الطُّفَيل[١]، وجعل يشدّ بالراية يتقدم بها في نحر العدوّ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل رحمة الله عليه، ووقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نُؤتى من قِبَلك! فقال: **بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قِبَلي!!** وقُتل زيد بن الخطاب سنة اثنتي عشرة من الهجرة. وأخرجه ابن سعد (٣/٢٧٤) عن عبد الرحمن رضي الله عنه ـ مثله.

﴿ حفر ثابت وسالم حفرة للثبات في المعركة واستشهادهما ﴾

وأخرج الطبراني عن ابنة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ـ فذكرت الحديث، وفيه: فلما استنفر أبو بكر رضي الله عنه المسلمين إلى قتال أهل الردة: اليمامة ومسيلمة الكذاب، سار ثابت بن قيس رضي الله عنه فيمن سار، فلما لَقُوا مسيلمة وبني حنيفة هزموا المسلمين ـ ثلاث مرّات. فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ـ رضي الله عنهم ـ: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، فجعلا لأنفسهما حفرة فدخلا فيها، فقاتلا حتى قتلا. قال الهيثمي (٩/٣٢٢): وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح. والظاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية فإنها قالت: سمعت أبي. انتهى. وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/١٩٤) ـ نحوه. وأخرجه البغوي أيضاً بهذا الإسناد، كما في الإصابة (١/١٩٦).

وأخرج ابن سعد (٣/٨٨) عن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه قال: لَمَّا انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما: ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ، فحفر لنفسه حفرة وقام فيها، ومعه راية المهاجرين يومئذ، فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ يوم اليمامة شهيداً سنة اثنتي عشرة؛ وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

﴿ نداء عبّاد بن بشر للأنصار في المعركة وقت الشهادة ﴾

وأخرج أيضاً (٣/٤٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

---

(١) هو قائد جيش مسيلمة وقد قُتل في تلك الواقعة، قتله البراء بن مالك.

سمعت عبَّاد بن بِشر رضي الله عنه يقول: يا أبا سعيد، رأيت الليلة كأن السماء قد فُرِجَت لي، ثم أطْبقت عليّ؛ فهي - إن شاء الله - الشهادة. قال: قلت: خيراً - والله - رأيت. قال: فأنْظُر إليه يوم اليمامة وإنه لَيصيح بالأنصار: احطِموا جفون السيوف[١]، وتميَّزوا من الناس، وجعل يقول: أخْلِصونا، أخلصونا[٢]. فأخلصوا أربع مائةِ رجل من الأنصار ما يخالطهم أحد، يقدمهم عبَّاد بن بشر، وأبو دُجانة، والبراء بن مالك رضي الله عنهم حتى انتهوا إلى باب الحديقة[٣]، فقاتلوا أشدَّ القتال؛ وقُتل عباد بن بشر رحمه الله، فرأيت بوجهه ضرباً كثيراً ما عرفته إلَّا بعلامة كانت في جسده.

﴿ نداء أبي عقيل للأنصار في المعركة وقت الشهادة ﴾

وأخرج أيضاً (٣/ ٤٧٤) عن جعفر بن عبدالله بن أسلم الهَمْداني رضي الله عنه قال: لما كان يوم اليمامة كان أول الناس جرح أبو عقيل الأُنَيْفي رضي الله عنه؛ رُمِيَ بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فشَطَبَ في غير مقتل، فأُخرج السهمُ - ووهن له شقه الأيسر - لِمَا كان فيه، وهذا أول النهار، وجُرّ إلى الرَّحْل[٤] - فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجازوا رحالهم - وأبو عقيل واهن من جرحه - سمع مَعْنَ بن عدي رضي الله عنه يصيح بالأنصار: اللَّـهَ اللَّـهَ! والكرّةَ على عدوّكم، وأعنق مَعْن[٥] يَقْدَم القوم، وذلك حين صاحت الأنصار: أَخلصونا، أخلصونا. فأخلَصوا رجلاً رجلاً يُميَّزون. قال عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما: فنهض أبو عَقِيل يريد قومه، فقلت: ما تريد يا أبا عَقِيل، ما فيك قتال؟! قال: قد نوَّه المنادي باسمي. قال ابن عمر: فقلت: إنما يقول: يا لَلأنصار، لا يعني الجَرْحى!! قال أبو عَقِيل: أنا رجل من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْواً!! قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف

---

(١) احطموا جفون السيوف: اكسروا أغمادها حتى لا تُرجع إليها.

(٢) أخلصونا: أي انفصلوا يا معشر الأنصار عن بقية المقاتلين. وإنما أراد رضي الله عنه أن تظهر من الأنصار بطولة متميزة تعيد للمسلمين الثقة بأنفسهم.

(٣) الحديقة: بستان لمسيلمة.

(٤) الرحل: المنزل والخيمة.

(٥) أعنق معن: أسرع معن.

بيده اليمنى مجرداً، ثم جعل ينادي: يا لَلأنصار، كرّة كيوم حُنَين، فاجتمعوا - رحمهم الله - جميعاً يقدمُون المسلمين دُرْبة[١] دون عدوّهم حتى أقحموا عدوَّهم الحديقة، فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خَلَصت إلى مقتل، وقُتل عدوّ الله مسيلمة. قال ابن عمر فوقعتُ على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: أبا عقيل، فقال: لبيك - بلسان ملتاث[٢] - لِمَن الدَّبْرة؟ قال: قلت: ابشر، ورفعت صوتي: قد قُتل عدوّ الله، فرفع أصبعه إلى السماء يحمد اللَّـهَ، ومات - يرحمه الله -. قال ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره كلَّه. فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها، وإنْ كان ما علمت من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديمَ إسلام.

﴿ استشهاد ثابت بن قيس ﴾

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس رضي الله عنه: ألا ترى يا عمّ؟ ووجدته يتحنَّط[٣]. فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، بئس ما عوَّدتم أقرانكم[٤]: اللهمَّ إنِّي أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء[٥] ومما صنع هؤلاء،[٦] ثم قاتل حتى قتل. - فذكر الحديث؛ كما في الإصابة (١/١٩٥)، قال: وهو في البخاري - مختصراً. قال الهيثمي (٩/٣٢٣): رجاله رجال الصحيح. إهـ. وأخرجه الحاكم (٣/٢٣٥): وصحَّحه على شرط مسلم. وفي مرسل عكرمة عن ابن سعد بإسناد صحيح؛ كما في فتح الباري (٦/٤٠٥): فلما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون. فقال ثابت رضي الله عنه: أُفٍ لهؤلاء ولما يعبدون، وأُفٍ لهؤلاء ولما يصنعون. وقال: ورجل قائم على ثُلْمة[٧] فقتله وقُتِل.

---

(١) دربة: بضم الدال وسكون الراء وفتح الباء: جراءة وشجاعة ووقفة.
(٢) لسان ملتاث: لا يستطيع النطق ولا يحسنه.
(٣) يتحنط: يضع الحنوط وهو نوع من الطيب.
(٤) أقرانكم: جمع قِرن وهو المقابل من الأعداء.
(٥) يريد المرتدين.
(٦) يريد المسلمين.
(٧) ثلمة: فتحة في حصن الحديقة.

وأخرجه البيهقي (٩/٤٤) عن أنس رضي الله عنه ـ بمعناه.

يوم اليرموك

﴿ قتل عكرمة بن أبي جهل في أربعمائة من المسلمين ﴾

أخرج يعقوب بن أبي سفيان، وابن عساكر عن ثابت البُناني رضي الله عنه: أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ترجَّل يوم كذا وكذا، فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه: لا تفعل، فإنَّ قَتْلَكَ على المسلمين شديدٌ. فقال: خلِّ عني يا خالد؛ فإنَّه قد كان لك مع رسول الله ﷺ سابقة، وإني وأبي كنا من أشدّ الناس على رسول الله ﷺ، فمشى حتى قتل. كذا في الكنز (٧/٧٥). وأخرجه البيهقي عن ثابت رضي الله عنه ـ نحوه (٩/٤٤).

وعند سَيْف بن عمر عن أبي عثمان الغسَّاني عن أبيه رضي الله عنه قال: قال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن، وأفرّ منكم اليوم؟! ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمُّه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور رضي الله عنهما في أربع مائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قُدَّامَ فسطاط خالد رضي الله عنه حتى أُثبِتوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق، منهم: ضرار بن الأزور رضي الله عنهم كذا في البداية (٧/١١).

وقد أخرجه الطبري (٤/٣٦) عن السَّرِي عن شعيب عن سيف بإسناده ـ نحوه، إلا أنه قال: وقتلوا إلا من برأ، ومنهم ضرار بن الأزور رضي الله عنه، قال: وأُتي خالد رضي الله عنه بعد ما أصبحوا بعكرمة رضي الله عنه جريحاً، فوضع رأسه على فخذه وبعمرو بن عكرمة، فوضع رأسه على ساقه، وجعل يمسح عن وجوههما، ويقطر في حلوقهما الماء، ويقول: كلَّا، زعم ابن الحنتمة[1]، أنا لا نُستَشهد.

---

(١) الحنتمة: اسم أم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

بقية قصص الصحابة رضي الله عنهم في رغبتهم في القتل في سبيل الله

﴿ رغبة عمّار بن ياسر في القتل ﴾

أخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي البَخْتَري ومَيْسَرة: أن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه يوم صِفِّين كان يقاتل فلا يقتل، فيجيء إلى علي رضي الله عنه فيقول: يا أمير المؤمنين، يوم كذا وكذا هذا؟ فيقول: أذهب عنك[١]. قال: ذلك ثلاث مرات، ثم أُتِيَ بلبن فشربه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: إنَّ هذا آخر شَرْبة أشربها من الدنيا، ثم قام فقاتل حتى قُتل. قال الهيثمي (٩/٢٩٧): رواه الطبراني، وأبو يَعْلى بأسانيد؛ وفي بعضها عطاء بن السائب وقد تَغَيَّر، وبقية رجاله ثقات، وبقية الأسانيد ضعيفة. انتهى.

وعند الطبراني عن أبي سنان الدؤلي رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت عمَّار بن ياسر رضي الله عنه دعا غلاماً له بشراب، فأتاه بقَدَح من لبن فشربه، ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (٩/٢٩٨): وإسناده حسن.

وعند الطبراني عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه بصِفِّين في اليوم الذي مات فيه وهو ينادي: إني لقيت الجبار[٢]، وتزوجت الحور العين، اليوم نلقى الأحبة محمداً وحزبه، عهد إليّ رسول الله ﷺ أنَّ آخر زادِك من الدنيا ضَياح من لبن[٣]. قال الهيثمي (٩/٢٩٦): رواه الطبراني في الأوسط، والإمام أحمد باختصار؛ ورجالهما رجال الصحيح. ورواه البزَّار بنحوه بإسناد ضعيف. وفي رواية عند الإمام أحمد: أنه لما أُتِيَ باللبن ضحك. انتهى.

﴿ استشهاد البراء بن مالك يوم العقبة بفارس ﴾

وأخرج البغوي ـ بإسناد صحيح ـ عن أنس رضي الله عنه: دخلت على البراء ابن مالك وهو يتغنّى، فقلت (له)[٤]: قد أبدلك الله ما هو خير منه. فقال: أترهب أن أموت على فراشي؟ لا والله! ما كان (الله)[٥] ليحرمني ذلك، وقد

---

(١) أذهب عنك: دع عنك هذا الأمر. (٣) ضياح من لبن: اللبن الخاثر يصب فيه الماء، ثم يخلط.
(٢) الجبار: الله سبحانه. (٤ ـ ٥) من الإصابة.

قتلت مائة منفرداً سوى من شاركت فيه. كذا في الإصابة (١/١٤٣) وأخرجه الطبراني بمعناه. قال الهيثمي: (٩/٣٢٤): ورجاله رجال الصحيح ـ إهـ. وأخرجه الحاكم أيضاً (٣/٢٩١) ـ بمعناه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٣٥٠) ـ نحوه. وأخرج الحاكم أيضاً عن أنس رضي الله عنه، قال: لمّا كان يوم العقبة بفارس ـ وقد زَوَىٰ الناس ـ[١] قام البراء رضي الله عنه فركب فرسه وهي تُزْجى[٢]، ثم قال لأصحابه: بئس ما عوَّدتم أقرانكم عليكم! فحمل على العدوّ، ففتح الله على المسلمين، واستُشهد البراء رضي الله عنه يومئذ.

﴿ ما ظنَّ عمر بعثمان بن مظعون حين مات ولم يقتل ﴾

أخرج ابن سعد، وأبو عُبَيد في الغريب عن عبيد بن عبدالله بن عتبة[٣] رضي الله عنه أنَّه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه وفاة لم يُقتل، هبط من نفسي هبطةً ضخمة، فقلت: انظروا إلى هذا الذي كان أشدّ تخلياً من الدنيا، ثم مات ولم يقتل؛ فلم يزل عثمان بتلك المنزلة من نفسي حتى توفي رسول الله ﷺ؛ فقلت: وَيْك[٤] إنَّ خيارنا يموتون! ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقلت: ويك، إن خيارنا يموتون! فرجع عثمان رضي الله عنه في نفسي إلى المنزلة التي كان بها قبل ذلك. كذا في المنتخب (٥/٢٤٠).

شجاعة الصحابة رضي الله تعالى عنهم

﴿ شجاعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

أخرج البزّار عن علي رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أمَا إنِّي ما بارزت أحداً إلا انتصفت[٥] منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس. قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال:

(١) زوى الناس: انصرفوا عن موطن القتال.
(٢) تزجى: تُساق.
(٣) في الأصل: «وأبو عبيدة في الغريب عن عبد الله بن عتبة»، والصحيح ما ذكرت.
(٤) كلمة ينبه بها الإنسان، وليس بشتم كالويل والويح.
(٥) انتصفت منه: أي أخذت منه حقي كاملاً.

أبو بكر. إنَّه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً. فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه؛ فهذا أشجع الناس ـ فذكر الحديث كذا في المجمع (٩/٤٦).

﴿ شجاعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

أخرج ابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمرَ بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه، وتنكّب[1] قوسه، وانتضى في يده أسهُماً، وأتى الكعبة ـ وأشراف قريش بفِنائها ـ فطاف سبعاً، ثم صلَّى ركعتين عند المَقام، ثم أتى حِلَقهم واحدة واحدة فقال: شاهت الوجوه. من أراد أن تثكله أمه، ويُؤتَم ولده، وتَرْمُل زوجته؛ فليلقني وراء هذا الوادي. فما تبعه منهم أحد. كذا في منتخب كنز العمال (٤/٣٨٧).

شجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

﴿ شعر علي بعد وقعة أحد ﴾

أخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال: دخل علي على فاطمة رضي الله عنها يوم أحد، فقال:

أفاطمُ هاكِ السيفَ غيرَ ذَميمِ ... فلستُ برعديدٍ[2] ولا بلئيم
لعمري لقد أبليت في نصر أحمدٍ ... ومرضاة رب بالعباد عليمِ

فقال رسول الله ﷺ: «إن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه سهل ابن حُنَيف وابن الصِّمَّة» ـ وذكر آخر فنسيه مُعلًّ[3] ـ. فقال جبريل عليه السلام: يا محمد هذا ـ وأبيك ـ المواساة. فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل إنَّه منِّي». فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما. قال الهيثمي (٦/١٢٢): وفيه مُعَلًّى ابن

(١) تنكب: أي ألقاها على منكبه.
(٢) الرعديد: أي الجبان الكثير الارتعاد.
(٣) مُعلًّى: أحد الرواة.

عبد الرحمن الواسطي وهو ضعيف جدّاً. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. انتهى.

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها يوم أحد فقال: خذي هذا السيف غير ذميم. فقال النبي ﷺ: «لئن كنت أحسنت القتال لقد أحسنه سهل بن حُنَيْف وأبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة». قال الهيثمي (٦/١٢٣): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

﴿ قتله عمرو بن عبد ودّ ﴾

وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن يزيدَ بن رومان عن عروة وعبدالله عن كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنهما قالا: لما كان يوم الخندق خرج عمرو بن عبد وَدّ مُعْلَماً لِيُرى مشهدُه، فلما وقف هو وخيله قال له علي: يا عمرو، إنَّك قد كنت تعاهد الله لقريش ألاّ يدعوك رجل إلى خَلَّتين إلا اخترت إحداهما. قال: أجل. قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال لا حاجة لي في ذلك، قال: فإني أدعوك إلى المبارزة. قال: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك. قال علي رضي الله عنه: ولكني ـ والله ـ أحب أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك، وأقبل إلى علي رضي الله عنه فتنازلا، فتجاولا، فقتله علي رضي الله عنه. كذا في الكنز (٥/٢٨١).

﴿ أشعار علي عند قتل عمرو بن عبد ودّ ﴾

وذكره في البداية (٤/١٠٦) من طريق البيهقي عن ابن إسحاق قال: خرج عمرو بن عبد وَدّ وهو مقنَّع بالحديد[١]، فنادى من يبارز؟ فقام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: أنا لها يا نبي الله، فقال: «إنه عمرو، اجلس». ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنِّبهم[٢]، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تُبرزون إليّ رجلاً؟ فقام

(١) مقنَّع: أي مستتر بالحديد.
(٢) يؤنبهم: يلومهم ويعنفهم.

علي رضي الله عنه فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس». ثم نادى الثالثة. فقال: فذكر شعره[١]. قال: فقام علي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أنا. فقال: «إنه عمرو». فقال: وإن كان عَمْراً. فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تعجلنَّ فقد أتاكْ مجيبُ صوتك غير عاجزْ
في نية وبصيرة والصدق مَنْجَى كلِّ فائزْ
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائزْ
من ضربة نَجْلاء[٢] يبقى ذكرها عند الهزاهزْ[٣]

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف[٤]؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: يا ابن أخي مِنْ أعمامك من هو أسنّ منك؛ فإني أكره أن أُهَريق دمك، فقال له علي رضي الله عنه: لكني ـ والله ـ لا أكره أن أهَريق دمك. فغضب فنزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مُغضَباً، واستقبله علي بدَرَقته[٥]؛ فضربه عمرو في دَرَقَته فقدّها[٦]، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه. وضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقة فسقط، وثار العَجاج[٧]؛ وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرفنا أن علياً رضي الله عنه قد قتله؛ فثَمَّ يقول علي رضي الله عنه:

أعليَّ تقتحم الفوارسُ هكذا عني[٨] وعنهم أخِّروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي[٩] ومُصَمِّمٌ[١٠] في الرأس ليس بنابي[١١]

إلى أن قال:

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدتُ ربَّ محمدٍ بصوابي

---

(١) شعر قاله عمرو حينئذٍ.
(٢) نجلاء: واسعة.
(٣) الهزاهز: الحروب والشدائد.
(٤) عبد مناف: اسم أبي طالب.
(٥) الدرقة: أي الجحفة، وهي الترس من جلود ليس فيها خشب ولا عقب.
(٦) قدّها: قطعها.
(٧) العجاج: الغبار.
(٨) هكذا عني: تنحّوا عني.
(٩) الحفيظة: الغضب عند الحرب.
(١٠) المصمم: السيف لا ينثني.
(١١) نبا السيف: ارتفع فلم يصب.

فصدرت[١] حين تركته متجدلاً[٢] كالجِذْعِ بين دكادكٍ[٣] وروابي[٤]
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المُقَطَّرَ[٥] بزَّني أثوابي[٦]
لا تحسبُنَّ الله خاذلَ دينه ونبيِّه يا معشرَ الأحزابِ

قال: ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلّل، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هلاّ استلبته درعه؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها، فقال: ضربته فاتقاني بسوأته، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه. انتهى:

﴿ قتله مرحب اليهودي وبطولته يوم خيبر ﴾

وأخرج مسلم، والبيهقي ـ واللفظ له ـ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ـ فذكر حديثاً طويلاً، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فَزارة. قال: فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. قال: وخرج عامر[٧] رضي الله عنه فجعل يقول:

واللهِ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
ونحن من فضلك ما استغنينا فأنزلَنْ سكينةً علينا
وثبِّتِ الأقدام إن لاقينا

قال: فقال رسول الله ﷺ: «من هذا القائل؟» فقالوا: عامر. فقال: «غفر لك ربك». قال: وما خصّ رسول الله ﷺ قطُّ أحداً به[٨] إلا استشهد ـ. فقال عمر رضي الله عنه ـ وهو على جمل ـ: لولا متَّعْتَنا بعامر. قال: فقدمنا خيبر، فخرج مرحب وهو يخطِر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مَرْحَبْ شاكي السلاحِ[٩] بطل مُجُرَّبْ
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبْ

---

(١) صدرت: رجعت.
(٢) متجدِّلاً: ساقطاً على الأرض.
(٣) الدكادك: جمع دكدك: الرمل اللين.
(٤) الروابي: جمع رابية: المكان المرتفع.
(٥) المقطَّر: الساقط.
(٦) بزني أثوابي: سلبني إياها وجردني منها.
(٧) عامر: هو عم سلمة بن الأكوع.
(٨) به: أي بهذا الدعاء «غفر لك ربك».
(٩) شاكي السلاحِ: أي لابس السلاح التام.

قال: فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاحِ بطل مغامر[١]

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه، فذهب يسعل[٢] له، فرجع على نفسه فقطع أكْحَله فكانت فيها نَفْسهُ[٣]. قال سلمة رضي الله عنه: فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: بَطَل عَملُ عامر، قَتَلَ نفسَه. قال: فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي. فقال: «ما لك؟» فقلت: قالوا: إن عامراً بطل عمله! فقال: «من قال ذلك؟» فقلت: نفر من أصحابك. فقال: «كذب أولئك، بل له الأجر مرّتين». قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي يدعوه وهو أرمد؛ وقال: «لأُعْطِيَنَّ الراية اليوم رجلاً يحبُّ اللَّـهَ ورسولَه». قال: فجئت به أقوده. قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ؛ فأعطاه الراية. فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحبْ شاكي السلاحِ بطل مجرّبْ
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبْ

قال فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حَيْدَرَة كَلَيْثِ غاباتٍ كريهِ المنظرهْ
أُوفيهم بالصاع كيل السَّنْدَره[٤]

قال فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله، وكان الفتح. هكذا وقع في هذا السياق: أنّ علياً هو الذي قتل مرحباً اليهودي ـ لعنه الله ـ.

وهكذا أخرجه الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: لمّا قتلتُ مرحباً جئت برأسه إلى رسول الله ﷺ. وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة رضي الله عنه. وكذلك

---

(١) المغامر: الملقي بنفسه في الغمرات المقتحم المهالك.

(٢) يسعل: ينشط.

(٣) أي إن سيفه رجع عليه وهو يقاتل فجرحه جرحاً شديداً فمات منه.

(٤) ضرب من الكيل، يقال: أكيلكم بالسيف كيل السندرة: أي أقتلكم قتلاً واسعاً كبيراً ذريعاً.

أخرج محمد بن إسحاق، والواقدي عن جابر رضي الله عنه وغيره من السلف. كذا في البداية (٤/١٨٧).

وأخرج ابن إسحاق عن بعض أهله عن أبي رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي رضي الله عنه إلى خيبر، فبعثه[١] رسول الله ﷺ برايته. فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي رضي الله عنه باب الحصن فترَّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتُني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما استطعنا أن نقلبه. وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر؛ ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق أبي جعفر الباقر عن جابر أن علياً ـ رضي الله عنهما ـ حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه، فافتتحوها؛ وأنه جُرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً، وفيه ضعف أيضاً. وفي رواية ضعيفة عن جابر رضي الله عنه: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب. كذا في البداية (٤/١٨٩). وقد أخرج ابن أبي شيبة عن جابر بن سَمُرة أن علياً ـ رضي الله عنهما ـ حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون ففتحوها؛ وأنه جُرِّب فلم يحمله إلا أربعون رجلاً. كذا في منتخب كنز العمال (٥/٤٤)، وقال: حسن. انتهى.

شجاعة طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن طلحة رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد ارتجزت بهذا الشعر:

نحن حماة غالبٍ ومالكِ   نذبّ عن رسولنا المبارك
نضرب عنه القوم في المعارك   ضرب صفاح الكُوم[٢] في المبارك

---

(١) في الأصل والبداية: بعثه. ولعل الصواب بزيادة الفاء.
(٢) الكُوم: جمع كوماء، أي الناقة الضخمة السنام.

وما انصرف رسول الله ﷺ يوم أحد حتى قال لحسان رضي الله عنه: «قل في طلحة»: (فقال)[١]:

وطلحة يومِ الشِّعب آسى[٢] محمداً ... على ساعة ضاقت عليه وشقَّتِ
يقيه بكفَّيه الرماح وأسلمت ... أشاجِعُهُ[٣] تحت السيوف فشُلَّتِ
وكان أمامَ الناس إلا محمداً ... أقام رحى الإسلام حتى استقلَّتِ

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

حمى نبيَّ الهدى والخيلُ تتبعه ... حتى إذا ما لقوا حامَى عن الدينِ
صبراً على الطعن إذ ولَّت حماتُهم ... والناس من بين مهديٍّ ومفتون
يا طلحةُ بن عُبيدالله قد وجبت ... لك الجنان وزُوِّجتَ المها العِينِ[٤]

وقال عمر رضي الله عنه:

حمى نبيَّ الهدى بالسيف منصلتاً ... لَمَّا تولّى جميع الناس وانكشفوا

قال: فقال النبي ﷺ: «صدقت يا عمر» قال في منتخب الكنز (٥/٦٨): وفيه سليمان بن أيوب الطَّلْحي. إهـ. قال ابن عدي: عامة أحاديثه لا يتابع عليها[٥]؛ وذكره ابن حِبَّان في الثقات كما في اللسان (٣/٧٧). وقد تقدم (ص/٥١٨) قتال طلحة يوم أحد.

شجاعة الزبير بن العوام رضي الله عنه

﴿خروج الزبير بالسيف متجرِّداً في مكة قبل الهجرة﴾

أخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيِّب قال: إن أول من سلّ سيفاً في الله الزبير بن العوام رضي الله عنه، بينا هو ذات يوم قائل[٦] إذ سمع نغمةً: قُتِلَ رسول الله ﷺ، فخرج متجرِّداً بالسيف صلتاً[٧]، فلقيه

(١) زيادة عما في الأصل يقتضيها السياق.
(٢) آسى: واسى من المواساة.
(٣) الأشاجع: عروق الأصابع.
(٤) المها: البقرة الوحشية يُشَبَّه بها في حسن العينين. العِين: جمع عَيْناء وهي الواسعة العين.
(٥) أي ضعيفة.
(٦) قائل: من القيلولة: النوم وقت الظهر.
(٧) صلتاً: مصلتاً السيف.

النبي ﷺ كُنَةً كَنَةً[١] فقال: «مالك يا زبير» فقال: سمعت أنك قُتلت. قال: «فما أردت أن تصنع؟» قال: أردت - والله - أستعرض أهل مكة[٢]. فدعا له النبي ﷺ بخير، وفي ذلك يقول الأسَديّ:

هٰذاك أول سيف سُلّ في غضب لله سيف الزبير المرتَضى أنَفا
حميَّةٌ سبقت من فضل نجدته قد يحبس النجدات المحبس الأرفا[٣]

وعند ابن عساكر أيضاً وأبي نعيم في الحلية (١/ ٨٩) عن عروة أن الزبير بن العوَّام رضي الله عنهما سمع نفخة[٤] من الشيطان أن محمداً ﷺ أُخذ، بعد ما أسلم[٥]، وهو ابن ثنتي عشرة سنة؛ فسلّ سيفه، وخرج يشتدّ في الأزقة[٦] حتى أتى النبي ﷺ - وهو بأعلى مكة - والسيف في يده. فقال له النبي ﷺ: «ما شأنك؟» قال: سمعت أنك قد أخذت. فقال النبي ﷺ: «ما كنت تصنع؟» قال: كنت أضرب بسيفي هذا من أخذك. فدعا له رسول الله ﷺ ولسيفه، وقال: «انصرف». وكان أول سيف سُلّ في سبيل الله. كذا في منتخب كنز العمال (٥/ ٦٩). وأخرجه الزبير بن بكار، كما في الإصابة (١/ ٥٤٥). وأخرجه أبو نُعيم في الدلائل (ص ٢٢٦) عن سعيد بن المسيِّب - بمعناه.

﴿ قتله طلحة العبدري يوم أحد ﴾

وذكر يونس عن ابن إسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حاملَ لواء المشركين يوم أحد دعا إلى البراز، فأحجم عنه الناس[٧]؛ فبرز إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه. فوثب حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض، فألقاه عنه، وذبحه بسيفه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ، وقال:

---

(١) وفي الدلائل: كَفَّة كَفَّة (والمعنى: مواجهة كأن كل واحد منهما قد كفّ صاحبه عن مجاوزته إلى غيره: أي منعه. عن النهاية.
(٢) أستعرض أهل مكة: أقتل من ألقاه منهم.
(٣) معنى البيت: هذه حمية مبكرة منه وستظهر منه نجدات عظيمة في وقتها المعلوم.
(٤) في الحلية: نفحة أي صيحة.
(٥) أي بعد إسلام الزبير.
(٦) جمع زقاق: أي السكة.
(٧) أي نكصوا هيبة.

«إنَّ لكل نبي حوارِيّاً[1]، وحوارِيّ الزبير»، وقال: «لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه، لِمَا رأيت من إحجام الناس عنه». كذا في البداية (٤/ ٢٠).

﴿ قتله نوفل المخزومي وقصته في قتل رجل آخر ﴾

وذكر يونس عن ابن إسحاق قال: خرج نوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي ـ أي يوم الخندق ـ، فسأل المبارزة. فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه فضربه، فشقّه باثنتين حتى فلّ في سيفه فلاًّ[2]؛ وانصرف وهو يقول:

إني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي

كذا في البداية (٤/ ١٠٧).

وقد أخرج ابن جرير عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أقبل رجل من المشركين وعليه السلاح، حتى صعد على مكان مرتفع من الأرض فقال: من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم: «أتقوم إليه؟» فقال له الرجل: إن شئت يا رسول الله. فأخذ الزبير رضي الله عنه يتطلّع، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقال: «قم يا ابن صفية» فانطلق إليه حتى استوى معه، فاضطربا ثم عانق أحدهما الآخر، ثم تدحرجا. فقال رسول الله ﷺ: «أيهما وقع الحضيض أول فهو المقتول»، فدعا النبي ﷺ ودعا الناس فوقع الكافر، ووقع الزبير رضي الله عنه على صدره فقتله. كذا في منتخب الكنز (٥/ ٦٩).

﴿ حملة الزبير يوم الخندق ويوم اليرموك ﴾

وأخرج البيهقي عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: جُعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأُطُم[3]، ومعي عمر بن أبي سلمة، فجعل يطأطىء[4] لي، فأصعد على ظهره، فأنظر. قال: فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة ها هنا، ومرة ها هنا، فما يرتفع له شيء إلا أتاه. فلما

(١) الحواري: الناصر.
(٢) فلاًّ: كسراً في حدّ السيف.
(٣) الأُطم: الحصن.
(٤) يطأطىء: يرخي ظهره.

أمسى جاءنا إلى الأُطُم قلت: يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع. قال: ورأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: فدىً لك أبي وأمي. كذا في البداية (٤/١٠٧).

وأخرج البخاري عن عروة رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير رضي الله عنه يوم اليرموك: ألا تشدّ فنشدّ معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل. فحمل عليهم حتى شقّ صفوفهم فجاوزهم، وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضُربها يوم بدر. قال عروة رضي الله عنه: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات، ألعب وأنا صغير. قال عروة رضي الله عنه: وكان معه عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما يومئذ، وهو ابن عشر سنين؛ فحمله على فرس ووكّل به رجلاً. وذكره في البداية (٧/١١) ـ بمعناه وزاد: ثم جاؤوا إليه مرّة ثانية، ففعل كما فعل في المرة الأولى.

شجاعة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

﴿ سعد أول من رمى في سبيل الله وشِعْره في ذلك ﴾

أخرج ابن عساكر عن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ سريّة فيها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى جانب من الحجاز يدعى رابغ، فانكفأ المشركون على المسلمين، فجاءهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يومئذ بسهامه، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان هذا أول قتال في الإسلام. وقال سعد رضي الله عنه في رميه.

ألَا هل أتى رسولَ الله أني ... حَمَيْت صحابتي بصدور نبلي
أذود بها أوائلَهم[1] ذياداً ... بكل حزونة[2] وبكل سهلِ
فما يَعْتَدُّ رامٍ في عدو[3] ... بسهم يا[4] رسول الله قبلي

كذا في المنتخب (٥/٧٢) عن ابن عساكر.

---

(١) وفي الإصابة: عدوهم.
(٢) حزونة: الأرض التي غلظت.
(٣) وفي الإصابة: من مَعَدّ.
(٤) وفي الإصابة: مع.

﴿ قتله ثلاثة بسهم واحد يوم أُحد ﴾

وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب قال: قَتلَ سعد رضي الله عنه يوم أحد بسهم واحد ثلاثة، رمى به؛ فردّ عليهم فرموا به، فأخذه فرمى به سعد رضي الله عنه الثانية، فَقَتَل؛ فردّ عليهم، فرمي به الثالثة، فَقَتَل، فعجب الناس مما فعل سعد رضي الله عنه، فقال: إنَّ النبي ﷺ أنبلنيه. قال: وجمع له رسول الله ﷺ أبويه[١]. كذا في منتخب الكنز (٥/٧٢).

وأخرج البزَّار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان سعد رضي الله عنه يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل. قال الهيثمي (٦/٨٢): رواه البزَّار بإسنادين: أحدهما متصل، والآخر مرسل، ورجالهما ثقات. انتهى.

شجاعة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

﴿ شجاعته يوم بدر وقول أمية بن خَلَف في ذلك ﴾

أخرج الطبراني عن الحارث التيمي قال: كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يوم بدر مُعْلَماً بريشة نعامة، فقال رجل من المشركين: من رجلٌ أُعْلِم[٢] بريشة نعامة؟ فقيل: حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل!! قال الهيثمي (٦/٨١): وإسناده منقطع[٣].

وعند البزَّار عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال لي أمية ابن خلف: يا عبد الإله[٤]، مَنِ الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره يوم بدر؟ قلت: ذاك عم رسول الله ﷺ؛ ذاك حمزة بن عبد المطلب رضي الله

(١) جمع له أبويه: قال له: «ارم سعد فداك أبي وأمي» وكان سعد يفتخر بها ويقول: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه إلا لي.

(٢) أي جعل علماً من طراز وغيره.

(٣) إسناده منقطع: أي سقط من رواته راو أو أكثر.

(٤) عبد الإله: هو عبد الرحمن بن عوف. وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسَّماه الرسول عليه السلام عبد الرحمن، ورفض أمية بن خلف أن يناديه بهذا الاسم، وجعل يناديه باسمه القديم فلا يجيبه عبد الرحمن، ثم اتفقا على أن يناديه بعبد الإله. وهذا الكلام قاله له حينما أسره عبد الرحمن في بدر وقبل أن يقتله بلال.

عنه. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال الهيثمي (٦/٨١): رواه البزّار من طريقين في إحداهما شيخه علي بن الفضل الكرابيسي ولم أعرفه، وبقية رجالها رجال الصحيح، والأخرى ضعيفة. إهـ.

﴿ بُكاءُ النبي عليه السلام عندما رآه مقتولاً ﴾

وأخرج الحاكم (٣/١٩٩): عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: فَقَدَ رسول الله ﷺ يوم أُحد حمزة رضي الله عنه حين فاء الناس من القتال. قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة، وهو يقول: أنا أسد الله وأسد رسوله: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ لأبي سفيان وأصحابه ـ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ من انهزامهم ـ، فسار رسول الله ﷺ نحوه. فلما رأى جبهته بكى، ولما رأى ما مُثِّلَ به شَهِق، ثم قال: «ألا كَفَنٌ؟» فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب. قال جابر رضي الله عنه: فقال رسول الله ﷺ «سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح.

﴿ قصة قتله ومثلته رضي الله عنه ﴾

وأخرج ابن إسحاق كما في البداية (٤/١٨): عن جعفر بن عمرو ابن أمية الضَّمري قال: خرجت أنا وعبدالله بن عديّ بن الخِيار في زمان معاوية رضي الله عنه، فذكر الحديث، حتى جلسنا إليه ـ أي إلى وحشي ـ فقلنا: جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتلته؟ فقال: أما إنِّي سأحدثكما كما حدَّثتُ رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك: كنت غلاماً لجبير بن مُطْعِم وكان عمه طُعَيمة بن عديّ قد أُصيب[1] يوم بدر. فلما سارت قريش إلى أُحد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي فأنت عتيق. قال: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف[2] بالحربة قذف الحبشة قلّ ما أُخطىء بها شيئاً. فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصَّره حتى رأيته في عُـرْض الناس[3]

(١) أصيب: قتل.
(٢) أقذف: أرمي.
(٣) عرض الناس: ناحية الناس.

كأنه الجمل الأورق[١] يهدُّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء[٢]، فوالله إني لأتهيأ له أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني، إذ تقدَّمني إليه سِباع ابن عبد العُزَّى. فلما رآه حمزة رضي الله عنه قال: هلمَّ إليَّ يا ابن مقطِّعة البُظُور[٣] قال: فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه[٤]. قال: وهززت[٥] حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته[٦] حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء[٧] نحوي فغُلب؛ وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر، وقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتَق. فلما قدمت مكة عُتقت، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها. فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت عليَّ المذاهب[٨]، فقلت: ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله إنِّي لفي ذلك من همّي، إذ قال لي رجل: ويحك إنه ـ والله ـ لا يقتـل أحداً من الناس دخل في دينه، وشهد شهادة الحق. قال: فلما قال لي ذلك: خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يَرُعه إلَّا بي قائماً على رأسه؛ أشهد شهادة الحق. فلما رآني قال لي: «أوحشي أنت؟» قلت: نعم يا رسول الله قال: «اقعُد، فحدثني كيف قتلت حمزة» قال: فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثي قال: «ويحك غيّب عني وجهك فلا أُرَينّك». قال: فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عزّ وجل. فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلمة الكذاب صاحبِ اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس

(١) الجمل الأورق: هو الذي لونه بين الغبرة والسواد.
(٢) ما يقوم له شيء: لا يستطيع أحد أن يقف في وجهه.
(٣) مقطعة البظور: خاتنة النساء، وكانت أم سباع تفعل ذلك بمكة، والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم، وإن لم تكن المرأة خاتنة.
(٤) أي ضربه ضربة أسرع فيها فقطع رأسه حتى كأنما لم يفعل شيئاً.
(٥) هززت: أي حركت.
(٦) الثنّة: ما بين السرة والعانة من أسفل البطن.
(٧) ينوء: ينهض متثاقلاً.
(٨) احترت أين أذهب.

رأيت مُسَيْلمة قائماً وبيده السيف ـ وما أعرفه ـ فتهيأت له، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريده، فهززتُ حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه؛ وشدّ عليه الأنصاري (فضربه)[١] بالسيف، فربُّك أعلم أيُّنا قتله، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقد قتلت شر الناس.

وأخرجه البخاري عن جعفر بن عمرو ـ نحوه، وفي سياقه: فلما أن صف الناس للقتال خرج سِباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال له: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطِّعةِ البظور!! أتحادُّ الله ورسوله؟ ثم شدَّ عليه، فكان كأمس الذاهب.

شجاعة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

﴿ اختطاف العباس حنظلة من أيدي المشركين وقصة شجاعته ﴾

أخرج ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال: لقد بعث رسول الله ﷺ يوم الطائف حنظلة بن الربيع رضي الله عنه إلى أهل الطائف، فكلمهم، فاحتملوه ليدخلوه حصنهم. فقال رسول الله ﷺ «من لهؤلاء؟ وله مثل أجر غزاتنا هذه؟»، فلم يقم إلا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى أدركه في أيديهم، قد كادوا أن يدخلوه في الحصن، فاحتضنه العباس رضي الله عنه ـ وكان رجلاً شديداً ـ فاختطفه من أيديهم؛ وأمطروا على العباس رضي الله عنه الحجارة من الحصن. فجعل النبي ﷺ يدعو له حتى انتهى به إلى النبي ﷺ. كذا في الكنز (٥/٣٠٧).

شجاعة معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما

﴿ قصة قتلهما أبا جهل يوم بدر ﴾

أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إنِّي لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلَعَ منهما[٢]، فغمزني أحدهما

(١) من ابن هشام.
(٢) أضلع منهما: أقوى منهما.

فقال: يا عماه، أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أُخبرت أنه يسبّ رسول الله ﷺ؛ **والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي**[1] **سواده حتى يموت الأعجل منا**، فتعجَّبت لذلك. فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها، فلم أنشب[2] أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبُكما الذي تسألاني عنه، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه. فقال: «أيكما قتله؟» قال كل منهما: أنا قتلته، قال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا. قال: فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسَلَبه لمعاذ ابن عمرو بن الجموح، والآخرِ معاذ بن عفراء رضي الله عنهما. وأخرجه الحاكم (٣/٤٢٥)؛ والبيهقي (٦/٣٠٥) عن عبد الرحمن رضي الله عنه - بنحوه.

وعند البخاري أيضاً قال عبد الرحمن رضي الله عنه: إني لفي الصف يوم بدر، إذا التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السنّ، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سِرّاً من صاحبه: يا عمّ، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟! قال: **عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه**. فقال لي الآخر: سرّاً من صاحبه مثله. قال: فما سرني أنني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدّا عليه مثلَ الصَّقْرين حتى ضرباه. وهما ابنا عفراء.

وعند ابن إسحاق عن ابن عباس وعبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهم قالا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سَلِمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحَرَجَة[3]، وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخْلَصُ إليه[4]، فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه[5]، فلمّا أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنّت قدمه[6] بنصف ساقه[7]، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت[8] إلاَّ

(١) سوادي: شخصي.
(٢) أنشب: لم ألبث.
(٣) الحرجة: هي شجرة من الأشجار، لا يوصل إليها.
(٤) لا يُخلص إليه: لا يوصل إليه.
(٥) صمدت نحوه: قصدت إليه.
(٦) أطنت قدمه: أطارت قدمه.
(٧) بنصف ساقه: مع نصف ساقه.
(٨) طاحت: ذهبت.

بالنَّواة تطيح من تحت مِرْضخة[١] النوى حين يُضرب بها. قال: وضربني ابنه عِكرمة على عاتقي، فطرح يدي فتعلَّقت بجلدة من جنبي، وأجهضني[٢] القتال عنه، فلقد قاتلت عامّة يومي، وإني لأسحبها[٣] خلفي. فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطّيت بها عليها حتى طرحتها. كذا في البداية (٣/٢٨٧).

شجاعة أبي دُجانة سِماك بن خَرَشة الأنصاري رضي الله عنه

﴿ قصة أخذه سيفه عليه السلام وأداء حقه يوم أحد ﴾

أخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: «من يأخذ هذا السيف؟» فأخذ قوم؛ فجعلوا[٤] ينظرون إليه، فقال: «من يأخذه بحقه»، فأحجم القوم. فقال أبو دجانة سِمَاك رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه، ففلق به هام المشركين. وأخرجه مسلم. كذا في البداية (٤/١٥)، وابن سعد (٣/١٠١) عن أنس رضي الله عنه بمعناه.

وأخرج البزَّار عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟»، فقام أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ـ أنا آخذه بحقّه، فما حقُّه؟ قال: فأعطاه إياه. فخرج واتبعته؛ فجعل لا يمرّ بشيء إلا أفراه[٥] وهتكه، حتى أتى نسوة في سَفح الجبل ومعهن هند وهي تقول:

نحن بنات طارقْ[٦] نمشي على النمارقْ[٧]
والمسك في المفارقْ إن تُقبلوا نعانقْ
أو تدبروا نفارقْ فراق غير وامقْ[٨]

---

(١) المرضخة: هي حجر يكسر به النوى.
(٢) أجهضني: غلبني واشتد عليّ.
(٣) أسحبها: أجرها.
(٤) كذا في الأصل وفي البداية ولعل هذه الكلمة (فجعلوا) زائدة.
(٥) أفراه: أي شقه.
(٦) أي آباؤنا في الشرف والعلو كالنجم.
(٧) النمارق: جمع نُمرُقة بضم النون والراء: وِسادة.
(٨) غير وامق: غير محب.

قال: فحملت عليها، فنادت بالصحراء فلم يجبها أحد، فانصرفت عنها. فقلت له: كل صنيعك رأيته فأعجبني؛ غير أنك لم تقتل المرأة. قال: فإنها نادت فلم يجبها أحد، فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها. قال الهيثمي (٦/١٠٩): رجاله ثقات. انتهى.

وأخرجه الحاكم (٣/٢٣٠) عن الزبير رضي الله عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟» (فقمت) فقلت: أنا يا رسول الله فأعرض عني (ثم قال: «من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟» فقلت أنا يا رسول الله فأعرض عني)[1]، ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟ فقام أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشَة رضي الله عنه فقال: أنا آخذه يا رسول الله ﷺ بحقِّه، فما حقُّه؟ قال: «أن لا تقتل به مسلماً، ولا تفرّ به عن كافر». قال: فدفعه إليه، وكان إذا أراد القتال أعْلَم بعصابة. قال: قلت: لأنظرنَّ إليه اليوم كيف يصنع؟ قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه - فذكره بمعناه. قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وعند ابن هشام كما في البداية (٤/١٦): قال حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: وَجَدْتُ[2] في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف، فمنَعنيه، وأعطاه أبا دجانة رضي الله عنه، وقلت: أنا ابن صفيَّة عمته ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله؛ فأعطاه أبا دجانة وتركني! واللهِ لأنظرنَّ ما يصنع؟ فاتبعته. فأخرج عصابة له حمراء، فعَصَب بها رأسه. فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عِصابة الموت - وهكذا كانت تقول له إذا تعصب (بها) - فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسَّفْح لدى النخيلِ
أن لا أقوم الدهر في الكَيُّول[3] ... أضرب بسيف الله والرسولِ

---

(١) من الحاكم.
(٢) وجدت: غضبت.
(٣) الكَيُّول: آخر الصفوف في الحرب.

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله. وكان في المشركين رجل لا يدع (لنا) جريحاً إلا ذفَّف عليه[١]؛ فجعل كل (واحد) منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشركُ أبا دُجانة فاتَّقاه بدَرَقَته[٢]؛ فعضّت بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله. ثم رأيته قد حمل السيف على مَفْرِق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها (قال الزبير)؛ فقلت: الله ورسوله أعلم.

وعند موسى بن عقبة، كما في البداية (١٧/٤): أن رسول الله ﷺ لما عرضه طلبه منه عمر رضي الله عنه، فأعرض عنه. ثم طلبه منه الزبير رضي الله عنه، فأعرض عنه؛ فوجَدا في أنفسهما من ذلك. ثم عرضه الثالثة، فطلبه أبو دجانة رضي الله عنه، فدفعه إليه؛ فأعطى السيف حقَّه. قال: فزعموا أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: كنت فيمن خرج من المسلمين، فلما رأيتُ مُثَلَ[٣] المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوَزْتُ، فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة[٤] يجوز المسلمين وهو يقول: اسْتَوْسِقوا كما استوسقت جزر الغنم[٥]. قال: وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته، فمضيت حتى كنت من ورائه. ثم قمت أُقدِّر المسلم والكافر ببصري[٦]؛ فإذا الكافر أفضلهما عدّة وهيأة. قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وِرْكه وتفرق فرقتين، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دجانة.

شجاعة قتادة بن النعمان رضي الله عنه

﴿ حفاظته النبي عليه السلام عن السهام يوم أحد بوجهه ﴾

أخرج الطبراني عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: أُهدِي إلى

---

(١) ذفَّف عليه: أجهز عليه وأماته.
(٢) الدرقة: ترس من جلد.
(٣) مُثَلَ: جمعُ مثْلَة.
(٤) اللأمة: أي السلاح.
(٥) استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم: استجمعوا وانضموا كما تجتمع الجزر للذبح. والجزر واحدها: جزرة: الشاة.
(٦) أقدِّر المسلم والكافر: من التقدير: أي أرى من يغلب.

رسول الله ﷺ قوس، فدفعها إليّ رسول الله ﷺ يوم أُحد، فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى اندقَّت سِيَتُها[١] ولم أزل على مقامي نُصْب وجه رسول الله ﷺ ألقى السهام بوجهي، كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله ﷺ ميَّلت رأسي لأقي وجه رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه، فكان آخرُها سهماً ندرت[٢] منها حَدَقَتي بكفي، فسعَيت بها في كفِّي إلى رسول الله ﷺ. فلما رآها رسول الله ﷺ في كفِّي دمعت عيناه، فقال: «اللهم إنَّ قتادة قد (وقى)[٣] نبيك بوجهه، فاجعلها أحسن عينيه وأحدّهما نظراً»، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظراً. قال الهيثمي (١١٣/٦): وفيه من لم أعرفه. وعنده أيضاً عنه قال: كنت نصب وجه رسول الله ﷺ يوم أُحد أقي وجه رسول الله ﷺ بوجهي، وكان أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشة رضي الله عنه موقياً لظهر رسول الله ﷺ بظهره حتى امتلأ ظهره سِهاماً، وكان ذلك يوم أُحد. قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه.

شجاعة سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه

﴿ قصة شجاعته في غزوة ذي قَرَد ﴾

أخرج الإمام أحمد عن سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ، فخرجت أنا ورَباح غلامُ النبي ﷺ - (بظهر رسول الله ﷺ)[٤] وخرجت بفرس لطلحة بن عبيدالله أريد أن أُنَدِّيه[٥] مع الإبل. فلما كان بغَلَس[٦] أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ، فقتل راعيها، وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل. فقلت: يا رباح اقعد على هذا الفرس فألْحقهُ بطلحة، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغير

(١) سيتها: أي حدّها ورأسها.
(٢) ندرت: أي سقطت ووقعت.
(٣) في الأصل: قد (أوجه) نبيك بوجه والصحيح ما ذكرنا كما في الهيثمي.
(٤) بظهر رسول الله: أي يرعى إبل الرسول عليه السلام.
(٥) التندية: أن تورد الإبل والخيل فتشرب ثم ترعى ثم تشرب.
(٦) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

على سَرْحه. قال: وقمت على ِقلّ[١]، فجعلت وجهي من قِبل المدينة، ثم ناديت ـ ثلاث مرات ـ : يا صباحاه. قال: ثم اتَّبعت القوم معي سيفي ونبلي، فجعلت أرميهم وأعقِر بهم[٢]، وذلك حين يكثر الشجر، فإذا رجع إليّ فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت، فلا يُقبل إليّ فارس إلا عقرت به، فجعلت أرميهم وأنا أقول:

أنا ابن الأكوعِ واليومُ يومُ الرُّضَّع[٣]

قال: فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلة، فيقع سهمي في الرجل حتى أنتظم كتفه[٤] فقلت:

خذها وأنا ابن الأكوعِ واليوم يوم الرُّضَّعِ

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل، فإذا تضايقت الثنايا[٥] عَلَوت الجبل فردَّيتهم بالحجارة.

فما زال ذلك شأني وشأنهم أتبعهم، وأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظَهْر رسول الله ﷺ إلاَّ خلَّفته وراء ظهري، فاستنقذته من أيديهم، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقَوا أكثر من ثلاثين رمحاً وأكثر من ثلاثين بُرْدة يَستخِفُّون منها، ولا يُلْقون من ذلك شيئاً إلاَّ جعلت عليه حجارة، وجمعته على طريق رسول الله ﷺ، حتى إذا امتدّ الضحى أتاهم عُيَينة بن بدر الفَزاري مَدداً لهم وهم في ثنيَّة ضيِّقة، ثم علَوت الجبل فأنا فوقهم، فقال عيينة: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البُرَح[٦]!! ما فارقنا بسَحَر حتى الآن، وأخذ كلَّ شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره. فقال عيينة: لولا أنَّ هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم، ليَقُم إليه نفر منكم. فقام إليه نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل.

---

(١) قلّ: رأس الجبل.
(٢) أعقر بهم: أقتل مركوبهم.
(٣) الرُّضَّع: جمع راضع، أي خذ الرمية مني، واليوم يوم هلاك اللئام.
(٤) أنتظم كتفه: أصيبه.
(٥) الثنايا: جمع ثنية: وهي العقبة أو الطريق في الجبل.
(٦) البرح: جمع البرحاء: الشدة.

فلما أسمعتهم الصوت قلت: أتعرفونني؟ قالوا: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن الأكوع، والذي كرّم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني، ولا أطلبه فيفوتني. فقال رجل منهم إنْ أظنُّ. قال: فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يخلّلون الشجر(١)، وإذا أولهم الأخرم الأسديّ، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكِندي، فولّى المشركون مدبرين، وأنزل من الجبل فآخذ عِنان فرسه، فقلت: يا أخرم ائذن القوم ـ يعني احذرهم ـ فإني لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه. قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أنَّ الجنة حق والنار حق فلا تَحُل بيني وبين الشهادة. قال: فخلّيت عنان فرسه، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة، ويعطف عليه عبد الرحمن فاختلفا طعنتين، فعقر(٢) الأخرم بعبد الرحمن، وطعنه عبد الرحمن فقتله؛ فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن، فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم.

ثم إنِّي خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئاً، ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له «ذو قَرَد». فأرادوا أن يشربوا منه فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه، وأسندوا(٣) في الثنيّة «ثنيّة ذي بئر» وغربت الشمس وألحق رجلاً فأرميه فقلت:

خـذهـا وأنـا ابن الأكـوعِ والـيـوم يـوم الـرضّـعِ

قال: فقال: يا ثُكْلَ أمِّ أكوع بكرة! فقلت: نعم، أيْ عدوَّ نفسه ـ وكان الذي رميته بكرة ـ، وأتبعته سهماً آخر، فعلق به سهمان، ويخلِّفون فرسين فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه

(١) يخلّلون الشجر: يظهرون من خلال الشجر.
(٢) فعقر: أي قتل فرسه. (٣) أسندوا: صعدوا.

ـ ذي قَرَد ـ. وإذا بنبي الله ﷺ في خمس مائة، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلَّفت فهو يشوي لرسول ﷺ من كبدها وسنامها، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله خلِّني فأنتخب من أصحابك مائة، فآخذ على الكفار بالعَشوة[١] فلا يبقى منهم مُخْبر إلا قتلته. فقال: «أكنت فاعلاً ذلك يا سَلَمة؟» قال: قلت: نعم، والذي أكرمك. فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه في ضوء (النار)[٢]، ثم قال: «إنهم يُقْرَون[٣] الآن بأرض غطفان». فجاء رجل من غطفان فقال: مرّوا على فلان الغطفاني، فنحر لهم جزوراً، فلما أخذوا يكشِطون جلدها رأوا غَبَرة فتركوها وخرجوا هراباً.

فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «خير فرساننا أبو قتادة وخير رجَّالتِنا سلمة». فأعطاني رسول الله ﷺ سَهْمَ الفارس والراجل جميعاً، ثم أردفني وراءه على العَضْباء[٤] راجعين إلى المدينة. فلما كان بيننا وبينها قريبٌ من ضحوة ـ وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يُسبق ـ جعل ينادي: هل من مسابق؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله ﷺ مُرْدِفي[٥]، فقلت له: أما تُكرم كريماً، ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا رسول الله ﷺ. قال قلت: يا رسول الله ـ بأبي أنت وأمي ـ خلّني فلأسابق الرجل. قال: «إن شئت». قلت: اذهب إليك. فطفر عن راحلته[٦]، وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة، ثم إنِّي ربطت عليه[٧] شَرَفاً أو شَرَفين[٨] ـ يعني استبقيت من نَفَسي ـ، ثم إني عدوت حتى ألحقه فأصكَّ[٩] بين كتفيه بيدي، قلت: سبقتك والله! أو كلمة نحوها. قال: فضحك، وقال: إن أظنُّ، حتى قدمنا المدينة. وهكذا رواه مسلم؛ وعنده: فسبقته إلى المدينة، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. كذا في البداية (٤/١٥٢).

---

(١) العشوة: بعد العشاء.
(٢) في الأصل: النهار. وهو خطأ.
(٣) يُقرون: من القرى وهو ما يقدّم للضيف.
(٤) العضباء: اسم ناقة الرسول عليه السلام.
(٥) في الأصل: (مردفاً). وهو خطأ.
(٦) طفر عن راحلته: وثب عن راحلته.
(٧) ربطت عليه: تأخرت عنه.
(٨) شرفاً: شوطاً.
(٩) أصكّ: أضرب.

شجاعة أبي حدرد أو عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه

﴿ قتاله مع رجلين والظفر عليهما ﴾

أسند ابن إسحاق عن أبي حدرد رضي الله عنه قال: تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم، قال: فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نِكاحي. فقال: «كم أصدقت(١)؟» فقلت: مائتي درهم. فقال: «سبحان الله! والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم! والله ما عندي ما أعينك به». فلبثت أياماً؛ ثم أقبل رجل من جُشَم بن معاوية يقال له رِفاعة بن قيس ـ أو قيس ابن رفاعة ـ في بطن(٢) عظيم من جُشَم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة(٣)؛ يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشَرَف في جُشَم. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين، فقال: «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم»، وقدَّم لنا شارفاً عجفاء(٤)، فحُمِلَ عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دَعَمها الرجال(٥) من خلفها بأيديهم حتى استقلَّت(٦) وما كادت؛ وقال: «تبلَّغوا على هذه»(٧).

فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر(٨) مع غروب الشمس، فكَمَنت(٩) في ناحية، وأمرت صاحبيَّ فكَمَنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبّرت وشددت في العسكر فكبّرا وشدّا معي، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غِرَّة(١٠) أو نرى شيئاً، وقد غَشِينَا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء(١١)؛ وقد كان لهم راعٍ قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم، وتخوّفوا عليه. فقام صاحبهم رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه فجعله في عنقه، فقال: والله لأتيقنَنّ أمر راعينا ولقد أصابه شرّ. فقال نفر

---

(١) أي كم عينت صداقاً.
(٢) البطن: أصغر من القبيلة.
(٣) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام.
(٤) شارفاً: ناقة مسنة هرمة. عجفاء: مهزولة.
(٥) دعمها الرجال: قووها بأيديهم.
(٦) استقلّت: نهضت.
(٧) تبلَّغوا على هذه: ابلغوا المكان.
(٨) الحاضر: المكان الذي نزل به القوم.
(٩) كمنت: استترت.
(١٠) غرّة: غفلة.
(١١) فحمة العشاء: إقباله وأول سواده.

ممَّن معه: والله لا تذهب، نحن نَكْفيك. فقال: لا، إلا أنا. قالوا: نحن معك. فقال: والله لا يتبعني منكم أحد، وخرج حتى مرّ بي. فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده، فوالله ما تكلّم فوثبت إليه، فاحتززت رأسه، ثم شددت ناحية العسكر وكبّرت، وشدّ صاحباي وكبّرا، فوالله ما كان إلا النجاء ممّن كان فيه. عندك عندك[1]، بكل ما قدروا عليه من نسائهم، وأبنائهم، وما خفّ معهم من أموالهم، واستَقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة؛ فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معي، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صَداقي؛ فجمعت إليَّ أهلي. كذا في البداية (٤/٢٢٣). وأخرجه أيضاً الإمام أحمد وغيره، إلا أن عنده عبدالله بن أبي حدرد رضي الله عنه؛ كما في الإصابة (٢/٢٩٥).

شجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه

﴿ كسره رضي الله عنه تسعة أسياف في يوم مؤتة ﴾

أخرج البخاري عن خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول: لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة[2] يمانية. وأخرجه ابن أبي شيبة، كما في الاستيعاب (١/٤٠٨)؛ والحاكم (٣/٤٢) وابن سعد (٤/٢).

﴿ قتله هرمز ﴾

وأخرج الحاكم (٣/٢٩٩) عن أوس بن حارثة بن لام رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أعدى للعرب من هُرْمز[3]، فلما فرغنا من مُسَيْلَمة وأصحابه أقبلنا إلى ناحية البصرة، فلقينا هُرمُز بكاظِمة[4] في جمع عظيم. فبرز له خالد ودعا البراز، فبرز له هُرمُز؛ فقتله خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ وكتب

(١) عندك عندك: كلمتان بمعنى الإغراء أي خُذه.
(٢) في الأصل: صفحة، والصحيح صفيحة كما في جميع روايات البخاري ومعناه السيف العريض كما قال القسطلاني.
(٣) هرمز: كان أمير الحدود الفارسية من جهة بلاد العرب.
(٤) اسم موضع؛ وقيل: بئر يعرف الموضع بها.

بذلك إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فَنَفَله سَلَبه(١)، فبلغت قلنسوته مائةَ ألف درهم، وكانت الفرس إذا شَرُف الرجل جعلوا قلنسوتة مائةَ ألف درهم.

﴿ بكاء خالد على موته على الفراش ﴾

وأخرج الواقدي عن أبي الزناد قال: لما حضرت خالداً الوفاةُ بكى ثم قال: لقد حضرتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير؛ فلا نامت أعين الجبناء. كذا في البداية (١١٤/٧).

شجاعة البراء بن مالك رضي الله عنه

﴿ تشجيعه الناس يوم اليمامة وضربه بالسيف حتى انقطع السيف ﴾

أخرج السَّرّاج في تاريخه عن أنس: أنّ خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء. قال: فركب فرسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم(٢)، وإنما هو الله وحدَه والجنة؛ ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة. فلقي البراء رضي الله عنه مُحَكَّم اليمامة(٣)، فضربه البراء وصرعه، فأخذ سيف مُحَكَّم اليمامة فضرب به حتى انقطع.

وعند البغوي عن البراء رضي الله عنه قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له «حمار اليمامة» رجلاً جسيماً بيده السيف أبيض، فضربت رجليه فكأنما أخطأته وانقعر(٤)، فوقع على قفاه، فأخذت سيفه وأغمدت سيفي، فما ضربت به ضربة حتى انقطع. كذا في الإصابة (١٤٣/١).

﴿ اقتحامه الحديقة من الجدار وقتاله مع القوم وحده ﴾

وعند ابن عبد البرّ في الاستيعاب (١٣٨/١) عن ابن اسحاق

(١) نفله سلبه: أعطاه سلاحه وثيابه وفرسه وغيرهاُ.
(٢) أي قاتلوا قتال المستميت ولا تفكروا بالرجوع للمدينة.
(٣) هو قائد جيش مسيلمة. (٤) انقعر: قطع من أسفله.

قال: زحف المسلمون إلى المشركين (ـ في اليمامة ـ)[١] حتى ألجؤوهم إلى الحديقة وفيها عدوّ الله مسيلمة. فقال (البراء):[٢] يا معشر المسلمين ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون، فقتل الله مسيلمة.

وأخرجه البيهقي (٩/ ٤٤) عن محمد بن سيرين: أن المسلمين انتهَوا إلى حائط قد أُغلق بابه فيه رجال من المشركين. فجلس البراء بن مالك رضي الله عنه على ترس فقال: ارفعوني برماحكم، فألقوني إليهم. فرفعوه برماحهم، فألقَوه من وراء الحائط، فأدركوه قد قتل منهم عشرة.

وأخرج ابن سعد كما في منتخب الكنز (٥/ ١٤٤) عن ابن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن لا تستعملوا البراء بن مالك (على جيش من جيوش المسلمين)[٣] فإنه مَهلكة من (المهالك يقدم بهم)[٤].

شجاعة أبي مِحْجن الثقفي رضي الله عنه

﴿ قتاله يوم القادسية حتى ظنُّوا أنه ملك ﴾

أخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين قال: كان أبو مِحْجَن الثقفي رضي الله عنه لا يزال يُجلد في الخمر، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه. فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون، فكأنه رأى أن المشركين قد أصابوا من المسلمين، فأرسل إلى أم ولد سعد أو إلى امرأة سعد يقول لها: إن أبا مِحجَن يقول لك: إن خلّيت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً؛ ليكونَنّ أول من يرجع إليك إلا أن يُقتل، وأنشأ يقول:

كفى حَزَناً أن تلتقي الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قمت عنّاني الحديدُ وغُلِّقت ... مصارعُ دوني قد تُصمُّ المناديا

(١ ـ ٢) من الاستيعاب.

(٣) من المستدرك والاستيعاب.

(٤) من المستدرك والاستيعاب. والمعنى يخاطر بهم ويقدم بهم على المهالك. وفي الأصل: «مهلكة من المهلكة، تقدم بهم». وهو كلام غير مستقيم.

فذهبت الأخرى، فقالت ذلك لامرأة سعد، فحلّت عنه قيوده، وحُمل على فرس كان في الدار وأُعطي سلاحاً. ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقّ صلبه. فنظر إليه (سعد) فجعل يتعجَّب منه ويقول: من ذلك الفارس؟! فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى هزمهم الله. ورجع أبو مِحجَن رضي الله عنه، وردّ السلاح، وجعل رجليه في القيود كما كان.

فجاء سعد رضي الله عنه فقالت له امرأته أو أم ولده: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق، لولا أنّي تركت أبا مِحجَن في القيود لظننتُ أنها بعض شمائل أبي مِحجَن، فقالت: والله إنه لأبو مِحجَن، كان من أمره كذا وكذا؛ فقصّت عليه قصّته. فدعا به وحلّ قيوده، وقال: والله لا نجلدك على الخمر أبداً. قال أبو محجن رضي الله عنه: وأنا والله لا أشربها أبداً، كنت آنف أن أدعها من أجل جَلْدكم. قال: فلم يشربها بعد ذلك. كذا في الاستيعاب (١٨٤/٤)، وسنده صحّيح؛ كما في الإصابة (١٧٤/٤).

وأخرجه أيضاً أبو أحمد الحاكم[١] عن محمد بن سعد ـ بطوله، وفي حديثه: وانطلق حتى أتى الناس، فجعل لا يحمل في ناحية إلا هزمهم الله. فجعل الناس يقولون: هذا مَلَكٌ! وسعد رضي الله عنه ينظر. فجعل يقول: الضبر[٢] ضبر البلقاء، والطفْر[٣] طفْر أبي محجن[٤]، وأبو مِحْجَن في القَيْد!! فلما هزم العدوّ رجع أبو مِحْجَن حتى وضع رجله في القيد. فأخبرت بنتُ خَصَفَة سعداً بالذي كان من أمره؟ فقال: لا والله لا أحدُّ اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على (يده)[٥] ما أبلاهم. قال: فخلّى سبيله. فقال أبو محجن رضي

(١) هو الحاكم القزويني وليس الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك.
(٢) الضبر: أن يجمع الفرس قوائمه ويثب.
(٣) الطفْر: أي الوثوب؛ وقيل: هو وَثْب في ارتفاع.
(٤) وفي الاستيعاب: والطعن طعن أبي محجن.
(٥) أبلى الله المسلمين على يده: أنعم عليهم.

الله عنه: لقد كنت أشربها إذ كان يقام عليّ الحدّ وأطهَّر منها؛ فأما إذ بَهْرَجتني[١] فوالله لا أشربها (أبداً). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة بهذا السند، وفيها: أنهم ظنّوه مَلَكاً من الملائكة. ومن طريقه أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٧/٤).

وذكره سيف في الفتوح وساق القصة مطوَّله، وزاد في الشعر أبياتاً أخرى؛ وفي القصة: فقاتل قتالاً عظيماً، وكان يُكبِّر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد، وكان يقصِف الناس[٢] قصفاً منكراً؛ فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه. كذا في الإصابة.

شجاعة عمّار بن ياسر رضي الله عنه

﴿ تشجيعه يوم اليمامة وقتاله ﴾

أخرج الحاكم (٣٨٥/٣)، وأخرجه أيضاً ابن سعد (١٨١/٣) مثله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت عمَّار بن ياسر رضي الله عنه يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يامعشر المسلمين، أمِنَ الجنة تفرُّون؟! أنا عمار بن ياسر أمِن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر؛ هلمّ إليّ. وأنا أنظر إلى أُذنه قد قطعت فهي تَذَبْذَب[٣] وهو يقاتل أشدّ القتال.

﴿ شوقه إلى الجنة عند القتال ﴾

وأخرج أيضاً (٣٩٤/٣) عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي رضي الله عنه قال: شهدنا صِفّين مع علي رضي الله عنه وقد وَكَلنا (به)[٤] رجلين. فإذا كان من القوم غفلة حمل عليهم، فلا يرجع حتى يخضب سيفَه دماً؛ فقال: اعذروني، فوالله ما رجعت حتى نبا[٥] عليَّ سيفي. قال: ورأيت عمَّاراً

---

(١) بهرجتني: أي أهدرتني بإسقاط الحدّ عني. عن النهاية.

(٢) القصف: الكسر، والمراد هنا الضرب القوي المميت.

(٣) تذبذب: تتحرك.

(٤) به: من المستدرك. ومعنى وكلنا به رجلين: أي جعلنا إلى جنبه رجلين وذلك حتى لا يخاطر بنفسه.

(٥) نبا: أي كَلَّ وارتد ولم يقطع.

وهاشم بن عتبة رضي الله عنهما وهو يسعى بين الصفَّين. فقال عمار رضي الله عنه: يا هاشم، هذا والله ليخلفنّ أمره وليخذلنّ جنده. ثم قال: يا هاشم الجنة تحت الأبارقة[١]، اليوم ألقى الأحبةَّ: محمداً وحزبه. يا هاشم أعور، ولا خير في أعور لا يغشى البأس. قال: فهزّ هاشم رضي الله عنه الراية وقال:

أعــور يــبــغــي أهــله محَــلاّ قــد عــالــج الحــيــاة حتى مــلاّ
لا بدّ أن يَفلّ[٢] أو يُفَلاّ

قال ثم أخذ في وادٍ من أودية صِفِّين. قال أبو عبد الرحمن: ورأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعون عماراً رضي الله عنه كأنه لهم عَلَمٌ.

وأخرجه ابن جرير أيضاً، كما في البداية (٧/ ٢٧٠)، وفي حديثه قال: ورأيت عماراً رضي الله عنه لا يأخذ وادياً من أودية صِفِّين إلا اتَّبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة ـ وهو صاحب راية علي رضي الله عنه ـ فقال: يا هاشم تقدّم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسنّة، وقد فتحت أبواب الجنة، وتزيّنت الحور العين، اليوم ألقى الأحبّة، محمداً وحزبه. ثم حملا هو وهاشم، فقُتلا ـ رحمهما الله تعالى ـ. قال: وحمل حينئذ علي وأصحابه رضي الله عنهم على أهل الشام حملة رجل واحد، كأنهما كانا[٣] ـ يعني عماراً وهاشماً رضي الله عنهما ـ علماً لهم. وأخرجه أيضاً الطبراني، وأبو يعلى ـ بطوله؛ والإمام أحمد باختصار. قال الهيثمي (٧/ ٢٤١): رجال أحمد وأبي يَعْلى ثقات.

شجاعة عمرو بن معدِ يكرب الزبيدي رضي الله تعالى عنه

﴿ قتاله يوم اليرموك ﴾

أخرج ابن عائذ في المغازي عن مالك بن عبدالله[٤] الخثعمي رضي الله

(١) الصحيح: الجنة تحت البارقة. أي تحت السيوف التي تبرق وتلمع.
(٢) أن يفل: أي يهزمهم.
(٣) في الأصل: كان والصحيح كانا.
(٤) في الأصل: مالك بن عبيد الله وهو خطأ.

عنه قال: ما رأيت أشرف من رجل برز يوم اليرموك، فخرج إليه عِلْج[١]، فقتله. ثم آخر، فقتله. ثم انهزموا وتبعهم. ثم انصرف إلى خِباء[٢] له عظيم، فنزل ودعا بالجِفان ودعا من حوله فقلت: من هذا؟ قال: عمرو ابن معدِ يكرب رضي الله عنه.

﴿ قتاله يوم القادسية وحملته فيه وحده ﴾

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن عائذ، وابن السَّكَن، وسيف بن عمر، والطبراني وغيرهم - بسند صحيح - عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: شهدت القادسية فكان سعد رضي الله عنه على الناس، فجعل عمرو ابن معدِيكرب يمرّ على الصفوف ويقول: يا معشر المهاجرين، كونوا أسوداً أشدّاء، فإن الفارسيَّ إذا ألقى رمحه يئس، فرماه أُسْوار[٣] من الأساورة بنُشَّابة، فأصاب سِيَة قوسه[٤]، فحمل عليه عمرو فطعنه فدقَّ صُلبه، ونزل إليه فأخذ سَلَبه.

وأخرجها ابن عساكر من وجه آخر أطول من هذا، وفي آخرها: إذ جاءته نُشّابة فأصابت قَرَبوس سرجه[٥]، فحمل على صاحبها فأخذه كما تؤخذ الجارية، فوضعه بين الصفَّين؛ ثم احتزّ رأسه[٦] وقال: اصنعوا هكذا.

وروى الواقدي من طريق عيسى الخياط قال: حمل عمرو ابن معدِيكرب رضي الله عنه يوم القادسية وحده، فضرب فيهم، ثم لحقه المسلمون، وقد أحدقوا به وهو يضرب فيهم بسيفه، فنَحّوْهم عنه.

وأخرج الطبراني عن محمد بن سلاَّم الجمحي رضي الله عنه قال: كتب عمر إلى سعد - رضي الله عنهما -: إني أمددتك بألفَي رجل: عمرِو ابن معدِيكرب، وطليحةَ بن خويلد.

(١) العِلْج: أي الرجل القوي الضخم من كفار العجم. (٢) الخباء: الخيمة.
(٣) الأُسْوار: قائد الفرس والجيد الرمي بالسهام والثابت على ظهر الفرس. عن القاموس.
(٤) سية القوس: ما عطف من طرفيها.
(٥) قربوس سرجه: حنو السرج، أي قسمه المقوَّس من قدام المقعد ومن مؤخره.
(٦) أي قطع رأسه.

وأخرج الدَّوْلابي عن أبي صالح بن الوجيه رضي الله عنه قال: في سنة إحدى وعشرين كانت وقعة نهاوند، فقتل النعمان بن مُقَرِّن، ثم انهزم المسلمون، وقاتل عمرو بن معدِيكرب رضي الله عنه يومئذ حتى كان الفتح، فأثبتته الجراحة، فمات بقرية روذة. كذا في الإصابة (١٨/٣).

شجاعة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما

﴿ قتاله مع الحجّاج وشهادته ﴾

أخرج الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما مات معاوية رضي الله عنه تثاقل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما عن طاعة يزيدَ ابن معاوية، وأظهر شتمه، فبلغ ذلك يزيد، فأقسم لا يُؤتى به إلا مغلولاً وإلا أرسل إليه. فقيل لابن الزبير: ألا نصنع لك أغلالاً من فضة تلبس عليها الثوب، وتُبِرّ قَسَمه؛ فالصلح أجمل بك. قال: فلا أبرَّ الله قَسَمه، ثم قال:

ولا ألــينُ لـغــير الحقِّ أســألُــه حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ

ثم قال: والله لضربةٌ بسيف في عز أحب إليّ من ضربة بسَوْط في ذل، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية. فوجَّه إليه يزيد بن معاوية مُسْلِم بن عُقبة المُرِّي في جيش أهل الشام، وأمره بقتال أهل المدينة، فإذا فرغ من ذلك سار إلى مكة.

قال: فدخل مسلم بن عقبة المدينة، وهرب منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله ﷺ، وعَبَث فيها وأسرف في القتل، ثم خرج منها. فلما كان ببعض الطريق مات، واستخلف حُصَين بن نُمير الكندي وقال: يا ابن بَرْذَعة الحمار احذر خدائع قريش، ولا تعاملهم إلا بالثِّقاف ثم بالقطاف[1]. فمضى حصين حتى ورد مكة، فقاتل بها ابن الزبير رضي الله عنهما أياماً - فذكر الحديث، وفيه: قال: وبلغ حصينَ بن نمير موتُ يزيدَ بن معاوية، فهرب حُصَين بن نمير. فلما مات يزيد بن معاوية دعا مروان بن الحكم إلى نفسه - فذكر الحديث، وفيه: ثم مات مروان ودعا عبد الملك لنفسه، وقام

(١) الثقاف: الرماح المستقيمة. القطاف: أي قطف الرؤوس.

فأجابه أهل الشام، فخطب على المنبر وقال: من لابن الزبير منكم؟ فقال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين، فأسكته، ثم عاد فأسكته، ثم عاد فقال: أنا يا أمير المؤمنين! (فإني)[١] رأيت في النوم أني انتزعت جبته فلبستها. فعقد له (ووجهه) في الجيش إلى مكة حتى قدمها على ابن الزبير رضي الله عنهما، فقاتله بها. فقال ابن الزبير رضي الله عنهما لأهل مكة: احفظوا هذين الجبلين فإنكم لن تزالوا بخير أعزّة ما لم يظهروا عليهما، فلم يلبثوا أن ظهر الحجّاج ومن معه على «أبي قُبَيس»، ونصب عليه المنجنيق؛ فكان يرمي به ابن الزبير ومن معه ـ رضي الله عنهم ـ في المسجد.

فلما كانت الغداة ـ التي قُتل فيها ابن الزبير ـ دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ، وهي يومئذ ابنة مائة سنة لم يسقط لها سن ولم يفقد لها بصر[٢] ـ فقالت لابنها: يا عبدالله ما فعلت في حربك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا. وضحك ابن الزبير رضي الله عنهما فقال: إن في الموت لراحة. قالت: يا بني لعلّك تتمنّاه لي؟ ما أحبّ أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك، إمّا أن تملك فتقَرّ بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبَك. قال: ثم ودَّعها، قالت له: يا بني إياك أن تُعطي خصلة من دينك مخافة القتل.

وخرج عنها ودخل المسجد، وقد جعل مصراعين على الحجر الأسود يتقي بهما أن يصيبه المنجنيق، وأتى ابن الزبير رضي الله عنهما آتٍ وهو جالس عند الحجر الأسود، فقال (له): ألا نفتح لك باب الكعبة فتصعد فيها؟ فنظر إليه عبدالله ثم قال له: من كل شيء تحفظ أخاك إلا من نفسه ـ يعني أجله ـ، وهل للكعبة حرمة ليست لهذا المكان؟ والله لو وجدوكم متعلِّقين بأسْتار الكعبة لقتلوكم. فقيل له: ألا تكلِّمهم في الصلح؟ قال: أَوَحين صُلْحٍ هذا؟ والله لو وجدوكم فيها لذبحوكم جميعاً، وأنشد يقول:

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ... ولا مُرْتَقٍ مِنْ خشية الموت سُلّما
أنافس سهماً إنه غير بارحٍ ... ملاقي المنايا أيَّ حرف تيمَّما

---

(١) من المجمع وكذلك الكلام الآخر المحصور.
(٢) في المجمع والحلية: لم يفسد لها بصر.

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول: ليُكِنَّ أحدكم سيفه كما يُكِنُّ وجهه؛ لا ينكسر (سيفه) فيدفع[١] عن نفسه بيده كأنه امرأة، والله ما لقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول، ولا أَلِمتُ جرحاً قط إلا أنْ آلم الدواء[٢]. قال: فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم (قوم)[٣] من باب بني جُمَح فيهم أسْوَد. قال: من هؤلاء؟ قيل: أهل حمص، فحمل عليهم ومعه سيفان، فأول من لقيه الأسود، فضربه بسيفه حتى أطنّ رجله[٤]، فقال له الأسود: أخْ يا ابن الزانية؟ فقال له ابن الزبير رضي الله عنهما: اخسأ يا ابن حام[٥]، أسماء زانية!؟ ثم أخرجهم من المسجد، وانصرف. فإذا قوم قد دخلوا من باب بني سَهْم، فقال: من هؤلاء؟ قيل: أهل الأردن، فحمل عليهم وهو يقول:

لا عهد لي بغارة مثلِ السَّيْلْ   لا ينجلي غبارها حتى الليل

فأخرجهم من المسجد، فإذا بقوم قد دخلوا من باب بني مخزوم، فحمل عليهم وهو يقول:

لو كان قِرْني[٦] واحداً كفيته

قال: وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمي عدوّه بالآجر وغيره، فحمل عليهم، فأصابته آجرة في مفرقه حتى فَلَقَت رأسه؛ فوقف وهو يقول:

ولسنا على الأعقاب تُدمى كلومنا   ولكن على أقدامنا تقطر الدِّما

قال: ثم وقع فأكبّ عليه مَوْلَيان له، وهما يقولان:

العبد يحمي ربَّه ويحتمي

قال: ثم سِير إليه، فحُزّ رأسه. قال الهيثمي (٧/٢٥٥): رواه الطبراني

---

(١) في الأصل فيذع والصحيح: فيدفع كما في المجمع والحلية.

(٢) وعند أبي نعيم: إلا أن يكون ألم الدواء.

(٣) زيادة عن الأصل ولعل هذه الكلمة قد سقطت من المجمع. وهو الأصل الذي ينقل عنه المؤلف وبدونها لا يستقيم الكلام.

(٤) أطن رجله: قطعها.

(٥) ينسب المؤرخون السود إلى حام بن نوح عليه السلام.

(٦) قرني: خصمي الذي يساويني في الشجاعة.

وفيه: عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري وثّقه ابن حِبَّان وغيره، وضعّفه أبو زُرعة وغيره. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٢٠٣) ـ مطوّلاً؛ وأبو نُعيم في الحلية (١/٣٣١) ـ بنحوه مختصراً؛ والحاكم في المستدرك (٣/٥٥٠) ـ قطعة من أوله.

وأخرج أبو نعيم، والطبراني أيضاً عن (إسحاق بن)[1] أبي إسحاق قال: أنا حاضر قتل ابنِ الزبير رضي الله عنهما يوم قتل في المسجد الحرام، جعلت الجيوش تدخل من باب المسجد، فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم وحده حتى يخرجهم، فبينا هو على تلك الحال إذ جاءت شُرفة من شرفات المسجد فوقعت على رأسه فصرعته، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

أسماءُ إن قُتلتُ لا تبكيني ... لم يبقَ إلا حَسَبي وديني
وصارم لانت به يميني[2]

قال الهيثمي (٧/٢٥٦): رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.

الإنكار على من فرّ في سبيل الله

﴿ إنكار الصحابة على سَلَمة بن هشام ﴾

أخرج الحاكم (٣/٤٢) عن أم سَلَمة رضي الله عنها أنها قالت لامرأة سَلَمة بن هشام بن المغيرة: مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس: يا فُرّار، أفررتم في سبيل الله عزّ وجلّ؟! حتى قعد في بيته فما يخرج، وكان في غزوة مؤتة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه. قال الحاكم ـ ووافقه الذهبي ـ: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه. وأخرجه ابن إسحاق مثله؛ كما في البداية (٤/٢٤٩).

---

(١) من الهيثمي.

(٢) عند الهيثمي: وصارم لاثت به يميني: والمعنى أحاطت به يميني. ومعنى لانت. أي صارت لينة بحمله والضرب به.

﴿ إنكار رجل على أبي هريرة ﴾

وأخرج الحاكم (٣/ ٤٢) من طريق الواقدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد كان بيني وبين ابن عمّ لي كلام، فقال: ألا فرارك يوم مؤتة، فما دَرَيت أيّ شيء أقول له.

الندامة والجزع من الفرار

﴿ ندامة ابن عمر وأصحابه على الفرار يوم مؤتة وقوله عليه السلام لهم ﴾

أخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت في سريّة من سرايا رسول الله ﷺ، فحاص الناس[١] حَيْصة، وكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع؛ وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟! ثم قلنا: لو دخلنا المدينة ثم بتنا[٢]. ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلاّ ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة؛ فخرج، فقال: من القوم؟ قال: قلنا: نحن فرّارون. فقال: «لا، بل أنتم الكرّارون، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين». قال: فأتيناه حتى قبَّلنا يده.

وعنده أيضاً عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة. فلما لقينا العدوّ انهزمنا في أول غادِية، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا، ثم قلنا: لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه، فخرجنا إليه ثم التقيناه، فقلنا: نحن الفرّارون يا رسول الله، فقال: «بل أنتم العكّارون[٣] وأنا فئتكم». قال الأسود: «وأنا فئة كل مسلم». كذا في البداية (٤/ ٢٤٨).

وأخرجه البيهقي (٩/ ٧٧) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بمعناه، وفي حديثه: فقلنا: نحن الفرّارون يا رسول الله فقال: «بل أنتم العكّارون». فقلنا: يا نبي الله، أردنا أن لا ندخل المدينة، وأن نركب البحر. قال: «لا تفعلوا، فإني فئة كل مسلم». وأخرجه أيضاً أبو داود، والترمذي: وحسّنه،

---

(١) حاص الناس: جالوا جولة يطلبون الفرار. عن النهاية.
(٢) في الأصل: (قتُلنا) بدل (ثم بتنا). وهو خطأ.
(٣) العكّارون: أي الكرارون إلى الحرب والعطّافون نحوها.

وابن ماجه ـ بنحو رواية الإمام أحمد، كما في التفسير لابن كثير (٢/ ٢٩٤)؛ وابن سعد (٤/ ١٠٧) بنحوه.

﴿ جزع المهاجرين والأنصار على الفرار يوم الجسر وقول عمر لهم ﴾

وأخرج ابن جرير (٤/ ٧٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم عبدالله بن زيد رضي الله عنه، فنادى: الخبر يا عبدالله بن زيد؟ وهو داخل المسجد، وهو يمرّ على باب حجرتي، فقال: ما عندك يا عبدالله بن زيد؟ قال: أتاك الخبر يا أمير المؤمنين. فلما انتهى إليه أخبره خبر الناس، فما سمعت برجل حضر أمراً فحدَّث عنه كان أثبت خبراً منه. فلما قدم فَلُّ الناس[1]. ورأى عمر رضي الله عنه جزع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار، قال: لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فئتكم إنما انحزتم إليّ[2].

﴿ جزع معاذ القاري عن الفرار يوم الجسر وقول عمر له ﴾

وأخرج ابن جرير أيضاً (٤/ ٧٠): عن محمد بن عبد الرحمن ابن الحصين وغيره: أنَّ معاذ القاري رضي الله عنه أخا بني النجار كان ممن شهدها ففرّ يومئذ ـ أي يوم وقعة جسر أبي عبيد ـ، فكان إذا قرأ هذه الآية: ﴿ ومن يولِّهم يومئذ دُبَره إلا متحرِّفاً لقتال أو متحيِّزاً إلى فئة، فقد باءَ بغضبٍ من الله ومأواهُ جهنمُ وبئس المصير ﴾[3]؛ بكى. فيقول له عمر رضي الله عنه: لا تبكِ يا معاذ، أنا فئتك، وإنما انحَزت إليّ.

﴿ ذهاب سعد بن عبيد القاري لغسل ما وقع عنه إلى الأرض التي فرّ منها ﴾

وأخرج ابن سعد (٣/ ٣٠٠) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب لسعد بن عبيد رضي الله عنهما ـ قال وكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان انهزم يوم أُصيب أبو عبيد، وكان يسمى «القاري» ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يُسمّى القاري

(١) فل الناس: المنهزمون.
(٢) انحزتم إليّ: أي انضممتم إليّ.
(٣) سورة الأنفال: آية: ١٦.

غيره ـ قال: فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هل لك في الشام؟ فإن المسلمين قد نزفوا به[1]، وإن العدوّ قد ذئروا[2] عليهم، ولعلك تغسل عنك الهنيهة[3]. قال: لا، إلا الأرض التي فررت منها، والعدوّ الذين صنعوا بي ما صنعوا. قال: فجاء إلى القادسية فقُتل.

تجهيز من خرج في سبيل الله وإعانته

﴿ إعطاؤه عليه السلام سلاحه لأسامة أو علي حين لم يغز ﴾

أخرج الإمام أحمد والطبراني عن جبلة ـ يعني ابن حارثة رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا لم يغـزُ أعطى سلاحه علياً أو أُسامة رضي الله عنهما. قال الهيثمي (٥/٢٨٣): ورجال أحمد ثقات.

﴿ إعطاء رجل من الأنصار جهازه رجلاً آخر حين مرض ﴾

وأخرج أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن فتى من أسْلَمَ قال: يا رسول الله إني أُريد الجهاد، وليس لي مال أتجهّز به. قال: «اذهب إلى فلان الأنصاري، فإنه قد تجهّز فمرض، فقُلْ له: إن رسول الله يقرئك السلام، وقل له: ادفع إليّ ما تجهّزتَ به». فأتاه فقال له ذلك، فقال لامرأته: يا فلانة ادفعي إليه، ما جهّزتني به ولا تحبسي منه شيئاً، فوالله لا تحبسين منه شيئاً؛ فيبارَكَ لك فيه. وأخرجه مسلم (٢/١٣٧)، والبيهقي (٩/٢٨) أيضاً عن أنس رضي الله عنه ـ بنحوه.

﴿ الدلالة على من يعين الخارج في سبيل الله ﴾

وأخرج مسلم (٢/١٣٧) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أُبْدِع[4] بي فاحملني. فقال: «ما عنـدي». فقال رجـل: يا رسـول الله، أنا أدلّـه على من يحمله. فقـال رسول الله ﷺ: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله». وأخرجه البيهقي (٩/٢٨) عن أبي مسعود رضي الله عنه ـ بنحوه.

---

(١) نزفوا به: أي قَلّوا به.
(٢) قد ذئروا: قد اجترأوا.
(٣) الهنيهة: الفرار.
(٤) ابدع بي: أي انقطع بي لكلال راحلتي.

﴿ تحريضه ﷺ الصحابة على إعانة الخارجين ﴾

وأخرج البيهقي (٩/١٧٢)؛ والحاكم (٢/٩٠) وصحّحه، عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو: فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال ولا عشيرة فَلْيَضُمَّ أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة» (قال)[١]: فما لأحدنا من ظهر (جمله)[٢] إلا عُقبة[٣] كعقبة أحدهم. قال: فضممت إليّ اثنين أو ثلاثة ما لي عُقْبة إلا كعقبة أحدهم.

﴿ إعانة رجل من الأنصار واثلة بن الأسقع ﴾

وأخرج البيهقي أيضاً (٩/٢٨) عن واثِلة بن الأَسْقَع رضي الله عنه قال: نادى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فخرجت إلى أهلي وأقبلت؛ وقد خرج أول صحابة رسول الله ﷺ، فطفقت في المدينة أنادي: ألاَ من يحمل رجلاً له سهمه[٤]؟ فنادى شيخ من الأنصار قال: لنا سهمه على أن نحمله عقبة وطعامه معنا. قلت: نعم. قال: فسِرْ على بركة الله. فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا، فأصابني قلائص[٥] فسقتهن حتى أتيته. فخرج فقعد على حقيبة من حقائب إبله، ثم قال: سقهن مُدْبرات، ثم قال: سقهن مُقْبلات. فقال: ما أرى قلائصَك إلا كراماً!! قال: إنما هي غنيمتك التي شرطت. قال: **خذ قلائصك ابن أخي! فغيرَ سهمك أردنا**. قال البيهقي: يشبه أن يكون أراد أنا لم نقصد بما فعلنا الإجارة، وإنما قصدنا الاشتراك في الأجر والثواب.

﴿ قول عبدالله في الإعانة في سبيل الله ﴾

وأخرج الطبراني عن عبدالله رضي الله عنه قال: أن أمتِّعَ[٦] بسوط في سبيل الله أحبّ إليّ من أن أحج حَجّة بعد حَجّة. قال الهيثمي (٥/٢٨٤): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) من مجمع الزوائد وفي الأصل: جمل.
(٣) عقبة: نَوْبة ركوب.
(٤) يريد أنه يعطي لمن يحمله سهمه من الغنيمة.
(٥) جمع قلوص، وهي الناقة الشابة.
(٦) أمتع بسوط: أعطيه للمجاهد لينتفع به.

الجهاد بالأجر

﴿ قصة رجل مع عوف بن مالك ﴾

أخرج الطبراني عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في سريَّة، فقال رجل: أخرج معك على أن تجعل لي سهماً من المغنم، ثم قال: والله ما أدري أتغنمون أم لا؟ ولكن اجعل لي سهماً معلوماً. فجعلت له ثلاثة دنانير، فغزونا، فأصبنا مغنماً. فسألت النبي ﷺ عن ذلك. فقال له[1] النبي ﷺ: «ما أجد له في الدنيا والآخرة إلا دنانيره هذه الثلاثة التي أخذها». قال الهيثمي (٥/٣٢٣): وفيه بقيَّة، وقد صرح بالسماع. انتهى.

﴿ قصة رجل مع يعلى بن منية ﴾

وأخرج البيهقي (٦/٣٣١) عن عبدالله بن الديلمي: أن يعلى بن مُنْيَة رضي الله عنه قال: أذَّن رسول الله ﷺ بالغزو ـ وأنا شيخ كبير ليس لي خادم ـ، فالتمست أجيراً وأُجري له سهمه؛ فوجدت رجلاً. فلما دنا الرحيل أتاني فقال: ما أدري ما السُّهمان؟ وما يبلغ سهمي؟ فسمِّ لي شيئاً كان السهم أو لم يكن، فسمّيت له ثلاثة نانير. فلما حضرت غنيمة أردت أن أُجري له سهمه؛ فذكرت الدنانير؛ فجئت النبي ﷺ فذكرت له أمره. فقال: «ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا ـ أظنُّه قال: والآخرة ـ إلا دنانيره التي سَمَّى».

فيمن يغزو بمال غيره

﴿ سؤال ميمونة بنت سعد النبي ﷺ عن ذلك وجوابه ﴾

أخرج الطبراني عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنها أنها قالت: أفتنا يا رسول الله عمَّن لم يغزُ وأعطى ماله يُغْزَى عليه، فله أجر أم للمنطلق؟ قال: «له أجر مالِه وللمنطلق أجر ما احتسب من ذلك». قال: الهيثمي (٥/٣٢٣): وفيه من لم أعرفهم.

---

(١) كذا في الأصل والهيثمي. والصحيح: فقال لي.

البدل في البعث

﴿ قصة رجل مع علي ﴾

أخرج البيهقي وغيره عن علي بن أبي ربيعة الأسديّ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بابن له بدلاً من بعث، فقال علي رضي الله عنه: لَرَأيُ شيخ أحبّ إليّ من مشهد شاب. كذا في الكنز (٣/ ١٦٤).

الإنكار على من سأل الناس للخروج في سبيل الله

﴿ إنكار عمر على شاب سأل الناس للخروج في سبيل الله ﴾

أخرج البيهقي عن نافع قال: دخل شاب قويّ في المسجد وفي يده مشاقص[١]، وهو يقول: من يعينني في سبيل الله؟ فدعا به عمر رضي الله عنه، فأُتِي به. فقال: من يستأجر مني هذا يعمل في أرضه؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، بكم تأجره كل شهر؟ قال: بكذا وكذا. قال: خذه فانطلق به. فعمل في أرض الرجل أشهراً، ثم قال عمر رضي الله عنه للرجل: ما فعل أجيرنا؟ قال: صالحٌ يا أمير المؤمنين، . قال: ائتني به وبما اجتمع له من الأجر. فجاء به وبصُرّة من دراهم. فقال: خذ هذه، فإن شئت فالآن اغزُ، وإن شئت فاجلس. كذا في الكنز (٢/ ٢١٧).

القرض للجهاد

﴿ سؤال الصحابة النبي عليه السلام عنه وجوابه ﴾

أخرج أبو يعلى عن عبيدالله بن عبدالله (عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول في الخيل شيئاً؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. اشتروا على الله واستقرضوا على الله». قيل: يا رسول الله، كيف نشتري على الله ونستقرض على الله؟ قال: «قولوا: أقرضنا إلى

---

(١) مشاقص: جمع مفرده مِشقص وهو النصل العريض.

مقاسمنا، وبِعْنا إلى أن يفتح الله (لنا)، لا تزالون بخير مادام جهادكم خَضِراً[١]، وسيكون في آخر الزمان قوم يشكّون في الجهاد؛ فجاهدوا في زمانهم، ثم اغزوا فإن الغزو يومئذ خَضِر». قال الهيثمي (٥/ ٢٨٠): وفيه بَقِيَّة وهو مدلِّس، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

تشييع المجاهد في سبيل الله وتوديعه

﴿ مشيه عليه السلام وما كان يقول لهم ﴾

أخرج الحاكم (٢/ ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغَرْقد حين وجههم[٢]، ثم قال: «انطلقوا على اسم الله، اللهمَّ أعنهم». قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وأخرج أيضاً (٢/ ٩٧)عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: دُعي عبدالله ابن يزيد إلى طعام، فلما جاء قال: كان رسول الله ﷺ إذا ودّع جيشاً قال: «أستودعُ الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم».

﴿ تشييع أبي بكر جيش أسامة ﴾

وأخرج ابن عساكر من طريق سيف عن الحسن رضي الله عنه ـ فذكر الحديث في تنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه، وفيه: ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى أتاهم، فأشخصهم وشيّعهم وهو ماشٍ، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله ﷺ، لتركبنّ أو لأنزلنّ. فقال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب، وما عليّ أن أغبر قدميّ ساعة في سبيل الله! فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة تكتب له، وسبع مائة درجة ترفع له، وتمحى عنه سبع مائة خطيئة. حتى إذا انتهى قال له: إن رأيتَ أن تعينني بعمر ابن الخطاب فافعل؟ فأذن له. كذا في كنز العمال (٥/ ٣١٤).

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله

(١) خضر: أي طري محبوب لما يُنزل الله فيه من النصر ويُسهِّلُ من الغنائم.
(٢) أي حين وجه بعض أصحابه لقتل كعب بن الأشرف اليهودي وانظر ص ٣٨٣ من هذا الكتاب.

عنه ـ بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان أمير رُبْع من تلك الأرباع[1]، فزعموا أنّ يزيد قال لأبي بكر: إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: ما أنت بنازل وما أنا براكب، إنّي أحتسب خطاي هذه في سبيل الله ـ فذكر الحديث. وأخرجه البيهقي عن صالح بن كَيْسان ـ بنحوه، كما في الكنز (٢/٢٩٥).

وأخرج البيهقي (٩/١٧٣): عن جابر البرعيني أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ شيّع جيشاً، فمشى معهم فقال: الحمد لله الذي اغبرت أقدامنا في سبيل الله!! فقيل له: وكيف اغبرت وإنما شيّعناهم؟ فقال: إنا جهّزناهم وشيّعناهم ودَعَوْنا لهم. وأخرجه ابن أبي شيبة ـ بنحوه، كما في الكنز (٢/٢٨٨). وأخرجه ابن أبي شيبة عن قيس نحو حديث مالك مختصراً.

﴿ تشييع ابن عمر للغزاة وما قال لهم ﴾

وأخرج البيهقي (٩/١٧٣) عن مجاهد قال: خرجت إلى الغزو فشيَّعنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فلما أراد فراقنا قال: إنه ليس معي ما أعطيكماه، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا استُودع شيئاً حفظه، وأنا أستودع الله دينكما وأمانتكما وخواتيم أعمالكما».

استقبال الغزاة

﴿ خروج الناس من المدينة عندما رجع الصحابة من تبوك ﴾

أخرج أبو داود عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقّاه الناس، فلقيته مع الصبيان على ثنيَّة الوداع.

وأخرجه البيهقي (٩/١٧٥) عن السائب رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ من تبوك خرج الناس يتلقّونه إلى ثنيَّة الوداع. فخرجت مع الناس وأنا غلام، فتلقّيناه.

---

(١) كانت الجيوش التي توجهت إلى الشام أربعة، وكان يزيد قائداً على واحد منها.

الخروج في سبيل الله في رمضان

﴿ خروجه عليه السلام في رمضان لبدر وغزوة الفتح ﴾

أخرج الترمذي عن عمر رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ في رمضان يوم بدر، ويوم الفتح - الحديث. كذا في الفتح (٤/١٣١).

وأخرجه أيضاً ابن سعد، والإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوتين في رمضان: يوم بدر، ويوم الفتح، فأفطرنا فيهما. وهو حسن. كذا في الكنز (٤/٣٢٩).

وعند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر، وكان المهاجرون يوم بدر ستة وسبعين، وكان هزيمة أهل بدر[١] لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة. كذا في البداية (٣/٢٦٩).

وأخرجه البزّار أيضاً إلا أنه قال: ثلاث مائة وبضعة عشر؛ وقال: وكانت الأنصار مائتين وستاً وثلاثين، وكان لواء المهاجرين مع علي رضي الله عنه. قال الهيثمي (٦/٩٣): رواه الطبراني كذلك، وفيه الحجَّاج بن أرْطاة وهو مدلِّس. انتهى.

وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رُهْمٍ كلثومَ بن حُصَين ابن عتبة بنِ خَلَف الغِفاري رضي الله عنه، وخرج لعشر مضَين من شهر رمضان، فصام وصام الناس معه حتى إذا كان بالكُدَيد[٢] - (ماء)[٣] بين عُسْفان[٤] وأمَج[٥] - أفطر، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران[٦] في عشرة آلاف من المسلمين. وروى البخاري - نحوه. كذا في البداية (٤/٢٨٥). وأخرجه الطبراني - مثله في حديث طويل. قال الهيثمي (٦/١٦٧): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

---

(١) يريد هزيمة المشركين ببدر.
(٢) الكديد: موضع بسبع مراحل من المدينة.
(٣) من الهيثمي.
(٤) عُسفان: قرية بين مكة والمدينة.
(٥) أمَج: موضع ماء بين مكة والمدينة.
(٦) بفتح ميم وتشديد راء: موضع بقرب مكة.

وعند عبد الرزاق، وابن أبي شَيْبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في شهر رمضان، فصام حتى بلغ الكُدَيد.

وعند عبد الرزاق أيضاً عنه قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في شهر رمضان، فصام حتى مرّ بقُدَيد[١] في الطريق، وذلك في نحو الظهيرة[٢]، فعطش الناس، وجعلوا يمدّون أعناقهم وتتوق[٣] أنفسهم إليه. فدعا رسول الله ﷺ بقَدَح فيه ماء، فأمسكه على يده حتى رآه الناس، ثم شرب فشرب الناس. كذا في كنز العمال (٤/ ٣٣٠). وأخرج الحديث أيضاً مسلم، والترمذي، والنسائي، ومالك من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في جمع الفوائد (١/ ١٥٩).

كتابة اسم من خرج في سبيل الله

﴿ قصة رجل في هذا الباب ﴾

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يخلونَّ رجل بامرأة، ولا تسافرنَّ امرأة إلا ومعها مَحْرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وكذا، وخرجت امرأتي حاجَّة. قال: «اذهب فاحجُجْ مع امرأتك».

الصلاة والطعام عند القدوم

﴿ صلاته عليه السلام عند القدوم ﴾

أخرج البخاري عن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر ضُحىً دخل المسجد، فصلّى ركعتين قبل أن يجلس. وأخرج أيضاً عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فلما قدمنا المدينة قال لي: «ادخل المسجد فصلّ ركعتين».

---

(١) قديد: اسم قرية.
(٢) لعل الصواب: في نحر الظهيرة: وهو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع.
(٣) تتوق: أي تشتاق.

﴿ ذبح البقرة عند القدوم لأكل الناس ﴾

وأخرج أيضاً عنه قال: إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة نحر جزوراً أو بقرة. زاد مُعاذ عن شعبة عن محارب سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: اشترى منّي النبي ﷺ بعيراً بأُوقيتين ودرهم أو درهمين، فلما قدم صِراراً[١] أمر ببقرة فذُبحت، فأكلوا منها. فلما قدم المدينة أمرني أن آتي المسجد فأصلّي ركعتين، ووزن لي ثمن البعير.

خروج النساء في الجهاد في سبيل الله

﴿ خروج عائشة في غزوة بني المصطلق ﴾[٢]

أخرج ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرَع بين نسائه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها معه. فلما كان غزوة بني المُصطَلِق أقرع بين نسائه، كما (كان) يصنع، فخرج سهمي عليهنَّ معه؛ فخرج بي رسول الله ﷺ. قالت: وكان النساء إذ ذاك (إنَّما) يأكلن العُلَق[٣] لم يُهَبِّجهنَّ اللحم[٤] فيَثْقُلْن؛ وكنت إذا رُحل (لي) بعيري جلست في هودجي؛ ثم يأتي القوم الذين كانوا يُرَحِّلون لي فيحملونني ويأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدُّون بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجَّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذَّن مؤذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عِقْدٌ لي فيه جَزْع ظفار[٥]. فلما فرغت انسلَّ من عنقي ولا أدري. فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ـ وقد أخذ الناس في الرحيل ـ، فرجعت

---

(١) صرار: اسم ماء قريب من المدينة.
(٢) صححنا هذا النص من ابن هشام.
(٣) العُلَق: جمع عُلَقة بضم العين: قدر ما يُمسك الرمق.
(٤) التهبيج: انتفاخ في الجسم قد يكون من سِمَن وقد يكون من آفة.
(٥) جَزْع ظفار: خرز يماني، وظفار اسم بلدة بحِمْيَر.

إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خِلافي الذين كانوا يُرَحِّلون لي البعير، وقد كانوا فرغوا من رَحْلته، فأخذوا الهودج وهم يظنُّون أنِّي فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدّوه على البعير ولم يشكُّوا أنِّي فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به؛ فرجعت إلى العسكر وما فيه (من) داعٍ[١] ولا مجيب، قد انطلق الناس. قالت: فتلفَّفت بجلبابي، ثم اضطَجعت في مكاني، وعرفت أن لو افتُقدت لرجع الناس إلي.

قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المُعَطَّل السُّلَميّ، وكان قد تخلَّف عن العسكر لبعض حاجاته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي[٢]، فأقبل حتى وقف عليَّ ـ وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب ـ فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة[٣] رسول الله ﷺ!! وأنا متلفِّفة في ثيابي. قال: ما خلّفك ـ يرحمك الله؟ ـ قالت: فما كلمته، ثم قرَّب إليَّ البعير، فقال: اركبي واستأخر عني. قالت: فركبت، وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتُقدت حتى أصبحت، ونزل الناس. فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال: أهل الإفك ما قالوا، فارتعج[٤] العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً؛ إلا أنِّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه. كان إذا دخل (عليَّ) وعندي أُمي تمرضني. قال: «كيف تيكم؟»[٥] لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وجدت في نفسي فقلت: يا رسول الله ـ حين رأيت ما رأيت من جَفائه لي ـ لو أذنتَ لي فانتقلت إلى أُمي

---

(١) داعٍ: أحد.
(٢) ظعينة رسول الله: امرأة رسول الله.
(٣) سوادي: شخصي.
(٤) ارتعج: اضطرب.
(٥) هي تدل على لطف من حيث هو سؤال، وعلى نوع جفاء، لأنه اسم إشارة.

فمرضتني. قال: «لا عليك». قالت: فانقلبت إلى أُمي، ولا عِلْم لي بشيء مما كان، حتى نَقِهت[١] من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.

وكنا قوماً عَرَباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنُف[٢] التي تتخذها الأعاجم نعافها ونكرهها، إنما كنا نخرج في فُسَح المدينة[٣]، وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن. فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مِسْطَح ابنة أبي رُهْم بن المطَّلب. قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها[٤]، فقالت: تعس مِسْطَح[٥]، قالت: فقلت: بئس ـ لعمر الله ـ ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدراً!! قالت: أوَما بلغك الخبر يابنت أبي بكر؟ قالت قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك. قلت: أوَقد كان هذا؟ قالت: نعم ـ والله ـ لقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضيَ حاجتي، ورجعت؛ فوالله ما زلت أبكي حتى ظننتُ أنَّ البكاء سيصدع كبدي. قالت: وقلت لأمِّي: يغفر الله لك! تحدَّث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟! قالت: أي بنية، خفِّفي عليك الشأن، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر[٦] إلَّا كَثَّرن وكثَّر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ـ ولا أعلم بذلك ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثـم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ماعلمتُ منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل ـ والله ـ ما علمت منه إلَّا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي». قالت: وكان كِبْر ذلك عند عبدالله بن أبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع

(١) نقهت: أي برئت، ولم يرجع إليّ كمال صحتي وقوتي.
(٢) الكُنُف: جمع كنيف.
(٣) أي إلى صحراء المدينة.
(٤) المرط: الكساء.
(٥) تعس مسطح: أي هلك، ومسطح لقب واسمه عوف.
(٦) ضرائر: جمع ضرة أي امرأة زوجها.

الذي قال مِسْطح وحَمْنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني[١] في المنزلة عنده غيرها. فأما زينب فعصمها الله بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادّني لأختها، فَشَقِيَتْ بذلك. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير رضي الله عنه: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفِكَهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. قالت: فقام سعد بن عبادة ـ وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً ـ فقال: كذبت ـ لعمر الله ـ ما تُضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسَيد بن حُضَير رضي الله عنه: كذبت ـ لعمر الله ـ ولكنَّك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: وتساوَرَ الناس[٢] حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شر.

ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليَّ، فدعا علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله، ثم قال: يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل. وأما علي فإنه قال: يا رسول الله إنَّ النساء لكثير، وإنَّك لقادر على أن تستخلف، وسَلِ الجارية فإنها ستصدقُك. فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرَة يسألها. قالت: فقام إليها علي رضي الله عنه فضربها ضرباً شديداً، ويقول: اصدقي رسول الله ﷺ. قالت: فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله!!.

قالت: ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ، ـ وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي ـ فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتَّقي الله، وإن كنت قد

---

(١) تناصيني: أي تنازعني وتباريني. وفي الروض: تساويني.
(٢) تساوَرَ الناس: قام بعضهم إلى بعض.

قارفت[١] سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده». قالت: فوالله إنْ هو إلا أن قال لي ذلك، فقَلَص[٢] دمعي حتى ما أُحسُّ منه شيئاً، وانتظرت أبويّ أن يجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلّما. قالت: وايْمُ الله، لأنا كنت أحقرَ في نفسي وأصغرَ شأناً من أن يُنزِّل الله فيّ قرآناً يُقرأ به ويُصلَّى به، ولكني كنت أرجو أن يرى النبي ﷺ في نومه شيئاً يكذِّب الله به عنِّي، لما يعلم من براءتي، ويخبر خبراً؛ وأما قرآناً يُنزَّل فيّ فوالله لنفسي كانت أحقرَ عندي من ذلك. قالت: فلما لم أرَ أبويَّ يتكلمان قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ فقالا: والله ما ندري بما نجيبه. قالت: ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر رضي الله عنه في تلك الأيام. قالت: فلما استعجما[٣] عليّ استعبرتُ فبكيتُ، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً. والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، ـ والله يعلم أنِّي منه بريئة ـ، لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدِّقونني!! قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره. فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: «فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تَصِفون»[٤]!!.

قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تَغَشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه، فسُجِّي[٥] بثوبه، ووضعت وسادة من أَدَمٍ[٦] تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن الله غيرُ ظالمي. وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سُرِّي[٧] عن رسول الله ﷺحتى ظننت لتخرجنَّ أنفسُهما فرقاً[٨] من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس. قالت: ثم سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدَّر[٩]

---

(١) قارفت: قاربت ودانيت. وعند أبي ذر: دخلتِ فيه.
(٢) قلص: ارتفع وذهب.
(٣) استعجما: سكتا.
(٤) سورة يوسف آية: ١٨.
(٥) سُجّي: غُطِّي.
(٦) أدم: جلد.
(٧) ما سُرِّي: ما كشف وزال.
(٨) فرقاً: خوفاً.
(٩) يتحدّر: ينزل ويقطر.

من وجهه مثل الجُمان(١) في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «أبشري يا عائشة! قد أنزل الله عزّ وجلّ براءتك». قالت: قلت: الحمد لله. ثم خرج إلى الناس، فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أُثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش ـ وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ـ فضُربوا حدّهم. وهذا الحديث مخرَّج في الصحيحين عن الزُّهري، وهذا السياق فيه فوائد جمة. كذا في البداية (٤/ ١٦٠).

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد ـ بطوله، وفي سياقه: قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عزّ وجلّ، هو الذي أنزل براءتي. وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ إن الذين جاءوا بالإِفْكِ عُصْبَة منكم ﴾(٢) ـ العشر الآيات كلّها. فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر ـ وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته منه وفقره ـ: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله تعالى: ﴿ ولا يأْتَلِ أُولُو الفَضْل منكم والسَّعَةِ أن يُؤْتُوا أُولي القُربى ـ إلى قوله ـ ألاَ تُحبُّون أن يغفرَ اللّـهُ لكم، والله غفورٌ رحيمٌ ﴾(٣). فقال أبو بكر رضي الله عنه: بلى ـ والله ـ إنِّي لأحبّ أن يغفر الله لي. فرجع إلى مِسْطح النفقة التي كان ينفق عليه؛ وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. كذا في التفسير لابن كثير (٣/ ٢٧٠). وأخرجه أيضاً الطبراني ـ مطوّلاً جداً؛ كما في المجمع (٩/ ٢٣٢).

﴿ خروج امرأة من بني غِفَار معه عليه السلام ﴾

وأخرج ابن إسحاق عن امرأة من بني غِفَار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نِسوة من بني غِفَار، فقلنا: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ، فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا. فقال: على بركة الله. قالت: فخرجنا معه. قالت: وكنت جارية

---

(١) الجمان: هي اللؤلؤ الصغار. وعند أبي ذر الخشني: هي حب من فضة يُصنع على مثل الدر.
(٢) سورة النور آية: ١١.
(٣) سورة النور آية: ٢٢.

حديثة السنّ، فأردفني رسول الله ﷺ (على) حقيبة رَحْله. قالت: فوالله لَنَزَلَ رسول الله ﷺ إلى الصبح (وأناخ) ونزلت عن حقيبة رَحْله. قالت: وإذا بها دَمُ مني، وكانت أولَ حَيْضةٍ حِضْتها. قالت: فتقبَّضْتُ إلى الناقة واستحيَيْت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي، ورأى الدم قال: «(مالك) لعلَّك نفِست[1]؟» قالت: قلت: نعم. قال: «فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء، فاطرحي فيه مِلْحاً، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك».

قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا[2] من الفيء، وأخذ هذه القِلادة التي تَرَيْن في عنقي، فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي، فوالله لا تُفارقني أبداً؛ وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تُدفن معها. قالت: وكانت لا تَطَّهَّر من حيضها إلا جعلت في طهورها مِلْحاً، وأوصت به أن يجعل في غُسلها حين ماتت. وهكذا رواه الإمام أحمد، وأبو داود من حديث ابن إسحاق. ورواه الواقدي بإسناده عن أمية بنت أبي الصَّلْت رضي الله عنها. كذا في البداية (٤/٢٠٤).

﴿ خروج امرأة وقصة عنزتها ﴾

وأخرج الإمام أحمد عن حُمَيد بن هلال قال: كان رجل من الطُّفاوَة[3] طريقه علينا يأتي على الحيّ فيحدثهم. قال: أتيت المدينة في عِير لنا، فبعنا بضاعتنا، ثم قلت: لأنطلقنَّ إلى هذا الرجل فلآتينّ مَنْ بعدي بخبره، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يريني بيتاً. قال: «إنَّ امرأة كانت فيه، فخرجت في سريّة من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزة، وصيصتَها[4] التي تنسج بها. قال: ففقدت عنزاً من غنمها وصيصتها. قالت: يا رب، قد ضَمِنتَ لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإنِّي قد فقدت عنزاً من غنمي

---

(١) نَفِست: حِضْت.

(٢) رضخ لنا: أي أعطاهنَّ عطاءً يسيراً لم يصل إلى نصيب السهم.

(٣) الطُّفاوة: حي من قيس عيلان.

(٤) الصيصة: الصنارة التي يغزل بها وينسج.

وصيصتي، وإني أنشدك عنزي وصيصتي». قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر له شدَّة مناشدتها لربها تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «فأصبحت عنزها ومثلها وصيصتها ومثلها، وهاتيك فأتها، فاسألها إن شئت»[١]. قال قلت: بل أصدّقك. قال الهيثمي (٥/٢٧٧): رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

﴿ خروج أم حَرَام بنت ملحان خالة أنس ﴾

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على ابنة مِلحان، فاتَّكأ عندها ثم ضحك. فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ فقال: «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر[٢] في سبيل الله، مَثَلُهم مَثَلُ الملوك على الأسرَّة». فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «اللهمَّ اجعلها منهم»، ثم عاد فضحك. فقالت له مثل ذلك ـ أو ممَّ ذلك؟ ـ فقال لها: مثل ذلك. فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم. «قال أنت من الأوَّلين، ولستِ من الآخرين». قال: قال أنس رضي الله عنه: فتزوَّجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قَرَظَة[٣]. فلما قَفَلت ركبت دابتها، فوقصت[٤] بها فسقطت عنها فماتت[٥].

خدمة النساء في الجهاد في سبيل الله

﴿ خروج النساء مع النبي ﷺ لسقي المرضى ومداواة الجرحى ﴾

أخرج الطبراني عن أم سُلَيم رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يغزو معه نسوة من الأنصار، فتسقي المرضى وتداوي الجرحى. قال الهيثمي (٥/٣٢٤): رجاله رجال الصحيح.

وأخرجه مسلم، والترمذي: وصحَّحه، عن أنس رضي الله عنه قال:

---

(١) هاتيك فأتها: تلك هي فاذهب إليها فتحدثك حديثها.
(٢) هو البحر الأبيض المتوسط.
(٣) بنت قرظة: هي زوجة معاوية بن أبي سفيان.
(٤) وقصت: أي نزَت ووثبت.
(٥) دفنت في قبرص ويسمى قبرها هناك قبر المرأة الصالحة.

كان رسول الله ﷺ يغزو بأُم سُلَيم رضي الله عنها ونِسوة معها من الأنصار، يسقين الماء، ويداوين الجرحى.

﴿ خدمة الرُّبيِّع بنت مُعَوِّذ وأم عطية وليلى الغفارية في الجهاد ﴾

وأخرج البخاري عن الرُّبيِّع بنت معوِّذ رضي الله عنها قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى. وعنده أيضاً عنها قالت: كنا نغـزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم، ونخدمهم، ونردّ القتلى والجرحى إلى المدينة، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد كما في المنتقى. وأخرج الإمام أحمد، ومسلم وابن ماجه عن أمِّ عطيّة الأنصارية رضي الله عنها قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلُفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على الزَمْنى[1]. كذا في المنتقى.

وأخرج الطبراني عن ليلى الغِفارية رضي الله عنها قالت: كنت أخرج مع رسول الله ﷺ أداوي الجرحى. قال الهيثمي (٥/٣٢٤): وفيه القاسم ابن محمد بن أبي شيبة وهو ضعيف. انتهى.

﴿ خدمة عائشة وأم سُليم وأم سَلِيط الأنصارية يوم أحد ﴾

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبي ﷺ. قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأمُ سُلَيم رضي الله عنهما وإنهما لمشمِّرتان، أرى خَدَم[2] سوقهما، تنقزان[3] القرب[4]. وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما[5] ثم تُفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها[6] في أفواه القوم. وأخرجه أيضاً مسلم، والبيهقي (٩/٣٠): عن أنس رضي الله عنه ـ بنحوه.

---

(١) الزمنى: جمع زمين، وهو المصاب بالزمانة أي الداء المزمن.
(٢) خدم سوقهما: خلخال سوقهما.
(٣) تنقزان: أي يحملانها ويقفزان بها وَثْباً.
(٤) القرب: جمع قربة، وهي وعاء يجعل فيه الماء أو اللبن.
(٥) متونهما: أي على ظهورهما.
(٦) في الأصل: فتفرغانه. والصحيح ما ذكرنا كما في البخاري.

وأخرج البخاري عن ثعلبة بن أبي مالك رضي الله عنه: أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً[١] بين نساء من نساء المدينة، فبقي مِرْط جيّد، فقال له بعض من عندَه: يا أمير المؤمنين، أعطِ هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك ـ يريدون أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما ـ، فقال عمر رضي الله عنه: أمُّ سَلِيط أحق ـ وأمُّ سَلِيط من (نساء)[٢] الأنصار ممّن بايع رسول الله ﷺ ـ قال عمر رضي الله عنه: فإنَّها كانت تزفر لنا القِرَب يوم أحد (قال أبو عبدالله ـ أي البخاري ـ: تزفر: تخيط)[٣] وأخرجه أيضاً أبو نُعَيم وأبو عبيد؛ كما في الكنز (٧/٩٧).

﴿ خروج النساء للخدمة يوم خيبر ﴾

وأخرج أبو داود من طريق حَشْرج بن زياد عن جدته (ـ أم أبيه ـ) رضي الله عنها: أنهنَّ خرجنَ مع النبي ﷺ في خيبر[٤]، وفيه أن النبي ﷺ سألهن عن ذلك؛ فقلن خرجنا نغزل الشعَرَ، فنعين به[٥] في سبيل الله، ونداوي الجرحى، ونناول السِّهام، ونسقي السَّويق.

وعند عبد الرزاق عن الزُّهري قال: كان النساء يشهدن مع النبي ﷺ المشاهد، ويَسقين المقاتِلة[٦]، ويداوين الجرحى. كذا في فتح الباري (٦/٥١).

قتال النساء في الجهاد في سبيل الله

﴿ قتال أم عمارة يوم أحد ﴾

ذكر ابن هشام عن سعيد بن أبي زيد الأنصاري رضي الله عنه: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنها كانت تقول: دخلت على أم عُمارة[٧] رضي الله عنها، فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك؟ فقالت:

(١) مروط: جمع مِرْط: وهو كساء من صوف ونحوه يؤتزر به.
(٢) من البخاري.
(٣) من البخاري.
(٤) في الأصل: حنين. والصحيح ما ذكرنا.
(٥) في الأصل: ونعين.
(٦) المقاتِلة: بكسر التاء: جمع مُقاتِل، الذين يأخذون في القتال.
(٧) أم عمارة: هي نُسَيبة بنت كعب المازنيَّة الخزرجية.

خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين[١]. فلما انهزم المسلمون انحَزْت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذبُّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خَلَصت الجراحُ إليّ. قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجْوَف له غَوْر، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قَمِئَة، أقمأه الله[٢]. لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، لانجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا ومُصْعَب بن عُمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدوَّ الله كانت عليه دِرْعان. كذا في البداية (٤/٣٤). وأخرجه أيضاً الواقدي من طريق ابن أبي صَعْصَعة عن أم سعد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنها، كما في الإصابة (٤/٤٧٩).

وأخرج الواقدي بسند آخر إلى عُمارة بن عَرَبة[٣] رضي الله عنهما أنها قتلتْ يومئذ فارساً من المشركين. ومن وجه آخر عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما التفت يوم أُحد يميناً ولا شمالاً إلّا وأراها تقاتل دوني». كذا في الإصابة (٤/٤٧٩).

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن ضَمْرة بن سعيد رضي الله عنه قال: أُتيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمُروط، وكان فيها مِرط جيِّد واسع. فقال بعضهم: إنَّ هذا المِرْط لثمن كذا وكذا، فلو أرسلت به إلى زوجة عبدالله بن عمر صفيّة بنت أبي عبيد ـ وذلك حِدْثان[٤] ما دخلت على ابن عمر رضي الله عنهما ـ فقال: أبعثُ به إلى من هو أحقُّ به منها: أم عُمارة نُسَيبة بنت كعب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما التفتّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني». كذا في كنز العمال (٧/٩٨).

---

(١) والريح للمسلمين: أي النصر لهم.
(٢) أقمأه الله: أذله الله.
(٣) لعل عمارة هو ابن نسيبة من زوجها عَرَبة بن عمرو وكانت تُكنى به.
(٤) حدثان: أي أول أمر زواجها.

﴿ قتال صفية يوم أحد ويوم الخندق ﴾

وأخرج ابن سعد عن هشام عن أبيه أن صفيَّة رضي الله عنها جاءت يوم أُحد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب في وجوههم. فقال النبي ﷺ: «يا زبير المرأة[١]». كذا في الإصابة (٤/٤٣٩).

وأخرج ابن إسحاق عن عبَّاد قال: كانت صفيّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها في فارع ـ حصن حسان بن ثابت رضي الله عنه ـ، قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان؛ فمرّ بنا رجل من يهود فجعل يُطِيفُ بالحِصْن، وقد حاربتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوّهم لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا، إذ أتانا آتٍ، فقلت: يا حسان إنَّ هذا اليهودي ـ كما ترى ـ يُطِيف بالحصن، وإني ـ والله ـ ما آمنه أن يدلّ على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود؛ وقد شُغِل رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله. قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب! والله لقد عرفتِ ماأنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احتجزتُ[٢]، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان انزل فاستلبه فإنّه لم يمنعني من سَلبه إلا أنه رجل. قال: ما لي بسَلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب. كذا في البداية (٤/١٠٨).

وأخرجه البيهقي (٦/٣٠٨) من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عبّاد ابن عبدالله بن الزبير عن أبيه رضي الله عنهما ـ بنحوه؛ ثم أخرج من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن صفية ـ رضي الله عنهم ـ مثله، وزاد فيه: قال: هي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين. وأخرجه أيضاً ابن أبي خيثمة، وابن مَنْدَه من رواية أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها عن جدتها صفيَّة رضي الله عنها؛ وابن سعد من طريق هشام عن أبيه، كما في الإصابة (٤/٣٤٩).

---

(١) يا زبير المرأة: حافظ عليها. وصفية هي أم الزبير. (٢) احتجزت: شددت وسطي.

وأخرجه ابن عساكر من حديث صفيَّة والزبير رضي الله عنهما ـ بمعناه، كما في الكنز (٧/ ٩٩). وأخرجه أيضاً الطبراني (عن عروة)[١] وأبو يَعْلى، والبزار عن الزبير رضي الله عنه (وإسنادهما ضعيف)[٢]؛ كما في مجمع الزوائد (٦/ ١٣٣).

﴿ اتخاذ أُم سُلَيم خنجراً للقتال يوم حُنَين ﴾

وأخرج ابن أبي شيبة عن أنس قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك (إلى) رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: ألم تر إلى أمّ سُلَيم معها خنجر؟! فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أمّ سُلَيم: ما أردت إليه؟ » قالت: أردت إن دنا إليّ أحد منهم طعنته به. كذا في كنز العمال (٥/ ٣٠٧). وأخرجه أيضاً ابن سعد بسند صحيح، كما في الإصابة (٤/ ٤٦١). وعند مسلم عن أنس رضي الله عنه أنّ أمَّ سُلَيم رضي الله عنها اتَّخذت يوم حُنَين خنجراً، فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال يا رسول الله: هذه أم سُلَيم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر»؟ فقالت: اتخذته إنْ دنا مني أحد من المشركين بَقَرتُ به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك[٣].

﴿ قتل أسماء بنت يزيد تسعة يوم اليرموك ﴾

وأخرج الطبراني عن مهاجر: أن أسماء بنت يزيد بن السَّكَن[٤] بنت عمّ معاذ بن جبل رضي الله عنهما قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط. قال الهيثمي (٩/ ٢٦٠): ورجاله ثقات. انتهى.

الإنكار على خروج النساء في الجهاد

﴿ إنكاره عليه السلام على أم كبشة ﴾

أخرج الطبراني عن أمّ كبشة رضي الله عنها ـ امرأة من عذرة: عذرة بني قضاعة ـ أنها قالت: يا رسول الله، أتأذن أن أخرج في جيش كذا وكذا.

(١ ـ ٢) من مجمع الزوائد.
(٣) ذكر المؤلف رحمه الله هذا الحديث مختصراً وقد نقلناه من صحيح مسلم.
(٤) كانت قد حضرت بيعة العقبة هي ونسيبة بنت كعب رضي الله عنها.

قال: لا. قالت: يا رسول الله إنه ليس أريد أن أقاتل، إنما أريد أداوي الجرحى والمرضى، أو أسقي المرضى. قال: لولا أن تكون سنّة ويقال: فلانة خرجت لأذنت لك، ولكن اجلسي. قال الهيثمي (٥/٣٢٣): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح. انتهى.

﴿ ذكر أن طاعة الأزواج والاعتراف بحقهم يعدل الجهاد ﴾

وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك: هذا الجهاد، كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجِروا، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يُرزقون؛ ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أبلغي من لقيت من النساء: أنَّ طاعة الزوج واعترافاً بحقّه يعدل ذلك، وقليل منكنّ من يفعله». هكذا رواه البزار ـ مختصراً.

والطبراني في حديث، قال في آخره: ثم جاءته ـ يعني النبي ﷺ ـ امرأة، فقالت: إني رسول النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوَى(١) مخرجي إليك، الله ربُّ الرجال والنساء وإلٰههنّ، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أثْرَوا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يُرزقون؛ فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ قال: «طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن، وقليل منكنّ من يفعله» كذا في الترغيب (٣/٣٣٦).

خروج الصبيان وقتالهم في الجهاد

﴿ قتال صبي يوم أحد وجراحته ﴾

أخرج ابن أبي شَيْبة عن الشَّعْبي: أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يُطِق حمله، فشدّته على ساعده بِنسْعة(٢)، ثم أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني يقاتل عنك. فقال النبي ﷺ: «أيْ بنيّ، احمل

(١) تهوى: تحب.
(٢) النِّسْعة: سيْرٌ مضفور، يُجعل زماماً للبعير وغيره وقد تنسج عريضة. عن النهاية.

ها هنا. أيْ بنيّ، احمل ها هنا»[1]. فأصابته جراحة؛ فصُرِع؛ فأُتِيَ به النبي ﷺ فقال: «أيْ بنيّ، لعلك جزعت». قال: لا، يا رسول الله. كذا في كنز العمال (٥/٢٧٧).

﴿ بكاء عمير بن أبي وقاص وإجازته ﴾

وأخرج ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ردَّ رسول الله ﷺ عُمَير بن أبي وقاص عن مَخْرجه إلى بدر، واستصغره. فبكى عُمَير، فأجازه. قال سعد رضي الله عنه: فعقدت عليه حِمَالَة سيفه، ولقد شهدت بدراً، وما في وجهي إلاَّ شعرة واحدة أمسحها بيدي. كذا في الكنز (٥/٢٧٠). وأخرجه أيضاً الحاكم (٣/٨٨)، والبغوي ـ بمعناه.

﴿ شهادة عمير بن أبي وقاص ﴾

وأخرجه ابن سعد عن سعد رضي الله عنه قال: رأيت أخي عُمَير ابن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردّني، وأنا أحب الخروج لعلّ الله أن يرزقني الشهادة. قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فردَّه، فبكى فأجازه. فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقِد حَمائل سيفه من صِغَره فقتل وهو ابن ست عشرة سنة. كذا في الإصابة (٣/١٣٥)، وأخرجه البزار، ورجاله ثقات؛ كما في المجمع (٦/٦٩).

---

(١) احمل ها هنا: اهجم.



فهرس الموضوعات

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

تمَّ الجزء الأول من كتاب «حياة الصحابة»
والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات